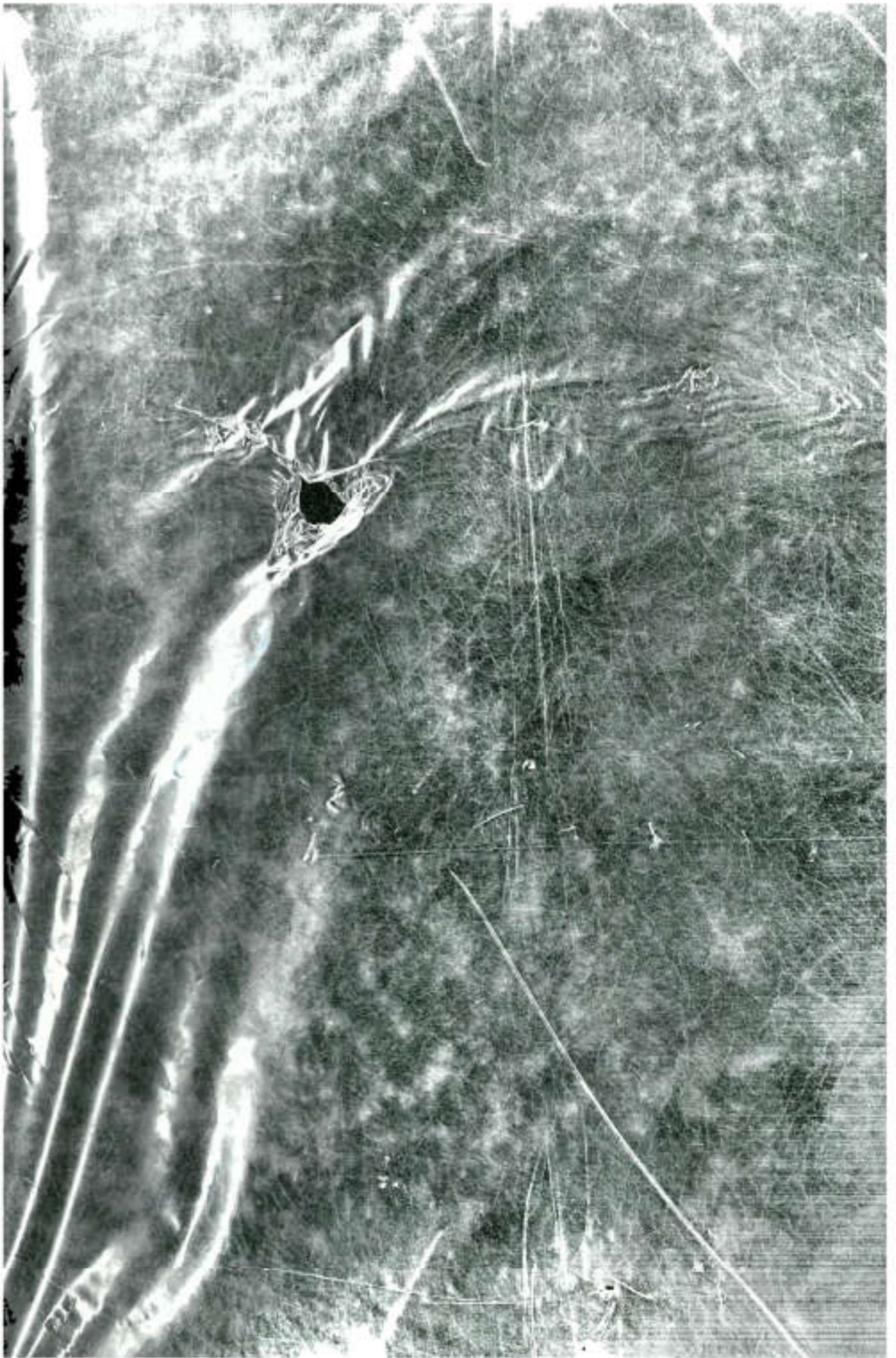


القاضي العلامة
محمد بن إسماعيل العمري
حياته العامة والدعوة

إعداد
عبد الرحمن عبد الله سليمان الأنجيني

إشراف
أ.د. محبوب طه كردي

مكتبة الإرشاد
مستطع



جميع حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٣م - ٢٠٠٢م



مكتبة الإرشاد

شارع ٢٦ سبتمبر - صنعاء - صرب: ٣٠١٩

هاتف: ٢٧٢١٩٠ - ٢٧١٦٧٧ - ٢٧٩٢٨٩

الجمهورية اليمنية

القاضي العلامة

محمد بن إسماعيل العمري

المولود ١٣١٤ / ٣ / ١٣٤٠

حياته العلمية والدعوية

ضمن مكتبة
محمد بن عمرو بن عبد الخالق
الراشد كان سنة في عونه

إعداد

عبد الرحمن عبد الله سليمان الأنجزي

إشراف

أ.د/ محجوب طه كردي



مكتبة الإرشاد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى:

﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ
إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٩].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«العلماء ورثة الأنبياء».

[رواه البخاري في الوصايا]

(ورواه أبو داود في باب الحث على طلب العلم)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شكر وعرفان

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ. وَلَا تَمُوتُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٧٢﴾﴾.

﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً. وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١٧١﴾﴾.

﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٥﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٦﴾﴾.

والصلاة على أشرف المرسلين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

ثم أما بعد: إن كان من شكر أقدمه فإن الشكر أولاً وأخيراً لله، ذي المن والعطاء والفضل والإنعام، وهو قديم الإحسان.

ونزولاً عند قول الحبيب المصطفى ﷺ: «لا يشكر الله من لا يشكر الناس»^(١)، فإني أقدم خالص شكري لرئيس جامعة الإيمان الشيخ المجاهد الداعية عبد المجيد الزنداني. نسأل الله أن يديم له ذلك الصرح الشامخ وتلك المنارة العالية.

كما أخص بالشكر والإجلال والتقدير والاحترام الشيخ العلامة الرباني الهمام أحمد بن علي الإمام.

(١) انظر: الجامع الصغير وزيادته الفتح الكبير، تأليف محمد ناصر الدين الألباني (ط ٣/١٤٠٨ - ١٩٨٨م) (٢/١٢٧٦) عن أبي هريرة، في مسند الإمام أحمد، وأبو داود، وابن حبان.

ولا أنسى أستاذي وشيخي ومعلمي ومن أشرف عليّ، وخصني بالنصح والتوجيه، ودفعني بحوافز القول والعمل الأستاذ الدكتور المحبوب محبوب.
كما أتوجه بالشكر والعرفان للأستاذين الكريمين الدكتور عبد الله عبد الحي والدكتور السيد محمد الأمين.

ولا ينسى أهل الفضل إلا لثيم؛ فإن أهل الفضل عليّ كثير، منهم: شيخنا وأستاذنا الدكتور عبد الله الزبير؛ فإنه لا يزال يحثني على الجد والطلب والمثابرة، ويصلح من شأني كلما عرجت في الخطأ والزلل، وكم بذل معي من الجهد والسعي؛ أرجو الله أن يجزيه خير الجزاء.

ثم أشكر كل من ساهم معي وبذل ونصح، وعلى رأسهم والدي الكريم حفظه الله ورعاه، وكذلك الدكتور محمد بن عبد الرحمن غنيم، الذي بذل جهده في مراجعة وتنقيح واستدراك في الرسالة من أولها إلى آخرها، فإله أسأل أن يجزل له حسن الثواب.

وزوجتي الكريمة التي هيأت لي أسباب الراحة من غير تقصير، وخدمتني بتفانٍ وتقدير، ومن بذل معي وقته وجاهه وعلمه وجهده.
والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على محمد وآله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم إلى يوم الدين.



الإهداء

الى

شيفي صاحب الترجمة، والى طلابه المجتهدين
أقدم هذا الجهد التواضع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحابه
أجمعين .

أما بعد: فإن الله سبحانه يختار من عباده من يشاء لحفظ دينه، وهداية
الخلق إلى الحق، فقد اصطفى من البشر للرسالة والنبوة من هم أهل لذلك
التشريف والتكريم ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ واختار من أقوامهم
حوارين وأصحاباً يهتدون بهديهم، ويستنون بسنتهم، ويقتدون بسيرتهم .

ولم يجعل سبحانه بعد محمد ﷺ نبياً؛ فهو خاتم الأنبياء والرسل، ولكنه
سبحانه هياً من أمته من يحمل هذا العلم، والدعوة إلى الله على بصيرة وهدى،
ليقيم الله بهم الحجة، وليرشدوا الناس إلى المحجة، وجعلهم أصحاب الوراثة
النبوية، وجدد بهم معالم الدين - كلما اندرس منها شيء - في كل عصر ومصر في
وجه الباطل .

وقد حفظ التاريخ لأمثال هؤلاء العظماء مواقف ساطعة، بالحق صادعة،
فكم قرأنا وسمعنا عن أشخاص كانت حياتهم كلها منار هدى للناس في عبادتهم
ودعوتهم، وجهادهم، وعلمهم، وسلوكهم، وسمتهم، وأخلاقهم، وعلاقاتهم مع
الناس، وما يزالون بهذا المسلك الحميد إلى اليوم حجة على عباد الله .

وقد شاء الله سبحانه أن نرى أفراداً من أمثال هؤلاء الذين أعادوا إلى
ذاكرتنا مواقف مشرقة من حياة السلف الصالح .

ولا شك أن حفظ وتدوين الجوانب المضيئة من حياة أمثال هؤلاء، يحفظ
للأمة تاريخاً حافلاً بما لا غنى للأمة عنه عند كثرة الباطل، وانتشار الفساد،
وفقدان القدوة الصالحة، والتباس الحق بالباطل، وشيوع الجهل، وبروز دعاة
الباطل، وغياب الدعاة الصادقين .

ومن هذه الاهتمامات الطيبة، توجه الأخ عبد الرحمن الأغبري، ليضيف

في تاريخ الأمة الإسلامية حياة أحد علماء اليمن الحافلة بالخير، فهذا هو يكتب بحثاً لينال به درجة الماجستير عن حياة الشيخ العلامة محمد بن إسماعيل العمراني، الذي عرفناه واهباً حياته لنشر العلوم الشرعية منذ عشرات السنين، بأدب جم، وتواضع نادر، وعمل دؤوب وبالأخص نشره لعلوم سنة المصطفى ﷺ، بقدره فائقة، في وقت قلّ فيه ناصر هذا النوع من العلم، وقد أحاط به كثير من طلاب العلم، ولازموه، وكسبوا منه العلم، والتطبيق للسنة في واقع حياتهم، والخلق الذي تحلّى به وصار له سجيّة وطبعاً، ولا يفوتني أن أذكر أن له أيضاً باعاً طويلاً في معرفة علم الفقه، الذي ما فتىء يعلمه لمريديه، ويغرس في النفوس حب الاتّباع، والتنفير من التقليد والابتداع.

ومن محاسنه التي عرف بها أنه لا ينسى خلال تدريسه من بيان وجه الحق في المسألة - حسب ما وصل إليه اجتهاده وفهمه واستنباطه - وتفنيده الأقوال الأخرى بأسلوب العالم المترفع عن الإسفاف في الطعن والجرح، كما يمزج أسلوبه دائماً بالدعابة والملح الظريفة التي تذهب بالسامة والملل.

وقد كان لي شرف التتلمذ على يديه في بداية الطلب، وذلك في دراسة كتاب «سبل السلام» للإمام محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني.

وعلى كل حال فالشيخ محمد بن إسماعيل العمراني معروف في الأوساط العلمية بما ذكرنا من محاسنه وبأكثر من ذلك، كذلك نحسبه ولا نزكي على الله أحداً، وقد أحسن وأجاد الأخ عبد الرحمن الأغبري بهذا المنهج الذي سلكه، أسأل الله ﷻ أن يهيئ لأمثال الشيخ العمراني من المغمورين من أهل العلم، الذين جندوا أنفسهم لخدمة دين الله سبحانه، من يبرز محاسنهم، كما أسأله أن يشيب أخانا عبد الرحمن على صنيعه هذا، وأن يرزقنا جميعاً الإخلاص لوجهه آمين، والحمد لله رب العالمين.

د. عبد الوهاب لطف الديلمي
صنعاء في يوم الجمعة ٤ من ذي القعدة الحرام
سنة ١٤١٩ هـ
الموافق ١٩/٢/١٩٩٩ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بعد القاضي العلامة محمد بن إسماعيل العمراني آخر من عرفنا من شيوخ العلم وأساتذته الكبار الذين كانوا يتصدرون لتدريس الراغبين من طلبة العلم والمسترشدين في الجوامع والمساجد، فيتعلقون حول أساتذتهم وهم جميعاً جلوس على الأرض، فيملي الأستاذ عليهم الدرس، كما هو الحال في مدارس الزيدية، أو ينتدب أحد طلابه لميلى الدرس، والأستاذ وسائر الطلاب يستمعون كما هي العادة في مدارس غير الزيدية.

على أن للقاضي محمد العمراني حفظه الله مزية ينفرد بها فيما عرفت عن غيره وهي مزج الدرس بالفكاهات والنكت التي تتعلق بموضوع الدرس، فتزيل الكتابة والرتابة من نفوس المستمعين من طلابه الملتزمين بالحضور وكذلك من غيرهم، فلا يسأمون من طول الدرس، مما يجيب الطلاب في الإقبال على دروسه، كما أنّ له أسلوباً حاسماً في الإقناع برأيه واجتهاده لمن يساورهم الشك في بعض المشكلات الفقهية وغيرها.

ويتمتع كذلك بسرعة فائقة في الإجابة على ما يرد إليه من أسئلة من المستفتين، وما أكثرها، فلا يخرج جوابه في الغالب عن جادة الحق ومطابقة الشرع كما نسمع، وذلك لسعة معارفه وحضور ذهنه، ومع ذلك فلا ينقطع عن إملاء دروسه بعد صلاة الفجر وبين العشائين إلا لمرضٍ أو سفر، ويخص رمضان بالنصيب الأوفى من دروسه من بعد صلاة الظهر حتى صلاة العصر ومن بعد العصر إلى قبيل الغروب.

لذلك فهو جدير بأن يكتب عنه رسالة ماجستير وما هو أعلى منها؛ تقديراً لما يقوم به من نفع الناس في نشر العلم والبحث على الإقبال على الاقتصار على أحكام القرآن الكريم وصحيح سنة رسول الله ﷺ.

وخيراً فعل ابننا الأستاذ عبد الرحمن بن عبد الله الأغبري أحد طلاب

القاضي العمراني؛ في أطروحته عن شيخه العمراني اعترافاً بفضل أستاذه عليه
وعلى غيره من طلاب العلم، والله ولي التوفيق وهو حسبنا ونعم الوكيل.

صنعا:

بقلم القاضي:

إسماعيل بن علي الأكوخ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستعديه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وآله وسلم تسليماً كثيراً.

﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١).
﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ مِمَّا ذَوَّجَهَا وَتَنَزَّلُ مِنْهَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنَسَاءً وَأَتَقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (٢).
﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (٣).

أما بعد:

فإنه من المعلوم لدينا أن الله تعالى جعل خيرية هذه الأمة، وعزتها مرتبطة بأمرها بالمعروف ونهيها عن المنكر، وجعل من يقوم بهذه المهمة العالية والدرجة السامية أناساً كتب لهم الخيرية على الأمة جمعاء، وكذلك أوكل الله ﷻ إلى مجموعة منهم ليقوموا بأمر هذا الدين وتبيينه للناس، حيث قال: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ (٤).

(١) سورة آل عمران: الآية ١٠٢ . (٢) سورة النساء: الآية ١ .
(٣) سورة الأحزاب: الآيات: ٧٠ ، ٧١ . (٤) سورة التوبة: الآية ١٢٢ .

وقال تعالى محذراً من يكتم علماً علمه الله إياه:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا آتَانَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أَزَلْتِكُمُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ اللَّهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (١) ﴿وَأَنَا أَنزَلْتُ الْوَيْدَ الرَّجِيمَ﴾ (٢).

وكذلك أشاد الله بالعلماء ورفع مكانتهم، حيث قال: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَكْتُمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (٣).

وقال تعالى أيضاً: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّكَ اللَّهُ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ (٤).

وقال تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ (٥).

فالعلماء هم منار الأمة، ومصابيح الهدى، ومعرفة تراجمهم وسيرهم وطرقهم ومناهجهم مما يشحذ الهمم ويقوي العزائم وينير للأمة الطريق (فالعلماء ورثة الأنبياء، والأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، إنما ورثوا العلم، فمن أخذ به أخذ بحظ وافر) (٥).

فالكتابة عنهم وتبعية آثارهم ليس من قبيل تضييع الوقت أو إهدار للطاقة، بل إنها الفائدة العملية، والتراث النافع للأجيال ولطلاب العلم.

فهم أولو الأبواب والأحلام والنهى، وأولو الحكمة والبصيرة والتقى، فحريٌّ بنا أن نفتدي بهم ونسير على نهجهم.

وحسبي أن أكتب عن أحد من هؤلاء الأعلام والمشايخ الكرام.

القاضي الفقيه العلامة: محمد بن إسماعيل العمراني.

لما رأيت الناس في اليمن على مختلف مستوياتهم - خاصة العلماء - كثيراً ما يجعلون من القاضي محمد بن إسماعيل العمراني مرجعاً، ويستفسرونه في كل ما

(١) سورة البقرة: الآيتان ١٥٩، ١٦٠. (٢) سورة الزمر: الآية ٩.

(٣) سورة فاطر: الآية ٢٨. (٤) سورة المجادلة: الآية ١١.

(٥) رواه البخاري في الوصايا ٣٢، وفي سنن أبي داود، دار الحديث، حمص ١٩٧٣م (٤/٥٧) في باب الحث على طلب العلم، وفي تحفة الأحوذى للإمام أبي العلى محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري (ت: ١٣٥٣هـ)، مراجعة وتصحيح عبد الرحمن محمد عثمان (٤٥٠/٧) تحت رقم ٢٨٢٢، وكذا في عمدة القارى شرح صحيح البخاري لبدر الدين العيني، دار الفكر، بيروت (٧٩/٢).

يستجد من أمور تحتاج إلى فتاوى شرعية، ورأيت أن له قبولاً عند الكافة والخاصة؛ تيقنت بادئ الأمر أن هذا سر من أسرار الله يضعه حيث يشاء من خلقه؛ ثم أثار هذا في نفسي تساؤلات كثيرة؛ فقلت في نفسي: كيف لو توفي هذا الرجل؟ فإن قومه يوشكون أن يدفنوه ويدفنوا معه آثاره وجهوده؛ فأحببت أن أكون له جليساً، وأن أصبح له تلميذاً؛ حتى أصل إلى ما يعتلج في نفسي وفي نفوس كثير من طلابه، وأستخرج ما تمكنت منه، لعل في ذلك فائدة جلييلة يتحصل عليها طلاب العلم أمثالي؛ ولعل في ذلك حثاً لنا جميعاً على الاستفادة والاستزادة ممن سبقونا من العلماء، ولعل ترجمته إجابة شافية وضيء ساطع ينير الطريق لطلاب العلم ويهدي المسترشدين من الباحثين غيري فيحثوا الخطى نحو تحقيق جهوده وإخراجها الإخراج اللائق؛ ولا أدعي بعد هذا أني وصلت أو أحطت بما لديه، غير أني بذلت الجهد المأمول، والتقصير وارد لكوني بشراً ضعيفاً يأخذني القصور كل مأخذ.

ولأن هذا العالم الفذ ممن يجب الخمول ويكره قاصمة الظهر من مدح أو إشهار أو إبراز له أو إشادة به، ولسان حاله يقول: «حب الظهر قاصمة الظهر»، ولا نزكي على الله أحداً، ولأن التواضع أصبح سمياً له، واللين والسهولة والبساطة سجية من سجاياه فقد أحببت أن يكون موضع بحث، وهو جدير من قبل ذلك، ولذا فقد تحفظت كثيراً وأنا أكتب عنه، مما شدد عليّ وحذرنى منه حينما قال لي: أنت ممنوع أن تكتب عني كلمة، فمن أنا... إن هناك علماء كبار وأجلاء فاذهب وابحث لك عن أحدهم لتكتب عنه.

ولأن جل علماء اليمن يشهدون له بالخيرية والأفضلية ويقدمونه عليهم ويقولون عنه: إنه وعاء مليء علماً، باستثناء علماء الهادوية فإنهم لا يزالون يقللون من شأنه ومن شأن غيره من أهل السنة في كل موطن، وصدق الشوكاني رحمته الله حينما أراد أن يترجم بعض علماء اليمن ممن سبقوه، فلما لم يجد ما يكتب عنهم قالها صريحة: (إن الزيدية مع كثرة فضلائهم ووجود أعيان منهم في كل مكرمة على تعاقب الأعصار لهم عناية كاملة ورغبة وافرة في دفن محاسن أكابرهم وطمس آثار مفاخرهم... إلخ)^(١).

(١) انظر: محمد علي الشوكاني، البدر الطالع، مطبعة السعادة، الأولى (١٣٤٨هـ) (١/٥٩، ٦٠).

ولأن عالمنا لم يشتهر خارج الديار اليمنية بسبب أنه لم يحالفه الحظ في الخروج إلى خارج اليمن لعدة أسباب، وفي مقدمتها: الفقر الذي كان يعم اليمن وشعبها أجمعين إلا من ندر، وقليل من هم.

وخشية من أن يندثر علم صاحب الترجمة وتندثر جهوده العلمية بين قومه، فضلاً عن عدم معرفتها خارج ديار قومه وذلك أن أكثر العلماء في خارج اليمن يزهدون في علماء هذا البلد؛ لما يعتقدون في الطائفة الزيدية أنها خلية من علماء السنة أو أنهم شيعة روافض ومعتزلة أهل ضلالة.

ولعل صرامة أو صراحة الشوكاني تغني عن الكلام، حيث قال في ترجمته للعلامة محمد بن إبراهيم الوزير (٧٦٥ - ٨٤٠هـ)^(١): (ولا ريب أن علماء الطوائف لا يكثر العناية بأهل هذه الديار لاعتقادهم في الزيدية ما لا مقتضى له إلا مجرد التقليد لمن لم يطلع على الأحوال، فإن في ديار الزيدية من أئمة الكتاب والسنة عدداً يجاوز الوصف، يتقيدون بالعمل بنصوص الأدلة ويعتمدون على ما صح في الأمهات الحديثية وما يلتحق بها من دواوين الإسلام المشتملة على سنة سيد الأنام... إلخ).

والعلماء المتسننون في هذه الديار كثيرون، ربما لا يبلغون الحصر ولكن درج أهل اليمن على طمس آثارهم، ولا أدري ما هذه العادة التي كادت أن تكون طبيعة يتوارثها الأبناء عن الآباء، ولا حول ولا قوة إلا بالله!!

ولما كان كثير من العلماء في اليمن ينتقلون إلى جوار ربهم واحداً بعد الآخر، ولا أحد يعرف عنهم شيئاً، وبهذا ينتزع العلم من بين أظهرنا بنزع أرواح العلماء، ففي هذه السنة فقط انتقل ثلاثة أعلام من كبار علماء اليمن إلى رحمة الله تعالى^(٢)...

(١) محمد علي الشوكاني، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، دار المعرفة، بيروت، والمطبوع بمطبعة دار السعادة، الأولى (١٣٤٨هـ) (٨٣/٢).

(٢) الشيخ العلامة محمد بن يحيى قطران، صاحب حجة، وقد كان من كبار علماء العربية. والثاني: الشيخ العلامة محمد يوسف حربة، وهذا من أكابر علماء الشافعية في الفقه والحديث والأصول... والثالث: العلامة التحرير حسن عبد الباري الأهدل من علماء المراوعة السنين، وكان قد بلغ التسعين عاماً معظمها في نشر العلم، ومن تلامذته الآن =

فقد كان هذا الأمر الجلل من دواعي كتابة هذه الرسالة كترجمة متواضعة لأحد العلماء الذين حفظ الله بهم السنة في بلد طفق - أهله إلا من رحم ربي منهم - بالتشيع والتعصب والجمود.

وقد حاولت في هذه الرسالة بعون الله تعالى قدر المستطاع أن أضع بعض المعالم في الطريق لآراء هذا العالم؛ ليهتدي بها القاصرون أمثالي، وحاولت جاهداً أن أستخرج ذلك من قصاصات أوراق شيخنا المتناثرة في مكتبته المتواضعة، ومن مجموعاته التي خطها قلمه السيال في أول مراحل الطلب أيام عنفوان شبابه، ومن خلال هوامش كتبه التي طالما درّسها لطلابها، وبعض ما خطته يده كرسائل فقهية وأجوبة على فتاوى ومقالات من هذا وذاك، حاولت أيضاً استخراج بعض من اختياراته الفقهية واجتهاداته الشخصية في بعض المسائل الفرعية. كل ذلك أملاً أن يهتدي بها الماهرون في الغوص في مسائل الفقه غيري، وعزائي أن من فقد الماء تيمم بالتراب.

وحاولت أن أستخرج من خلال ما ذكرت شيئاً لم أسبق إليه فيما أعلم كبعض رسائله وبحوثه ومقالاته وفتاواه سواء الفقهية منها أو الحديثية أو حتى العقائدية، وجلها لا زالت مخطوطة، مع أنه في كل مرة عند محاولتي استخراج شيء منه كان يبدي اعتذاراً لطيفاً وينتحل جواباً شافياً: (ما عندي شيء ولست بشيء، ما هي إلا دعوة أمي لي)، ولا زلت أعتقد أنه لم يُخرج لي كل ما عنده رغم محاولاتي الكثيرة، خاصة وأن علومه وجهوده أكثرها في هوامش كتبه كتعليقات على مصنفات من سبقوه، ومما زادني اعتقاداً بذلك أن بعضاً من طلابه كان قد اقترح عليه أن يجمع فوائده التي كان يذكرها لهم أثناء دروسه في كتب حسب تخصص الفوائد، فعمل بهذا المقترح ولكنه فقد كثيراً مما أودع كتبه هذه الفوائد كما وجدت ذلك مكتوباً في بعض مخطوطاته القديمة.

بعد هذه المقدمة يمكنني أن أجمل مبررات اختياري لهذا الموضوع في النقاط

التالية:

= شيوخ كبار منهم دكاترة في الجامعات، وكذلك المؤرخ الكبير ممن توفي في هذه السنة محمد بن علي الأكوخ الحوالي، وشيخ القرآن في اليمن محمد حسين عامر، وغيرهم تحفظتهم المنايا واحداً بعد الآخر ولا حول ولا قوة إلا بالله.

- ١ - أنه ممن تخرج على يديه ومن حلقاته علماء أفاضل في اليمن وفي غيرها (كسوريا، والسعودية، ومصر، وربما غيرها) وقد ذكرت أمثلة توضح ذلك في ثنايا البحث عند ذكر تلاميذه.
- ٢ - أنه وإن كان عاش حياته العلمية في إطار مدرسة زيدية إلا أنه قد مال إلى الأخذ بالدليل متى صح عنده، ويرفض التقليد والمذهبية الضيقة، فهو متأثر بعلماء بلغوا مرتبة الاجتهاد مثل الشوكاني^(١) وابن الأمير الصنعاني^(٢).
- ٣ - جرت العادة أن يبحث الناس في ترجمة أشخاص قد توفوا منذ زمن وتركوا آثاراً أو شككت على الاندثار، وعلى غير هذه العادة استخرت الله في شخصية لا زال ينبوعها للناس جارياً، وخيرها بين الأمم سارياً، وذلك لآخذ المعلومات رأساً من غير واسطة، فهذا سند عال من هذا الجانب! فالمعلومات متوفرة، وأماكن التوثيق في متناول اليد.
- ٤ - من خلال هذا المنهج حدا بي الأمل إلى أن أتوصل إلى حقائق وفوائد علمية، وربما ما كنت لأصل إلى شيء منها بغير هذا الأسلوب.
- ٥ - إن استمرارية هذا العلم في مضمار الدعوة ودربه الطويل فيها وشهادة كثير من أهل العلم له بالفضل والمرتبة العالية والمنزلة السامية، وسعة اطلاعه العلمي، وكونه يفوه بذكره من حين لآخر في الكتب الحديثة سواء الفقهية منها أو الاجتماعية، وكذلك المجلات الأدبية والاجتماعية، لكن لا يخلو ذلك من قصور في فهم هذا العالم واختياراته الفقهية بسبب عدم وجود دراسة مستقلة تخصصت للبحث عن جهوده وآثاره.
- ٦ - وأخيراً لقد رأيت أن في اختيار هذا الموضوع اتصالاً بالدراسات أو البحوث الفقهية خاصة المعاصرة منها، حيث له فتاوى في هذا الجانب تهم كثيراً من طلاب العلم والباحثين، ففيها من النفع والخير ما لا ينبغي أن

(١) محمد بن علي بن عبد الله الشوكاني (١١٧٣ - ١٢٥٠هـ)، انظر: البدر الطالع، دار المعرفة، بيروت، ط بدون تاريخ ٢١٤/٣.

(٢) محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني الكحلاني ثم الصنعاني (١٠٩٩هـ - ١١٨٢هـ) المرجع السابق ١٣٣/٢.

يغيب عن أعين المهتمين بالجانب العلمي من طلاب العلم المجتهدين، فهو في حد ذاته مرجع من المراجع.

أهمية الموضوع:

إن سُرج الأمة ومصابيح الهدى ومرجع الناس وموئلهم عند اشتداد الخطوب ومدهمات الأمور هم العلماء العاملون بعلمهم، ويكفي هذا الصنف من العلماء فخراً أن يذكرهم أفضل خلق الله محمد بن عبد الله ﷺ حين قال: «... وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء؛ وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب؛ إن العلماء ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، إنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر»^(١). وفي رواية: «فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم، وإن الله وملائكته وأهل السموات والأرض حتى النملة في حجرها، وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير»^(٢) وقال: حسن صحيح.

وإن كان كثير من الشعوب تفتخر بعلمائها (أقصد علماء الدنيا) وتجعل لعلماء الدين عندهم - وهم على باطل - مكانة سامية، أفلا نفتخر نحن المسلمين بعلمائنا الأفاضل، والذين أشاد بهم كتاب الله ورسوله ﷺ كما أسلفت، ولا أبالغ إذا قلت: إن المترجم له؛ شخصية متميزة جمعت من المحاسن ما لم تجتمع لكثير من علماء الأمة، وإنما لمن مفاخر العالم الإسلامي، ذلك أن العمراني دافع بكل ما أوتي من قوة وبرهان عن عقيدة السلف ووقف للخصوم سداً منيعاً وطوداً شامخاً فأحى ما كان قد بدأ به أسلافه في هذا البلد المحموم بنتن العصبية وجهود المذهبية وريح الاعتزالية، لقد أحى هذا العالم مدرسة السنة التي بدأها ابن الوزير (ت ٨٤٠هـ) وبلغت ذروتها بالعلامة شيخ الإسلام الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ) ثم كادت أن تموت، لولا أن قيض الله لها أمثال هذا العالم الذي بذل

(١) رواه أبو داود والترمذي واللفظ له. في كتاب العلم.

(٢) من رواية الترمذي. وانظر: صحيح الجامع الصغير وزيادته، (الفتح الكبير) الطبعة الجديدة المنقحة للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت ط ٣، (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م)، (١/٣٧٦)، (٢/٧٧٦).

الغالي والنفيس من أجل إحياء سنة المصطفى ﷺ، حتى لقد سجن في العهد الإمامي مرتين وليس له من ذنب إلا أنه يُدرس كتب السنة بجانب كتب الزيدية، ولقد كلفه هذا أن يسافر إلى مقر إمام ذلك الزمان الإمام أحمد ليأخذ منه إذناً رسمياً بتدريس هذه الكتب، وذلك لكثرة الدهماء الذين يتبعون كل داع ويسمعون كل ناعق خاصة ممن يتشدقون بحب أهل البيت وحب مذهبهم وأنه الأصل، وهكذا يُلبسون على العامة بزخرف من القول غروراً، نكاية في أهل السنة وتحريض العامة عليهم.

ظهر هذا العالم والمجتمع اليمني يعيش أوضاعاً متدهورة من الناحية الدينية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها.

ظهر والناس عامة في سبات عميق، وطلبة العلم في بلاده (صنعاء وتوابعها من البلدان المتمذبة بالمذهب الهادي)، يعيشون في جمود، فدعاهم إلى الكتاب والسنة وإلى تنقيح العقيدة مما أصابها من الأهواء، والانحرافات، وإلى الابتعاد عن علم الكلام الذي دخل على العقيدة، وقاد أصحابه إلى الفلسفة والجدل، وهذه دعوة قديمة دعا إليها علماء الأمة وأئمتها، ودعا إلى تخليص العقيدة من انحرافات الصوفية والدجالين والمشعوذين والخرافيين، بل دعا (العمراني) من خلال دروسه وحلقاته العلمية إلى الاجتهاد وإعمال العقل، والأخذ بالدليل وترك قال وقيل، ونبذ التعصب والفرقة وترك كل ما يؤدي إلى النعرة والخلاف، والعمل على وحدة الأمة وكان كثيراً ما يوجه هذه الدعوة إلى طلاب العلم، خاصة في المساجد، وخاصة بعد ظهور الجماعات الإسلامية على الساحة، فكان لا يترك فرصة إلا ودعا فيها إلى نبذ الشقاق وإلى وحدة الجماعة وترك المسائل الفروعية لكل واجتهاده فيها لأنها كثيراً ما أدت إلى شدة الخلاف بل إلى التقاتل في المساجد وإزهاق الأرواح!!

وتتجلى أهمية هذا الموضوع كذلك في استجلاء وإظهار ما سجلته يد الشيخ من مجهودات علمية وآثار فقهية؛ فإن عامة من يسمع له أو يدرس على يديه لا يعرف عن آثاره العلمية شيئاً سوى ما يكتبه على هوامش كتبه التي يدرسها لطلابها، وإن له آثاراً علمية تحتاج إلى إخراج وتحقيق، خاصة في الجانب الفقهي الذي اشتهر به، كيف لا؟! وهو يعتبر من أبرز علماء اليمن، بل كثير منهم يعتبرون فتواه هي الفيصل في الحكم، كيف لا؟! وهو صدر العلماء في المواقف الحاسمة.

وتبدو أهمية هذه الدراسة كذلك جلية عندما نعرف أن القاضي محمداً لم

يتأثر بيئة الاعتزالية الهادوية أبداً، بل ولم يأخذ من مشايخه - وقد درس عليهم فترات طويلة - إلا الحق وترك الزبد يذهب جفاءً.

فخالفهم عقيدة وفقهاً، وكم امتحن منهم ومن غيرهم كعادة من يدعو لإحياء السنة بين هؤلاء القوم، فإنهم لا يألون جهداً في اتهامه بكل منقصة مزرية، وأنه إن يريد إلا خراب مذهبهم ومحاربتة.

وكشفت هذه الدراسة عن شخصية القاضي العمراني المرنة في الدعوة وإظهار الحق وحسن معاملة الجميع ومداراتهم، وليس مدهانتهم، حتى أحبه الجميع ورضي به الجميع، حتى لتجد كثيراً من ذوي الانتماء يظن أن القاضي منهم، وبهذا استطاع أن يجيي مدرسة السنة في البيئة حيث الاعتزال والرفض، وكان قد بدا فظهرت له قرون وطالت أظافره، ومما ساعد على ذلك ظهور الحركة الإسلامية في اليمن، فكان لها دور واضح في إحياء السنة وإزهاق العصبية، وقد بدا ذلك واضحاً في المناهج العلمية للمدارس الابتدائية والمتوسطة والثانوية، وكذا الثورة اليمنية التي أماتت كل ما يدعو إلى المناطقية أو المذهبية والطبقية، وانتشر التعليم في القرى والمدن وارتقى بالناس المستوى التعليمي والاقتصادي والاجتماعي وغيرها..

وساعد هذا المستوى القاضي نفسه على نشر أفكار المدرسة السنية خارج بيئة الزيدية، فقد انتشرت بعد الثورة في ربوع أرض اليمن بل وخرجت عن نطاق اليمن إلى غيرها من زوار اليمن، فيجد المتتبع أن حلقاته يحضرها اليمني وغير اليمني، والكل يستفيد لأن دروسه الفقهية أشبه ما تكون بدروس الفقه المقارن. وبهذا اتسعت حلقاته العلمية، وبتوسعها انتشرت أفكاره في أنحاء اليمن.

الصعوبات التي واجهتني أثناء البحث:

١ - كان قدومي واختياري لهذا البحث نوعاً من المجازفة فيما أتصور، ذلك أن هذا الاختيار سبب لي حرجاً ومشقة، فما تمكنت من مفاتحة صاحب الترجمة إلا بعد مدة، ثم أن تمنعه من إعطائي أي معلومة بعد أن عرف أنني سأكتب عنه، فما تردد أن حجرتي^(١) أي منعني خوفاً على نفسه وتواضعاً

(١) الحجر عند أهل اليمن بمعنى المنع المبالغ فيه، حتى ليقول أحدهم: أنت محجور بحجر الله، فلا يقدم رجلاً بعد ذلك ولا يؤخرها.

منه، وقال لي ابحث في علماء قدامى لهم اجتهاد ولهم صولة وجولة في التاريخ! فمن أنا حتى تكتب عني!!

٢ - عدم وفرة المراجع التي تهتم بالتاريخ اليمني في المكتبات العامة أو الخاصة، وهذا أضناني كثيراً في البحث، وربما أظهر في الرسالة قصوراً أرجو أن يغفر.

٣ - عدم وجود دراسات من قَبْلُ، كتبت عن المترجم له؛ ذلك أنه لا زال حياً، هذا من ناحية؛ ومن ناحية أخرى؛ حتى وإن كتبت عنه بعض الكتب والمجلات فما هي إلا إشارات من بعيد أو فتاوى عامة أو تقرّظ في رسالة لا يستفاد منها من الناحية المنهجية.

٤ - الأمر الرابع ما كنت أتصور أن البحث سيطول، خاصة وكنت أجدني مضطراً إلى أن أكتب عن عصره بشكل يتبين من خلاله مدى تأثير القاضي بعصره، وكذلك كنت مضطراً إلى كتابة اختياراته الفقهية، واستخراج ما عنده من فتاوى، فأخذ هذا مني وقتاً كبيراً في متابعته في بعض الاختيارات؛ لأن أكثرها كانت من خلال دروسه في الحلقات المسجدية.

أهداف البحث العلمية:

- تجلية الجهود والآثار العلمية (للقاضي العمراني)؛ حيث لا يوجد منها في المكتبة الإسلامية إلا القليل النادر.
- توضيح مدى ما عاناه (القاضي العمراني) في حياته العلمية، ومدى نجاحه من عدمه بين قوم استمرؤوا الجدال وتميزوا بالخصومة لكل من يخالفهم.
- التوضيح بأن المذهب الزيدي الأصيل يدعو إلى الاجتهاد والانفتاح على أهل السنة، وقد بدا هذا على الحياة العلمية والتعليمية للقاضي محمد.
- التبيين بأن هادوية اليمن ليسوا على مذهب الإمام زيد إلا انتساباً فقط، وإنهم على المنهج الاعتزالي حذو القذة بالقذة.
- كان كثير من الناس يعتقد أن القاضي شيعي أو أنه معتزلي، فقلت في نفسي: لا ينبغي أن يصدر هذا الحكم إلا من ملازم له، دارسٍ لشخصه، فاحصٍ لأرائه.

حواضر البعث :

- ١ - استماعي كثيراً لفتاواه من خلال الوسائل الإعلامية المسموعة والمرئية والمقروءة .
- ٢ - ثناء كثير من العلماء له، وجعل فتاواه في كثير من الأمور هي الفاصلة، وإطراؤهم له، وأنه عالم منصف غير متعصب لمذهب ما، ولا ميال إلى أي جهة .
- ٣ - الاحترام والتقدير الذي يجده من غير العلماء - بل من عامة الناس، حتى على مستوى الشخصيات الاجتماعية والمسؤولين في الدولة - جعلني أنظر إليه بعين الاستفسار .
- ٤ - تشجيعي من بعض مشايخي في أن أكتب عنه .

منهجي في البحث :

سلكت في هذا البحث منهج الاستقراء والتتبع والبحث عن المعلومات من مصادرها، سواء كانت عند المترجم له أو عند غيره ممن له صلة به كعلماء بينهم وبين صاحب الترجمة مودة وأخوة، وكذلك أخذت بالمنهج الوصفي التحليلي عند كتابة البحث .

وحاولت جاهداً في منهجي في هذا البحث :

- ١ - أن أوثق الآيات الواردة في البحث بتحديد أرقامها والسور التي وردت فيها .
- ٢ - تخريج الأحاديث وعزوها إلى مخرجها، مع اعتماد تصحيح وتضعيف الحفاظ المشاهير وأهل الحديث والرواية .
- ٣ - توثيق النقول، والأقوال المستفادة من العلماء، والكتاب والباحثين ممن كان لهم سبق، من مصادرها ومراجعها، وجعلت ذلك في الهوامش .
- ٤ - سلكت في هذا البحث أسلوب التقدير والاحترام للمترجم له، لأنه من أهم مشايخي في العلم .
- ٥ - حاولت إثبات بعض اختيارات (القاضي العمراني) الفقهية عموماً، وكذا حاولت إخراج المسائل التي يخالف فيها الهادوية وجعلتها كمطلب .

- ٦ - بعض الأعلام من مشايخ العمراني لم نجد تأريخ وفاتهم؛ بسبب إهمال المترجمين للتراجم ذكراهم أو الإشارة إليهم.
- ٧ - حاولت أن أترجم لأسرة العمراني ترجمة مختصرة؛ دعنتي لذلك ضرورة البحث.
- ٨ - أثبت تأريخ الوفيات لمعظم الأعلام الذين ورد ذكرهم في الرسالة؛ لما يترتب على ذلك من فائدة للباحث.
- ٩ - حاولت إثبات بعض الأحاديث التي خالف فيها الأئمة الزيدية علماء الحديث، وجعلتها كفايدة وخاتمة للبحث.

قائمة الموضوعات:

وقد قسمت الرسالة إلى مقدمة وأربعة فصول، وخاتمة.

الفصل الأول، ويتناول:

عصر المترجم له وكيف كان له أثر في تكوين شخصيته؛ وفيه:
توطئة: لمحة جغرافية عن اليمن.
ثم خمسة مباحث.

الأول: عصر القاضي من الناحية السياسية، في العهد الإمامي.

الثاني: عصره من الناحية الدينية والفرق الموجودة في الساحة اليمنية.

الثالث: عصره من الناحية الاجتماعية.

الرابع: عصره من الناحية الاقتصادية.

الخامس: عصره من الناحية التعليمية.

ثم تكلمت بشيء من الاختصار عن التحولات في العهد الجمهوري في كل ناحية من هذه النواحي.

وبينت خلال هذا الفصل كيف أن العالم الإسلامي كله كان مستعمراً عدا ثلاثة دول تقريباً، ولكن فيها من الصراعات الداخلية ما الله به عليم، ثم ذكرت بعضاً من هذه الصراعات كجهة خارجية لليمن؛ إنجلترا، باعتبار ما كانت تحتله منها؛ فإنها كانت تحتل الجنوب اليمني وتعتبره جزءاً من بلادها بريطانيا.

ثم الصراع الدامي بين اليمن والسعودية، والصراعات الدامية بين الإمام

والقبائل حتى خضعت له جميعاً، ثم أحكم الخناق على الشعب اليمني كله؛ وبينت خلال البحث كيف عاش اليمن عزلة رهيبة مغلقة تماماً عن العالم الخارجي من كل النواحي.

وكيف أثر هذا على المستوى الاقتصادي للبلاد، والمستوى التعليمي؛ فانهارا تماماً، وكيف عاش الشعب اليمني حياة اجتماعية بثيسة خلال هذا العهد؛ وجر ذلك مما ذكرته في أثناء هذا الفصل.

الفصل الثاني: وفيه مباحث:

المبحث الأول: وتناولت فيه: مولده واسمه وكنيته ونسبه ولقبه.

والمبحث الثاني: وتناولت فيه أسرته ومكانتها العلمية بشيء من التفصيل، حيث ترجمت لأبائه الذين عاشوا في صنعاء وطلبوا العلم فيها واستقروا فيها.

والمبحث الثالث: تناولت فيه حياته التعليمية، وقسمتها إلى قسمين: المرحلة الأولى: حيث طلب العلم في مدرسة ابتدائية لمدة ست سنين ثم التحق بمدرسة أعلى منها وطلب فيها العلم لمدة سنة، وخلال هذه المرحلة حفظ القرآن الكريم وشيئاً من المتون المختصرة كمرحلة أساسية.

والمرحلة الثانية: بينت فيها بشيء من التفصيل طريقة تعلمه وكيف بدأ يأخذ العلم من أفواه مشايخه عبر حلقاتهم المسجدية أو البيتية؛ وبينت فيها كيف جثم شيخنا على ركبته الساعات الطوال ولمدة طويلة تقارب أو تزيد على العشر سنين؛ وكما بينت مزية هذه الطريقة في العلم، وأنها من أفضل الطرق التي اهتم بها التربويون في الإعداد المهني للمعلم رأسياً وأفقياً، حيث إنه لا يقتصر فيها على الأخذ وإنما يبدأ في العطاء لمن هم أقل منه كفاءة وأصغر منه سناً، كما يتبين من خلال عرض طريقة تعلمه، فالمنهج المتبع هو أن التلميذ يتتبع بالمادة الواحدة أكثر من شيخ مستفيداً من الجميع، وربما تتكرر دراسة المادة الواحدة كذا مرة، ليس إلا لمزيد من الفائدة (وما تكرر تقرر).

ثم تطرقت إلى ما يسمى بالإجازة، وهي الآن بمثابة شهادة، بل أعلى منها من حيث إن الطالب لا يعطى الإجازة إلا وقد بذل مجهوداً، ويعرف شيخه أنه على مستوى رفيع من العلم والخلق والسمت الصالح والثبت والإجادة في نقل ما

يسمع، فسردت في عدة أوراق مجموع الإجازات التي أعطيتها بشيء من الإجماع والاختصار، فهي تبين مكانته عند علماء عصره.

ولم يفتني ذكر أسانيد الشيخ، وأعلى سند له إلى «صحيح البخاري» وإلى غيرها من الكتب، مع ذكر بعض من المشايخ في هذه الأسانيد بقدر ما توفر لدي من مراجع.

وبعد هذا كله علقت تعليقاً بسيطاً على النهج المتبع لدى (القاضي محمد) في دراسته، بينت فيه كيف أنه تجشم الصعاب وتحمل المشاق ونأى بعضهم عنه، ولكنه لم ييأس، وكيف اهتم بالأخذ من كتب الزيدية مع عدم إهمال كتب أهل السنة في الحديث والفقه وغيرها، حتى تأثر بنهج أهل السنة وأصبح واحداً منهم ليس في ذلك أدنى شك أو ارتياب.

المبحث الرابع: وتناولت فيه العوامل التي أسهمت في تكوين شخصية (القاضي العمراني) من وجهة نظري كباحث، مثل موقع سكنه، وأسرته العلمية، وبكوره في الجلوس إلى المشايخ، والمدينة التي ولد فيها ونشأ فيها؛ فهي حاضرة اليمن إلى جانب أربعة مدن أخرى في اليمن مثل (زبيد - جبلة - صعدة - ذمار)، وشغفه بمطالعة كتب أهل السنة من المتقدمين وقراءته المكثفة للمجلات العصرية...

كل هذا فتح أمامه نافذة على مذهب أهل السنة، مما جعله يتأثر بهم ويسلك مسلكهم.

ولعل سائلاً يقول: فأين مشايخه؟ إن الإجابة على هذا السؤال وغيره، بأنه لم يتأثر بهم قط، بل سلمه الله من الفكر الاعتزالي وعقيدة الرافضة وكراهة أهل السنة التي تتمثل في كثير منهم.

ثم ختمت هذا المبحث بشيء من المحن والعقبات الصعاب التي لاقاها أثناء أداء رسالته العلمية وإحياء الفكر السني في هذه البيئة، وكيف أنه تعرض للسجن وربما للتهديد... وغير ذلك مما قد سجلته في هذا المبحث الصغير.

الفصل الثالث: وجعلته خاصاً بالحياة الدعوية للقاضي محمد، وفيه مباحث:

المبحث الأول: وتناولت فيه الإسهامات العلمية الداعمة للدعوة التي

انتهجها القاضي محمد أثناء مساره الدعوي، وتكلمت فيه بشيء من الإيجاز عن وسائل الدعوة، وكيف أن القاضي محمداً استخدم الوسائل المتاحة أمامه للدعوة: ففتح حلقات علمية في المسجد، ونشر فكره عبر الإذاعة والصحافة، وكذا من خلال التدريس في المدرسة العلمية، وتصدر للإفتاء، فكتبت فتاواه وانتشرت في مناطق كثيرة في اليمن، وكتب المقالات والرسائل والبحوث، وبعضها خرجت فانتفع بها الناس، مع أن جزءاً مما كتبه ظل حبيساً في الأدراج إلى يومنا هذا.

ثم تناولت في المبحث الثاني من هذا الفصل إسهاماته السياسية وعمله في الحقل السياسي على تحفظ منه وتمعض، وبينت أنه إنما كلف بهذا النوع من العمل ولم يطلبه، فعمل في مكتب الرئاسة كمسؤول أول لرفع المظالم، ثم في مجلس الشورى، وتكلمت من وجهة نظري في الانخراط السياسي عبر المجالس النيابية، وبينت بما أظن أنه الحق إن كان فيه مصلحة للمسلمين فلا بأس من الدخول فيه أو فيه دفع مفسدة أيضاً لا بأس من الدخول فيها... أو كان تعييناً من سلطان الدولة الصالح الناصح لقومه؛ وبينت الشروط التي ينبغي أن تتوفر في أصحاب هذه المجالس، وتكلمت بما يجد من الجدل والخوض في أمور قد تسبب الفرقة بين المسلمين وزيادة الشتات والهوة بينهم، ثم لم أغفل الأدلة التي ساقها من قال بجواز دخول هذه المجالس من الكتاب والسنة والإجماع؛ وعرجت على موقف العلماء في هذا المجلس وكيف أنهم لا زالوا وهم فيه ينافحون عن الدين والعقيدة، وكم عانوا عندما وجدوا في المجلس الكثير ممن ليس عندهم خلفية في العلوم الدينية والشرعية، ثم عرجت على أهمية الولاية وموقع الوالي في الأمة وموقفه من العلماء وموقف العلماء منه، فأبرزت خلال هذا الحديث مواقف القاضي محمد من الوالي ومن السلطة بشكل عام.

المبحث الثالث: وتناول هذا المبحث مواقف القاضي الاجتماعية وكيف كسب الجميع بمواقفه ومبادئه في معاملة الناس جميعاً، وبينت فيه بإيجاز خلق الشيخ وسمته وهديه بين ذويه وطلابه والناس عامة، وكيف أن خلق الرحمة فيه والتعاون قد برز على الساحة حتى عرف عند أهل منطقته وغيرهم، وكيف أن المساكين كانوا ولا زالوا يأتونه بين الحين والآخر ليجدوا عنده ما ينفس كرباتهم ويوسع ضيقهم ويخفف آلامهم.

المبحث الرابع: وتناولت فيه موقف القاضي من الجماعات الإسلامية والعمل الجماعي، وكيف أن مواقفه دائماً تتسم بما يلم الشمل ويرأب الصدع ويوحد الكلمة ويحافظ على وحدة الجماعة، وكيف أنه وقف ناصحاً للجميع محذراً إياهم من الفرقة والشتات والتشرذم والضياح، حيث بيّن لهم في أكثر من موضوع أهمية وحدة الجماعة وأنها من أوجب الواجبات، ثم تناولت في هذا البحث أقسام الخلاف، وبينت السائغ من المذموم، مع طرح الأمثلة التوضيحية من واقع الأمة؛ لتعم الفائدة طلاب العلم ويتناول الخير الجميع.

الفصل الرابع: وتناولت فيه الحياة العلمية للقاضي العمراني، وفيه مباحث:

المبحث الأول: تناول هذا المبحث آثاره العلمية، وقسمته إلى مطالب:

المطلب الأول: تناولت كروؤوس أقلام بعض ما كتبت يده من رسائل علمية، بعضها سطر كإجابات على فتاوى، وبعضها سجلها للفائدة العلمية. وبلغت رسائله ما يقارب العشرين رسالة.

المطلب الثاني: البحوث، وهذه أيضاً ربما كانت أكثر، بل هي كذلك، وفيها من الفوائد القيمة ما يثلج صدر طلابه حين يطلعون عليها؛ وتناولت هذه البحوث مسائل بعضها محل خلاف بين أهل العلم عامة، وبعضها مثار جدل في أوساط البيئة الهادوية مع غيرهم، ومن هنا تدرك الفائدة عندما يحسمها باحث فضلاً عن عالم، لكلامه تأثير وإجابته وقع في النفوس.

المطلب الثالث: وتناولت فيه المقالات التي سطرها الشيخ للإذاعة والمجلات، وأذيعت في العهد الإمامي، وتناولتها مجلات ذلك العصر، وهي مفيدة للغاية، خاصة وأن فيها من المواضيع التي لم يخص بها المجتمع اليمني بل جعل أكثرها للمسلمين ككل، وتناول فيها قضايا عامة سياسية واجتماعية ودينية، وحث فيها على نصره المظلوم (جهادية).

على العموم هي غنية الفوائد غزيرة في مادتها... فأحببت أن أجعلها كمطلب خاص نوهت إلى بعض الأمثلة في صلب المطلب من مقالات الشيخ المتنوعة.

المطلب الرابع: وتناولت فيه مكانته العلمية بين العلماء سواء مشايخه أو من أجازوه، وكذلك علماء عصره المتأخرين، وتناولت ثناءهم عليه واحد تلو

الآخر، وكيف أنهم عرفوه جميعاً عالماً منصفاً بعيداً عن التعصب ناصراً للسنة قاماً للبدعة ملتزماً بالدليل مشتغلاً بالعلم والتعليم.

المطلب الخامس: شيوخ القاضي العمراني حيث ذكرت في هذا المطلب أهم شيوخه مترجماً لهم حسب ما تحصلت عليه من معلومات كتب التراجم، إذ لم تذكر تاريخاً لذلك.

المطلب السادس: وذكرت في هذا المطلب بعضاً من تلاميذه الذين أصبح منهم المشايخ والعلماء، فمنهم من تبوأ منزلة في المجتمع، فذكرتهم بصفاتهم؛ حيث لم أحصل على ترجمة لأحد منهم وهم كثيرون جداً ولم يسبق أن ترجمهم أحد من المؤرخين.

المبحث الثاني: وتناولت فيه فتاواه على وجه العموم وقسمته إلى مطالب:

المطلب الأول: فتاواه الحديثية، ذكرت فيه نماذج من هذه الفتاوى، والتي وجدتها مجموعة في كتاب، وبينت فيه كيف أن القاضي محمداً لم يغفل هذا الجانب وقد ركز فيه على تنقيح وتصحيح وتحقيق كل ما هو ضعيف أو موضوع من الأحاديث مبيناً للناس أثر هذه الأحاديث الموضوعية والضعيفة وخطرها على الأمة، وكيف أنه لا بد للعالم وطالب العلم من الاهتمام بهذا الجانب ولا يغتر أي منهما بمن سبقوه حتى يتبين له الحق من الباطل.

المطلب الثاني: وتناول هذا المطلب فتاواه الفقهية بشيء من الاختصار، وجعلتها على هيئة اختيارات فقهية، ولم أحط بكل اختياراته، بل هي أمثلة فقط على فقهه واجتهاده.

المطلب الثالث: فتاواه العقائدية وتناولت فيه كلاماً عاماً للقاضي عن العقائد والأسماء والصفات والرؤية والشفاعة والمسائل العقائدية عموماً؛ وبينت فيه معتقد القاضي وأنه في معتقده لم يخرج أبداً عن معتقد السلف، وأنه لم يتأثر لا من قريب ولا من بعيد بمعتقدات المعتزلة أو الأشاعرة، حيث إنه لم يستق علومه إلا من الكتاب والسنة وعلوم الحديث مباشرة بل لم يدرس كتب أصول الدين الزيدية أبداً.

المبحث الثالث: وتناولت فيه استدراقات (القاضي محمد) على (الشوكاني) في بعض كتبه، وقسمته ثلاثة أقسام، هي كمطالب لهذا المبحث والمطلب الرابع

جعلته خاصاً بذكر المسائل التي خالف فيها المذهب الهادوي وهو كالآتي:
المطلب الأول: استدراكات القاضي العمراني على شيخ الإسلام الشوكاني في كتابه «وبل الغمام».

المطلب الثاني: استدراكات القاضي العمراني على شيخ الإسلام في كتاب «السييل الجرار».

المطلب الثالث: استدراكات على كتاب «الدراري المضيئة».

المطلب الرابع: وجعلته خاصاً بالمسائل الفقهية التي خالف فيها القاضي العمراني المذهب الهادوي كما خالفهم في الاعتقاد، وبينت فيه أن القاضي العمراني سني بمعنى الكلمة، وأنه لم يكن هادوياً قط.

المطلب الخامس: وختمت به المبحث، حيث جعلته خاصاً بالأحاديث التي ذكرتها كتب الهادوية، وأكثرها لم تذكرها كتب السنة، ما ذكر في كتب السنة منها فهو إما موضوع أو لا أصل له... كفائدة علمية وخاتمة للمبحث.

أما الخاتمة: فقد ذكرت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها في بحثي هذا، كما ذكرت بعض التوصيات من وجهة نظري كباحث.

وفي الختام أرجو الله العلي القدير أن أكون قد حققت بعض الفرض المنشور في هذا الجهد المتواضع، حيث أن الخطأ والنسيان من طبيعة البشر والكمال لله وحده، وقد بذلت جهدي متحرياً أن لا أقع في الخطأ والزلل، ولكن مع هذا فلا يسلم منه أحد والعصمة لرسول الله وحدهم.

فإن أصبت فمن الله وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على محمد وعلى آله وصحبه ومن دعى بدعوته إلى يوم الدين.



الفصل الأول

عصر القاضي العمراني

وفيه :

- توطئة : لمحة جغرافية عن اليمن .
 - المبحث الأول : عصره من الناحية السياسية .
 - المبحث الثاني : عصره من الناحية الدينية وفيه ستة مطالب .
 - المبحث الثالث : عصره من الناحية الاجتماعية .
 - المبحث الرابع : عصره من الناحية الاقتصادية .
 - المبحث الخامس : عصره من الناحية التعليمية .
-
-

عصر القاضي محمد بن إسماعيل العمراني

○ توطئة وتمهيد:

أولاً: لمحة عن عصر القاضي محمد من النواحي السياسية والدينية والاقتصادية والفكرية...

لا بد من رسم صورة ذهنية جغرافياً لدى القارئ، وإعطائه فكرة مختصرة عن الموقع الجغرافي لليمن، ولأن اليمن عاش ردحاً من الزمن معزولاً كلياً عن العالم الخارجي نتيجة السياسة التي اتبعتها أئمة اليمن في القرن الحديث، ولقد وصفه الكتاب الغربيون وهم يدرسون اليمن من خلال رحلاتهم الفردية فقط!! ومنهم على سبيل المثال: فيشر (W.B.Fisher)^(١): (بأنه إقليم مغلق).

كان الجغرافيون العرب في القرون الوسطى يطلقون اسم (اليمن) على القسم الجنوبي من الجزيرة العربية بكامله بما في ذلك عمان^(٢).

والناظر في كتب المؤرخين المتقدمين أمثال الهمداني في صفة «جزيرة العرب»، و«الإكليل» لشمس العلوم، و«الخلاصة الجامعة» لنشوان الحميري، و«معجم البلدان» لياقوت الحموي وغيرها... يجد أن حدود اليمن الطبيعية أو اليمن العظمى تمتد من البحر العربي جنوباً إلى الحجاز شمالاً، وفي البحر الأحمر غرباً إلى الخليج العربي شرقاً، هذه هي الحدود الطبيعية لليمن حسب ما تكتبه

(١) تكوين اليمن الحديث: د. سالم، ط٤ (١٩٩٣م)، توزيع دار الأمين للنشر والتوزيع، ط٤ ص١٦.

(٢) د. أحمد قائد الصائدي. حركة المعارضة اليمنية في عهد الإمام يحيى، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، دار الآداب، بيروت، لبنان، ط١، ص١٤.

أيدي المؤرخين القدماء^(١)، ويلحق بها الجزر المحاذية لها في البحر الأحمر، جزر فرسان بموازة جيزان، جزر الأرمك بموازة اللحية، جزر كمران بموازة الصليف، جزر جبل زمر والحنيش الصغير والحنيش الكبير^(٢).

أما اليوم فقد انحسرت هذه التسمية بسبب الظروف السياسية المتقلبة على مدى الحقبة الزمنية الممتدة من القرن الثالث الهجري حتى نهاية النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري؛ ذلك أن اليمن طوال هذه الفترة لم تعش فترة استقرار، إلا فترات محدودة للغاية تشوبها القلاقل الداخلية والصراعات السلطوية المتكررة.

وكذلك فإن حدودها اليوم قد تغيرت ما بين ١٩٦٢م - ١٩٩٨م، فهي الآن تسمى الجمهورية اليمنية بعد أن كانت جمهوريتين في السابق، وحدودها الآن ممتدة: من الغرب: البحر الأحمر، إلى الشرق: عمان، ومن الجنوب: البحر العربي، إلى الشمال: جيزان ونجران وعسير، التي أصبحت الآن كلها تحت البلاد السعودية كنتيجة من نتائج حرب عام (١٩٣٤م - ١٣٥٣هـ) بين الإمام يحيى والملك عبد العزيز آل سعود^(٣).

هذا الموقع الجغرافي جعل لليمن أهمية استراتيجية بالغة، فمن ناحية هي مدخل البحر الأحمر عن طريق مضيق باب المندب، وفي نفس الوقت تطل على

(١) د. أحمد قائد الصائدي: حركة المعارضة اليمنية ص ١٤، ١٥. صالح أحمد محمد الصغير نبيل: محمد علي الشوكاني وجهوده التربوية، دار الجيل ببيروت - ط ١ (١٩٨٩م) ص ٦٧، ٦٨. عبد الله أحمد الثور: مختصر من تاريخ اليمن، بدون ذكر الدار، ط ١ (١٩٨٣م - ١٤٠٣هـ) ص ١٢. الحسن بن أحمد يعقوب الهمداني: صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد بن علي الأكوخ الحوالي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط ١ (١٤٠١هـ - ١٩٩٠م)، ص ٩٠. محمد عبد الملك المروني: الثناء الحسن على أهل اليمن، دار الندى للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط ٢ (١٩٩٠م) ص ٣٩. د. عدنان ترسيبي: اليمن وحضارة العرب مع دراسة جغرافية كاملة، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ط (لا يوجد)، ص ١٦.

(٢) جزيرة حنيش: الآن هي محل صراع بين بلادنا المستحقة لها أصلاً وأريتريا المعتدية عليها في تاريخ ديسمبر (١٩٩٥م) بدافع من إسرائيل، وهي الآن محل تحكيم دولي، وأخيراً استقر التحكيم على استحقاق بلادنا للجزر (أرخيل حنيش) في (١٠/٩/١٩٩٨م).

(٣) أحمد وصفي زكريا: رحلتي إلى اليمن، دار الفكر، ط ١ (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م)، ص ٧٥، ٧٦.

المحيط الهندي، ولقد أكسبها هذا من زمن بعيد شأناً كبيراً في التأريخ القديم، إذ جعل منها طريقاً تجارياً يربط بين الهند والصين وغيرهما من بلاد الشرق وبين بلاد الرافدين والشام ومصر وجزر البحر الأبيض المتوسط^(١)، وبتعبير آخر يتميز البحر الأحمر بموقعه الفريد، إذ هو ملتقى القارات الثلاثة، آسيا وأفريقيا وأوروبا، فهو يشكل حلقة وصل بين تلك القارات وشبه الجزيرة العربية^(٢).

وكان لهذه الميزات التي اتسم بها البحر الأحمر جانبان مهمان:

أولهما: أن اليمنيين اشتغلوا بالوساطة التجارية بين بلاد الحضارات القديمة، مما وفر لهم مستوى من الرخاء المعيشي ومكنهم من الاحتكاك بشعوب تلك الحضارات، فأسهموا في عملية التفاعل الحضاري بينها^(٣).

ثانيهما: أن التاريخ اليمني كان إلى حد كبير تأريخ السيطرة على ذلك المنفذ، إذ ثارت من حوله مطامع القوى الخارجية التي حاولت السيطرة عليه، وكان يؤدي التحول عنه إلى تدهور عام في الحياة الاقتصادية^(٤).

ومن هنا تبرز أهمية اليمن وموقعها الجغرافي، وبحكم أنها تطل على البحر الأحمر، فقد أصبحت طمعاً للغزاة^(٥)، خاصة في العصر الحديث بعد الاكتشافات النفطية التي زادت من أهمية باب المندب لممر ناقلات النفط عبره إلى الدول الغربية^(٦).

○ مناخ اليمن:

تتمتاز اليمن من بين بلدان الجزيرة العربية في جزء كبير منها باعتدال المناخ وخصوبة التربة وسقوط كمية كافية من الأمطار، وقد نجم عن ذلك أن عرفت

(١) د. أحمد قايد الصائدي: حركة المعارضة اليمنية، ص ١٤، ١٥.

(٢) صالح محمد مقل: محمد بن علي الشوكاني وجهوده التربوية، ص ٦٧، (مرجع سابق).

(٣) د. أحمد الصائدي: حركة المعارضة، (مرجع سابق) ص ١٥.

(٤) د. أحمد الصائدي: حركة المعارضة، (مرجع سابق) ص ١٥.

(٥) نفس المرجعين السابقين، وانظر كذلك: د. سيد مصطفى سالم: تكوين اليمن الحديث، ص ٧.

(٦) خالد بن محمد القاسمي: الوحدة اليمنية حاضراً ومستقبلاً، منشورات مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، الكويت (١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م).

اليمن منذ القدم حياة الزراعة والاستقرار والتحضر^(١).

ويتأثر مناخها بعدة عوامل، منها: قربه من خط الاستواء واختلاف تضاريسه، وقربه من مسطحات مائية عريضة مثل البحر الأحمر في الغرب والبحر العربي في الجنوب، فعلى الهضبة تنخفض درجة حرارة الشتاء إلى أقل من ٤ ف، ويظهر الجليد على المرتفعات الشاخنة، أما في الصيف فترتفع درجة الحرارة للغرب من خط الاستواء، ولكن ليس بالدرجة التي تصل إليها في باقي الجزيرة العربية، بسبب ارتفاعها من ناحية، ولوجود فصل مطير متميز من ناحية أخرى^(٢).

وهناك فصلان لهطول الأمطار أحدهما في شهور يوليو وأغسطس وسبتمبر، أما الفصل الثاني للأمطار فهو في شهر مارس مثل باقي بلدان الشرق الأوسط، ولا تسقط هذه الأمطار إلا في المرتفعات، أما السهل الساحلي المتاخم للبحر الأحمر فأمطاره قليلة جداً، وأقصى ما يمكن أن يرى منه في فصل الشتاء^(٣). وتتأثر الحالة الزراعية تبعاً للتغيرات المناخية^(٤).

○ المساحة والسكان:

تقدر مساحة اليمن في الخريطة الحديثة حسب الإحصائيات الجديدة لعام ١٩٩٠م، بعد أن باركها الله بالوحدة التي تمت في ٢٢/٥/١٩٩٠م بـ(٥٤٦,٨٦٩ ألف كم^٢)، ويقدر سكانها بحوالي ١٨ مليون نسمة، وعاصمتها صنعاء، ولها عاصمة تجارية واقتصادية، هي عدن. أما أهم مدنها الرسمية: تعز - الحديدة - ذمار - إب - صعدة - المكلا - مأرب - المهرة^(٥)...

○ التضاريس السطحية لليمن:

تقسم التضاريس السطحية لليمن إلى ثلاث مناطق رئيسية وهي:

- (١) أحمد قائد الصائدي: حركة المعارضة اليمنية، ص ١٥.
- (٢) د. سيد مصطفى سالم: تكوين اليمن الحديث، (مرجع سابق) ص ١٨.
- (٣) د. سيد مصطفى سالم: تكوين اليمن الحديث، (مرجع سابق) ص ١٨.
- (٤) د. سيد مصطفى سالم: تكوين اليمن الحديث، (مرجع سابق) ص ١٨.
- (٥) أطلس العالم الجديد، وضع وإعداد جماعة من أساتذة الجغرافيا والتاريخ في لبنان والعالم العربي، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت لبنان، ص ١ (١٩٩٠م).

منخفض يمتد على طول الساحل ويسمى تهامة .

والثاني: الهضبة ومرتفعاتها الشمالية .

الثالث: المنخفض الشرقي، يعرف بالجنوف^(١) .

وسهل تهامة عبارة عن شريط ضيق من الصحراء الرملية التي يشتد حرها، ويتراوح عرضها بين ٢٠ - ٥٠ ميلاً، أما الهضبة، فهي تميل نحو السهل الساحلي، وبها مساحات عريضة يتراوح عرضها بين ٧ - ١٠ آلاف قدم، أي أنها ليست جبلية وعرة، وبها أعلى قمة في الجزيرة العربية، وهي قمة النبي شعيب على بعد ٣٠ ميلاً غرب صنعاء، ويقدر ارتفاعها بحوالي ١٤ ألف قدم فوق سطح البحر.

وقد قطعت المجاري المائية سطح الهضبة حيث توجد ظاهرة القنوات المائية، ولكنها لا تستطيع عبور السهل الساحلي لتصل إلى البحر^(٢) .



(١) د. سيد سالم، (المرجع السابق) ص ١٧.

(٢) سيد سالم، نفس المرجع ص ١٧.

المبحث الأول

الناحية السياسية

○ الحالة السياسية لليمن أثناء تولي بيت حميد الدين السلطة:

نظراً لموقع جنوب الجزيرة العربية الاستراتيجية فقد تعرضت هذه الرقعة في مطلع العصر الحديث لمنافسة شديدة، إذ كانت محط أنظار الدول الكبرى خاصة البرتغال وبريطانيا وإيطاليا وفرنسا وهولندا وأمريكا^(١).

فتمكنت بريطانيا ذات السياسة التوسعية من احتلال عدن سنة ١٨٣٩م، واعتبرتها مستعمرة بريطانية، وربطتها بمعاهدات مع السلطنات والمشيخات الشرقية والغربية، وكرست جهودها لذلك حتى أوجدت مخيمات من الشرق والغرب ترتبط بعلاقة ودية مع مستعمرة عدن^(٢)، وعملت بعد ذلك على تنظيم حدود المحميات من الشمال من خلال بروتوكولات اتفقت فيها مع العثمانيين أصحاب السلطة في اليمن آنذاك... ثم وعند إعلان الهدنة بين الأتراك والحلفاء تولت بريطانيا باسم الحلفاء إخراج الأتراك من الجهات التي كانوا يحتلونها،

(١) د. أحمد الصائدي، المعارضة اليمنية، (مرجع سابق)، ص ٢١.

(٢) المعارضة اليمنية، ص ٢١. تكوين اليمن الحديث، ص ٢٨٥.

يقول سيد مصطفى سالم في تكوين اليمن الحديث، ص ٢٨٥: كانت بريطانيا تعني من إقامة هذه العلاقات مع القبائل العربية التي تقطن حول عدن: سلامة عدن نفسها وسلامة الطريق البحري إلى الهند والشرق، والمعاهدات التي عقدها بريطانيا مع هذه المحميات تتحد معظمها في جوهر واحد وهي معاهدات بسيطة ذات مواد محدودة تنحصر في أن حماية بريطانيا ستمتد على حاكم الولاية مقابل أن يتعهد هذا الحاكم ألا يقيم أية علاقات مع أي دول أجنبية، وهي في نفس الوقت تلقي على الحكومة البريطانية مسؤولية الدفاع عن هذه المناطق المحمية ضد الاعتداء الخارجي وحمايتهم ضد العدوان أو التدخل، وظلت هذه الحماية قائمة حتى بدأت الحرب العالمية الأولى (١٩١٤).

ولذلك أسرع بريطانيا إلى احتلال اللحية والحديدة لإجبار الأتراك العثمانيين عندما انفتح تباطؤهم على الخروج^(١).

وقد كانت تركيا حاولت أن تحتل عدن، وكانت قاب قوسين أو أدنى لولا اتفاقية فيرسيللز بفرنسا عام ١٩١٩م بين بريطانيا وفرنسا من جهة وبين تركيا وألمانيا من جهة أخرى^(٢).

كان الإمام يحيى في هذا الوقت - أي عند خروج الأتراك - ينتظر أن يسلموا له الحديدة التي تعتبر من ممتلكات العثمانيين كما سلموا له غيرها من المناطق، وكانت سرعة دخول بريطانيا إلى الحديدة مثار احتجاج الإمام لدى المعتمد البريطاني في عدن، فجاءه الرد منهم أن دخولنا فقط لحفظ النظام وسنعيدها إليكم^(٣)...

ولكن مصالح بريطانيا كانت فوق الجميع فقد سلمتها للإدرسي هي واللحية والصليف وذلك ليمتد الصراع المرير بين المسلمين وينشغلوا عن المستعمرين في صراع دام حتى (١٣٥٣هـ - ١٩٣٤م)، ومن جانب آخر تأمن بريطانيا على محمياتها من أن يسطو عليها أحد... وقد كان وجود الإدرسي في منطقة تهامة نذير حرب بينه وبين الإمام يحيى، وفعلاً اتقدت واشتعلت الحرب بين الإمام يحيى والإدرسي الذي استعان أيضاً بحكومة إيطاليا، فعقد تحالفاً معها سنة ١٩١٣هـ، واستمرت المناوشات بينهما إلى أن احتلت القوات اليمنية مواقع من قوات الإدرسي سنة (١٣٤٣هـ - ١٩٢٥م) مما اضطر الأخير إلى الفرار إلى صبياء واللجوء إلى توقيع معاهدة مكة سنة ١٣٤٥هـ، تتضمن هذه المعاهدة دخول إمارة الإدرسي صبياء وأبي عريش تحت الحماية السعودية؛ وعلى إثر هذه المعاهدة بدأ الخلاف يدب بين السعودية واليمن، وبدأت قصة الصراع بين البلدين اليمن

-
- (١) حسين شرف الدين: اليمن عبر التاريخ من القرن الرابع عشر قبل الميلاد إلى القرن العشرين، طه (١٤١٠هـ)، لم يذكر أين طبع، ص ٣٣، ٣٤، ٣٥.
- د. سيد مصطفى سالم: تكوين اليمن الحديث، مرجع سابق، ص ٢٥٦، ٢٥٧.
- (٢) أحمد حسين شرف الدين: اليمن عبر التاريخ، (مرجع سابق)، ص ٣٥.
- (٣) أمين الريحاني: ملوك العرب، ١/١٩٢، ١٩٣.

والسعودية التي تطورت إلى حرب مسلحة انتهت عام (١٣٥٣هـ - ١٩٣٤م) بتوقيع معاهدة الطائف، والتي اعترف الإمام بموجبها لآل سعود بحكم الأراضي الشمالية من اليمن (عسير ونجران).

وارتأت بريطانيا من خلال ممثلها المعتمد البريطاني في عدن أن تجعل من خطتها هذه - يعني من دخولها إلى الحديدة وتسليمها الإدريسي - ورقة ضغط على دولة الإمام، وحتى تضمن لنفسها بقاء المحميات بصورة رسمية من خلال المعاهدة مع الإمام، وفعلاً وصلت إلى بغيتها، وقد كانت أرسلت بعثة بريطانية عن طريق الحديدة - باجل! ولكن هذه البعثة (بعثة جيكوب) قبضت عليها قبيلة القحري في (مدينة باجل)^(١) واستمرت هذه البعثة تحت الاعتقال أربعة أشهر، سعى خلالها الإمام إلى فك أسرها ولكن هيئات هيئات... وحاولت بريطانيا استخدام القوة، ولكن جيكوب نفسه كان على اتصال دائم بالمعتمد ليهدي من روعهم، وفي نفس الوقت كان يتلمس ويتلقط الأخبار حتى عاد بتقرير كامل إلى بريطانيا عن حالة اليمن وعن حالة تهامة بالذات، حيث إن الصراع فيها كان على أشده، فقد كانت تتجاذب ثلاث قوى: الإمام، والإدريسي، والحكومة الإنجليزية كمراقبة للأوضاع في المنطقة.

كان عدم وصول بعثة جيكوب إلى صنعاء مثار قلق لدى حكومة عدن بالرغم من أن جيكوب نفسه كان عامل تهديئة للجانبين (جانب حكومته) وجانب حكومة الإمام^(٢).

فقد كان رد الفعل أن سلمت بريطانيا الحديدة لحليفها الإدريسي، الذي كان سني المذهب كأهل تهامة، والذي كان على اتصال دائم بهذه القبائل التهامية الشافعية التي في الأصل لم تخضع لسياسة واحدة أو زعيم واحد كما يفعل الزيود، بل تتنازعهم الطبيعة القبلية ويعيشون بطريقة ذاتية ويرعون مصالحهم وحررتهم فقط، ولهذا فعلت قبيلة القحري ببعثة جيكوب ما فعلت خوفاً من أن يسلمهم للإمام الزيدي^(٣).

وهذه القبيلة بالذات وقبيلة الزرانيق لعبتا دوراً سياسياً بارزاً في المنطقة، إذ

(١) د. سيد مصطفى سالم: تكوين اليمن الحديث، ص ٢٦١.

(٢) نفس المرجع، ص ٢٦٦. (٣) نفس المرجع، ص ٢٦٧.

لم تخضعوا لأحد ولا حتى للدولة العثمانية، وذلك لشدة بأسهما، وبالذات قبيلة الزرانيق (فقد كانت أشد قبائل تهامة بأساً فيهم؛ لا يطيعون الإمام ولا السيد الإدريسي ولا الإنجليز، فهم مستقلون عن كل حكم وكل نظام وكل سيادة غير ما لشيخهم منها، وكانوا أيام العثمانيين يأخذون المشاهرات من الدولة، ويقومون بأعمال التخريب، من قطع لأسلاك التلغراف وغيرها من الأعمال... إلخ)^(١).

وبعد هذا التسليم ساءت العلاقات بين الإمام والإنجليز ونشبت الحرب بين الطرفين والسبب في ذلك محل خلاف شديد بين الكتاب العرب والإنجليز، لكن الجرافي والواسعي يرجعان ذلك إلى سياسة الإنجليز المتبعة وتسليم الحديد للإدريسي، وما كان من الإمام إلا أن رد على الإنجليز بهجوم مضاد ففتح على إثره بلاد الضالع والشعيب ومريسي وبلاد الأجدود وغيرها من النواحي المجاورة لمستعمرة عدن. إلا أن الواسعي قال القطيب بدلاً من مريسي^(٢). ثم تحسنت العلاقات بين اليمن والإنجليز في عدن، وذلك بإيعاز من حكومة بريطانية لحاكم عدن الجديد بتغيير سياسته نحو الإمام، ونتج عن هذا استئناف المفاوضات بين الإمام والإنجليز فترة سنتين، لكنها لما تسفر عن نتيجة مُرضية للإمام، فما كان إلا أن أرجع معتمده الذي في عدن^(٣).

وتأزم الموقف كثيراً بين الإمام والإدريسي، وتدخل أمين الريحاني، ولكن الإمام رفض كل مفاوضة إلا عندما تُوفِّي محمد الإدريسي وحل محله ابنه الصغير علي.

كانت بداية نهاية هذه الأسرة التي اضطرت أمورها في الداخل وانقسمت على نفسها، ودب إليها الهوان، واستغل الإمام هذه الفرصة، ومع أنه كان يواصل انتصاراته على قبائله الممتدة شمالاً وجنوباً واصل زحفه في تهامة مصمماً القضاء على الإمارة الإدريسية واسترداد أملاكه منها^(٤).

(١) نفس المرجع، ص ٢٦٨، عن ملوك العرب، لأمين الريحاني.

(٢) انظر: الواسعي: تاريخ اليمن، (مرجع سابق)، ص ٣٢٧. القاضي عبد الله بن عبد الكريم الجرافي: المقتطف من تاريخ اليمن، مكتبة دار إحياء الكتب العربية (١٣٧١هـ - ١٩٥١م)، ص ٢٢٧.

(٣) الواسعي: تاريخ اليمن، ص ٣٢٨.

(٤) د. مصطفى سالم: تكوين اليمن الحديث، ص ٢٧٩.

وفعلًا تحقق له من ذلك أخذ الحديدية من دون حرب، واستلام المرافئ: (ابن عباس) و(الصليفي) و(اللحية) و(ميدي)، ثم مدن (الضحى) و(الزهرة) و(المنبرة) و(المراوعة) وغيرها؛ وعين الإمام لهذه المدن عمالاً وحكاماً ومعلمين^(١).

واتجه الإدريسي إلى ابن سعود ليعرض عليه الحماية مقابل بقائه على ما تبقى لديه من الأمر (في عسير - صيباء - جيزان)، لكن ابن سعود رفض بادئ الأمر؛ فاتجه إلى الزبيديين ليعرض عليهم نفس العرض، ورفض الإمام ذلك، واستغل ابن سعود رفض الإمام فقبل الحماية السعودية على عسير (نقطة بداية الخلاف السعودي اليمني) وبدأ الإمام يواجه دولة أقوى من دولة الإدريسي؛ إذ كانت السعودية في ذلك الوقت قد تخلصت من أشرف الحجاز وضمتها إليها.

هذه الفترة الحرجة كلفت اليمن الكثير من المتاعب فواجهتها صعاب كبيرة وعقبات كؤود، منها: أنها دخلت مع الإنجليز أولاً بمفاوضات مستأنفة تلك التي بدأها مع جيكوب، وذلك بعد أخذها للحديدية من الإدريسي وبعد هجومها لأربعة مناطق جنوبية من الحميات المدعومة من لندن بريطانيا.

ولم تسفر هذه المفاوضات عن نتيجة مثمرة^(٢)، سوى أنها في النهاية قامت بريطانيا - بعد حدوث قلاقل داخلية في الحميات، ومحاولة إخراج قوات الإمام منها ورفض الأخير ذلك - قامت بإلقاء القنابل على هذه المناطق، مجبرة بذلك قوات الإمام على الخروج...

وفعلًا خرجت القوات الإمامية من هذه المناطق وسلمتها بالقوة إلى بريطانيا...

وكما قلت: بمجرد دخول منطقة الأدارسة تحت الحماية السعودية

(١) الواسعي: تاريخ اليمن، ص ٣٣٤. د. مصطفى سالم: تكوين اليمن الحديث، ص ٢٧٩.
(٢) تشدد الإمام في مفاوضاته، وذلك لعدة عوامل، منها: أنه كان يرى أن الحميات جزء من اليمن طبقاً لمفهوم الحدود التقليدية المعروفة لدى اليمنيين منذ القدم. الثاني: لا يعترف وهو وحده من الأئمة بالمعاهدات التي عقدها الإنجليز مع السلطات والمشايخات أبداً. وكذا لا يعترف باتفاقيات العثمانيين مع الإنجليز على هذه الحدود، إذ يعتبرهما الإمام أنهما ليسا أهل حق بل كلاهما مستعمران.

اضطربت حدة الخلاف بين الدولتين السعودية واليمن والتي تطورت فيما بعد إلى حرب بينهما، وقد كان الأمل الكبير يراود الإمام بالاستيلاء على عسير، وكذلك كان قاب قوسين أو أدنى من الزحف على الإماراتين (صيبا، وجيزان).

لكن سياسة ابن سعود كانت من الدهاء بمكان؛ فبمجرد توقيع المعاهدة التي أجريت بينه وبين الأدارسة في مكة - والتي تتضمن دخول عسير ومنطقة الأدارسة بالكامل تحت حمايته - أرسل فوراً خطاباً تضمن معاهدة مكة إلى الإمام يحيى الذي كان في أوج انتصاراته ضد الأدارسة، وفي نفس الوقت كان لا زال مشغولاً بإخماد الثورات داخل البلاد، فكان هذا موقفاً محرجاً للغاية، ذلك أنه إن لم يوقف الحرب فسيدخل نفسه في حرب جديدة مع دولة هي الأخرى في أوج انتصاراتها إذ أنها خرجت منتصرة من حرب بينها وبين الشريف حسين.

وكانت قد أعلنت (المملكة العربية السعودية) بعد السيطرة على الحجاز وضمها إلى نجد...

وبدأت المفاوضات بإرسال الوفود بين البلدين، واستمرت على هذه الحال بين شد وجذب من الجهتين حول منطقة عسير ونجران إلى أن ثارت بين البلدين حادثة جبل (العرو)^(١) مما أدى إلى تجديد المفاوضات والمنازعات؛ حتى ثارت حرب السبعة أسابيع^(٢) التي انتهت بمعاهدة سنة ١٩٣٤م بين البلدين.

ولما استقر الإمام بعد أن قضى على الخارجين عليه وأخذ كل ثائرة في الداخل، وبعد أن اكتفى بما حصل له في الجنوب مع الإنجليز وفي الشمال مع آل سعود، دخل مرحلة جديدة في الحكم المستقل، وبدأ اليمن يعيش حالة استقرار وهدوء امتدت حتى عام (١٣٦٧هـ - ١٩٤٨م) عندما قتل الإمام يحيى، لكن خلال هذه الفترة نمت حركة المعارضة الدستورية التي كانت تطالب الإمام

(١) د. سعيد مصطفى سالم، (٣٤٧)، (١٩٨٢م)، حادثة العرو احتل فيها اليمنيون جبل العرو: على حدود عسير، وأخذت بعض الرهان باسم أن أهل العدو طلبوا ذلك من الإمام ولتعليمهم الدين.

(٢) (نفس المرجع)، (٣٤٧). بعد قيام الحرب اليمنية السعودية ١٩٣٤م بعد فشل مؤتمر (أبها) قبل ستة أشهر من نفس السنة. وانظر: تركي بن محمد بن تركي الماضي: مذكرات عن العلاقات السعودية اليمنية، دار الشبل، الرياض، سنة ١٤١٧هـ، ص ١٧، ٧٤.

بالإصلاحات الاجتماعية والاقتصادية اللازمة والحد من سلطانه أو اتباع النظام الدستوري^(١).

ولا بد من تسليط الضوء بعد هذا كله على سياسة العهد الإمامي الداخلية والخارجية.

فأما سياسته الداخلية فبالإمكان إجمالها في النقاط التالية:

* - فقد حرص الإمام على تكوين حكومة مركزية، أي أنه جعل السلطات العليا كلها بيده (التشريعية والتنفيذية والقضائية، وحتى القوات المسلحة للبلاد).

اعتمد حكم الإمام لشعبه على عاملين رئيسيين:

١ - غلبة الطابع الديني.

٢ - تركيبة الشعب اليمني القبلية (الوحدة الاجتماعية للشعب)^(٢).

محافظة الإمام على هذين العاملين؛ لما فيهما من عقائد ونظم اجتماعية، أجبرت الشعب اليمني على الخضوع لأوضاع عنيفة جامدة تحت شعار المحافظة على التقاليد الموروثة.

* - كَوَّنَ لديه مجلساً استشارياً (بضم وجهاء البلد وعلماءها وذوي الرأي فيها ممن عرفوا بالخبرة والحكمة وُبُعِدَ الرأي)، تُناقشُ فيه المسائل الدينية والسياسية والحربية.

ولكن هذا المجلس ما كان يجتمع إلا في مرات نادرة للغاية، منها: عندما طلب الإنجليز من الإمام وأجبروه على الخروج من (الضالع) جمع هذا المجلس حتى لا يتحمل المسؤولية وحده.

* - وهناك مكتب الإمام - أو الديوان - بمثابة الجهاز التنفيذي الأعلى، حيث ضم عدداً كبيراً من الكتاب أطلق عليهم وزراء فيما بعد، ولقد عبر سيد مصطفى سالم في كتابه: «تكوين اليمن الحديث» عن هذه الحالة بقوله: (إنه من العبث محاولة العثور على وزارات للوزراء...) إلى أن ساق كلاماً

(١) د. أحمد قائد الصائدي: حركة المعارضة اليمنية، (مرجع سابق)، ص ٤٠.

(٢) د. سيد مصطفى سالم: تكوين اليمن الحديث، ص ٤٧٩.

لأحد الكتاب الغربيين^(١) في وصف أكثر دقة بقوله: (أما مركزهم فهي وسائد الديوان التي يجلسون عليها في حضرة مليكهم، وأما سكرتاريوهم فيؤخذون من بين الكتاب الذين يجتمعون في أبهاء (المقام) (قصر الملك) وغرف الانتظار فيه).

أما الأمور المالية (وزارة المالية) فلقد كانت تحت الإشراف المباشر للإمام، ولم يكن هناك فرق بين خزينته الخاصة وخزينة الدولة^(٢).

لم يشهد البناء الإداري القديم لليمن أي تغيير بعد الاستقلال، بل بقي على عهده العتيق من أيام العثمانيين: قسمه إلى ألوية وأقضية ونواحي وعزل، واللواء ينقسم إلى عدة أقضية، والقضاء ينقسم إلى عدة نواحي، والناحية إلى عدة عزل. ويعين الإمام لكل لواء أميراً وقائداً للجيش، وقاضياً شرعياً للواء، ومديراً للمالية، وأميناً للخزينة، ومديراً للتعليم... وأمير اللواء مفيد باستشارة الإمام في كل خطوة بخطوها.

وجباية الضرائب وحفظ الأمن يمثلان الشغل الشاغل للجهاز الإداري في اللواء^(٣).

وفي الأقضية يعين الإمام على كل منهما حاكماً يسمى (العامل) وهذا العامل كثيراً ما يتجاوز الأمير ويتصل مباشرة بالإمام.

ويولي هذا العامل في القضاء (قاضي القضاة) الحاكم الشرعي... ثم مسؤول جباية الضرائب، مسؤول الأمن، أمين بيت المال، وكان على جميع الحكام والعمال أن يرجعوا في تصرفاتهم وقراراتهم وأحكامهم - ولا سيما فيما يخص منها الصرف من بيت المال - إلى الإمام مباشرة، فهو الذي يشرف حتى على الأمور الصغيرة، مثل رفع درجة الموظف ولو كان حتى نصف دينار.

وكان الأمراء في الألوية كلهم أبناء الإمام، فسيف الإسلام أحمد أميراً

(١) سلفاتور أبونتي: مملكة الإمام يحيى (ترجمة طه فوزي).

(٢) من كتاب تاريخ اليمن المعاصر لكتاب سوفيتيين.

(٣) قائد نعمان الشرجي: الشرائح الاجتماعية التقليدية في المجتمع اليمني، دار الحدائث، بيروت، لبنان. بالتعاون مع مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ط١، ص٧٧.

لتعز، وسيف الإسلام عبد الله أميراً للحديدة، مع توليه وزارتي المعارف والدفاع، وسيف الإسلام الحسين أميراً لإب، وسيف الإسلام الحسن أميراً لصنعاء.

وكذا لا يمكن لأي أمير أن يوظف موظفاً إلا بتصديق الإمام؛ حيث إن هذا من امتيازاته وحده^(١).

لكن في السنوات الأخيرة من حكمه بدأ يمنح هذا الحق لنوابه في الألوية؛ وذلك ليعينوا قضاة لديهم، ويختارون ممن يتخرجون من المدارس العلمية قليلة الانتشار في المدن الرئيسية... والذين يعطون هذا اللقب الفخري كوّنوا فيما بعد ما يسمى بشريحة القضاة في اليمن^(٢).

وكانت السلطات العليا في الدولة تمنح فقط لشريحتين اثنتين هما السادة والقضاة، وقد استغل كثير منهم هذه المناصب ليكُونُوا لأنفسهم أموالاً طائلة باستخدامهم مختلف أساليب العنف الاقتصادية، وقد باشر المشايخ سلطاتهم في أراضي قبائلهم بعد اعترافهم بالسلطة، وهو من جانبه اعترف لهم بسلطاتهم المحلية^(٣).

ولكي يضمن ولاء القبائل له كان لا بد من أخذ رهينة من كل شيخ قبيلة مسيطرة وقوية ليضمن بذلك طاعتها وخضوعها، ولا يمكن للإمام أن يتخلى عن هذا المبدأ ولو كلفه الحرب الدامية ضد هذه القبيلة مهما كانت^(٤).

○ أهم التحولات السياسية في العهد الجمهوري:

١ - القضاء على فكرة الإمامة في الحكم، وبالتالي على احتكار شريحة معينة (السادة) في الحكم.

(١) من كتاب اليمن المعاصر، ص ٢٣ (مرجع سابق). والجدير بالذكر أن الإمام يحيى كان مشهوراً بالبخل، حتى أنه عند تقريره لمرتبات موظفي الجهاز الإداري قرر لهم مرتبات بسيطة لا تفي باحتياجاتهم، فكان ذلك سبباً لانتشار الرشوة والفساد وابتزاز الأموال بالحق والباطل. خاصة أثناء المنازعات التي تحدث بين المواطنين.

(٢) الشرائع الاجتماعية، ص ٧٧. واليمن المعاصر، ص ٢٤، بتصرف (مرجعان سابقان).

(٣) اليمن المعاصر، ص ٢٤. (٤) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

- ٢ - لم تعد شرعية الحكم تستند على أساس مذهبي معين، وانمحت الممايزة بين اليمينيين.
- ٣ - تحول الحكم من أبوي وراثي فردي مطلق إلى حكم جمهوري شوروي تمثيلي، وأصبح بإمكان أي مواطن طبقاً للدستور أن يصبح على رأس الحكم.
- ٤ - وأدخلت عدة إصلاحات سياسية على النظام السياسي ولعل أهمها:
 - أ - الفصل بين السلطات الثلاث: القضائية والتشريعية والتنفيذية.
 - ب - تم إعلان الدستور الدائم للبلاد.
 - ج - تحول النظام إلى رئاسي برأسه رئيس للجمهورية، بمقتضى الإعلانات الدستورية.
 - د - بمقتضى الدستور أنشئ مجلس تشريعي (سمي مجلس الشورى ثم مجلس الشعب التأسيسي، وأخيراً أطلق عليه مجلس النواب، يتم اختياره من قبل الشعب عبر الانتخابات المباشرة). ومنوط به السلطة التشريعية للدولة.
 - هـ - أنشئ مجلس استشاري يساعد رئيس الجمهورية ويضم شخصيات مختلفة من فئات المجتمع من ذوي المكانة في المجتمع (عسكريين، مشائخ، علماء، سياسيين، مثقفين... إلخ)^(١).
 - و - السماح بإنشاء الأحزاب المختلفة (التعددية السياسية).
- ٥ - وتوجت التحولات السياسية بعد قيام الثورة بوحدة الشطرين (الشمالي والجنوبي)، وتأسست دولة الوحدة اليمنية في ٢٢ مايو ١٩٩٠م، وعادت الأسرة اليمنية إلى بيتها الواحد بعدما فرقتها الاستعمار وشتت شملها.



(١) قائد الشرجبي: القرية الدولة في المجتمع اليمني، دار النضامن، بيروت، لبنان، ١٩٩٠م الطبعة الأولى. ص ٢٢٨ وما بعدها.

المبحث الثاني الناحية الدينية

الناظر إلى حالة اليمن الدينية والثقافية ابتداء من (عام ١٣٤٠هـ - ١٩٣٢م إلى ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م) يجد أنها تحتضن مذهبين رئيسيين: المذهب الزيدي، وهو الذي تسلم زمام الحكومة في الدولة، وينتشر هذا المذهب في كل من محافظة صنعاء، ومحافظة حجة، ومحافظة صعدة، ومحافظة ذمار، ومحافظة المحويت، وبعض مناطق محافظة إب. والمذهب الثاني: المذهب الشافعي، حيث ينتشر في كل من محافظة تعز، ومحافظة الحديدة، ومحافظة البيضاء، ومحافظة مأرب - المناطق الجنوبية والشرقية كلها (عدن - حضرموت - سيئون - المهرة - سوقطرة - وغالبية إب). وكذلك فإن منطقة حراز (جبل حراز) يسود فيها المذهب الشافعي - إلى جانب الفرقة الإسماعيلية - ولكن بنسبة ضئيلة جداً، وهناك نسبة ضئيلة جداً أيضاً للمذهب الحنفي في جبل الرس في محافظة الحديدة. وكذلك فإن للصوفية نصيباً أوفى في اليمن، فتتواجد هذه الفرقة في كل من حضرموت، وتريم، والبيضاء، والحديدة، وبعض مناطق الحجرية. وتنتشر في اليمن فرقتان جنباً إلى جنب مع المذهبين، فحيث تتواجد الشافعية تتواجد الأشاعرة، وحيث تتواجد الزيدية تتواجد المعتزلة. وإذا فنخلص من هذا إلى أن القاضي محمداً عاصر هذين المذهبين وهذه الفرق، وكان إذا أفتي فإنه عادة ما يسأل السائل: من أي اليمن أنت، أمن اليمن الأعلى (مناطق الزيدية) أم من اليمن الأسفل والجنوب والشرق بشكل عام (مناطق الشافعية)؟ ويجيبه على مسأله طبقاً للمذهب السائد في بلاده، وقد كان له آراؤه الخاصة إزاء تلك الفرق والمذاهب. . . .

فلذلك يرى الباحث أن يتحدث بإيجاز عن كل فرقة من هذه الفرق، ولنبدأ بفرقة المعتزلة.

المعتزلة

○ توطئة:

عند الحديث عن فرقة المعتزلة فإن الذهن ينصرف مباشرة إلى ما يسمى بعلم الكلام، ذلك أن هذه الفرقة بنت كثيراً من أصولها على هذا الفن المسمى (علم الكلام) الذي نشأ في الجيل الثاني بعد أن فتحت على المسلمين البلدان واتسعت لهم رقعة الإسلام ووفدت على المسلمين مع فتوحاتهم أفكار خارجية، بل متشربة بمضارات سابقة، وثقافات متهافئة من ديانات محرفة، وضلالات مزخرفة كمناهج للنظر والبحث تختلف عن منهج المسلمين من حيث الطريقة والأسلوب.

فبينما يجد الإنسان أن منهج المسلمين متمثلاً بكتاب الله تعالى، يخاطب الفطرة ويصل إلى المطلوب بأقصر طريق وأخصره، تجد في الجانب الآخر منهج هذه الثقافات المترنحة تتخذ أسلوباً ملتويّاً وطريقاً شاقاً مبنياً على الجدل ومحفوفاً بالزلل إذا ما تمادى فيه الإنسان من غير روية وبصر؛ ذلك أن هذه الأفكار دخلت مع حاملها وأنبئت نباتاً نكدأ، وكانت بذوراً خبيثة ألقيت في تربة الإسلام الطيبة؛ فترعرع منها الشقاق، وأثمر منها: الخروج عن الأمة والنفاق^(١).

هذا المزج بين الثقافات بمناهجها المنحرفة مع منهج الإسلام الصافي أدى إلى ظهور هذه الفرقة التي أشربت قلوب أصحابها بحب الجدل؛ فسموا مجادلاتهم فيما بعد بـ(علم الكلام)، وحتى عرف بعد ذلك هذا العلم بعلم التوحيد - كما أطلقوا هم عليه - كنوع من الدعاية وجذب الأنظار إليه، خاصة ممن لم يتحصن

(١) انظر: كتاب دراسات في الفرق (٢) محمد العبد. وطارق عبد الحليم: المعتزلة بين القديم والحديث، دار الأرقم، ط١، (١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م)، ص ١٣ بتصرف.

بعلم الكتاب والسنة، وقد ارتبط هذا العلم منذ نشأته بظهور فرقة الاعتزال^(١)، ثم تسرب إلى فرق أخرى مبتدعة هي الأخرى، كفرقة الروافض والمرجئة، وتسلسل بعد ذلك إلى فرقة الأشاعرة حتى كون هذا المنهج لمجموع هذه الفرق بما يعرف بـ(منهج المتكلمين).

وبعد هذه المقدمة المقتضية أجدني أمام تساؤلات عدة، منها:

متى وأين نشأت فرقة المعتزلة؟ وما سبب نشأتها؟ وما هي العلاقة بين هذه الفرقة وفرق الزيدية؟ وهل تسربت أفكارها إلى اليمن التي أصبحت مقراً للزيدية فيما بعد؟ ومع من دخلت هذه الأفكار؟

وللإجابة على هذه التساؤلات لا بد من اتباع منهج الاستقراء في التحليل الموضوعي؟ وهل لا زالت آثارها باقية حتى الوقت الحاضر؟ وهل تأثر شيخنا العمراني بأفكار أي منهما على أنه معاش لفرقة الزيدية منذ نعومة أظفاره؟ وكيف كانت معاملة شيوخه له وموقفه منهم؟ وهل لا تزال أفكارها وآثارها باقية إلى وقتنا هذا؟

كل هذه التساؤلات نجيب عليها باتباع منهج الاستقراء، وعلى الله التكلان.

○ ظهور المعتزلة:

اختلف المؤرخون في تحديد ظهور هذه الفرقة على الساحة الإسلامية، فمنهم من يقول: إنها نشأت في العهد الأموي في العراق، وعلى هذا القول أكثر أهل التاريخ، ومن قائل: بأن هذا المصطلح ظهر تاريخياً قبل نشأة المعتزلة؛ إذ ظهرت هذه التسمية مرتين كمصطلح له مدلوله السياسي، ظهرت لأول مرة حين أطلقت على نفر من الصحابة اتخذوا موقف الحياد من حرب الجمل (سنة ٣٦هـ) بين علي بن أبي طالب من جهة وطلحة والزبير وعائشة من جهة ثانية، وأطلقت على نفر من الصحابة آخرين اتخذوا موقف الحياد نفسه من حرب صفين بين علي ومعاوية (سنة ٣٨هـ) فقبل عن هؤلاء أنهم (اعتزلوا) عن علي فرفضوا محاربتهم ومحاربة خصومه معاً^(٢)...

(١) نفس المرجع السابق، ص ١٣.

(٢) د. عبد العزيز المقالح: قراءة في فكرة الزيدية المعتزلة، دار العودة، بيروت (١٩٨٢م) =

ثم ظهرت هذه التسمية أيام الحسن البصري حينما كان في مجلس علم يعقده لطلابه وكان من بين تلامذته أبو حذيفة واصل بن عطاء الأثع^(١)؛ إذ جاءه سائل فقال: (يا إمام الدين لقد ظهرت في زماننا جماعة يكفرون أصحاب الكبائر، والكبيرة عندهم كفر يخرج به عن الملة، وهم وعيدية الخوارج، وجماعة يرجئون أصحاب الكبائر، والكبيرة عندهم لا تضر مع الإيمان، بل العمل على مذهبهم ليس ركناً من الإيمان، ولا يضر مع الإيمان معصية، كما لا ينفع مع الكفر طاعة وهم مرجئة الأمة، فكيف تحكم لنا في ذلك اعتقاداً؟).

وبينما هو مطرق من هذا السؤال إذا بواصل يرسل الجواب بالمتزلة بين المنزلتين، ثم اعتزل إلى سارية من سواري المسجد يقرر^(٢) على أصحابه بدعته التي فارق بها الأمة بأسرها.

ومن هنا يتبين أن كلمة (المعتزلة) كانت قد أطلقت على أكثر من فئة، قبل اعتزال هذه الفرقة الحسنَ البصريَّ، فقد اعتزل بعض المسلمين بيعة علي عليه السلام كما في تاريخ الطبري^(٣)، وكذا أطلقت هذه الكلمة على من لم ينغمسوا في الحرب بين فئة وأخرى من الصحابة كما سبق.

= ص ٨٠ (عن د. حسين مروة في كتابه: النزعات المادية والإسلامية). علي محمد زيد: معتزلة اليمن دولة الهادي وفكره، مركز الدراسات والبحوث اليمني صنعاء، دار العودة بيروت، ط ١، (١٩٨١م)، ص ٢١.

(١) هو مؤسس فرقة المعتزلة ورئيسها الأول (٨٠ - ١٣١هـ)، ولقب بالغزال؛ لأنه كان يلازم الغزالين ليعرف المتعففات من النساء فيجعل صدقته لهن. عن الشهرستاني ص ٤٦، عن الكامل للمبرد، تلميذ محمد بن علي بن أبي طالب (المعروف بابن الحنفية) وكان واصل ألثع بالراء فما زال يروض نفسه (بذلها) حتى أسقط الراء من كلامه في محاجته للخصوم وخطبه. حتى قال الشاعر فيه:

علميم بلإبدال الحروف وقامع لكل خطيب يغلب الحق باطله

نشوان الحميري: الحور العين، ص ٢١٦.

(٢) الشهرستاني أبو الفتح محمد عبد الكريم: الملل والنحل، دار الفكر، طبعة من غير تأريخ ص ٤٨. وانظر: فتاوى ابن تيمية، تخريج عامر الجزائر، وأقور الباب - دار الوفاء ٣/ ١١٨.

(٣) عن أحمد أمين: فجر الإسلام، بحث عن الحياة العقلية في صدر الإسلام إلى آخر الدولة الأموية - دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، ط ١٠ (١٩٦٩م)، ص ٢٩٠.

وهذا نخلص إلى أن اصطلاح الاعتزال استقر على فرقة قالت بالمنزلة بين
المنزلتين ففارقت بها الأمة واعتزلتها، ثم بدأ واصل يكون له حلقة خاصة به،
وتابعه عمرو بن عبيد، فسماهم المسلمون وأنصارهم: (معتزلة)^(١)؛ لاعتزالهم
قول الأمة بأسرها^(٢)؛ ففارقوا بذلك أمة الإسلام.

وأما ما العلاقة بين هذه الفرقة وفرقة الزيدية؟ فسنعرفها من خلال التتبع

التاريخي لزمن دخول المعتزلة اليمن.

من خلال ما سبق تبين لنا كيف أطلق هذا المصطلح على هذه الفرقة لقولهم
منكراً من القول، صادف قلوباً خاوية، حتى أخذت أفكارها تتطور يوماً بعد يوم
في غفلة من المسلمين (أهل السنة والجماعة)، حتى جاء زمن هارون الرشيد، وإذا
بأحد أقطابهم المكنى (بأبي الهذيل)^(٣) يصنف لهم كتابين، بين من خالهما مذهب
المعتزلة، وبناء على الأصول الخمسة التي سموها: العدل، والتوحيد، وإنفاذ
الوعد والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر^(٤).

وأبو الهذيل العلاف هو ممن عاصر القاسم بن إبراهيم الرسي^(٥) الذي
بويع بالإمامة للزيدية سنة ٢٢٠هـ، وإذا ما قارنا بين ما أصّله أبو الهذيل وما
أصّله القاسم الرسي يجد الباحث تشابهاً كبيراً في أصولهما، بل إن الإمام القاسم
ليأخذ من المعتزلة الموقف من العقل حينما يقول: (إن العقل هو الحجّة الأولى،
وهو أصل لكل حجة أخرى؛ لأنها لا تعرف إلا به، وهو المرجع الأول في

(١) علي محمد زيد: معتزلة اليمن، ص ١٢، (مرجع سابق).

(٢) الإمام عبد القاهر بن طاهر البغدادي: الفرق بين الفرق، تحقيق الشيخ إبراهيم رمضان،
دار المعرفة، بيروت ط ١، ص ١١٣، (١٤١٥هـ - ١٩٩٤).

(٣) د. علي بن علي جابر الحربي: ابن الوزير وآراؤه الاعتقادية، عالم الكتب، مكتبة عبد الله
علي عامر، ط ١ (١٤١٧هـ - ١٩٩٦)، ص ٢٣٠.

(٤) أبو الهذيل العلاف: محمد بن هذيل بن عبيد الله البصري، شيخ المعتزلة، ورأس البدعة،
كان يقول بفناء النار، مات سنة ٢٣٥، وقيل: ست وعشرين ومائتين، وله نحو مائة سنة.
نقلاً من هامش الفرق بين الفرق للبغدادي عن شذرات الذهب. وانظر: الفهرست للنديم
أو الفرغ محمد بن أبي يعقوب المعروف بالوراق، تحقيق رضاء نجدهاء، ص ٢٠٣.

(٥) القاسم الرسي: القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن علي بن أبي
طالب ولد عام ١٦٩هـ وقيل ١٧٠هـ، وتوفي عام ٢٤٦هـ.

معرفة المعبود وإدراك مقاصده وأوامره ونواهيهِ^(١)، بل ويأخذ منهم تسمية الأصول الخمسة.

وبما أن أبا الهذيل هو أول من بلور الأصول الخمسة المعروفة للمعتزلة، وقد ضاع كتابه ولم يصل إلينا، وأن نص الإمام القاسم هذا يعتبر أقدم نص عرف بين أيدينا؛ فمن هنا تدرك مدى أهمية هذا النص، خاصة وأن القاسم الرسمي قد أطلق على أهل الظاهر (أهل الحديث) لقب: (الحشوية) مهاجماً لهم.

نستنتج من هذا أن الإمام القاسم كان معتزلياً لكن على تحفظ منه، وكان قد بذر بذرة الاعتزال في اليمن عندما خرج إليها إماماً.

ثم يأتي من بعده حفيده الإمام الهادي يحيى بن الحسين (٢٤٥ - ٢٩٨هـ) فجدد هذا الفكر (الاعتزال) في اليمن، ويتبين ذلك: من خلال نشأته وتلقي علمه، فقد تلقى على أبيه الحسين، وعلى أعمامه الكثير وكان أبرز شيوخه عمه محمد بن القاسم^(٢) والذي كان من أبرز علماء أهل البيت في زمانه، ثم رحل إلى العراق كما رحل أباه فالتقى بأحد شيوخ المعتزلة وهو أبو القاسم البلخي^(٣) ودرس على يديه علم الكلام^(٤).

وأيضاً من خلال مؤلفاته التي كانت على مرحلتين: مرحلة ما قبل تولي الإمامة، والمرحلة الأخرى بعد تولي الإمامة، كما فصل في ذلك صاحب كتاب «معتزلة اليمن»^(٥). ففي المرحلة الأولى عندما ذكر الأصول الخمسة عدها كما هي

(١) انظر: رسائل في العدل والتوحيد للأئمة: يحيى، الشريف المرتضى، القاسم الرسمي، القاضي عبد الجبار أبي رشيد النيسابوري. اختار سيف الدين الكاتب، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، بدون ذكر المطبعة ص ٢٥٠. وانظر: علي محمد زيد: معتزلة اليمن، ص ٣٣.

(٢) عبد الفتاح شايف نعمان: الإمام الهادي والياً وفقهياً ومجاهداً، ط ١ (١٤١٠هـ - ١٩٨٩م)، ص ٧١، بدون ذكر اسم المطبعة، رسالة ماجستير.

(٣) هو عبد الله بن أحمد بن محمود الكعبي (ت: ٣١٧ أو ٣١٩هـ)، هو رأس طائفة المعتزلة يسمى الكعبية - انظر: الفرق بين الفرق للبخاري، تحقيق الشيخ إبراهيم رمضان، دار المعرفة لبنان، ط ١ (١٤١٥هـ) ص ١٦٩. والملل والنحل، دار الفكر ص ٧٧ (مرجع سابق).

(٤) الإمام الهادي والياً وفقهياً ص ٧٨، عن يحيى بن الحسين. طبقات الزيدية الصغرى.

(٥) علي محمد زيد: معتزلة اليمن، دولة الهادي وفكره، مركز الدراسات والبحوث اليمني صنعاء، دار العودة، بيروت، ط ٢ (١٩٨٥م) ص ١٥٧، ١٥٨.

عند المعتزلة بدون أي فرق، ولكن في مرحلة التسييس عند دخوله اليمن ذكرها خمسة أصول مع تعديل وتغيير، فبدل أن يذكر المنزلة بين المنزلتين ذكر مكانها الإمامة.

ثم إن هذه الفرقة كادت أن تنقرض في العراق، وذلك عند تعرضهم للاضطهاد بسبب إثارتهن مشكلة خلق القرآن، إلا أن ميلهم إلى التشيع هو الذي أبقى لهم تراثاً اعتزالياً مدوناً، ولقد كان تيار القضاء على هذا الفكر جارفاً في القرنين الخامس والسادس الهجريين في العراق - موطن الاعتزال - لولا أن تسربت بعض كتب المعتزلة إلى اليمن عن طريق القاضي جعفر بن أحمد بن عبد السلام (ت: ٥٧٣هـ) شيخ الزيدية ومتكلمهم في اليمن، الذي سافر إلى العراق وعاد يحمل معه كثيراً من كتب المعتزلة^(١)، فحفظ بذلك فكر المعتزلة، بل وكان أول من ساهم في نشر هذا الفكر، حيث وجد أرضاً خصبة لبذره من بعد أن كاد ينقرض حتى في أرض اليمن بسبب طول العهد بين أول من ساهم في تجديده وهو الإمام الهادي يحيى بن الحسين وبين أول من ساهم بنشره وهو (القاضي جعفر، صاحبنا).

من خلال هذا المبحث يتضح: أن العلاقة بين المعتزلة والزيدية قديمة قدم شيوخها؛ فهذا واصل بن عطاء رأس المعتزلة الأول تتلمذ على الإمام محمد بن الحنفية، وقبله الإمام زيد قد التقى بواصل في العراق، وربما كان بينهما مذكرات، وهما أصلاً تخرجاً من مدرسة واحدة (مدرسة آل البيت) وكذا الإمام الهادي التقى بأبي القاسم البلخي (ت: ٣١٩هـ).

ومن هنا اتضحت العلاقة بين الزيدية والمعتزلة، حيث أخذت الزيدية على عاتقها الحفاظ على أصول المعتزلة، فأصبحت الزيدية والمعتزلة وجهين لعملة واحدة. وحتى لا أطيل كثيراً فإن معتقدات المعتزلة في الأصول مأخوذة ممن قبلهم أو ممن عاصروهم.

فمن الجهمية أخذوا قولهم بنفي الصفات (ونفي الرؤية لله تعالى يوم القيامة) وخلق القرآن... وسموا هذا المعتقد (التوحيد).

(١) انظر: د. أحمد محمود صبحي: الزيدية ص ١٨٣، (مرجع سابق). القاضي إسماعيل الأكوخ: هجر العلم ومعاقله، (مرجع سابق) ص ٩٥٦.

وعن القدرية أخذوا القول بأن العباد مخلقون أفعالهم (نفي القدر) بالإضافة إلى أن أفعال الله تعالى كلها حسنة، وأنه لا يفعل القبيح، ولا يخل بما هو واجب عليه، وسموا هذا المعتقد (العدل).

وعن الخوارج أخذوا القول بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكذا اقتبسوا منها الخوارج المنزلة بين المنزلتين لمرتكب الكبيرة مع مخالفتهم بعض الشيء للخوارج.

وعن الشيعة أخذوا أكثر الآراء الخاصة بالإمامة.

فأراؤهم خليط من آراء الفرق المخالفة لهم في عصرهم^(١).

وقد انتهجت هذه الفرقة في إثبات العقائد طريقة عويصة باردة بعيدة عن المنهج القرآني - الذي يخاطب الفطرة الإنسانية ويخاطب ما هو مركز فيها من معان تجعل الإيمان بوجود الخالق، وضرورة عبادته وحده أمراً بديهياً لا حاجة فيه لجدل أو سفسطة^(٢)، أغفلت في هذا المنهج توحيد العبادة الذي هو هدف الرسالات السماوية على مدى الأزمان، ووضعوا أصولاً للدين على غير ما بينه الله وبينه رسوله ﷺ، وعظموا دور العقل وجعلوه حاكماً لا محكوماً و... الخ^(٣).

ولهذا ولغيره - مما ليس محله هنا، خشية الإسهاب - ذم سلف الأمة

(١) عواد بن عبد الله المعيق: المعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منها، دار العاصمة، الرياض ص ٧٨ (مرجع سابق). ومن راق التفصيل أكثر فهذا الكتاب من الكتب القيمة التي فصلت في بحث هذه الفرقة ورد أهل السنة والجماعة عليها.

(٢) انظر: المعتزلة بين القديم والحديث، محمد العبد، طارق عبد الحلیم، دار الأرقم برمنجهام، ط ١ (١٤٠٨هـ) ص ٩.

(٣) نفس المصدر ص ١٧ - ٣٢، وإن المتأمل في عقائد الزيدية يجد فيها من الخوض في مثل هذه العويصات والجدل السقيم والدفاع عما يعتقدون حتى ليرمون غيرهم وخاصة أهل السنة بأنهم المشبهة - المجسمة، وأنهم بهذا حسب زعمهم قد دخلوا وأدخلوا غيرهم في الضلال وفي التبه والحيرة والخبث...، وإذا جالست أحدهم لا تجد له هم إلا الجدل وذكر المثالب واختلاق القصص على أهل السنة وعلى الصحابة بالذات حتى إنهم ليرمون أهل الحديث بالحشوية. وانظر لمزيد من الإيضاح: كتاب المنية والأمل في شرح الملل والنحل، للمهدي بن يحيى المرتضى (ت: سنة ٨٤٠)، تحقيق د. محمد جواد شكور، دار الندى ط ٢ (١٤١٠هـ) ص ١٢١.

وأعلام الأئمة علم الكلام، ونهوا عن الخوض فيه أشد النهي، مما يؤكد نفورهم منه وعدم إجازتهم له وأنه لا يروي غليلاً ولا يشفي غليلاً^(١).

ولقد نهانا نبينا ﷺ عن الجدل، وأخبرنا أنه علامة الضلالة والغواية، فقال عليه الصلاة والسلام: «ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل»^(٢). وكذا لعلماء الأمة مقولات مشهورة في التحذير من علم الكلام، وأنه يؤدي إلى الحيرة والشدة والزندقة.

فهذا الإمام الشافعي رحمته الله يقول: (لئن يتلى العبد بكل ما نهى الله عنه - ما عدا الشرك - خير له من أن ينظر في علم الكلام)، وقال: (حكمتي في علماء الكلام: أن يُضربوا بالجريد والنعال، ويطاف بهم في العشائر...) ويقال: (هذا جزء من ترك علم الكتاب والسنة وأخذ في الكلام)^(٣).

وقال الإمام أحمد بن حنبل رحمته الله: (لا يفلح صاحب كلام أبدأ، علماء الكلام زنادقة)^(٤).

وغيرهما من العلماء الكبار قد تكلموا كثيراً، وحذورا منه، مثل: الأوزاعي، وأبو يوسف (ت: ١٨٢هـ) تلميذ أبي حنيفة، وعلي بن المديني (ت: ١٣٤هـ)، وأبو زرعة الدمشقي (ت: ٢٨١هـ)، وأبو حاتم (ت: ٢٧٧هـ) وغيرهم إلى عصرنا هذا.

(١) الحافظ الإمام جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي البغدادي (ت: ٥٩٧هـ): تلبس إبليس، دار إحياء الكتب العربية لم يذكر الطبعة، ص ٨١. شرح العقيدة الطحاوية: ابن أبي العز الحنفي، خرج أحاديثه محمد ناصر الدين الألباني (١٤٠٨هـ)، ص ٢٠٨.

(٢) محمد ناصر الدين الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته الفتح الكبير، الطبعة الجديدة، المكتب الإسلامي. بيروت ط ٣ (١٤٠٨ - ١٩٨٨م) (٢/٩٨٤)، وقال: حديث حسن.

(٣) انظر: آداب الشافعي ومناقبه، لأبي عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، تقديم وتحقيق وتعليق الشيخ عبد الغني عبد الخالق، مكتبة التراث الإسلامي، حلب، سوريا، ص ٨٢. والمعتزلة بين القديم والحديث، ص ٣٨ (مرجع سابق). وانظر: إلى الحافظ الإمام جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي البغدادي، (مرجع سابق)، (ت: ٥٩٧هـ) في تلبس إبليس، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ط ٢ (١٤١٣هـ)، تحقيق شعيب الأرنؤوط. محمد نعيم العرقوي ٢٩/١٠. عبد الرحمن دمشقية: شبهات أهل الفتنة وجواب أهل السنة، دراسة علمية واسعة في فقد أوهام الجيش، دار التجاري، لبنان، السنة الأولى (موسوعة أهل السنة) ص ١٦١.

(٤) تلبس إبليس ص ٨٣، (مرجع سابق).

ويحدثنا التاريخ عن فئة من العلماء - الذين كانوا قد توغلوا في هذا العلم - رجعوا وتابوا، فأصلح الله حالهم، ثم حذروا منه ونهوا عن الخوض فيه أشد النهي، مثل الفخر الرازي (ت: ٦٠٦هـ) الذي أقل ما نُقل عنه أنه قال في آخر عمره: (يا ليتني لم أشتغل بعلم الكلام) وبكى^(١)، وشعره المشهور ينبي عن توبته ورجوعه إلى الحق حينما قال:

نهاية إقدام العقول عقال
وأرواحنا في وحشة من جسمنا
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا
وقال أيضاً:

وأكثر سعي العالمين ضلال
وحاصل دنيانا أذى ووبال
سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا^(٢)

لقد طفت في تلك المعاهد كلها
فلم أر إلا واضعاً كف حائر

وسيرت طرفي بين تلك المعالم
على ذقن أو قارعاً سن نادماً^(٣)

وكم غيرهم من علماء الكلام تراجعوا في آخر أعمارهم، وذلك مثل: أبو الحسن الأشعري (ت: ٣٢٤هـ)، وأبو حامد الغزالي (ت: ٥٠٥هـ)، وأبو المعالي الجويني (ت: ٤٧٨هـ) وغيرهم وغيرهم^(٤)... وانظر أقوالهم في كتب المقالات والديانات.

○ مجمل عقائد المعتزلة:

كما مر معنا فإن للمعتزلة خمسة أصول تستنبط منها عقائدهم وقضاياهم:

١ - التوحيد: وهو لب مذهبهم وأساس نخلتهم وقد بنوه على الجسم والعرض الذي هو الموصوف والصفة عندهم، واحتجوا بالصفات التي هي الأعراض على حدوث الموصوف الذي هو الجسم^(٥)، ثم بنوا على هذا

(١) عن المعتزلة بين القديم والحديث، عن مقدمة اعتقادات فرق المسلمين والمشركون للرازي.

(٢) انظر: المعتزلة بين القديم والحديث، ص ٤٠ مرجع سابق.

(٣) نفس المصدر (٤١، ٤٢).

(٤) تليس إبليس، (مرجع سابق)، ص ٨٣ وما بعدها.

(٥) انظر: محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية، دار الفكر العربي بدون ذكر الطبعة، ص ١٢٦ - ١٢٧. دراسات في فرق =

الأصل استحالة رؤية الله ﷻ يوم القيامة، ونفي صفات الله تعالى، وساقهم ذلك إلى القول بأن القرآن مخلوق، وإلى نفي استواء الله تعالى على عرشه من فوق سماواته كما أخبر في كتابه الكريم، فناقضوا بذلك محض العقيدة الإسلامية التي ثبتت بنصوص الكتاب والسنة، ونقلها صحابة رسول الله ﷺ ومن بعدهم، والتابعون وتابعوهم من سلف هذه الأمة أهل القرون الثلاثة المفضلة^(١).

٢ - العدل: في معرض المناقشات والجدل التي خاضها المعتزلة مع غير المسلمين حول القضاء والقدر، والجبر والاختيار، ونتيجة لعقلية ردود الأفعال انحاز المعتزلة إلى الطرف المغالي، مقابلين للجبرية المنحرفة أيضاً، فأدى بهم ذلك إلى عدة مسائل، منها: نفي القدر، ومنها: أن الإنسان خالق لأفعاله خيراً وشرها؛ ذلك من قياسهم الفاسد أفعال الله على أفعال العباد، وأفعال العباد مخلوقة لهم وليست من خلق الله، بل ولا يمكن أن نضيفها إلى الله لأن فيها شراً وظلماً وكفراً، والله منزّه عن الظلم والشر والكفر والمعاصي؛ لأنه لو خلق ذلك لكان ظالماً.

وقد استدلوا على ذلك بظواهر من آيات القرآن تناقضت عليهم وفهموها على ضوء ما قد قرروا مسبقاً وأولوا ما عارضها من آيات^(٢)، مثل ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوْءًا يُجْزَ بِهِ﴾^(٣)، وأولوا قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾^(٤)، ثم عرجوا إلى مسائل أخرى احتاروا فيها على أقوال مضطربة، مثل: التوليد، والاستطاعة، ونظرية الصالح والأصلح، والتحسين والتقيح العقليان، مما هو ليس محل بحثنا؛ فضلوا بذلك وأضلوا.

= المعتزلة بين القديم والحديث: محمد العبد، وطارق عبد الحليم، دار ابن حزم ط ١ (١٤١٦هـ - ١٩٩٦م)، ص ٩٦. شرح العقيدة الطحاوية: ابن أبي العز الحنفي، خرج أحاديثها محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي ط ٩ (١٤٠٨هـ)، ص ٢٩٨.

(١) انظر: المعتزلة بين القديم والحديث ص (٦٠، ٦١، ٦٢)، ابن الوزير آراؤه الاعتقادية للحرب ص ٢٣٤، تاريخ المذاهب ص ١٢٧، ١٢٨.

(٢) المرجع السابق، ص ٦١.

(٣) سورة النساء: الآية ١٢٣. (٤) سورة الصافات: الآية ٩٦.

ومن أصولهم:

٣ - المنزلة بين المنزلتين: وهي من أعظم المسائل التي تناولتها عقولهم، وعليها سموا معتزلة، ونشأت شبهتهم هذه من اعتبارهم أن الإيمان حقيقة مركبة من أجزائها التي هي أفعال الإيمان، فإن زال منها جزء زالت عن حقيقتها^(١)...

٤ - وترتب عليها عندهم أن الله سبحانه منجز وعده ووعيده إن خيراً فخير وإن شراً فشر، فهو لا بد منفذ وعده ووعيده؛ لأن إخلاف الوعيد قبيح كإخلاف الوعد سواء بسواء^(٢).

متجاهلين الآيات القرآنية وأحاديث المصطفى ﷺ في أن صاحب الكبيرة تحت المشيئة الربانية إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه^(٣).

٥ - والأصل الخامس عند المعتزلة هو: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذا أمر يقول به جميع المسلمين، لكنهم اختصوا به؛ لتضمنه عندهم مبدأ الخروج على السلطان الجائر حال القدرة^(٤)، وهذه هي الطامة التي جعلتهم يجوزون الخروج على الظالم حتى بمجرد أنه يخالفهم في عقائدهم، وقتاله بالسيف.

(١) المعتزلة بين القديم والحديث، ص ٧٧.

(٢) نفس المرجع، ص ٧٨. ومقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، للإمام أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري (ت: ٣٣٠هـ) تحقيق محمد بن محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان (١٤١٦هـ - ١٩٩٥م)، ص ٣٣٦.

(٣) مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [آية: ٤٨] سورة التوبة في القرطبي في كتابه: الجامع لأحكام القرآن في تفسير هذه الآية... قال محمد بن جرير الطبري: قد أبانت هذه الآية أن كل صاحب كبيرة ففي مشيئة الله تعالى إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه عليه ما لم تكن كبيرته شركاً بالله تعالى، (٥/٢٣٦)، مكتبة الرشد، الرياض ط ١ (١٤١٨هـ).

روى مسلم عن عبادة بن الصامت قال: كنا مع رسول الله ﷺ في مجلس فقال: «تبايعوا على ألا تشركوا بالله شيئاً، ولا تزنوا ولا تسرقوا، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق فمن وثق منكم فأجره على الله ومن أصاب شيئاً فعوقب به فهو كفارة له، ومن أصاب به شيئاً من ذلك فستره الله عليه فأمره إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عذبه»، صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الحدود ١١/٢٢٠، برقم (٤٤٣٦).

(٤) باللسان واليد والسيف. انظر: مقالات الإسلاميين للأشعري ص ٣٣٧.

الزيدية

○ توطئة:

الزيدية فرقة من فرق الشيعة، وهم أتباع الإمام زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام.

ومذهبهم: تفضيل علي بن أبي طالب، وأولويته في الإمامة، وقصرها في البطينين، واستحقاقهما بالفضل والطلب، لا بالوراثة^(١)، ووجوب الخروج على الجائرين، والقول بالتوحيد، والعدل، والوعد والوعيد^(٢).

وبنحو هذا التعريف عرفها الشيخ المفيد كما ذكر صاحب كتاب «الزيدية ونشأتها ومعتقداتها»^(٣)، وكذا صاحب «الفهرست».

- (١) وشروط الإمامة عند الزيديين تنحصر في أربعة عشر شرطاً وهي:
- (أن يكون الإمام: مكلفاً، ذكراً، حراً، مجتهداً، علوياً، فاطمياً، عدلاً، سخيّاً، ورعاً، سليم العقل، سليم الخواس، سليم الأطراف، صاحب رأي وتدبير، مقداماً فارساً) فحصروا الإمامة في أبناء فاطمة عليها السلام. . . ويشترط المذهب أن يجاهر الإمام بدعوته عندما يتصدر للإمامة ويدعو الناس لمبايعته، ولقد نبذ المذهب الزيدي كثيراً من الآراء التقليدية للشيعة، مثل عصمة الأئمة، ومثل مبدأ التقية، ومثل الأسلوب الذي اتخذته بعض المذاهب الشيعية أسلوباً للدعوة كالباطنية؛ وهنا مبدأ هام له آثاره الخطيرة في اليمن، فقد أجاز المذهب خروج إمامين في قطرين مختلفين في وقت واحد، الأمر الذي ساعد على قيام كثير من الفتن والاضطرابات في اليمن طوال فترة حكمه، ومما يتميز به هذا المذهب هو فتح باب الاجتهاد. محمد أبو زهرة: الإمام زيد، حياته وعصره آراؤه وفقه، ص (١٨٨ - ١٩٠).
- (٢) انظر: المنية والأمل في شرح الملل والنحل، للإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى (ت: ٨٤٠هـ)، تحقيق د. محمد جواد مشكور، دار الندى ط ٢ (١٤١٠هـ - ١٩٩٠م) ص ٢٣. والملل والنحل، تأليف أبي الفتح محمد عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، تحقيق الأستاذ عبد العزيز محمد المتوكل، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، بيروت ص ١٥٤.
- (٣) الزيدية نشأتها ومعتقداتها: للقاضي إسماعيل الأكوغ، دار الفكر، دمشق، دار الفكر =

ومعظمها ثلاث فرق:

الجارودية والسليمانية والبتيرية^(١).

وتعتبر الزيدية أقرب فرق الشيعة إلى أهل السنة والجماعة؛ حيث تتصف بالاعتدال، والقصد، والابتعاد عن التطرف والغلو^(٢).

ويؤيد هذا ما قاله ابن كثير رحمته الله بعد أن سرد قصة خروج الإمام زيد بن علي وشيعته بالكوفة، وهم يستفصحونه عن رأيه في أبي بكر وعمر؟: (فقال: غفر الله لهما ما سمعت أحداً؛ من أهل بيتي يبرأ منهما، وأنا لا أقول فيهما إلا خيراً... إلى أن قالوا له: فلم تقاتل هؤلاء إذا؟ قال: إن هؤلاء ليسوا كأولئك، إن هؤلاء ظلموا الناس وظلموا أنفسهم، وإني أدعو إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم فلست عليكم بوكيل، فرفضوه وانصرفوا عنه، ونقضوا بيعته وتركوه، فلهذا سماوا الرافضة من يومئذ، فمن تابعه من الناس على قوله سُموا الزيدية، وغالب أهل الكوفة منهم رافضة، وغالب أهل مكة إلى اليوم (أيام ابن كثير) زيدية، وفي مذهبهم حق وباطل، فالحق تعديل الشيخين، والباطل هو اعتقاد تقديم علي عليهما، وليس علي مقدماً عليهما، بل ولا عثمان على أصح قولي أهل السنة الثابتة، والآثار الصحيحة الثابتة عن الصحابة... فمن تابعهم من الناس سماوا زيدية)^(٣).

= المعاصر، بيروت - ط ٢ (١٤١٣هـ - ١٩٩٣م)، ص ١٤، نقلاً من كتاب أوائل المقالات لمحمد بن العكبري (ت: ٤١٣هـ). والفهرست لابن النديم، تحقيق رضا تجدد، مطبعة البنك البارزكاني ص ٢٢٦. مقدمة ابن خلدون: دار إحياء التراث، تأليف عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ص ١٩٨. ومقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري ١/١٣٦. والأديان والفرق.

(١) الزيدية نشأتها ومعتقداتها: للقاضي إسماعيل الأكوغ، دار الفكر دمشق، دار الفكر المعاصر بيروت ط ٣ (١٤١٣هـ - ١٩٩٣م)، ص ١٥.

(٢) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة: الندوة العالمية للشباب المسلم، الرياض ط ١ (١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م) ص ٢٥٧.

(٣) الحافظ ابن كثير الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ): البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت ٩/ ٣٣٠. د. أحمد جلي: دراسة عن الفرق وتاريخ المسلمين (الخوارج والشيعة)، ط ٢ (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م)، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض ص ٢٤٨. والقاضي إسماعيل بن علي الأكوغ: الزيدية نشأتها ومعتقداتها، دار الفكر، =

والذي يتبين من كلام الإمام زيد فيما حكاه ابن كثير: أن الإمام زيداً نفسه لم يتبرأ من أبي بكر وعمر، بل قال فيهما خيراً، ولم يقدمهما على علي، بل جعل الأولوية لعلي في الولاية، ويتبين هذا بجلاء في كلامه عن الإمامة حين قال: (كان علي بن أبي طالب ﷺ أفضل الصحابة، إلا أن الخلافة فوضت إلى أبي بكر لمصلحة رأوها، وقاعدة دينية راعوها، من تسكين نار الفتنة، وتطيب قلوب العامة... إلخ)^(١).

○ عقائد الزيدية:

أما عقائد الزيدية الأصولية فهي نفس عقائد المعتزلة، كما أشار إلى ذلك الشهرستاني^(٢) وكما تقرر سابقاً، مع اختلاف طفيف في بعض الأصول التي تُخدم كل فرقة على حدة، وكتب الزيدية ورسائلهم تشهد بذلك، فمثلاً: هذا الإمام القاسم الرسي أول إمام زيدي، يقول بحجة العقل، وتسمية الأصول الخمسة، آخذاً ذلك من المعتزلة، وإن كان يرفض بعض أصول المعتزلة ليصوغ مكانها أصولاً يراها أنها أفضل^(٣):

□ الأصل الأول:

وهو التوحيد: ويعني أن الله ﷻ واحد ليس كمثلته شيء، وهو خالق كل شيء، يدرك الأبصار ولا تدركه الأبصار، وهو اللطيف الخبير^(٤).

وقد سلك الإمام القاسم في هذا الأصل مسلكاً يختلف فيه عن مسلك المعتزلة؛ إذ لم يتعرض ولم يناقش صفات الله تعالى عند تعرضه لهذا الأصل، وهو موضوع خصب عني به مفكرو المعتزلة وناقشوه باستفاضات وفرعوه تفريعات

= دمشق، سورية، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان ط ٣ ص ١٩. مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري (ت: ٣٣٠هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية صيدا - بيروت، ط (١٤١٦هـ - ١٩٩٥م)، ١/ ١٣٥، ١٣٦.

(١) الملل والنحل للشهرستاني، ص ١٥٥ (مرجع سابق).

(٢) الشهرستاني: الملل والنحل ص ١٦٢. (٣) معتزلة اليمن ص ٣٣.

(٤) من نراث العقلانية الإسلامية، دراسة د. محمد عمارة. رسائل العدل والتوحيد: القاسم الرسي، الأصول الخمسة، طباعة دار الشروق ط ٢ (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م)، ص ١٦٨.

متنوعة وصلت حد التناقض والتكفير^(١).

ولكنه ناقش مسألة الرؤية، ولم يكتف بنفي الرؤية لذات الله في الآخرة، بل كفر مثبتها في الآخرة واصفاً إياهم بالمشبهة والمؤولة والملحدة قائلًا: بأن أحاديث الرؤية افتعلها الضلال من بغاة المسلمين، فحملها عنهم الجهال؛ فيها الإلحاد والكفر بالله، وأحاديث لم يعرفوا حسن تأويلها ولم يعنوا بتصحيحها فضلوا وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل^(٢).

لكني أقول: بل هم الضلال بقياسهم الفاسد؛ إذ هم بهذا مشبهة الأفعال؛ حيث قاسوا أفعال الله تعالى على أفعال عباده.

□ الأصل الثاني:

العدل: ويعني أن الله سبحانه عَدْلٌ غير جائر، لا يكاف نفساً إلا وسعها، ولا يعذبها إلا بذنبها، لم يمنع أحداً من طاعته، بل أمره بها، ولم يدخل أحداً في معصيته بل نهاه عنها^(٣).

ويقتضي هذا بزعمهم: القول بخلق الإنسان لأفعاله وحرية اختياره، ونفي القضاء والقدر، وأن الله تعالى لا يمكن أن يعاقب إنساناً على فعل قدره عليه، إذ القول بالقضاء والقدر معناه: أن العاصي ينبغي أن يثاب على وفق القضاء والقدر، ويسرد الإمام القاسم ما يؤيد به مذهبه من الآيات حتى يلبس على من لم يطلع على كلام أهل السنة والجماعة^(٤).

- (١) معتزلة اليمن ص ٣٥. ذلك أن الزيدية والمعتزلة عند الصفات يقولون برأي شيوخهم مثل واصل بن عطاء وغيره أن الصفات عين الذات، فيقال عن الله تعالى عالم بذاته قادر بذاته وليس بصفات زائدة على الذات، هي العلم والقدرة... وانظر: الملل والنحل للشهرستاني ص ٤٤، وإيثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ١٠٣، ١٠٤.
- (٢) كتاب العدل والتوحيد ونفي الرؤية لله الواحد الحميد ضمن رسائل العدل والتوحيد للإمام القاسم نفسه ص ١٣٣، وانظر: ابن الوزير وآراؤه الاعتقادية ص ٢٤٥ رسالة دكتوراه، (مرجع سابق)، وانظر شرح الطحاوية ص ٥٢١ (مرجع سابق).
- (٣) الأصول الخمسة للرسي، ضمن رسائل العدل والتوحيد ص ١٦٨.
- (٤) انظر: كتاب أصول العدل والتوحيد والرد على المجيزة للقاسم الرسي. المختصر في أصول الدين للقاضي عبد الجبار بن أحمد بن خليل الهمداني (ت: ٤١٥هـ) والشريف المرتضى في إنقاذ البشر من الجبر والقدر. وردود أهل السنة عليهم في شرح الطحاوية، وفي مجموع =

وعلى هذا الفكر المعوج فمعناه: أن في الكون أموراً تجري بما لا يشاء الله تعالى!! أي نفي القدر!! وعليه يجوز أن يكون في ملك الله تعالى ما لا يريده وهذا يستلزم وصف الله تعالى بالعجز - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً^(١) - .

□ الأصل الثالث:

الوعد والوعيد: ومعناه: أن الله صادق الوعد والوعيد، يجزي بمثقال ذرة خيراً، ويجزي بمثقال ذرة شراً، ومن صيره إلى العذاب فهو خالد فيه أبداً، خالداً مخلداً كخلود من صيره إلى الثواب الذي لا ينفذ^(٢).

بهذا يتضح أن الإمام القاسم وغيره من الزيدية يحذون حذو المعتزلة في أن صاحب الكبيرة غير التائب منها يستحق الخلود في النار، تاركين أحاديث الشفاعة^(٣) المتواترة لدى أهل السنة وراءهم ظهيرياً، وهي لا تخفى على ذي بصيرة (ولا يردّها إلا متهم)^(٤)، كما قال الإمام أبو داود صاحب السنن^(٥):

= الفتاوى لابن تيمية، ومنهاج السنة لابن تيمية أيضاً، وتلميذه ابن القيم في الصواعق المرسلّة في الرد على الجهمية والمعتلة، وغيرها من الكتب. وابن الوزير في العواصم والقواصم الذي هو رد على شيخه من الزيدية... وخاصة الجزء الرابع.

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي، حققها وراجعها جماعة من العلماء، خرج أحاديثها الألباني ص ٥٢١.

(٢) الأصول الخمسة للإمام القاسم الرسي، من رسائل العدل والتوحيد ص ١٦٨.

(٣) انظر: صحيح البخاري مع الفتح ٨/٢٤٧، رقم الحديث (٤٧١٢)؛ ١١/٤٢٥، رقم الحديث (٦٥٦٥، ٦٥٦٦)؛ ١٣/٤٨١، رقم الحديث (٧٥٠٩، ٧٥١٠)، ص ٤٣٦.

وصحيح الإمام مسلم بشرح النووي محيي الدين (٦٧٦هـ)، المسمى: المنهاج، تحقيق وتخرّيج وترقيم الشيخ خليل مأمون شيجا، دار المعرفة، بيروت ٥١/٣.

(٤) انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٧٧٣ - ٥٨٢هـ)، ترقيم وتبويب محمد فؤاد عبد الباقي، وإخراج وتصحيح محب الدين الخطيب، مراجعة محب الدين الخطيب، دار الريان للتراث، ١١ باب صفة الجنة والنار ص ٤٣٥.

(٥) هو سليمان بن شداد بن عمر بن عامر بن الأشعث أبو داود السجستاني، سكن البصرة (٢٠٢هـ - ٢٧٥هـ)، كان ثقة زاهداً عارفاً بالحديث، إمام عصره في ذلك، انظر: تهذيب التهذيب ٢/٣٩٢، ط ١ دار المعرفة، بيروت، لبنان (١٩٩٦م).

(ومن كذب بالشفاعة فلا نصيب له منها)^(١).

فالمعتزلة ومعهم الزيدية أثبتوا الشفاعة العامة في الإراحة من كرب الموقف، وهي الخاصة بنبينا ﷺ، والشفاعة في رفع الدرجات، وأنكروا ما عداها، وقال ابن حجر: (إن في تسليم المعتزلة بالشفاعة الثانية نظراً)^(٢). وقال النووي تبعاً لعياض: (الشفاعة خمس:

- ١ - في الإراحة من هول الموقف.
- ٢ - في إدخال قوم الجنة بغير حساب.
- ٣ - في إدخال قوم حوسبوا فاستحقوا العذاب أن لا يعذبوا.
- ٤ - في إخراج من أدخل النار من العصاة.
- ٥ - في رفع الدرجات)^(٣).

□ الأصل الرابع:

بالرغم من كون الإمام القاسم هنا لم يذكر المنزلة بين المنزلتين وذكر مكانها أصلاً آخر حينما قال: (إن القرآن المجيد فضلٌ محكم وصراط مستقيم لا خلاف فيه ولا اختلاف، وأن سنة رسول الله ﷺ ما كان لها ذكر في القرآن ومعنى). واضعاً لنفسه منهجاً يستند إليه في حججه ومجادلاته، ويجعل القرآن مقياساً للسنة، خاصة بعد اختلاط صحيحها بضعيفها وكُذِّب على النبي ﷺ.

إلا أنه يتكلم عن المنزلة بين المنزلتين في بحث مستقل ويخرج منه بأن مرتكب الكبيرة من المؤمنين إن مات عليها فهو مخلد في النار^(٤)، ويسرد بذلك أدلته، ولا يلوي على الأحاديث الصحيحة التي بين فيها رسول الله ﷺ: أن أمره إلى الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له^(٥).

(١) فتح الباري، مصدر سابق ٤٣٤/١١.

(٢) انظر: فتح الباري ٤٣٦/١١، وانظر: ابن الوزير وآراؤه الاعتقادية: علي بن علي الحربي ٢٤٨/١. عن مصباح العلوم المعروف بالثلاثين المسألة، لأحمد بن الحسن الرصاص (ت: ٥٦٥٦هـ).

(٣) فتح الباري ص ٤٣٦ (مرجع سابق). (٤) ضمن رسائل العدل والتوحيد، ص ١٥٤.

(٥) منها الحديثان كما جاء في مسلم: حديث أبي ذر وغيره قال رسول الله ﷺ: «من قال لا إله إلا الله دخل الجنة، وإن زنى وإن سرق»، وحديث عبادة بن الصامت الصحيح المشهور =

□ الأصل الخامس:

صاغ الإمام القاسم أصلاً خامساً بدلاً من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقال: إن التقلب بالأموال والتجارات والمكاسب في وقت ما تعطل فيه الأحكام وينتهب ما جعل الله للأرامل والأيتام والمكافيف والزمنى^(١) وسائر الضعفاء ليس من الحل والإطلاق كمثلته في وقت ولاية العدل والإحسان والقائمين بحدود الرحمن^(٢).

يريد بذلك جميع وجوه الكسب واختلاف الكاسبين في ظروف الجور في حالة عدم وجود الحكام القائمين بأمر الله تعالى، تجعل هذه المكاسب أقرب إلى التلوث، فلا بد من العمل على تغيير الجائر من الأوضاع تطهيراً للكسب والمأكل وإراحة للضمير^(٣).

وكان المنتظر منه كإمام زيدي معتزلي أن يضع الأصل المشهور عند الزيدية والمعتزلة وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لكنه أفرد لها رسالتين منفصلتين أحدهما بعنوان (الإمامة) والأخرى بعنوان (الرد على الروافض)^(٤).

= أنهم بايعوه ﷺ على أن لا يسرقوا ولا يزنوا ولا يعصوا... إلى آخره، ثم قال لهم ﷺ: «فمن وقى منكم فأجره على الله، ومن فعل شيئاً من ذلك فعوقب في الدنيا فهو كفارته، ومن فعل ولم يعاقب فهو إلى الله تعالى، إن شاء عفا عنه وإن شاء عذبه». فهذان الحديثان مع نظائهما في الصحيح مع قول الله ﷻ في سورة النساء: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [آية: ٤٨]. مع إجماع أهل الحق على أن الزاني، والسارق، والقاتل وغيرهم من أصحاب الكبائر غير الشرك لا يكفرون بذلك، بل هم مؤمنون ناقصو الإيمان، إن تابوا سقطت عقوبتهم، وإن ماتوا مصرين على الكبائر كانوا في المشيئة، فإن شاء الله تعالى عفا عنهم وأدخلهم الجنة، وإن شاء عذبهم ثم أدخلهم الجنة. وانظر: تفسير القرطبي المجلد الثالث، الجزء الخامس: الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق عبد الرزاق المهدي، مكتبة الرشد، الرياض، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط ١ (١٤١٨هـ - ١٩٩٧م) ص ٢٣٥، ٢٣٦. وانظر: تفسير فتح العلي القدير للشوكاني، المجلد الأول، طبعة جديدة ومنقحة، دار ابن كثير ودار الكلم الطيب، دمشق، بيروت ط ١ (١٤١٤هـ) ص ٥٥٠.

- (١) الزمنى: جمع زمن وهو العاجز.
- (٢) ضمن رسائل العدل والتوحيد، المرجع المذكور آنفاً ص ١٦٨، ١٦٩.
- (٣) نفس المرجع، ص ١٦٩ هامش الكتاب من كلام المحقق ذ. محمد صمارة.
- (٤) انظر: معتزلة اليمن، ص ٣٧.

ويصل في رسالته تلك إلى أن الإمامة ينبغي أن تكون في «موضع مخصوص» مستنداً إلى الحديث المروي عن النبي ﷺ: «إن هذا الأمر في قريش... إلخ»^(١) ويستتج منه أن قول الرسول ﷺ هذا لا مبرر له إلا قرابة قريش للرسول ﷺ وأن أقرب قريش لرسول الله ﷺ هم أولاد فاطمة ﷺ وهم «الموضع المخصوص»!!.

وإذا انتقلنا مثلاً إلى الإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى (٧٦٤ - ٨٤٠) نجد أن الأصول التي يبني عليها مذهبه تختلف قليلاً عما هي عند الإمام الهادي (٢٤٥ - ٢٩٨م) والإمام القاسم (١٦٩ - ٢٤٦م)، وهي على النحو التالي^(٢):

- ١ - التوحيد: ومعناه وجود القديم المحدث بلا معاني.
 - ٢ - المنزلة بين المنزلتين.
 - ٣ - العدل: ويعني أن فعل العبد غير مخلوق فيه.
 - ٤ - تولي الصحابة، والاختلاف في عثمان بعد الأحداث، والبراءة من معاوية وعمرو بن العاص.
 - ٥ - وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- فهذه عدة الأصول عند الزيدية والمعتزلة خمسة، ويختلفون فيما بينهم كثيراً في الأصول الخمسة، لكنهم يتفقون جميعاً على أصلين اثنين هما العدل والتوحيد، فهما جماع الفكر المعتزلي^(٣).

ولنا وقفة عند الأصل الأخير، على الرغم من اتفاق الأمة عليه، إلا أن

(١) انظر: صحيح البخاري مع الفتح (١٣٣/١٣).

وفي مسند الإمام أحمد برقم (١٢٢٤٧) عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «الأئمة من قريش، إن لهم عليكم حقاً ولكم عليهم حقاً مثل ذلك، ما إن استرحوا فرحوا وإن عاهدوا وفوا، وإن حكموا عدلوا، فمن لم يفعل ذلك منهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين». وفي الهامش قال: وهو مخرج في النسائي في السنن الكبرى، عن طريق شعبة. وفي الطيالسي: في سننه من طريق آخر، وبنحوه رواه الترمذي في الفتنة والحاكم والبيهقي.

(٢) انظر: د. محمد عمارة في رسائل العدل والتوحيد (٧٧/١).

(٣) نفس المصدر، نفس الصفحة.

المعتزلة والزيدية جعلوه أصلاً لهم مميزاً، يريدون بذلك الخروج على أئمة الجور والظلم مع إمكان القدرة على ذلك باللسان، واليد، والسيف، ولذلك يرى المتأمل في تأريخ الزيدية أن هذا المبدأ قد جر على أصحابه الحروب والويلات والخطوب ولم تهدأ قط طوال أكثر من ألف عام.

○ عقائد الزيدية ومقارنتها بعقائد المعتزلة:

ومن خلال هذا المبحث يتبين لنا أن عقائد الزيدية هي نفس عقائد المعتزلة في الأصول الخمسة، إلا أن بعض أئمة الزيدية استبدلت المنزلة بين المنزلتين بمسألة الإمامة وجعلتها شغلها الشاغل، ومن أجلها نجم الخلاف بين المعتزلة والزيدية^(١).

فالزيدية يوافقون المعتزلة في الأصول الخمسة على العموم، وبالذات في التوحيد والعدل كما سبق، وعرفنا أن التوحيد عندهم يعني نفي الصفات، والعدل عندهم نفي القدر، وكذلك يوافقونهم في القول بنفي رؤية الله في الآخرة، وبخلق القرآن، وخلود العصاة من المسلمين في النار، وغير ذلك مما قد مر آنفاً ضمن الأصول الخمسة للمعتزلة.

وتشبه هذه الأصول إلى حد كبير الأصول التي قال بها كبير المعتزلة وشيخهم أبو الهذيل العلاف الذي كان أول منظرٍ في أصول المعتزلة، وحيث إن القاسم كان معاصراً لأبي الهذيل فقد نحى في منهجيته منحاه مع تغيير في الصياغة وتعديل لبعض البنود التي من شأنها خدمة الفكر الزيدي (المعتزلي).

وحيث إن القاسم كان قد خرج إلى اليمن متنكراً^(٢) خائفاً، يترقب بطش العباسيين الذين كانوا يطاردونه عندما بويع له بالإمامة، ومكث فيها أياماً، فيبدو أنه كان قد نشر مذهبه هناك خلال بقائه، ولكنه سرعان ما رجع إلى المدينة - إلى جبال الرس - يعيش فيها بعيداً عن السياسة وعن عيون الرقباء من رجالات الدولة العباسية، ثم يأتي من بعده حفيده الإمام الهادي يحيى بن الحسين بعد مرور

(١) رسائل العدل والتوحيد، (المرجع السابق)، ضمن الأصول الخمسة.

(٢) الإمام أبي الضياء عبد الرحمن بن علي الدبب الشيباني الزبيدي: قرعة العيون بأخبار اليمن الميمون، تحقيق محمد بن علي الأكوغ، ط ٢ (١٤٠٩ - ١٩٨٨م) ص ١٢٤، الهامش.

ما يقرب من نصف قرن أو أقل ليجدد هذا المذهب حينما أتى إليها في سنة ٢٨٠هـ ثم في سنة ٢٨٤هـ ويرسي قواعد دولة زيدية استمرت أكثر من ألف عام، ويبدو أيضاً أن الإمام الهادي أدخل معه الاعتزال إلى اليمن، ذلك أنه تلقى هذا العلم على شيخ معتزلي يكنى بأبي القاسم البلخي^(١) حتى تأثر به، فظهر ذلك على آرائه في علم الكلام في رسائله.

وهم يختلفون مع المعتزلة في مسألة الإمامة، ويشنون الغارة عليهم، فهذا السيد حميدان بن يحيى حميدان^(٢)، من علماء الزيدية، يعرب عن هذا الخلاف بينهم وبين المعتزلة فيقول: (وافقناهم في الأصول ولم يوافقونا في الإمامة فعلام الاتفاق؟)؛ ولهذا أصبح المعتزلة عند الزيدية قُسَاقَ تَأْوِيلٍ لتأويلهم الإمامة ومخالفتهم فيها^(٣).

وقد وقف غير واحد من أئمة الزيدية في وجوه المعتزلة من أجل مسألة الإمامة وغيرها، منهم: العلامة يحيى بن منصور العفيف^(٤)، أحد أجداد ابن الوزير، ومنهم: المتوكل على الله المطهر بن يحيى في أرجوزته التي سماها المنزللة لأعضاء المعتزلة^(٥).

(١) عبد الفتاح نعمان: الإمام الهادي والياً وفقهياً ومجاهداً، مؤسسة فؤاد بعينو، بيروت، لبنان ط١ (١٤١٠هـ - ١٩٨٩)، ص٧٨.

وأبو القاسم البلخي: هو عبد الله أحمد بن محمود الكعبي (ت: ٣١٧هـ، وقيل: ٣١٩هـ)، أحد أئمة المعتزلة، وكان رأس طائفة منهم تسمى الكعبية، أقام ببغداد مدة طويلة وتوفي ببليخ. عن المصدر السابق. نفس الصفحة.

يقول عنه البغدادي في ترجمته: وكان حاطب ليل يدعي في أنواع العلوم، على الخصوص والعموم، ولم يحظ في شيء منها بأسراره، ولم يحظ بظاهره فضلاً عن باطنه.

(٢) أبو عبد الله حميد بن حميدان بن شبيبي، نسبة إلى القاسم الرسي (ت: ٦٥٦هـ). ترجم له د. أحمد محمود صبحي في كتاب الزيدية، دار النهضة العربية ط٣ (١٤١١هـ - ١٩٩١م) ص٣١٥.

(٣) علي بن علي الحريري: في رسالته: ابن الوزير، ٢٥٢/١، مرجع سابق.

(٤) يحيى بن منصور بن مفضل العفيف. لم أعثر له على ترجمته إلا في مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن لعبد الله محمد الحبشي، مركز الدراسات والبحوث اليمني، لم يذكر وفاته.

(٥) علي بن علي الحريري في رسالة دكتوراه: ابن الوزير ٣٥٢/١، ٣٥٣.

واتفقوا في الوعد والوعيد وكذا في الأصل الخامس: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

واتفقوا مع المعتزلة في مذهبهم في الحديث: إلى أن خبر الأحاد لا يفيد اليقين، بينما حكم العقل يقيني؛ إذ أنه هو مناط التكليف، واعتمدوا على العقل في معرفة العقائد، وقالوا: بأن العقيدة ينبغي أن تثبت بطريق عقلي يقيني لا بطريق ظني آحادي، ولم يفرقوا بين ما هو صحيح من الأحاديث أو غيره من درجات الحديث، وإنما يكفي مخالفته لما ادعوه معقولاً لرده وعدم العمل به، بل والقدح في روايته، وكذلك عند التعارض يجعلون العقل مقدماً على المتواتر من الحديث^(١).

وترتب على هذا القول أن لجؤوا إلى التأويل، فأولوا الآيات القرآنية التي تتحدث عن رؤية الله في الآخرة، وعلى سبيل المثال فقد قالوا في قوله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِنَّ رَبَّهَا نَاطِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾^(٢)، و﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴿٥﴾﴾^(٣)، و﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ ﴿٤﴾﴾، و﴿لَمَّا خَلَّصْتُ يَدَيَّ ﴿٥﴾﴾، وغيرها من الآيات.

فأولوا ناظرة: بأنها منتظرة ثواب الله ورحمته وكرامته وما يأتيهم من خير وفوائد^(٦)، وأولوا الاستواء بالاستيلاء والظهور بالقهر والغلبة محتجين بقول الشاعر:

قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهبراق
قاله ابن بطلال^(٧)، ثم أضاف رداً عليهم: فأما قول المعتزلة، فإنه فاسد؛

(١) انظر: تاريخ المذاهب الإسلامية لمحمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، ص ١٣٤. وانظر: دراسات في الفرق المعتزلة بين القديم والحديث ص ٨٥. وانظر: شرح العقيدة الطحاوية بتخريج الألباني ص ١٩٨، ١٩٩.

(٢) سورة القيامة: الآية ٢٢. (٣) سورة طه: الآية ٥.

(٤) سورة القلم: الآية ٧٥. (٥) سورة ص: الآية ٧٥.

(٦) انظر: كتاب العدل والتوحيد للإمام القاسم الرسي، ضمن رسائل للعدل ١/١٣١. وانظر: الجزء الثاني ص ١٠٢، وانظر: مقالات الإسلاميين ١/٢٣٨.

(٧) انظر: أحمد عصام الكاتب: عقيدة التوحيد في فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار الإقامة الجديدة، بيروت، طبعة أولى (١٤٠٣هـ) ص ٢٢٦. وانظر: تفسير ابن كثير؛ إذ سلك فيها مسلك السلف الصالح في سورة الأعراف، تفسير آية ٥٤.

لأنه لم يزل قاهراً وغالباً ومستولياً، وقوله: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَى﴾ يقتضي هذا الوصف بعد أن لم يكن، ولازم تأويلهم أنه كان مغالباً فيه، فاستولى عليه بقهر من غلبه، وهذا متف عن الله سبحانه^(١).

وفي قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾: عن شدة^(٢)، وتأولوا كلمة ﴿بِيَدَيْ﴾ يعني: بقدرتي وعلمي، يريد: أي على ذلك قادر وبه عالم، (توليت) ذلك بنفسي لا شريك لي في تدبيرتي وصنعي، ويضيف الإمام القاسم^(٣) موضحاً ما يذهب إليه من التأويل فيقول: وقد بين معنى هذه الآية في آية أخرى فقال: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقْنَاهُ مِن تَرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(٤) وفي قوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾^(٥)، تأويله عند أهل العلم - يقصد المعتزلة - بل نعمته ميسورتان على خلقه: رزق موسع، ورزق مضيق ينفق كيف يشاء، أي: يفعل لذلك ما هو أصلح لعباده^(٦).

○ الزيدية في اليمن:

مما سبق تبين لنا أن الزيدية هم الذين اتبعوا طائعين الإمام زيد بن علي عندما خرج على بني أمية داعياً إلى كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وإحياء السنن، وإمارة البدع^(٧). فهل زيدية اليمن هي نفس تلك الزيدية أيام الإمام زيد؟ وكيف انتقلت هذه الفرقة إلى اليمن؟ إذ أن اليمن في القرن الأول والثاني غالبها سنية المذهب، إما حنفي وهو الغالب، وإما مالكي^(٨)، فما الذي جعل أهل اليمن في وقتنا الحاضر إما زيدية، وإما شافعية من حيث المذهبية؟! وحديث عن الفرق التي نشأت بعدها ولا حرج.

- (١) نفس المصدر نفس الصفحة، وانظر مقالات الإسلاميين ١/٢٣٧.
- (٢) انظر: الإمام الهادي يحيى بن الحسين، (كتاب فيه معرفة الله من العدل والتوحيد)، ضمن رسائل العدل والتوحيد ٢/١٠٤.
- (٣) العدل والتوحيد للإمام القاسم ضمن رسائل العدل والتوحيد ١/١٣٥.
- (٤) سورة آل عمران: الآية ٥٩. (٥) سورة المائدة: الآية ٦٤.
- (٦) الإمام القاسم، المرجع السابق، ١/١٣٥.
- (٧) البداية والنهاية لابن كثير (٩/٣٣٠)، مرجع سابق.
- (٨) طبقات فقهاء اليمن ص ٧٤.

أرجو أن أجيب على هذه التساؤلات وغيرها في هذا البحث، وسألتزم فيه المنهج الموضوعي والحياد التام، من خلال سوق معلومات من كتابات متعددة قديمة وحديثة.

ظلت اليمن قرابة قرنين أو أكثر من الزمن سنّية المذهب، بل حصناً منيعاً من حصون السنة، وقلعة من قلاعها؛ حيث شهد القرنان الثاني والثالث من الهجرة انتشار فقه الأئمة الأربعة: أبي حنيفة النعمان، ومالك، وابن حنبل، وأخيراً فقه الإمام الشافعي الذي أصبحت له أقدام راسخة في اليمن خاصة في المناطق السهلية منها، وكذا اليمن الأسفل والمناطق الجنوبية كلها، بما فيها حضرموت والمهرة وغيرها كما سبق في أول البحث؛ حيث وفدت على اليمن مذاهب شتى كادت أن تحتاحه لولا أن الله ﷻ قيض لليمن علماء وفقهاء عظماء واجهوا تلك التجمعات النشطة ذات الاتجاه الشيعي بمختلف أجنحته: الإسماعيلية^(١) والأباضية، والزيدية، ولا شك أن ضخامة التراث السنّي هياً الظرف كثيراً^(٢).

ولقد كان المذهب الزيدي (الهادوي) أبرز المذاهب التي عاصرها القاضي محمد بن إسماعيل العمراني في عهد بيت حميد الدين، ولكن هذا المذهب لا يحمل نفس الأفكار التي كان يحملها مؤسسه الأول الإمام زيد بن علي، فقد اعتراه بعض التغيير والتعديل بدخوله إلى اليمن^(٣).

(١) د. محمد عيسى الحريري: الاتجاهات المذهبية في اليمن حتى نهاية القرن الثالث الهجري ص ٨٢، ٨٣، مرجع سابق.

(٢) انظر: المقتطف من تاريخ اليمن للجغرافي. واليمن والإنسان والحضارة، القاضي الشماحي، مرجع سابق ص ١١٦. د. فضل أبو غانم: القبيلة والدولة في اليمن، ص ١٣٧، مرجع سابق. علي بن عبد الكريم الفضيل شرف الدين: الزيدية نظرية وتطبيق، ط ١ (١٤٠٥هـ)، ص ١٤٤، ١٤٥.

(٣) انظر: أبو نشوان سعيد الحميري: الحور العين، تحقيق كمال مصطفى، دار آزال للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، المكتبة اليمنية، صنعاء ط ٢، دار التنوير، بيروت، لبنان، منشورات المدينة ط ٤ (١٩٨٦م)، ص ٥، ومقدمة السيل الجرار، محمود إبراهيم زايد ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ص ٦. د. فضل أبو غانم، القبيلة والدولة في اليمن ص ١٣١، ١٣٦. مرجع سابق.

تذكر كتب التاريخ أن الإمام زيداً كان قد تتلمذ في الأصل على يد أبيه علي بن الحسين زين العابدين وعلى أخيه الأكبر محمد (الباقر)، ولقد كتب كثير من المؤرخين أن زيد بن علي تتلمذ على يد واصل بن عطاء، مقتفين بذلك قول الشهرستاني في كتاب الملل والنحل، وانتقده بعض المؤرخين كصاحب كتاب «الزيدية نظرية وتطبيق»^(١)، وصاحب كتاب «الإمام زيد المفترى عليه»^(٢) الذي ساق أدلته الدالة على رفض فكرة تتلمذ زيد على يد واصل.

ويظهر من خلال كلام بعض أئمة الزيدية - مثل الإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى^(٣) - أن الزيدية إنما هي نسبة انتماء واعتزاز وليست نسبة مذهبية كما هي في المذاهب الأخرى الأربعة^(٤).

يقول هذا الإمام: (فالزيدية - زيدية اليمن - منسوبة إلى زيد بن علي؛ لقولهم جميعاً بإمامته، وإن لم يكونوا على مذهبه في مسائل الفروع، وهي تحالف الشافعية والحنفية في ذلك؛ لأنهم إنما نسبوا إلى أبي حنيفة والشافعي لتابعتهما لهما في الفروع)^(٥).

فإذاً بناءً على هذه الأقوال، وكذا قول ابن كثير الآنف الذكر: أنهم

(١) علي بن عبد الكريم الفضيل شرف الدين: الزيدية نظرية وتطبيق، ط ١ (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م)، جمعية عمال المطابع التعاونية، عمان، ص ١٩٠.

(٢) انظر: شريف الشيخ صالح أحمد الخطيب، دار الندوة الجديدة: الإمام زيد بن علي المفترى عليه، درجة الماجستير، (١٤٠٤هـ - ١٩٨٥م)، ص ٥٣ وما بعدها.

(٣) الإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى بن مفضل بن منصور الحسين (٧٧٥ - ٨٤٠هـ): تبحر في العلوم واشتهر بفضله وبُعْدِ صيته، وصُفِّ التصانيف الكثيرة أشهرها: الأزهار وشرحه الغيث المدرار، والبحر الزخار، كتاب الفائض... إلخ. انظر: الشوكاني: البدر الطالع ١/١٢٢، دار المعارف للطباعة والنشر، بيروت، لبنان ط ١ (١٣٤٨هـ).

(٤) انظر: كتاب علي بن عبد الكريم شرف الدين: الزيدية نظرية وتطبيق، ط ١، (١٠٥هـ - ١٩٨٥م)، جمعية عمال المطابع التعاونية، عمان من ص ١١ - ١٥.

(٥) القاضي إسماعيل الأكوخ: الزيدية، نشأتها ومعتقداتها ص ١٤، عن الملل والنحل للإمام المرتضى. ولأن المذهب الزيدي يتميز عن غيره من المذاهب بفتح باب الاجتهاد، حيث كان يأتي الإمام تلو الإمام فينحو كل منهم مساراً غير مسار سابقه في الاجتهاد، حتى استقر المذهب على مذهب الإمام الهادي (ت: ٢٩٨هـ)، فمذهب الناس بمذهبه، ثم جاء بعده بفترة زمنية بعيدة نسبياً الإمام المهدي (ت: ٨٤٠هـ) فمذهب الناس أيضاً بمذهب الأخير، ثم لم يبق للإمام زيد بن علي من المذهب إلا الاسم اعتزازاً وافتخاراً وليس مذهباً أصلاً.

(الزيدية في اليمن) إنما هم فرع للزيدية الأصل التي كانت في العراق، وينتسبون إلى الإمام زيد نسبة انتماء لا مذهب.

ويرجع تأسيس هذا المذهب في اليمن إلى القرن الثالث الهجري؛ حين دخل الإمام الهادي إلى الحق - يحيى بن الحسين إلى اليمن بدعوة من قبيلة خولان^(١) مرتين، المرة الأولى سنة ٢٨٠هـ ولما لم يجد من ينصره رجع إلى الحجاز، ثم طلبوا منه الدخول مرة أخرى.

وبإلحاح منهم عاد سنة ٢٨٤هـ بعد ما أخذ منهم المبايعه والوعد له بالسمع والطاعة، وذلك حينما عمت الفوضى السياسية والقبلية في البلاد، واشتدت وطأة الباطنية على العباد، وناشدوه المساعدة وأن يأخذ على أيدي العابثين والمفسدين في الأرض، فاستغل الإمام الهادي هذه الحالة المزرية وأخذ يدعو الناس إلى إقامة حكم الإسلام وجمع المسلمين على كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، حتى أرسى قواعد المذهب والدولة الزيدية في منطقة (صعدة) وضواحيها، وواجه الإمام الهادي الخطوب، واشتد عليه أوار الحرب، وبدأ الزيديون من ذلك الحين يشاركونه مشاركة فعالة في تأريخ اليمن طوال العصور الوسطى الإسلامية، وكذا العصور الحديثة، وأصبح هؤلاء يكوّنون القوة الرئيسية التي واجهت العثمانيين في اليمن منذ دخولهم الأول لليمن (١٥٣٨ - ١٦٣٥م).

ومن ذلك الوقت توارثت أئمة الزيدية الدعوة إلى المذهب والإمامة، رغم ما واجههم من القلاقل والاضطرابات والحروب والصراعات والتنافس: بينهم وبين الدويلات التي كانت موجودة آنذاك، مثل بني نجاح^(٢)، وبني زريع^(٣)... الممثلون للدويلات السنية، وبين الباطنية من جهة أخرى، متمثلة أولاً بعلي بن الفضل

(١) قبيلة خولان: هنا هي خولان الشام في محافظة صعدة، وتعرف ب(خولان بني عامر) وهي غير قبيلة خولان الطيال التي تقطن المنطقة الجنوبية الشرقية على بعد ٥٠ كم من العاصمة صنعاء تقريباً.

(٢) (٤٠٣ - ٥٥٥هـ)، (١٠١٢ - ١١٦٠م) وهي امتداد لدولة بني زياد، حيث كان مؤسس دولة بني نجاح من موالى بني زياد. انظر: سيد مصطفى سالم: الفتح العثماني الأول لليمن، معهد البحوث.

(٣) (٤٧٠ - ٥٦٩هـ) (١٠٠٧ - ١١٧٣م)، والدراسات العربية، ط ٣ (١٩٧٨م)، ص ٤٥.

القرمطي الذي بسببه دخل الإمام الهادي إلى اليمن، ثم ما حدث بينهم وبين الصليحيين الذين أقاموا الدولة الصليحية (٤٣٩هـ/١٠٤٥م - ٥٣٢هـ/١١٣٨م).

ومن جهة ثالثة واجهت هذه الدولة (الزيدية) حروباً عديدة، أهمها مواجهتها مع دولة بني أيوب (٥٦٩هـ/١١٧٤ - ٦٢٦هـ/١٢٢٦م) وغيرها من الدول التي انتهت بعدها^(١)، واستمرت هذه الدولة مع ما كان يصاحبها من مد وجزر، حسب اتساع رقعتها في البلاد التي تسيطر عليها وانقباض هذه الرقعة، إلا أن (صعدة) كانت هي المقر الرئيسي لهذه الدولة، إلى أن قُضي عليها بقيام الجمهورية العربية اليمنية ١٣٨٢هـ ١٩٦٢م.

وإذاً قبل خروجنا من هذا البحث نخلص إلى النقاط التالية:

١ - أن الزيدية والمعتزلة وجهان لعملة واحدة من حيث الأصول مع الاختلاف البسيط فيما يخدم مذهب كل منهما على حدة، ونشأ هذا الاختلاف حينما تكونت للزيديين دولة في بلاد اليمن.

٢ - ظهرت المعتزلة في اليمن مع بواكر ظهور الزيدية فيها على مراحل ثلاث:

أ - أسسها الإمام القاسم بن إبراهيم (ت: ٢٤٦هـ)، حيث قيل: إن الزيدية تأسست في اليمن قبل ظهور الإمام الهادي بعشرات السنين^(٢).

ب - جددها الإمام الهادي يحيى بن الحسين (ت: ٢٩٨هـ).

ج - وأعاد إليها جذوتها وقوتها القاضي جعفر بن أحمد بن عبد السلام (ت: ٥٧٣هـ) الذي سافر إلى العراق بسبب ما حدث في اليمن الأعلى من خلاف بين الزيدية الأولين والهادوية المتأخرة وما حدث أيضاً في اليمن الأسفل من الاختلاف بين عقائد الحنابلة والأشاعرة، حتى عاد يحمل معه كثيراً من كتب المعتزلة، وأخذ في تدريس مذهب الاعتزال في اليمن، وبالذات في (سناع)^(٣).

(١) مثل دولة بني رسول (٦٢٦ - ٨٥٨هـ) (١٢٢٩ - ١٤٥٤م)، ودولة بني طاهر (٨٥٨ - ٩٢٣هـ) (١٤٥٤ - ١٥٢٦م) - ثم دولة العثمانيين باليمن (٩٣٤ - ١٠٤٥هـ) (١٥٣٦ - ١٦٣٥م)، ثم استعاد العثمانيون اليمن في (١٢٨٩هـ - ١٣١٨هـ).

(٢) انظر: الإمام المهدي والياً وفقياً ومجاهداً ص ١٣٩، ١٤٠، مرجع سابق.

(٣) سناع: قرية خارج صنعاء ومن منتزهاتها تقع إلى الجنوب الغربي منها على بعد ستة =

○ فرق الزيدية:

بعد أن ذكرت ظهور الزيدية في اليمن، وعلاقتها بالمعتزلة، بقي أن تعرف: ما هي فرق الزيدية؟

ذكرت كتب الفرق والمقالات أن هذه الفرقة قد تشعبت وتعددت، فأما أبو الحسن الأشعري^(١) فحصرها في ست فرق، واتفق الشهرستاني^(٢) والبغدادي^(٣) في عددهم ثلاث فرق، وأما الإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى^(٤) فحصرها في فرقتين اثنتين.

وبعد أن عرفنا أصل الزيدية، فما هي فرقهم، وما هي أصولها.

□ الفرقة الأولى:

وهي الجارودية، وهم أصحاب أبي الجارود^(٥)، وهم الذين زعموا أن النبي ﷺ نص على علي بن أبي طالب بالوصف لا بالتسمية، فكان هو الإمام من بعده، وافتقت هذه الفرقة إلى فرقتين^(٦).

□ الفرقة الثانية:

وهي السلمانية^(٧)، وهم الذين يزعمون أن الإمامة شورى، وأنها تصح

= كيلومتر منها، وهي الآن جزء من صنعاء.

انظر محمد بن أحمد الحجري: مجموع بلدان اليمن وقبائلها، دار الحكمة اليمانية، تحقيق القاضي إسماعيل الأكوخ (٤٣٣/٣): القاضي إسماعيل بن علي الأكوخ: هجر العلم ومعاقله، دار الفكر المعاصر، بيروت (٩٥٤/٢).

(١) مقالات الإسلاميين، واختلاف المصلين، ص ١٤٠، (مرجع سابق).

(٢) الملل والنحل ص ١٥٧، (مرجع سابق).

(٣) الفرق بين الفرق ص ٣٩، (مرجع سابق).

(٤) المنية والأمل في شرح الملل والنحل ص ٢٣، (مرجع سابق).

(٥) زياد بن أبي زياد، سماه أبو جعفر بن علي الباقر: سرحوب، بمعنى شيطان أعمى، يسكن البحر، توفي بعد سنة ١٥٠هـ.

(٦) انظر: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ص ١٤٠. وانظر: المنية والأمل في شرح الملل والنحل، ص ٢٣. وانظر: الفرق بين الفرق، ص ٤٠، ٤١. وانظر: الملل والنحل ص ١٥٧، ١٥٨، ١٥٩.

(٧) نسبة إلى سليمان بن جرير الزيدي، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، ص ١٤٣، =

بعقد رجلين من خيار المسلمين، وأنها قد تصلح في المفضول، وإن كان الفاضل أفضل في كل حال، ويثبتون إمامة الشيخين.

□ الفرقة الثالثة:

وهي البترية^(١)، وهم الذين يزعمون أن علياً أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ وأولاهم بالإمامة، وأن بيعة أبي بكر وعمر ليست بخطأ، لأن علياً ترك ذلك لهما، ويقفون في عثمان وفي قتله... إلخ.

□ الفرقة الرابعة:

وهي النعيمية^(٢)، وهم الذين يزعمون أن علياً كان مستحقاً للإمامة، وأنه أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ، وأن الأمة ليست بمخطئة خطأ آتماً في تولية أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ولكنها مخطئة خطأ بيناً في ترك الأفضل، وتبرؤوا من عثمان، ومن محاربة علي، وشهدوا عليه بالكفر.

□ الفرقة الخامسة:

ذكر الأشعري الفرقة الخامسة ولم يذكر اسمها، وقال عنها: هم الذين يتبرؤون من أبي بكر وعمر، ولا ينكرون رجعة الأموات قبل يوم القيامة: (يؤمنون بالرجعة).

□ الفرقة السادسة:

وهي اليعقوبية^(٣)، وهم الذين يتولون أبا بكر وعمر، ولا يتبرؤون ممن برئ منهما، وينكرون رجعة الأموات ويتبرؤون ممن دان بها.

= وانظر: الفرق بين الفرق ص ٤١، ٤٢، وانظر: الملل والنحل، ص ١٥٩.

(١) أصحاب الحسن بن صالح بن حي، وأصحاب كثير النواء، وسموا بهذا الاسم لأن (كثيراً) كان يلقب بالأبتر. مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، ص ١٤٤، وانظر: المنية والأمل في شرح الملل والنحل ص ٢٣، ٢٤، وانظر: الفرق بين الفرق، ص ٤٢ وما بعدها، وانظر: الملل والنحل ص ١٦١.

(٢) أصحاب نعيم بن اليمان، لعل هذه الفرقة هي التي سماها المسعودي (اليمانية)، وذكر أنها منسوبة إلى محمد بن اليمان، انظر: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، ص ١٤٥.

(٣) أصحاب يعقوب بن عدي، انظر: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، ص ١٤٥.

○ موقف القاضي محمد من المعتزلة والزيدية :

إنه موقف الحيطة والحذر، وقد بدا ذلك واضحاً لديه في حال الطلب، وأما أثناء جلوس الطلاب في حلقات العلم لديه فقد بدأ موقفه يتضح أكثر وأكثر، حينما كان يحذر طلابه من علم الكلام والخوض فيه، ونبذ كتب أصول عقيدة المعتزلة، وكان كثيراً ما يقول لطلابيه: (إن في كتب أهل السنة من الصحاح والسنن والمسانيد ما يكفي لتلقي العقيدة الصحيحة، وهي الطريقة المثلى لتحاكي مخالفة أهل السنة من السلف الصالح، وإن فيها... النافع، وأما غيرها، فوساوس ورجماً بالغيب، وليس وراء ذلك إلا الجدل والخصام والشر واتساع الهوة بين المسلمين).



الاتجاه السني

○ توطئة:

كان اتجاه جمهور أهل اليمن - قبيل دخول المذهب الزيدي والمذهب الإسماعيلي القرمطي -: إما مالكية أو حنفية، وهو الغالب كما أسلفت، وهو الاتجاه السني الذي كان يمثله عمال بني أمية والعباسيين، إلى أن ظهر المذهب الشافعي في القرن الرابع الهجري^(١) وتمركز بصفة أساسية في تهامة اليمن، وشايعة اليمنيين في المنطقة الجبلية والساحلية وفي جنوب اليمن - أي في المناطق التي لا ينتشر فيها المذهب الزيدي أو الإسماعيلي -، وكان أول من نشره في الجبال موسى بن عمران بن محمد الخداشي ثم السكسكي، أصله من المعافر^(٢) - وكانت الدولة الطاهرية (٨٥٨ - ٩٤٣هـ) آخر الدول السنية الجنوبية التي كانت تولت الحكم في اليمن، وجرت منها محاولات عدة لتوحيد اليمن إلا أنها لم تتمكن؛ لاصطدامها بالأئمة الزيديين في المنطقة الشمالية.

وظلت الدولة مُقسّمة بين الطاهريين والزيديين حتى آخر ملوك بني طاهر وهو السلطان عامر بن عبد الوهاب (٨٩٤ - ٩٢٣هـ)، والذي كان قوياً طموحاً؛

(١) انظر: السلوك في طبقات العلماء: تأليف أبي عبد الله بهاء الدين محمد بن يوسف بن يعقوب الجندي السكسكي الكندي (ت: ٧٣٢هـ)، ج ١، بتجزئة المحقق محمد بن علي بن الحسين الأكوخ الحوالي، مكتبة الإرشاد والتوزيع، صنعاء، ط ١ (١٤١٤هـ - ١٩٩٣م)، ص ٢١٦.

(٢) وانظر: د. محمد سعيد الحريري؛ الاتجاهات المذهبية في اليمن حتى نهاية القرن ٣ هـ، ص ٧٧، مرجع سابق. د. مصطفى سالم: الفتح العثماني الأول في اليمن، ط ٣، ص ٤٩، ٥٠. وانظر: د. عبد الغني الشرجبي: الإمام الشوكاني حياته وفكره، ص ٨٢، (مرجع سابق). وعمر بن علي بن سمرة الجعدي: طبقات فقهاء اليمن، بتحقيق فؤاد سيد، دار القلم، بيروت، لبنان، ص ٨٠.

فقد استطاع بعد ثلاثة عشر عاماً من حكمه أن يواجه القوة الزيدية في الشمال والتي كان يتوزّعها عدّة أئمة^(١)، إمام في صنعاء، وإمام في صعدة، وإمام في ذمار، كما كان بعض الأشراف يبسطون نفوذهم في مناطق (الشرق) و(الظاهر) (الجوف)^(٢).

واستطاع هذا السلطان أن يضم بعض المناطق الشمالية إلى مملكته بما فيها صنعاء حين دخلها (٩١٠هـ - ١٥٠٤م) . . . إلخ، والجدير بالذكر أن هذه الدولة كانت تتمذهب بالمذهب الشافعي، وبالرغم من كثرة الاضطرابات التي واجهت هذه الدولة إلا أنها أيضاً تميزت بالقيام ببعض الأعمال العمرانية والإصلاحات الأساسية: من بناء مدارس^(٣) (تخدم المذهب الشافعي) ومساجد وأوقاف عليها، وحفر الآبار، وشق القنوات، وتمهيد طرق القوافل وتأمينها، والاهتمام بالنواحي التجارية، والزراعية، وبناء السدود لتخزين المياه، وتوفير مياه الشرب.

وعمل السلطان عامر كذلك على تنشيط الحياة الثقافية: من اهتمام بأهل العلم وكتب العلماء الأقدمين، ووضعها في كل محل (جامع) ليسهل الرجوع إليها لمن شاء من أهل العلم والفقهاء، وهكذا فقد كانت مدينة زبيد طوال العصور الإسلامية^(٤) إحدى المدن الإسلامية، ومركزاً علمياً هاماً.

وظلت هذه الدولة قائمة حتى أتت جحافل المماليك، فاحتدم النزاع بينهم وبين السلطان عامر، حتى انتهى الأمر بقتل هذا السلطان وأخذ المماليك لصنعاء^(٥) في ٢٣ ربيع الأول سنة ٩٢٣هـ.

(١) صنعاء: كانت تحت حكم الإمام محمد بن الناصر، وفي ذمار: الإمام المطهر بن محمد بن سليمان. وفي صعدة: الإمام الهادي عز الدين بن الحسن بن المؤيد.

(٢) انظر: القاضي حسين بن أحمد: بلوغ المرام في شرح مسك الختام، دار الندوة الجديدة، لبنان، ص ٥٦، ٥٧. وانظر الفتح العثماني الأول، ص ٥٣.

(٣) سيد مصطفى سالم، الفتح العثماني الأول، ص ٥٩ (مرجع سابق).

(٤) انظر: ابن الديبع الفضل المزيد، ص ٣٨٢. الفتح العثماني، ص ٥٥، ٥٦. والقاضي إسماعيل بن علي الأكوغ: المدارس الإسلامية في اليمن، مؤسسة الرسالة، بيروت، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء، ص ٣٤٤، وبما بعدها.

(٥) انظر: الفضل المؤيد، ص ٣٧٠، ٣٧١، والفتح العثماني الأول، ص ٩٨ وما بعدها، والمدارس الإسلامية، ص ٣٤٤.

ولم يستتب الأمر للمالِك، بل انحسر نفوذهم إثر سقوط دولتهم ومقتل ملكهم قانصوه الغوري على يد السلطان العثماني سليم الأول (١٥١٢م - ١٥٢٠م).

ثم آلت الدولة في اليمن للأئمة الزيديين بزعامة الإمام شرف الدين (٩١٢هـ - ٩٥٣هـ) ثم ما لبثت أن عملت الفوضى واضطربت الأحوال واحتدمت الصراعات بين ثلاث قوى: (الزيدية، وبقايا من آل طاهر، والممالِك) وانحصر الطاهريُّون في عدن، وانحصر نفوذ الممالِك (ممثلي الدولة العثمانية) في تهامة^(١)، وأخذت الدولة الزيدية في التوسع.

وعند مجيء العثمانيين إلى اليمن سنة ١٥٣٨م كان نفوذ الزيديين قد امتد إلى معظم أنحاء اليمن، وكم حاول العثمانيون حكم اليمن ولكن دون جدوى؛ إذ وقفت لهم القوى الزيدية ومن معهم من اليمنيين بقيادة (آل شرف الدين) تحصرهم في كل مكان، وتقعدهم في كل مرصد، وشتت عليهم الغارات، فلم يقر لهم قرار ولم يستقروا أبداً حتى أجلوا عن اليمن سنة (١٠٤٥هـ/ ١٦٣٥م)^(٢)، على يد المؤيد بالله محمد بن القاسم، وهنا استقلت اليمن تماماً عن الدولة العثمانية تحت حكم الأئمة الزيديين، وتمتع هذا البلد بالاستقلال مدة ناهزت القرنين تماماً.

وفي هذه الفترة شهدت اليمن نهضة ثقافية وحركة علمية أضفت على المكتبة الإسلامية ثوباً قشياً ولوناً زاهياً؛ إذ شهد هذان القرنان علماء مجتهدين أحراراً من التقليد أمثال (الجلال - المقبل - الأمير - الشوكاني)^(٣).

ثم ما لبثت أن دخلت مرة أخرى تحت الحكم العثماني مع تقليص نفوذ الزيديين واضطراب الفتن في اليمن، الأمر الذي ساعد على دخول العثمانيين، بل

(١) انظر: د. سيد مصطفى سالم: الفتح العثماني الأول، ص ١١٤. د. حسين العمري: تاريخ اليمن الحديث، ص ١٧ (مرجع سابق)، الحداد في: تاريخ اليمن السياسي، ص ٢١١.

(٢) انظر: الجرافي: المقتطف من تاريخ اليمن، ص ٩٣. الشماحي: اليمن، الإنسان والحضارة، ص ١٦٣، وانظر: د. سيد مصطفى سالم: الفتح العثماني الأول، ص ٤٠٥.

(٣) انظر: الشماحي: اليمن - الإنسان والحضارة، ص ١٧٨، كذا في هامش كتاب المقتطف بخط القاضي العمراني تعليقاً.

وبحجة إصلاح الأوضاع وإخماد نار الفتن، وفي النهاية دخلوا صنعاء بدعوة من أهلها سنة ١٢٨٩هـ بعد أن قضوا على الإسماعيليين في حراز سنة ١٢٨٥هـ، وهكذا تتابع الولاة العثمانيون على اليمن إلى أن بويع محمد بن يحيى حميد الدين الذي تلقب بالمنصور الذي بدأ يحشد القبائل ويؤلبها لمحاربة العثمانيين، وفي حينها ثارت قبائل أخرى على الأتراك، وبعد أن توفي هذا الإمام قام بدلاً عنه بمبايعة من العلماء ابنه يحيى بن محمد حميد الدين وتلقب بالمتوكل على الله، واستمر على منوال والده في زعزعة وزلزلة عروش الترك في اليمن حتى اضطرت الحكومة التركية توقيع صلح معه عرف بصلح دعان سنة (١٣٢٩هـ - ١٩١١م).

ثم خرج الأتراك نهائياً بعد الحرب العالمية الأولى سنة ١٣٣٧هـ، واستلم الحكم بعد ذلك بيت حميد الدين، واستمر هذا البيت يحكم اليمن تحت سيادة المذهب الزيدي الرسمي إلى أن اجتثته ثورة اليمن (١٣٨٢هـ - ١٩٦٢م) وقامت الجمهورية العربية اليمنية، وجعلت حكومتها تحكم بعد ذلك باختيارات خاصة لوزارة العدل، وربما أخذت بمذهب يوافق اجتهادات الشافعي أو الحنفي أو الشوكاني أو غيره، غير متقيدة بالمذهب الزيدي الهادي، وإلى يومنا هذا.

هذه الحكومات المتعاقبة، خاصة على الجزء الشمالي من اليمن، جعلت أهل اليمن لم ينعموا بفترة استقرار سياسي إلا تلك الفترة المشار إليها سابقاً فتوالت عليها الحكومات بمذاهبها المتعددة فكانت مرة تحكم بحكومة سنية وأخرى بحكومة شيعية (زيدية)^(١).

في حين نلاحظ أن المذهب الشافعي في المناطق التهامية والجنوب ولواء (تعز وإب) لم يتغير بتغير الحكومات المتعاقبة، ومن هنا فإن السؤال الذي يمكن أن يطرح بإلحاح هو: ما الأسباب التي جعلت هذه المناطق لا تتأثر كغيرها من المناطق الأخرى بشتى المذاهب الأخرى خاصة الزيدية والإسماعيلية، إبان حكمها؟

○ الأسباب التي ساعدت على ترسيخ المذهب الشافعي:
وللإجابة على هذا التساؤل.

(١) هذا الكلام نجده منطبقاً على اليمن الأعلى الجزء الشمالي الشرقي من اليمن.

١ - نرجع إلى القرنين الأول والثاني الهجريين^(١)، فسنجد أن الأساس المتين الذي أسسه علماء سنيون كان قد أخذ دوره في العمل حينما كان أولئك العلماء يبثون وينشرون العلم بين أهالي اليمن وغيرها، حتى لقد كانت اليمن قبلة الأنظار وهدف الرحالة من العلماء، لقد كان لهؤلاء العلماء ولجهودهم أكبر الأثر خلال مرحلة تدوين الحديث في النصف الأول من القرن الثاني الهجري، حيث كان لهم الفضل بعد الله تعالى في ظهور طبقة جديدة من العلماء أصبحت مهوى القلوب وهدف طلاب العلم، حتى أنه قد رحل إليها من كبار الأئمة كالإمام أحمد بن حنبل والإمام محمد بن إدريس الشافعي^(٢) في القرن الثاني الهجري، ولا شك أن الحياة العلمية التي زخرت بها اليمن في ظل هؤلاء العلماء وتابعيهم جعلت من اليمن بيئة مزدهرة للمذاهب السنية في المراحل المقبلة^(٣).

وكذا فإن العلماء الذين وجدوا في القرن الثاني والثالث كان لهم دور بارز أيضاً؛ فقد شهد هذان القرنان انتشار فقه الأئمة الأربعة أبي حنيفة النعمان ومالك وابن حنبل وأخيراً فقه الإمام الشافعي، الذي أصبحت له أقدام راسخة، وفي تهامة اليمن خاصة، ومنذ نهاية القرن الثاني الهجري وحتى الآن أصبح يطلق على أهل تهامة: «الشوافع»؛ لتمسكهم بمذهب الإمام الشافعي^(٤)، وكانت المناطق الداخلية - المعروفة بمخالف صنعاء - موطناً لانتشار مذهب أبي حنيفة،

(١) د. محمد عيسى الحريري: الاتجاهات المذهبية في اليمن، ص ٨١.

(٢) انظر: عبد المنعم الهاشمي: سلسلة الأئمة الأربعة (الإمام الشافعي)، دار ابن كثير، دمشق - بيروت ط ١ (١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م)، ص ٦.

(٣) وهناك بيت من الشعر ينسب للشافعي:

لا بد من صنعاء وإن طال السفر لطبيها والشيخ في هجرة دبر

لكن يرد هذا شيخنا العمراني حفظه الله بقوله: إن صاحب دبر لم يكن قد ولد حينما قدم الإمام الشافعي إلى اليمن. هذا الكلام قاله لنا في أكثر من مناسبة في حلقة الدرس في المسجد (الزبيرى)، كذا قال القاضي إسماعيل الأكرع في كتابه: هجر العلم ومعاقله، الجزء الثاني، ص ٦١٧، وقال: إن الصحيح كما ذكر أبو القاسم عبيد الله بن أحمد بن فرداذبه في كتابه (المسالك والممالك).

(٤) د. محمد عيسى الحريري: الاتجاهات المذهبية في اليمن، ص ٨٢، (مرجع سابق).

ومذهب مالك، وممن أسهم في نشر هذه المذاهب الفقهية طبقة من العلماء الأفاضل، منهم: أبو قرة موسى بن طارق اللحجي أو الرعري (ت: ٢٠٣هـ)^(١)، وأبو سعيد المفضل الأكملي بن محمد (ت: ٣٠٨هـ، وقيل غير ذلك)^(٢)، والقاضي الحافظ محمد بن يحيى بن أبي عمر العدني المكي (ت: ٣٢٠هـ)^(٣)، ومحمد ابن كثير الصنعاني (ت: ٢١٦هـ)^(٤)، ومحمد بن عبد الله بن بكر الخزاعي الصنعاني (ت: ٢١٦هـ)، ومحمد بن عبد الأعلى الصنعاني (ت: سنة...)^(٥).

هؤلاء كلهم في المائة الثالثة، إلى جانب شيوخ آخرين ذكرهم ابن الفريسي في تأريخ علماء الأندلس وهم يمنيون، مثل: موسى بن محمد الكشي (قاضي زبيد)، ويحيى بن عبد الله بن كليب قاضي صنعاء (ت: ٣١٤هـ)^(٦) وأبو القاسم عبد الأعلى بن محمد البوسي، وغيرهم.

كلهم يروون من مختصرات ترجع إما إلى مذهب مالك أو إلى مذهب أبي حنيفة.

وهذا الحشد الهائل من العلماء - ممن ذكرت وممن ذكرتهم كتب التاريخ - كانوا قد كونوا رصيذاً هائلاً من علوم السنة وتراثاً ضخماً واجه به أهل اليمن الفتن المتلاحقة عليهم، مثل فتنة القرامطة (الإسماعيلية) وفتنة الزيدية (الشيعة) وفتنة الإباضية، قبل ذلك، الأمر الذين جعل الزيدية على مدى العصور تتأثر بأهل السنة، وجعل مذهبهم بعد ذلك يقترب من أهل السنة حتى الآن.

هذا وقد ذكرت كتب التاريخ أن أول من نشر هذا المذهب (أي المذهب

-
- (١) ابن سمرة الجعدي: طبقات فقهاء اليمن، ص ٦٩، (مرجع سابق).
 - (٢) ابن سمرة في الطبقات: السلوك في طبقات العلماء والملوك، وكلاهما لم يذكر وفاته.
 - (٣) في الطبقات لابن سمرة، بدون ذكر الوفاة، ص ٧٠.
 - (٤) طبقات فقهاء اليمن، ص ٧٢، السلوك في طبقات العلماء والملوك للجعدي، ص ١٦٢، (مرجع سابق).
 - (٥) روى عنه الترمذي أبو عيسى محمد بن عيسى (المتوفى سنة ٢٦٧هـ) حديث عائشة رضي الله عنها: وأن النبي ﷺ لم ينزل إلا بالأبطح. انظر: كتاب السلوك، ص ١٦٤، وطبقات ابن سمرة، ص ٧٣، لم تذكر كتب التاريخ والتراجم وفاته.
 - (٦) ابن سمرة في الطبقات، ص ٧٣، والسلوك، ص ١٦٤، مرجعان سابقان.

الشافعي) في اليمن - بالإضافة إلى ما ذكرت في مبتدأ البحث - : الشيخ الفقيه الحافظ موسى بن عمران المعافري^(١) (لم يذكر له تاريخ)، وعبد العزيز بن يحيى بن مسلم بن ميمون الكناني (ت: ٢٤٠هـ)^(٢)، وعبد الله بن علي من آل زرقان^(٣)، والحسين بن جعفر المراغي (ت: ٣٢٤هـ)^(٤)، ومحمد بن يحيى بن سراقه العامري (ت: ٤١٠هـ)^(٥).

ثم انتقل الفقه إلى طبقة أخرى، أبرزهم وأشهرهم الإمام القاسم بن محمد بن عبد الله الجمحي القرشي (ت: ٤٣٧هـ)^(٦)، وهو الذي انتشر عنه مذهب الشافعية في مخلاف الجند، ومخلاف صنعاء، وعدن، ومنه استفاد فقهاء هذا المذهب في هذه البلاد، وكانت مدرسته في (سَهْفَنَة)^(٧)، فأخذ عنه شافعية المعافر، ولحج، وأبين، وأهل الجند، والسحول، وأحاطة، وعنة، ووادي ظبا^(٨).

٢ - على الرغم من أن الدولة الزيدية قد استمرت أكثر من ألف عام، إلا أنها اتسمت بالاضطراب وعدم الاستقرار في منطقة نفوذها، وكانت غالباً في بلاد (صعدة) وما امتد منها إلى بلاد نجران، وإلى بعض مناطق القسم الأعلى من اليمن، وذلك بسبب عدم استقرار القبائل الموالية لحكمهم

(١) في ابن سمرة لم يرفع نسبه، وفي السلوك قال: موسى بن عمران بن محمد الخداعي السكسكي أصله من المعافر.

(٢) ابن سمرة: الطبقات، ص ٨١، وفي السلوم، ص ٢٦٣.

(٣) لم يذكر تاريخ وفاته في المصادر، غير أنه ارتحل إلى مكة سنة ثلاثة وخمسين، فسمع فيها عن الأسيوطي عن الطحاوي عن المزني عن الشافعي. انظر: الملوك، ص ٢٥٣.

(٤) ابن سمرة، ص ٨٣، والسلوك، ص ٢٦٥.

(٥) ابن سمرة الجعدي، ص ٨٤، وفي السلوك، ص ٢٥٧.

(٦) ابن سمرة في الطبقات، ص ٨٧، وفي السلوك، ص ٢٦٤.

(٧) سهفنة: قرية عامرة تدعى في عصرنا هذا (سفنة) بالتخفيف، وتقع جنوب ذي السفال، وشمال القاعدة على بعد نحو خمسة كيلومترات منها.

انظر: القاضي إسماعيل الأكوخ: هجر العلم ومعاقله في اليمن ٣/ ٦٧٧، ط دار الفكر المعاصر - بيروت، دار الفكر - دمشق ط ١ (١٤١٦هـ - ١٩٩٦م)، ابن سمرة: طبقات الفقهاء في الفهرس، ص ٣٠٦.

(٨) ابن سمرة الجعدي، طبقات الفقهاء الشافعية، ص ٨١ - ٨٧.

حولهم بصورة ثابتة ومستمرة، ثم وجود كثير من الأمراء والسلاطين والدويلات الأخرى التي قامت مواكبة للدولة الزيدية كآل يعفر من الحميريين، وآل الضحاك الحاشديين، وغير ذلك مثل آل زريع، وآل حاتم، والدولة الأيوبية، ودولة بني رسول، ودولة بني طاهر، والمماليك، وأخيراً الأتراك.

فكان حكم الأئمة الزيديين مع كل هؤلاء في مد وجزر، بحكم قوة وضعف حكم الأئمة وحكم الدول والإمارات المنافسة لهم.

٣ - الفوضى والاضطرابات والصراعات الدائمة التي أسهمت في إيجادها النظرية السياسية الزيدية بين أفرادها، حين أجازت تعدد الأئمة في وقت واحد وإقليم واحد^(١).

٤ - والسبب الثاني والثالث أسهما في كون المنطقة التي تحكمها الزيدية، يتوقف اتساع رقعة حكمها على قوة الأئمة، وضعف خصومهم، فتتسع هذه الرقعة حتى تكاد تشمل اليمن بكامله، ثم سرعان ما تنقلص حتى لا يبقى في يد الإمام سوى (صعدة) التي كانت ملاذهم الأخير^(٢).

٥ - المناطق التهامية والجنوبية كثيراً ما كانت ترحب بالحكام من غير الزيديين وتسهل لهم المقام.

٦ - تتابع الدول الثلاث (الأيوبية، والرسولية، والطاهرية)، وهي دول سنية حكمت بالمذهب الشافعي، ومكنت له على طول امتداد الرقعة التي حكمتها.

هذه الأسباب مجتمعة، وأخرى قد لا يفتن لها الباحث جعلت المناطق الشافعية تحتفظ بمذهبها طول هذه المدة.



(١) انظر: محمد الحداد: تاريخ اليمن السياسي ١٧/٢، ٢٠٣، ٢٠٤، (مرجع سابق).
(٢) انظر: د. أحمد قائد الصائدي: حركة المعارضة اليمنية، مركز الدراسات والبحوث اليمني - صنعاء، دار الآداب - بيروت ط١ (١٤٠٣ - ١٩٨٣م).

فرقة الأشاعرة

○ توطئة:

١ - تنتسب الأشعرية إلى أبي الحسن علي بن إسماعيل بن أبي بشر إسحاق، وينتهي نسبه إلى أبي موسى الأشعري، صاحب رسول الله ﷺ؛ ولد بالبصرة سنة ٢٦٠هـ وتوفي سنة ٣٢٤هـ، وقيل: سنة ٣٣٠هـ، والأشعري نسبة إلى أشعر، وهي قبيلة في اليمن، وهم ولد الأشعر أدد بن زيد بن يعرب بن زيد بن كهلان بن سياد، وإنما سمي الأشعري لأنه ولد وعلى ذراعيه شعر؛ فسمي الأشعر^(١).

٢ - أقام أبو الحسن الأشعري على الاعتزال أربعين سنة، حتى صار للمعتزلة إماماً، ذلك أن أمه تزوجت بعد وفاة أبيه إسماعيل بأبي علي الجبائي (ت: ٣٠٣هـ)، فتلقى عنه الأشعري مذهب الاعتزال حتى رسخ فيه، وبعد هذه المدة المديدة احتار في أمره واضطربت عنده الأفكار، فانعزل عن الناس مدة قدرها المؤرخون بخمسة عشر يوماً، ثم خرج إلى الجامع وصعد

(١) الملل والنحل للشهرستاني، ص ٩٤، الحجري: مجموع بلدان اليمن وقبائلها، ص ٧٨، ٧٩، ودراسة فلسفية لأراء الفرق الإسلامية في أصول الدين: الأشاعرة، ج ٢، دار النهضة العربية، ط ٥، (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م) ص ٤٤. محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب، ص ٦٦٠. طبقات الشافعية الكبرى لنتاج الدين أبي نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي (٧٢٧ - ٧٧١هـ)، تحقيق محمود محمد الطناجي وعبد الفتاح محمد الحلو، ط ١ (١٣٨٤ - ١٩٦٥م)، مكتبة ابن تيمية، ص (٣٤٧، ٣٤٨). تاريخ بغداد: للحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، دار الفكر (١١/٣٤٦، ٣٤٧). وفيات الأعيان وأبناء الزمان لأبي العباس شمس الدين أحمد بن حمد بن أبي بكر بن خلكان، تحقيق د. حسان عباس، دار الكتب العلمية، بيروت (٣/٢٨٤).

المنبر وقال: (يا معشر الناس، إنما تغيبت عنكم هذه المدة، لأنني نظرت فتكافأت عندي الأدلة، ولم يترجح عندي شيء على شيء، فاستهديت الله، فهداني إلى اعتقاد أودعته كتبي هذه، وانخلعت من جميع ما كنت أعتقده، كما انخلعت من ثوبي هذا، ورمى به)^(١).

وأخرج الخطيب^(٢) بسنده إلى أبي بكر الصيرفي^(٣) قال: كانت المعتزلة قد رفعوا رؤوسهم، حتى أظهر الله الأشعري فحجزهم في أقماع السمسم^(٤)، وذكر ابن العماد^(٥) في وفيات سنة (٣٢٤) فقال: (. . .) ومما بيض به وجوه أهل السنة النبوية، وسود به رايات أهل الاعتزال والجهمية، فأبان به وجه الحق الأبلج، ولصدور أهل الإيمان والعرفان أثليج، مناظرته مع شيخه الجبائي، التي بها قسم ظهر كل مبتدع مرائي^(٦) . . .

٣ - عقيدة الأشعري:

وذكر الحافظ ابن كثير وهو المحدث الثقة، الثبت، كما نقل عنه مرتضى الزبيدي: (ذكروا للشيخ أبي الحسن الأشعري ثلاثة أحوال: أولها: حالة الاعتزال التي رجع عنها لا محالة.

ثانيها: إثبات الصفات العقلية السبعة وهي: الحياة، والعلم، والقدرة، والإرادة، والسمع، والبصر، والكلام، وتأويل ما سواها من الخبرية: كالوجه، واليدين، والقدم، والساق . . . ونحو ذلك.

والحالة الثالثة: إثبات ذلك كله من غير تكيف ولا تشبيه، جرياً على منوال

(١) أحمد عصام الكاتب: عقيدة التوحيد في فتح الباري، شرح صحيح البخاري، ص ١٠١، ١٠٢.

(٢) الخطيب البغدادي: هو أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (ت: ٤٦٣هـ).

(٣) هو محمد بن عبد الله أبو بكر الصيرفي، الإمام الأصولي (ت: ٣٣٠هـ).

(٤) نفس المرجع، ص ١٠٢. ذكر قصة الأشعري مع شيخه الجبائي في مناظرته له عند قطعه. وكذا علي الحربي: ابن الوزير وآراؤه الاعتقادية، ص ٢٦٧ (مرجع سابق).

(٥) ابن العماد: هو أبو الفلاح عبد الحي بن العمار الحنبلي، صاحب كتاب شذرات الذهب في أخبار من ذهب (ت: ١٠٩٨هـ).

(٦) نفس المرجع، ص ١٠٢.

السلف، وهي طريقته في «الإبانة» التي صنّفها آخرًا^(١).

هذا هو قول الحافظ ابن كثير في رجوعه، وقلما تجد من فضّل تفصيله في هذا الرجوع الذي يوجد عند معظمهم أنه رجع إلى مذهب السلف، ومع ذلك تجد أصحابه المنتمين إلى مذهبه يؤولون آيات الصفات وأحاديثها، وهذا ليس مذهب السلف، فوجب أن تكون ثمة حال وسطى كان عليها أبو الحسن وهي التي ذكرها ابن كثير إن صح النقل عنه.

ولذلك نجد أن الأشاعرة - سواء المتقدمون منهم أو المتأخرون - يعتقدون أن المرحلة الوسطى هي التي مات عليها أبو الحسن الأشعري، وهي (بزعمهم) مذهب السلف، ولا يلوون على رجوعه إلى مذهب السلف الأصيل في كتاب «الإبانة»، بل ويشككون فيه، ولكنه والحمد لله قد ثبت عنه من غير وجه، ذكر ذلك أبو القاسم بن عساكر (ت: ٥٧١هـ) في كتابه «تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى أبي الحسن الأشعري»، والحافظ البيهقي (المتوفى سنة ٤٥٨هـ)، وشيخ الإسلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) في مواضع من كتبه، وتلميذاه الحافظ الذهبي (ت: ٧٤٨هـ) والإمام ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) وغيرهم كثير^(٢)...

ومن معتقدات الأشعرية التي يظنون أنهم على الحق بها وأنهم على نهج السلف، قولهم بتأويل كل ما عدا الصفات العقلية، مثل: الاستواء والعرض والنزول وغيرها...

وهي تنقسم عندهم إلى قسمين:

ذاتية: كالوجه، واليدين، والرجل، والقدم، والأصابع، وغير ذلك مما ورد في الخبر الصحيح.

وفعلية: كالنزول، والاستواء، والمجيء، والضحك، والغضب، والرضى، وغيرها من الصفات التي ورد بها الخبر الصحيح أيضاً.

(١) عصام الكاتب: عقيدة التوحيد في فتح الباري، ص ١٠٢ (مرجع سابق).

(٢) د. عبد الرحمن بن صالح بن صالح المحمود: موقف ابن تيمية من الأشاعرة، مكتبة الرشد - الرياض، ط (١٤١٥هـ) (٣٧٨/١). وابن الوزير وآراؤه الاعتقادية، (مرجع سابق)، ص ٤٧٢.

وإن كتبهم التي تمتلئ بهذه التأويلات خير شاهد على صحة ما يقال عنهم^(١)، وهم يوافقون أهل السنة في أمور، ويخالفونهم في أمور كثيرة، ولأهل السنة ردود كثيرة عليهم، مثل ردود العلامة ابن تيمية وتلميذه الذهبي وابن القيم.

ومن الأمور التي يوافق فيها الأشعرية أهل السنة: في الصفات السبع آنفة الذكر، وكذا في ترتيب الأفضلية للخلفاء الأربعة، وكذا في الإمامة.

وأما ما يخالفون فيه أهل السنة والجماعة: في الصفات الخبرية حيث إنهم يؤمنون بها على جهة المجاز لا على جهة الحقيقة، وفي الأسماء والأحكام، وفي خلق أفعال العباد، وفي قولهم: القرآن عبارة عن كلام الله النفسي، وليس كلام الله على الحقيقة... إلخ، وهذا على سبيل الإجمال.

وحتى تكتمل الصورة، ويتضح الأمر، فلنطرح هذه التساؤلات.

ما سبب انتشار معتقدات هذه الفرقة في أصقاع العالم الإسلامي، مع الاعتقاد بأنها معتقدات أهل السنة والجماعة؟ وهل هذا الكلام صحيح؟ وكيف ظهرت هذه الفرقة في اليمن؟ ومتى ظهرت؟ وأين تتواجد؟

لقد أصبح من المعلوم ومن المسلّم لدينا أن أبا الحسن الأشعري (ت: ٣٢٤هـ) تتلمذ على أبي علي الجبائي (ت: ٣٠٣هـ) إمام المعتزلة في زمانه، وقضى مدة زمنية طويلة وهو على معتقد المعتزلة، حتى أصبح من كبار أئمتهم، وإذا به فجأة يتحول عن مذهب الاعتزال إلى مذهب وسط بين أهل السنة والجماعة وبين المعتزلة (المرحلة الثانية) متأثراً بعبد الله بن كلاب (ت: ٢٤٠ أو ٢٤١هـ) فقال بإثبات الصفات السبع، وتناول ما عداها... وكان لهذه النقلة أثراً عكسياً على فرقة المعتزلة التي كانت في أوج نهضتها، فذك بهذه النقلة حصونهم، وهتك بها أستارهم وكشف بها أسرارهم، وذلك حينما نبذ معتقداتهم، ودحض آراءهم بالحجج الساطعة، وعلى منوالهم جرى في مناظرتهم حتى قمعهم وأسكتهم.

(١) انظر: الإرشاد: للجويني (٤٧٨هـ)، وشرح الأسماء الحسنى: للرازي، والمواقف: لعبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار الإيجي (٧٠٨ - ٧٥٦هـ)، (١٣٠٨ - ١٣٥٥م). انظر: معجم المؤلفين، وجوهرة التوحيد للقي، وغيرها من كتبهم المعتمدة في الأصول.

ففي ظل هذه الأوضاع، فوجيء الناس بهذا المنعطف الأخير الذي اتخذه أبو الحسن الأشعري، وقد كان أبرز رجال المعتزلة، حينما رجع عن جميع أقوالهم، وكشف ضلالتهم ورد عليها بأسلوب يوازي أسلوبهم، مبيناً ذلك في مؤلفاته الكثيرة التي بلغت كما يقول المؤرخون أكثر من ثلاثمائة كتاب، عدا الرسائل التي كان يبعثها إلى الأمصار كردود على تساؤلاتهم والتي كان لها الأثر الكبير في نشر معتقدات الأشاعرة.

ومما تجدر الإشارة إليه: أنه عندما أخرج مؤلفاته الكثيرة - والتي كانت أكثرها ردوداً على المعتزلة، وتبياناً لمنهجه الجديد -، أصبح لدى الكثير - من المتفقيين ومن طلاب العلم - الرغبة الملحة في قراءتها، وسبر أغوارها، حتى اعتقدها كثير منهم، وهؤلاء المتفقيه كانوا من أصقاع شتى، فكان لهم دور بارز أيضاً في نشر معتقدات أبي الحسن الأشعري في بلدانهم، وهذا يعطينا تفسيراً آخر عن انتشار هذه الفرقة في تلك الأصقاع، ولأن كثيراً من أقوالهم كانت فيها كثير من الحق مع ما فيه من الآثار النبوية^(١)، فقد أخذ بها جمع من الفقهاء، الأمر الذي جعل العام والخاص إلا قلة قليلة منهم يعتقد أن هذا المذهب هو مذهب أهل السنة والجماعة.

ومما كان له الأثر في نشر هذا المذهب أيضاً ظهوره في (بغداد)^(٢) حاضرة الخلافة العباسية، التي تتجه إليها أنظار الناس، لما فيها من فقهاء ومحدثين ومقرئين... إلى غيرها من الأسباب.

ويبقى تساؤل مهم: كيف دخل هذا المذهب إلى اليمن؟

وأرى أنه من الأفضل تأجيل جواب هذا التساؤل، حتى يتسنى لنا معرفة بعض معتقدات هذه الفرقة، والتي جعلت الكثير من السلف، ينهى عن هذه المعتقدات وينأى عنها، وهم الذين استمسكوا بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وجعلوها العاصم لهم، والمرجع في كل اختلاف يطراً، عملاً بقوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ

(١) انظر: فتاوى ابن تيمية (١٢/٣٣).

(٢) انظر: علم الكلام، الأشاعرة، ص ٢٨، ٦٨. عن: موقف ابن تيمية، ص ٤٩٩.

وَالرُّسُولِ إِنَّ كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ [النساء: ٥٩].
وقوله ﷺ: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ...﴾ [الشورى: ١٠].

○ معتقدات الأشاعرة:

من المعلوم أن أي مذهب من المذاهب ينسب لأول قائل به، ولكن الذي يلاحظه الباحث هنا، أن عقيدة الأشاعرة المتمثلة في عقيدة أبي الحسن الأشعري قد مرت بأطوار ثلاثة على يد مؤسس الفرقة، وبتطوير فكري على أيدي المتسبين إلى أبي الحسن الأشعري - فيما بعد -، كأبي بكر الباقلاني (ت: ٤٠٣هـ)، وأبي حامد الغزالي (ت: ٥٠٥هـ) وغيرهما...

ولهذا قد يعترى البحث شيء من التقصير؛ لعدم الإمام بدقائق المذهب، إلا أنه من الممكن التحدث عن عقيدة الأشاعرة مجملًا، وعمًا اعتقده متأخرو الأشاعرة على وجه الإجمال أيضاً، وماخذ أهل السنة عليهم بشيء من الإيجاز؛ إذ الإطناب في هذا الجانب قد يجعل البحث ينحى منحى آخر، وقد تقدم أن الأصل معرفة موقف القاضي محمد من هذه الفرقة التي كان ولا يزال لها تواجد في أرض اليمن.

○ الأصول العقائدية عند الأشاعرة:

أولاً: أول واجب على المكلف:

خالفت الأشاعرة أهل السنة والجماعة، في أول واجب على المكلف، حين قالوا: إنه النظر أو القصد إلى النظر أو معرفة الله أو الشك.

ورد عليهم وعلى من قال بقولهم: كبعض المتسبين للحنابلة^(١)، فرد الإمام ابن تيمية بقوله: (الصحيح أن أول واجب هو الشهاداتتان المتضمنتان لتوحيد الله وإفراده بالعبودية)، وساق الأدلة الواضحة من الكتاب والسنة على بطلان قولهم، ومن أقوال بعضهم حين خطبوا فريقاً منهم، ووضح كل ذلك في كتابه: «درء التعارض»^(٢).

(١) مثل أبي الفرج المقدسي الحنبلي، واسمه عبد الواحد بن محمد علي الشيرازي (ت: ٤٨٦هـ) في كتابه (التبصرة في أصول الدين).

(٢) درء تعارض العقل والنقل، أو موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول، لشيخ الإسلام تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية. تحقيق د. محمد رشاد سالم، (٨/٥ - ١٢).

ثانياً: الفرق بين التوحيد عند الأشاعرة والتوحيد الذي دعت إليه الرسل:
ركز الأشاعرة في التوحيد على توحيد الربوبية دون توحيد الألوهية الذي
معناه عبادة الله وحده لا شريك له^(١)...

فالتوحيد عند الأشاعرة يشمل ثلاثة أمور:

أن الله واحد في أفعاله لا قسيم له، واحد في صفاته لا شبيه له، واحد في
أفعاله لا شريك له^(٢).

ناقش هذه الأقوال بشيء من التفصيل الإمام الهمام ابن تيمية في كتبه،
وردها من أوجه ثلاثة بين خلالها ما في كلامهم من حق وما فيه من باطل،
وقال في الأخير: وأما قولهم (واحد في أفعاله لا شريك له)، فهو أجود ما
اعتصموا به من الإسلام في أصولهم^(٣)، وهو توحيد الربوبية، وهم ظنوا أنه
التوحيد الذي دعت إليه الرسل.

ثالثاً: في باب الأسماء والصفات:

خلاصة قولهم في هذا الباب - الذي اضطربت فيها أقوالهم - هو إثبات
الأسماء، وبعض الصفات، ويتأولون بعضها على اختلاف فيما بينهم أو التفويض
لهذا البعض، فأجمعوا على إثبات الصفات السبع العقلية، واختلفوا في صفة
البقاء^(٤)، وأجمعوا على نفي الصفات الاختيارية عن الله، وهي التي يعبرون عنها
بمحلول الحوادث، وذلك من صفات الكلام والرّضى والغضب وغيرها^(٥).

أما الصفات الخبرية مثل الوجه، واليدين، والعين، واليمين، والقبضة،
والساق، والقدم، والأصابع وغيرها... فقد اختلفوا فيها، فمن مثبت لها في
الجملة مثل أبي الحسن الأشعري، والباقلاني، وابن فورك، والبيهقي، مع أن
إثباتهم لها من باب التفويض^(٦)، ومن متأول لهذه الصفات كالبغدادي،
والجويني، ومن جاء بعدهم وهم يرجحون التأويل.

(١) مواقف ابن تيمية، ص ٩٧٣.

(٢) التدمرية: تحقيق الإثبات للأسماء والصفات، وحقيقة الجمع بين القدر والشرع، لابن
تيمية، تحقيق محمد بن عودة السعودي، ط ١ (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م)، ص ١٨٠ - ١٨٤.

(٣) مواقف ابن تيمية، ص ٩٤٩. (٤) نفس المرجع، ص ١٠٣٤.

(٥) نفس المصدر، ص ١٠٣٤. (٦) نفس المرجع، ص ١٠٣٥.

وأما في الأسماء: منهم يثبتونها وهي من مسلماتهم^(١) في الجملة، ويقولون: إنها توقيفية، إلا أن بعض الأشاعرة أطلقوا بعض الأسماء لله تعالى، وإن لم يرد نص ولا إجماع، مثل القديم والذات وغيرها^(٢).

ومما أخطؤوا فيه: أنهم إذا وجدوا اسماً يدل على صفة من صفات الله تعالى - هم يؤولونها^(٣) - نقدوا دلالة الاسم على هذا المعنى، وإن كان موافقاً لمذهب السلف، مثل: العلي - النور - الصمد.

وعوداً على بدء، فإن الأشاعرة خالفوا نهج أهل السنة ووافقهم في باب الصفات السبع، فهم متفقون مع أهل السنة على أن هذه الصفات السبع، يدل عليها العقل كما دل عليها السمع، ويختلفون في طريقة إثباتها، فلولا أن العقل دلهم عليها لم يثبتونها، فهم في هذه الناحية يخالفون أهل السنة، إذ منهج أهل السنة يقوم على الإقرار بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، بغض النظر، وافق العقل أو لم يوافق.

وفي هذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (إن وجوب تصديق كل مسلم بما أخبر الله به ورسوله من صفاته، ليس موقوفاً على أن يقوم دليل عقلي على تلك الصفة بعينها، فإنه مما يعلم بالاضطرار من دين الإسلام أن الرسول ﷺ إذا أخبرنا بشيء من صفات الله تعالى، وجب علينا التصديق به، وإن لم نعلم ثبوته بعقولنا).

ومن لم يقر بما جاء به الرسول ﷺ حتى يعلم بعقله، فقد أشبه الذين قال الله عنهم: ﴿وَلِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مَآ أُوْتِيَ رَسُولُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

وخالفوا أهل السنة في كثير مما دق من المسائل الفرعية في الصفات، وكذا كلام الله تعالى، فقد قال الأشعري، وابن كلاب في كلام الله تعالى: (إن كلام الله معنى واحد قديم بذات الله أزلاً وأبداً، هو الأمر بكل ما أمر الله به، والنهي عن كل ما نهى الله عنه، والخبر عن كل ما أخبر الله عنه، إن عبر الله عنه بالعربية

(٢) نفس المرجع، ص ١٠٤١.

(١) نفس المرجع، ص ١٠٣٩.

(٣) نفس المرجع، ص ١٠٤٥.

كان قرآناً، وإن عبر عنه بالعبرية كان توراة، وإن عبر عنه بالسريانية كان إنجيلاً؛ والأمر والنهي والخبر عندهم: (ليست أنواعاً ينقسم الكلام إليها، وإنما هي صفات إضافية كما يوصف الشخص الواحد بأنه ابنٌ لزيد، وعم لعمرو، وخال لبكر).

ويقول هؤلاء: (لا يتكلم الله بمشيئته وقدرته، وكلامه بغير حرف وصوت، وعلى هذا القول سار كثير من أتباعهما).

أما أهل السنة فيقولون: (إن القرآن كلام الله، حروفه ومعانيه، ليس شيء من ذلك كلام لغيره، ولكن أنزله على رسوله، وليس القرآن اسماً لمجرد المعنى، ولا لمجرد الحروف، بل لمجموعهما، وإن الله يتكلم بصوت كما جاءت به الأحاديث الصحاح، وليس ذلك كأصوات العباد، لا صوت القارئ ولا غيره، وإن الله ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته، ولا في أفعاله، فكما لا يشبه علمه وقدرته وحياته، فكذلك لا يشبه كلامه كلام المخلوق، ولا معانيه، ولا حروفه... إلخ).

أما عن ظهور العقيدة الأشعرية في اليمن:

لقد استطاع المذهب الأشعري أن تكون له الغلبة دون سائر المذاهب فضلاً عن تلك التي تشاركه في القصد والاتجاه لعوامل ذكرتها فيما مضى. ومما ساعد في انتشاره:

- ١ - ما قدر له من العلماء والمفكرين الأفاضل ما لم يقدر لأية فرقة كلامية أخرى، وعلى رأس هؤلاء جميعاً الإمام أبو حامد الغزالي (ت: ٥٠٥هـ).
- ٢ - ما توفر له من رعاية وحماية من الدولة مند نشأته، فهذا (نظام الملك) وزير الحاكم السلجوقي ألب أرسلان منذ منتصف القرن الخامس الهجري يؤسس معاهد للعلم وأشهرها المدرسة النظامية ببغداد كلها، تدرس وتخرج علماء المذهب الأشعري تدعيماً لهذا المذهب، ولم تكن الفرصة مهيئة للمذهب الأشعري أن ينشر في المساجد ومجالس الوعظ فحسب، وإنما في المدارس والمعاهد العلمية الرسمية^(١).

(١) د. أحمد محمود صبحي: علم الكلام، الأشاعرة، دار النهضة العربية، ص ٣٨، ٣٩، ٤٠.

ومع دخول الدولة الأيوبية إلى اليمن (٥٦٩هـ) أخذ ملكها المعز بن إسماعيل بن طغتكين بن أيوب ببناء مدرستين أحدهما في تعز (٥٩٣هـ) والأخرى في زبيد (٥٩٤هـ)، ثم على أثرها تعاقب إنشاء المدارس في اليمن فأخذت تكثر شيئاً فشيئاً، وتتابع إنشاء هذه المدارس في عهد الدولة الرسولية التي جاءت على أثر الدولة الأيوبية، واقتفت أثرهما الدولة الطاهرية في بناء المدارس، وكلها كانت تدرس المذهب الشافعي^(١) والعقيدة الأشعرية على أنها عقيدة أهل السنة والجماعة. ونحن نأرجو أن يعرف هذا المذهب أهل اليمن في هذه الرسالة أيضاً.

كتاب العقيدة الذهبية ص ١٠٠
 كتاب الدلائل لابن باز ❀ ❀ ❀ وغيرهم ولين، إلخ كتاب
 تاريخ الإسلام ١٣١٠هـ وروى على أصله في المصنف.

(١) انظر: القاضي إسماعيل الأكوخ: المدارس الإسلامية في اليمن، مؤسسة الرسالة، ط ٢ (١٤٠٦هـ)، ص ٥ - ١٠. المقدمة.

الباطنية

○ توطئة :

إن من أعظم الفرق الهدامة خطراً، وأشدّها على الإسلام ضرراً: فرقة الباطنية، فهم أعظم ضرراً من اليهود والنصارى والمجوس، بل ومن سائر أصناف الكفرة والملحدين على المسلمين^(١)، وإذا حانت من التأمل نظرة على تاريخهم المظلم علم يقيناً مدى هذا الضرر، ففتنتهم كثيرة تثور تارة وتهدأ أخرى، وهي لا تنطلي عادة إلا على عوام المسلمين؛ ذلك أنهم يلبسون على العامة تلبسات شيطانية^(٢)، خاصة مع تغافل حكام المسلمين عنهم وإغفالهم جانب التربية الروحية، فلا يدرك الخاصة هذا الشر بعد ذلك إلا وقد استفحل وتجدّر واستطار وانتشر.

مع أن الواجب على المسلمين - وأخص منهم بالذكر العلماء والحكام - الانتباه والتنبيه لذلك الشر، والسهر الدائم والحفاظ على كيان المسلمين من التمزق والتشرذم^(٣)، ولكن هل ينفع النداء وهل يسمع النذير^(٤)!! هيهات

(١) انظر: الفرق بين الفرق، للبغدادي، ص ٢٥٠. وانظر: البداية والنهاية، لابن كثير، مكتبة المعارف - بيروت، ص ١٦٢.

(٢) انظر: أبو عبد الله محمد بن عبد الملك بن أبي القبائل الحمادي المعافري: كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة، تحقيق وتعليق محمد بن علي الأكوخ، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ط ١ (١٤١٠هـ - ١٩٩٠م)، ص ٦٣ وما بعدها.

(٣) انظر: ابن الوزير وآراؤه الاعتقادية وجهوده في الدفاع عن السنة النبوية: رسالة دكتوراه للمؤلف المدرس علي بن علي جابر الحربي، ١/٣٠٣، ٣٠٤ بتصرف، (مرجع سابق).

(٤) الآن تجري في بلادنا محاولات جادة للسير نحو استرجاع كثير من أماكن هؤلاء الباطنية، بل والتمكين لهم من قبل أيدي حكومية لمزاولة شعائرهم الشيطانية، بحجة أنهم فرقة من فرق المسلمين، وربما ذلك بمغفل من قيادة الدولة، ولو علمت الدولة مدى خطرهم وخطورة أهدافهم وبالذات السياسية ما أظنها تغافلت عنهم طرفة عين، والله المستعان.

هيهات، خاصة في هذا الأوان، أو ان الماديات والانهماك في كسب الثروات والغفلة عن الأحكام الشرعية، والله أسأل أن لا يجعل هذه الكلمات حبراً على ورق، وأن يلهم المسلمين الرشاد في كل أمورهم، فكم كتب الكاتبون، وتحدث العلماء، وخطب الواعظون، فلا سامع ولا مجيب، ولو علم المعنيون بالأمر ضراوة الفتنة التي تشعلها هذه الفئة لما والله بقوا في غفلتهم ساهين، ولما استمروا في ممالكهم يمرحون.

إن هذه الفرقة الضالة، فرقة ملحدة جحدت شرائع الله، وعطلت نصوصه بالتأويلات المزخرفة، وبزخرف من القول يصدقه ضعيف العقل قاصر الهمة دنيء النفس، بل ولقد جحدت رُسُلَ الله وحرّفت وبدلت، واعتبرت أن للقرآن معنيين، معنى ظاهر يعرفه العام والخاص، ومعنى لا يعرفه إلا الخواص منهم، وهم الدعاة في مذهبهم؛ إذ الداعي عندهم معصوم من الزلل ولا يمكن لأي من العامة مساءلته بل هو الذي لا يسأل عما يفعل، بقصد تعطيل شرع الله.

ولقد وصل بهم الأمر إلى أن جحدوا وجود الله تعالى فقالوا: لا يقال موجود، ولا معدوم، ولا يقال شيء، ولا شيء؛ إشارة إلى النفي خوفاً من التصريح، وقالوا أيضاً متجسرين على الذات الإلهية: لا نقول عالم ولا جاهل ولا قادر ولا عاجز^(١)؛ ولهم عقائد من ذلك خبيثة منها أنهم يقولون بوجود إلهين اثنين أحدهما علة لوجود الثاني، وأن الأول خلق العالم بواسطة الثاني لا بنفسه، الأول تام والثاني ناقص، والأول هو الذي لا يوصف بوجود ولا عدم ولا موصوف ولا غير موصوف^(٢)... إلخ.

ولهم في الدعوة إلى منهجهم وفرقتهم أسلوب وضيع، إذ يعتمدون على التنظيم السري العسكري متظاهرين بالتشيع لأهل البيت والانتساب إلى محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق وكذبوا والله، وإنهم عن هذا الشرف والنسب الطاهر

(١) انظر: الملل والنحل للشهرستاني، ص ١٩١.

(٢) انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، (الندوة العالمية للشباب الإسلامي) الرياض، ص ٣٩٥، وانظر: مقدمة البحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الأئمة: للإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى، سنة ٨٤٠هـ، دار الحكمة البيمانية، صنعاء، ط ١ (١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م)، ص ٤١.

- ولو كانوا منتسبين إليه - لبعيدون، ودونهم والانتماء إلى السلالة الطيبة بحار ومفاوز!!

واسمع إلى أحد المؤرخين لهذه الفئة الخبيثة، وهو ممن أوغل في فكرهم لا رغبة فيه بل ليتيقن صدق ما قيل فيهم من كذبه وليطلع على أسرارهم وليقف على حقيقتهم يرد زعمهم هذا^(١): (. . . فانتسبوا إلى ولد الحسين بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وانتحالهم إليه انتحال كاذب وليس لهم في ذلك برهان، وأهل الشرف ينكرون ذلك، فإنهم لم يجدوا لهم في الشرف أصلاً مذكوراً، ولا عرفوا لهم في كتب الشجرة (شجرة النسب) نسباً مشهوراً، بل الكل يقصيه عن الشرف وينفيهم عن النسب إلا من دخل معهم في كفرهم وضلالتهم فإنه يشهد لهم الزور، ويساعدهم في جميع الأمور، وقد زعموا أنهم من ولد محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق، وحاشا لله ما كان لمحمد بن إسماعيل من ولد ولا عرف ذلك من الناس (من) أحد، بل هم ﴿كشَجَرَةٍ خَيْبَةٍ اجْتَنَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾^(٢).

وإنهم ليظهرون للناس بمظهر النساك العباد وأنهم من ذوي الزهادة والتقشف، يريدون بذلك استمالة العوام وتكثير النساك العباد وأنهم من ذوي الزهادة والتقشف يريدون بذلك استمالة العوام وتكثير الأنصار، بل إنهم ليدون للناس على أنهم قاموا لله محتسبين ناهين عن المنكر وبالمعروف أمرين حتى إذا أحبهم الناس ومالوا إليهم، فما إن يتمكنوا حتى يظهر الكفر الصريح ويغيروا على الآمنين بحجة أنهم مخالفون فيسلبون منهم ما يقدرون ويجهزون على كل جريح.

وهنا تظهر حقيقة مذهبهم الكفري من الإلحاد والشيوعية والإباحية وهدم الأخلاق والقضاء على الدولة الإسلامية^(٣)، كما فعل أبو سعيد الجنابي في

(١) أبو عبد الله بن محمد بن مالك الحمادي، كشف أسرار الباطنية، (مرجع سابق)، ص ٧٤. وانظر: محمود شاكر: القرامطة، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ١ (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م)، ص ٧١.

(٢) سورة إبراهيم: الآية ٢٩.

(٣) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، (الندوة العالمية للشباب)، الرياض، ص ٣٩٥.

البحرين (٢٨٦هـ - ٨٩٩هـ)، وعلي بن الفضل الخنفرى الحميرى فى اليمن (٢٩٣هـ - ٩٠٥م)، عندما دخل صنعاء.

وكم من الفضائح والجرائم ارتكبتها هذه الفرقة الضالة، وأي جريمة أفضح وأشنع من قتل حجاج بيت الله المعظم فى بيته العظيم، أي جريمة أشد وأكبر من قتل ثلاثة عشر ألفاً من الحجاج الآمنين ونزع كسوة الكعبة واقتلاع الحجر الأسود؟ فيبقى أكثر من عقدين من الزمن^(١) محتجزاً، ويمنع الناس عن الحج سنتين خوفاً وذعراً، والله ﷻ يقول: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْيَتِيمَ الْحَرَامَ قِيَمًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾ [المائدة: ٩٧]، ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا آلِيَّتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأُمَّتًا...﴾ [البقرة: ١٢٥] ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ [آل عمران: ٩٧].

○ عقيدة الباطنية:

وإذا أراد الباحث أن يلخص مذهبهم فقد أوجز فى ذلك الإمام الحجة أبو حامد الغزالي بقوله: (فمذهبهم على الجملة ظاهره الرفض وباطنه الكفر المحض، ومفتتحه حصر مدارك العلوم فى قول الإمام المعصوم وعزل العقول عن أن تكون مدركة للحق لما يعترىها من الشبهات ويتطرق إلى النظائر من الخلافات، وإيجاب لطلب الحق بطريق التعليم والتعلم وحكم بأن المعصوم هو المستبصر، وأنه مطلع من جهة الله على جميع أسرار الشرائع، يهدي إلى الحق ويكشف عن المبطلات، وأن كل زمان لا بد فيه من إمام معصوم يرجع إليه فيما يستبهم من أمور الدين.

(١) الذى غزا الكعبة (أبو طاهر سليمان بن الحسن الجنابى)، سنة ٣١٧هـ، واقتلع الحجر الأسود، وانتزع كسوة الكعبة المشرفة، وأخذ يقتل الحجاج داخل البيت الحرام، حتى إن فريقاً منهم كان يفر إلى الكعبة ويتعلق بأستارها، ولكن لا أمان عند هذا المجرم السفاك؛ إذ حصد ١٣ ألف حاج، وردم زمزم بالحجاج، وأخذ يرقص بسيفه على باب الكعبة وبعض جنوده قائلاً:

أنا بالله وبالله أنا	يخلق الخلق وأفنيهم أنا
وعندما رجع أخذ يردد آياتاً:	
لو كان هذا البيت لله ربنا	لصب علينا النار من فوقنا صبا
لأننا حججنا حجة جاهلية	مجللة لم تبق شرقاً ولا غرباً
وأنا تركنا بين زمزم والصفى	جنائز لا تبقي سوى ربها ربا
... إلخ الآيات، عليه من الله ما يستحق.	

ثم إنهم في آخر الأمر يظهرون ما يناقض الشرع وكأنه يخاطبون كل فريق بما يوافق رأيهم بعد أن يظفروا منهم بالانقياد لهم والموالاتة لإمامهم فيوافقون اليهود والنصارى والمجوس على جملة معتقداتهم ويقرونها عليها، فهذا جملة مذهبهم^(١) انتهى من كلام أبي حامد الغزالي.

ولقد تكلم عنهم وفضحهم غير الغزالي: كعبد الرحمن بن الجوزي (ت: ٥٩٧هـ) في كتابه «القرامطة»، وأبو عبد الله محمد بن مالك الحمادي (ت: وسط القرن الخامس الهجري) في كتابه «أسرار الباطنية وأخبار القرامطة»، وكذا الإمام يحيى بن حمزة العلوي (٦٦٩ - ٧٤٥هـ) في كتاب «مشكاة الأنوار، المأذمة لقواعد الباطنية الأشرار»، وغيرها من الكتب .

هذا، ولهذه الفرقة أسماء وألقاب كثيرة: ففي العراق يطلق عليهم القوم (الباطنية - القرامطة - المزدكية)، وفي اليمن: (المكارمة) أو اليامة كما في نجران نسبة إلى قبيلة يام، وفي الهند: (البهرة).

وهم يطلقون على أنفسهم: الإسماعيلية، يميزون أنفسهم بهذا الاسم عن فرق الشيعة .

وذكر الغزالي لهم عدة ألقاب غير هذه^(٢): القرمطية - الخرمية - الخرمدينة - البابكية - المحمرية، وقد أجمع أهل العلم على كفرهم وخروجهم عن ملة الإسلام وأنه ما كان غرضهم من الدخول فيه إلا إبطال شرائعه وإظهار المجوسية، فهم كفار مرتدون بقول جميع علماء المسلمين، بل هم أكفر من اليهود والنصارى والمجوس .

(١) انظر: الحمادي: كشف أسرار الباطنية، ص ٢٧٩. والحركات الباطنية في العالم الإسلامي عقائدها وحكم الإسلام فيها، رسالة دكتوراه د. محمد أحمد الخطيب، كلية الشريعة الجامعة الأردنية، مكتبة الأقصى. وانظر: البداية والنهاية لابن كثير، مكتبة المعارف، بيروت ١٦١/١١.

(٢) أبو حامد الغزالي (ت: ٥٠٥هـ): فضائح الباطنية، تحقيق وتقديم الدكتور عبد الرحمن بدوي، مؤسسة دار الكتب الثقافية، الكويت، صفحة ٩ إلى ١٢، غير معين تاريخ الطبعة. أحد الذين ذكروا علل هذه الألقاب في هذا المرجع، وغيرها من الكتب التي فضحت هؤلاء الدجاجلة في كتاب فضائح الباطنية.

وليس هذا القول يحتاج إلى كثير عناء بل من يقرأ تأريخهم فحسب، يستنتج كفرهم، فكيف من يتمعن في الخوض في عقائدهم؛ فإنه يجد ما ليس بعده كفر. وأما كيف ومتى دخلت الباطنية اليمن؟ وهل لا زالت دعوتهم سارية حتى اليوم؟ وهل لهم أي تأثير على المجتمع اليمني سواء الخاصة منهم؟ أو العامة؟ فهذا ما سنعرفه من خلال طرح الإجابات على هذه التساؤلات.

○ بداية دخول الباطنية إلى اليمن وانتشارها:

تذكر كتب التاريخ أن أول من أدخل المذهب الباطني إلى اليمن^(١)، هما علي بن الفضل الجندني الحميري، وحسن بن فرج بن حوشب بن زاذان الكوفي، وكان على مذهب الاثني عشرية.

وتروي كتب التاريخ أن علي بن الفضل كان قد خرج إلى الحج^(٢) ثم مضى إلى الكوفة لزيارة قبر الحسين بن علي عليه السلام، وعنده بكى بكاء شديداً، وجعل ينوح ويصرخ، وكان على القبر ميمون القداح وابنه عبيد (المهدي)، فجعل الميمون يتعجب من فعله، وكان له صلة بعلم النجوم، ففُرس فيه وفي الحسن بن فرج بن زاذان الكوفي، وظهر له من أمرهما، علو الهمة، فتحدث إليهما وأخبرهما بأن ابنه عبد الله المهدي علوي النسب، ورغبهما في القيام بالدعوة له، فوجدتهما عند حسن ظنه، فجعل يوصيهما ببعض، وأن يتطاوعا في أمر الدعوة، وأن يسير كل منهما إلى جهة في اليمن، فأمر حسن بن فرج بن حوشب بالاتجاه إلى (عدن لاعة)^(٣)، وأمر علي بن الفضل أن يتجه إلى بلاد (يافع)^(٤).

(١) طبقات فقهاء اليمن: عمر بن علي بن سمرة الجعدي، تحقيق فؤاد سيد، مطبعة السنة المحمدية (١٩٥٧م)، ص ٧٥.

(٢) انظر: كشف أسرار الباطنية، ص ٨١، والسلوك في طبقات العلماء والملوك: لأبي عبد الله بهاء الدين محمد بن يوسف الجندني، تحقيق محمد بن علي الأكوع، وزارة الإعلام والثقافة، مشروع الكتاب، ٢٣٦/١.

(٣) وعدن لاعة: بلدة خاربية في لاعة، من أعمال حجة. انظر: مجموع بلدان اليمن وقبائلها للعلامة القاضي محمد بن علي الحجري، تحقيق إسماعيل الأكوع، ٥٨٢/٣، (مرجع سابق).

(٤) يافع: تقع في الجنوب الشرقي من صنعاء على مسافة سبع مراحل، تتصل بلاد يافع من شماليها ببلاد رداع، ومن مغربيها بوادي بنا، النافذ إلى أبين. انظر: مجموع الحجري ٤/ ٧٧٣، (مرجع سابق).

وقد أظهر كلاهما التقشف والزهد والبعد عن حياة الناس، والتعبد في رؤوس الجبال، حتى مال إليهما الناس وحاولوا إنزالهما إليهم فرفضوا إلا بعد أن أخذوا العهود والمواثيق منهم بأن يأمرؤا بالمعروف وينهؤا عن المنكر، ويأتمروا بأمرهم كل في بلاده على حده، حتى اجتمع حولهما الناس واشتد ساعدهما فانقضا بعد ذلك على البلاد حتى ظهر علي بن الفضل واتسع ملكه ثم أخذ بعد ذلك يهدد صاحبه حتى نزل على رأيه واستقل بالأمر دونه وأظهر الزندقة والكفر والإلحاد وانفصل عن الدولة.

هذا باختصار ومقتبس من كتب التاريخ المتاحة عندي عن كيفية دخول الباطنية إلى اليمن^(١).

وأما متى بدأت هذه الفرقة في الظهور والانتشار في اليمن، فاختلفت جماعة

(١) انظر: أبي عبد الله محمد بن مالك الحمادي: كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة، ص ٨١ وما بعدها، (مرجع سابق). د. محمد عيسى الحريري: الاتجاهات المذهبية في اليمن حتى نهاية القرن ٣هـ، (مرجع سابق)، ص ٤٥. القاضي عبد الله بن عبد الكريم: المقتطف من تاريخ اليمن، ص ٥٩ (مرجع سابق). سيد مصطفى سالم: الفتح العثماني الأول لليمن، ص ٤٣، ٤٤ (مرجع سابق). ابن سمرة الجعدي: طبقات فقهاء اليمن، (مرجع سابق)، ص ٧٥. محمد بن الحداد: تاريخ اليمن السياسي، ١٩/٢ (مرجع سابق). أبو سعد نشوان الحميري (ت: ٥٧٣هـ)، تحقيق كمال مصطفى: الحور العين، ص ٢٥١ (مرجع سابق). القاضي أبو عبد الله بهاء الدين محمد بن يوسف بن يعقوب الجندي السكسكي الكندي: السلوك في طبقات العلماء والملوك، الجمهورية اليمنية، وزارة الإعلام والثقافة، مشروع الكتاب (١٢ - ١)، ط ١ (١٤٠٢هـ - ١٩٨٣م)، ١/٢٣١ وما بعدها. والقاضي حسين بن أحمد العرشي في: بلوغ المرام في شرح مسك الختام فيمن تولى ملك اليمن من ملك وإمام، دار الندوة الجديدة، بيروت، ص ٢٢، من غير ذكر رقم الطبعة وتاريخها. وابن الوزير وآراؤه الاعتقادية، في رسالة ماجستير، المؤلف علي بن علي جابر الخزمي، مكتبة عبد الله علي عامر، مكة المكرمة، توزيع عالم الكتب ط ١ (١٤١٧هـ - ١٩٩٦م، ٣٠٥/١).

عدن أبين: وهي المدينة المشهورة الآن وهي ميناء تجاري وينشأ فيها الآن سوق حرة تجارية، وهي واقعة على مضيق باب المنذب، وإنما أضيف أبين أنه مخلاف وقيل: لأن أبين ابن زهير بن أمين بن الخنيسع. انظر: مجموعة بلدان اليمن وقبائلها ج ٢ للعلامة المؤرخ القاضي محمد بن أحمد الحجري اليمني، تحقيق إسماعيل الأكوع، دار الحكمة اليمنية، صنعاء ط ١/ (١٤١٦هـ - ١٩٩٦م)، ص ٥٨٢.

المؤرخين في ذلك، بعضهم يذهب إلى أن ابتداء أمرهم كان سنة ٢٦٧هـ، وقيل في سنة ٢٨٢هـ، وليس هناك ثمرة من هذا الخلاف التاريخي، فلا بأس في نظري هنا من عدم الترجيح.

ولقد استمرت دعوتهما في اليمن سرّاً لمدة سنتين، فأظهرا للناس خلالهما كما أسلفت الصلاح والزهد والتقشف في الحياة والبعد عن زخرفها.

وأن ما ذكرته آنفاً بإيجاز قد لا يكفي لمعرفة كيفية تمكن هذين الداعيين في اليمن ونشر أفكارهما الباطنية فيها.

وإذا فلا بد من ذكر شيء من سيرة أحدهما كنموذج لمعرفة كيفية تمكنها من نشر دعوتهما ثم سيطرتهما على الوضع.

○ ذكر علي بن الفضل وأثاره السيئة:

لما توجه علي بن الفضل إلى يافع وجد هناك قوماً رعاعاً، فأقام في رأس جبل عندهم لازم فيه العبادة والورع والزهد حتى مال إليه هؤلاء الرعاع فأحبوه والتفوا حوله، وأخيراً طلبوا منه أن ينزل إليهم ويعيش بينهم، لكنه اشترط لنفسه إذا هم رغبوا فيه مبايعته على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن يسمعو له ويطيعوه، ففعلوا، فما تلكأ في أخذ العهود منهم والمواثيق، ثم أمرهم ببناء قلعة في أحد جبال يافع ففعلوا، وجعلوا يجمعون إليه الأموال من الزكاة والعتاد والرجال، ثم أمرهم بعمارة غيرها من الحصون في المنطقة؛ مما أبرزه في المنطقة الجنوبية الشرقية ذا قوة وشأن.

وقد برز له منافسان قويان في المنطقة عند بداية أمره لتوسيع نفوذه، وهما محمد بن أبي العلاء الأصبحي حاكم لحج وأبين والمنطقة التابعة لها، وجعفر بن إبراهيم بن ذي المنار المناخي حاكم المذيخرة والمنطقة التابعة لها، وكلاهما نائبان لآل زياد حكام تهامة ونواب العباسيين فيها، وكانت بينهما منافسة ونزاع؛ فاستغل ابن الفضل هذه المنافسة فحالف جعفر المناخي على قتال حاكم لحج واقتسام الغنائم بينهما، وانهمز ابن الفضل في المرة الأولى، لكنه لم ييأس فعاود الكرة من حينه، فحمس جيشه للقبض على محمد بن أبي العلاء، وهو لا زال في نشوة النصر غير متأهب للقتال، فأخذه على حين غرة فاستولى على معسكرهم.

وكان ابن أبي العلاء ذا مال فاستقوى به ابن الفضل على محاربة المناخي، فقصده إلى المذيخرة منتحلاً مطالبته بديات أيدي ثلاثمائة شخص من أهل دلال في بلاد بعدان، كان المناخي قد قطعها، وقامت بينهما الحرب كان النصر فيها للمناخي.

ثم ما لبث ابن الفضل أن غزا مدينة المذيخرة بعد عدة شهور حتى انهزم المناخي إلى تهامة، حتى استولى ابن الفضل على المذيخرة وقضى على منافسيه واتخذ من مذيخرة مركزاً له واستولى على جميع ما كان يحكمه المناخي، ثم توجه بعد عامين من معركته هذه أي في عام ٢٩٣هـ للزحف على صنعاء، وقضى خلال رحلته هذه على كل القوى المناوئة له حتى دخل صنعاء في النهارية من غير قتال؛ إذ كان الأمير أسعد بن يعفر الحوالي قد عرف أن لا قبل له بمقاتلة ابن الفضل؛ فخرج منها نحو مقره الرئيسي في شبام كوكبان، وهكذا بعد سنتين غزا تهامة وسجل له النصر فيها وكان ذلك في سنة ٢٩٧هـ، ولكنه ما لبث أن خرج منها منسحباً متجنباً أي صدام مع أعدائه في تلك المرحلة^(١).

وهكذا فإنه يحاول استغلال الفرص المناسبة التي هيأت لاشتهاره وسطوته... وعندما غادر صنعاء في عام ٢٩٣هـ متوجهاً نحو تهامة لغزوها انتهزت القوى المنافسة له^(٢) والمتنافسة فيما بينها ذلك، ووجدوا كلمتهم وجمعوا شملهم ضد (علي بن

(١) انظر: المقتطف، للجرافي، ص ٥٩ وما بعدها، (مرجع سابق). وانظر: العسجد فيمن ولي اليمن من الملوك: للفقير الفاضل العلامة شمس الدين أبي الحسن بن أبي بكر بن الحسن الخزرجي الأنصاري رحمه الله تعالى. وزارة الإعلام والثقافة، مشروع الكتاب ٦/ ١، ط ٢، مصورة (١٤٠١هـ - ١٩٨١م)، ص ٣٨، ٣٩، ٤٠. مجموع الحداد التاريخي العام لليمن، ج ٢، ط ١ (١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م)، ص ١٨١ منشورات المدينة، شركة دار التنوير. عبد الفتاح شايف نعمان، رسالة ماجستير: الإمام الهادي والياً وفقياً ومجاهداً، مؤسسة فؤاد بعينو للتجليد، بيروت - ط ١، (١٤١٠هـ - ١٩٨٩م)، ص ٦٢، ٦٣. بلوغ المرام للعرشي، (مرجع سابق) ص ٢٢. الجندي: السلوك في طبقات العلماء والملوك، (مرجع سابق)، ص ٢٣٦ وما بعدها.

(٢) القوى المنافسة هي: (يحيى بن الحسين) الذي بعث ابنه الأمير (محمد المرتضى) ثم جاء بنفسه ودخلها. والأمير (أسعد بن أبي يعفر) الذي بعث أحد مواليه، ويعرف بابن كيالة، انظر: التاريخ العام لليمن، ٢/ ١٩١، (مرجع سابق). الأعمام بن إبراهيم الأرجحي الذي بعث عنه والده الحسين بقواته، بتعاون مع أهل صنعاء (وآل الروية المذحيجون) خلفاء آل جعفر، والأمير محمد بن جعفر المناخي وتمكنوا من استيلائهم على صنعاء وطرده أتباع علي بن الفضل.

الفضل) وقصدوا صنعاء واستولوا عليها، ولكنهم اختلفوا فيما بينهم فدخلها علي بن الفضل مرة أخرى عام ٢٩٤هـ فأقام فيها ثلاث سنوات ثم غزا تهامة مرة أخرى.

ولم يلبث أن عاد الأمير (أسعد بن أبي جعفر) مع القائد علي بن محمد العلوي من قبل (الإمام الهادي) ثم عززه بقوة أخرى بقيادة ابنه الأمير المرتضى، كما ساند الجميع الدعاء بن إبراهيم الأرحبي، ولكنهم اختلفوا مرة أخرى فيما بينهم فتمكن ابن الفضل مرة ثالثة من الاستيلاء على صنعاء سنة ٢٩٩هـ وعامل أهل صنعاء خلال هذه الفترة معاملة قاسية، ثم أظهر مذهب الخبيث ودينه المشؤوم وارتكب محظورات الشرع، ولم يكتف بذلك بل ادعى النبوة، وكان المؤذن يؤذن في مجلسه (أشهد أن علي بن الفضل رسول الله) وأباح لأصحابه شرب الخمر، ونكاح المحارم.

وأشده شاعرهم الأبيات المشهورة:

خذي الدف يا هذه والعي	وغني هزاريك ثم اطربي
تولى نبي بني هاشم	وهذا نبي بني يعرب
لكل نبي مضى شرعة	وهذي شرعة هذا النبي
فقد حط عنا فروض الصلاة	وحط الصيام ولم يتعب
إذا الناس صلوا فلا تنهضي	وإن صاموا فكلي واشربي
ولا تمنعي نفسك المعرسين	من الأقربين والأجنبي
فكيف حللت لهذا الغريب	وصرت محرمة للآب
أليس الغراس لمن ربه	وأسقاءه في الزمن المجذب
وما الخمر إلا كماء السماء	حلال فقد ست من مذهب ^(١)
(وصلي إلهي على أحمد	وأخزي الفويسق من يعرب
وحرم عليه جنان النعيم	فقد باح بالكفر لم يرقب ^(٢)

وأما عن صاحبه الملقب (بمنصور اليمن)، فنكتفي بما جاء من إشارات

(١) كشف أسرار الباطنية، ص ٨٣ (مرجع سابق)، دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين، ص ٢٨٧ (مرجع سابق).

(٢) ما بين القوسين ليست لنفس الشاعر، وانظر: العسجد المسبوك، ص ٤٠.

إليه أثناء المبحث، إذ لا داعي للإسهاب والإطالة حول سيرته، خاصة وأن هذا تأريخ وليس هو لب الموضوع في البحث، بل هو استطراد لهذه الفرقة الخبيثة التي لا زالت تعيش بيننا إلى اليوم.

وقد كنت طرحت سؤالاً عن هذه الفرقة، وهل لا يزال لهذه الفرقة تواجد في اليمن.

أما عن أماكن وجود هذه الفرقة في اليمن، فمما لا يخفى على ذي لب، ولا يمكن إنكاره هو شيوع أماكن هذه الفرقة في اليمن:

فتتشر هذه الطائفة في اليمن بأسماء منها: البهرة، المكارمة، الباطنية، وأماكنهم من الشهرة بمكان، حيث إن لهم تواجد واضح في كل من شرقي حراز، (عمراس) في لواء (إب)، وفي (عدن)، و(صنعاء).

ولهم نشاط محموم متزايد في هذه الأيام بطابع تنظيمي رسمي بارز، وذلك بالزيارات المتكررة إلى اليمن لإحياء عقائدهم الباطنية - الإسماعيلية - الصليحية، وهم الذين حكموا اليمن فترة من فترات التأريخ!!^(١). فهم اليوم يحاولون إحياء تلك الآثار واستعادة نشاطهم بالحيلولة بين الناس والسنة المحمدية، والخوف وارد في هذه الأيام من أن يعيد التأريخ نفسه إذا لم يتنبه أولو الأمر، وأولو الأحلام والنهى من أهل العلم، وسكتوا عن هذه النية الخبيثة والتي انبثقت من الشيعة الرافضة بإجماع المؤرخين، حيث كان التشيع مأوى يتوارى كل زنديق تحت لوائه ويريد هدم الإسلام من الداخل، وإذا هم صمتموا عن نشاطاتهم وما يقومون به من نشر أفكارهم بين العوام من الناس على مرأى ومسمع من الجميع، وخصوصاً في هذه الأيام حيث زاروا اليمن فاستقبلوا بحفاوة بالغة حظيت به هذه الطائفة من حكومة اليمن عندما حضر قائدهم المدعو برهان الدين!!

(١) حكم الصليحيون اليمن في القرن الخامس الهجري (٤٣٩هـ - ٥٣٢هـ) (١٠٤٧ - ١١٣٨م)، بدأت بعلي محمد الصليحي، مؤسس دولة الفاطميين في اليمن (٤٣٩ - ٤٨٥هـ)، وانتهت بأروى بنت أحمد الصليحي (٤٩٢ - ٥٣٢هـ)، وكانت حراز مركزاً للدولة الصليحية، ولهم مآثر في كل مناطق اليمن وغيرها... انظر: عبد الله أحمد النور: هذه هي اليمن، طباعة مطابع المدني، مصر، ط ٢ (١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م). مختصر من تاريخ اليمن، لنفس المؤلف، دار الهنا للطباعة، ط (١٩٨٣م - ١٤٠٣هـ).

الصوفية

○ منشأ الصوفية:

ليس المهم في رأي الباحث الغور وراء وأصل هذه التسمية، فلقد اختلف الناس حولها اختلافاً كثيراً، ولقد تشعبت بهم الأقوال، واضطربت، فوصلت إلى أربعة عشر قولاً^(١)، وهذا في حد ذاته ليس مهماً من جهة نظر الباحث، حيث يرى أن الأولى معرفة عقائد هذه الفرقة، وأفعالها، وأعمالها، وأقوالها، ذلك أن عقيدة هذه الفرقة لم تعد كما كانت عند ابتداء نشأتها.

ولكي نثبت هذا فلا بد من الإجابة على التساؤلات الآتية:

كيف ظهرت هذه الطريقة؟ ومتى كان ذلك؟ وهل جنى المجتمع من ظهورها ثمرة أم هو الهروب من الواقع؟ وهل عقائدهم موافقة لما كان عليه مجتمع الصحابة؟ وهل حقق خيراً أم لا؟ وغيرها من الأسئلة.

للإجابة على هذه التساؤلات، نرجع إلى علماء أعلام، كتبوا عن هذه الفرقة، فمثلاً نجد ابن الجوزي (ت: ٥٩٧هـ) رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يقول عن بدء ظهور هذه الفرقة: (التصوف طريقة كان ابتداؤها الزهد الكلي...^(٢)). ولم يكتف ابن الجوزي بهذا، لكنه أخذ يسرد حالهم من مبتدأ ظهورهم حتى ترقى بهم الحال، وتشعبت بأتباعهم الأهواء، فابتدعوا منهجاً جديداً وانتحلوا طرقاً شتى، حتى تكلموا عن معنى التصوف، فساقوا تلك العبارات الكثيرة والتي حاصلها: (أن التصوف: عبارة عن رياضة النفس، ومجاهدة الطبع برده عن الأخلاق الرذيلة،

(١) الإمام الشوكاني - حياته وفكره، ص ٩٦ (مرجع سابق).

(٢) تلبس إبليس، ص ١٥٧ (مرجع سابق). وانظر: المدخل إلى دراسة الأديان والمذاهب: العميد عبد الرزاق محمد أسود، الدار العربية للموسوعات، ٧/٢، ٨، ٩، ١٠.

وحمله على الأخلاق الجميلة من الزهد والحلم والصبر والإخلاص... (١).

وقد كانت مقاصد القوم ونواياهم حسنة، إذ راموا بذلك الآخرة، وتركوا الدنيا، فتركوا لأجلها ما يصلح أبدانهم، وشبهوا المال بالعقارب فعافوه ونسوا أنه خلق لمصالح العباد (٢).

وكل ذلك إنما أصابهم بعزوفهم عن العلم، فقصدوا العمل بغير نور وبصيرة، فتخطوا في ظلمات الجهل حتى حادوا عن الطريق وضلوا وأضلوا... وبعضهم يقول عن فكرة التصوف: إنها ظهرت مع تقدم الزمن بالمسلمين، وظهور المادية والبذخ، حفاظاً منهم على سنة المصطفى ﷺ والخلفاء في الملبس، فأطلق على هؤلاء (الصوفيون) (٣).

وهذا ابن خلدون يقول: (إن طريقة هؤلاء القوم لم تنزل عند سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين، ومن بعدهم طريقة الحق والهداية، وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى، والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها، والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه، والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة، وكان ذلك عامة في الصحابة والسلف، فلما فشا الإقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده، وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا اختص المقبلون على العبادة، باسم الصوفية والمتصوفة) (٤).

وجمهور الكتاب في العصر الحديث عن التصوف والصوفية: إنما يحرصون أصلها في التجاني عن دار الدنيا وإظهار الزهد والتشرف والإقبال على الله تعالى والدار الآخرة... إلخ، ولم يفرقوا بين الزهد والتصوف إلا القليل منهم.

بيد أن صاحب كتاب «الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة» كان من جملة من فرق بينهما، وقال عن أصل التصوف: (إنها فتنة تلبست للمسلمين برداء

(١) تليس إبليس، ص ١٥٩.

(٢) تليس إبليس، ص ١٥٩، بتصرف. وانظر: المدخل إلى دراسة الأديان والمذاهب، ص ٧.

(٣) المدخل إلى دراسة الأديان والمذاهب، ص ٩.

(٤) مقدمة ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد بن خلدون المغربي، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، ص ٤٦٧، بدون ذكر الطبعة. وانظر: فتاوى ابن تيمية ١١/١٣، ١٤، ١٥، فله فيها كلام جيد وتقسيم منصف.

الظهر والعفة والزهد والإخلاص، وأبطنت كل أنواع الكفر والمروق والزندقة، وحملت كل الفلسفات الباطلة، ومبادئ الإلحاد والزندقة، فأدخلتها إلى عقائد الإسلام وتراث المسلمين على حين غفلة منهم، فأفسدوا العقول والعقائد، ونشروا الخلافات والدجل والشعوذة، ودمروا الأخلاق، وأتوا على بنيان دولة الإسلام من القواعد؛ إذ حارب المتصوفة العلم والجهاد والبصيرة في الدين، بل والزواج والعمل والكسب، فنصبوا للقرآن والسنة حرباً لا هوادة فيها، وحرفوا الناس عن تعليمها بكل سبيل، زاعمين تارة أن القرآن والسنة علم أوراق وظواهر، وأن علمهم الباطني علم أرواح وحقائق واطلاع على الغيب ومشاهدة، وتارة أخرى زاعمين أن أذكارهم تفضل ما في القرآن والسنة آلاف بل عشرات الآلاف من المرات، وتارة ثالثة واصفين كل علماء الشريعة بأنهم محجوبون مرتزقة، ظاهريون جامدون لم يتذوقوا الحقائق، ولم يشاهدوا الغيب، بل واختص المتصوفة أنفسهم - وهم بوجه عام من الزنادقة المبتدعين، والكفار المستترين - بأنهم أهل العلم اللدني والحقيقة... إلخ^(١).

ولكن أحد المعاصرين فضّل أكثر، فميّز بين المفهومين: مفهوم الزهد عند السلف، ومفهومه عند المتصوفين، ووضع من خلال هذا العرض كيف أن الزهد الصوفي مغاير مغايرة تامة للزهد المشروع، فقال: (الزهد في مفهوم السلف، ليس معناه هجر المال والعيال، وتعذيب النفس والبدن بالسهر والجوع الشديد للأيام الطوال، والصمت الطويل من غير موجب، وفي البيوت المظلمة اعتزال!! بل هو التوسط، فلا إفراط ولا تفريط، وإذا وجدوا شيئاً من أسباب الحياة انتفعوا به وتقووا به، وإذا طرأت ظروف قاهرة، اكتفوا بأقل ما يمكن^(٢)).

وأما الزهد في مفهوم التصوف، فهو يصفه وصفاً منفرداً يدل على سماجة عقول هؤلاء المتصوفة، وبعدهم عن النهج السوي، والهدي النبوي.

فهو يعني عندهم:

(١) انظر: الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة: عبد الرحمن عبد الخالق، جمعية إحياء التراث الإسلامي، الكويت، مكتبة دار السلام، الرياض، ط ١ (١٤١٤هـ - ١٩٩٤م) ص ٨.

(٢) محمد أحمد لوح: تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي، عرض وتحليل على ضوء الكتاب والسنة، دار الهجرة للنشر والتوزيع، الرياض، ط ١ (١٤١٦هـ - ١٩٩٦هـ)، ص ٢٩.

١ - أن يتجه المرء اتجاهها يكون الفقر مطلباً أساسياً فيه، مع تجويع البطن وتعرية الجسد.

٢ - أن يحرم على نفسه الزواج^(١).

وفي كل ذلك يسوق الأقوال العجيبة لكبار المتصوفين، والقصاص المدهشة، وهي بالطبع ليست من الهدى النبوي في شيء، ولا تمت إلى طريقة السلف بصلة، بل هي أفكار وصلت من سفسطات اليونان والفرس والهنود وغيرهم، ومن المغالاة التي قد تخرج صاحبها من دين الإسلام دين الوسطية ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

○ الصوفية وموقف العلماء منها:

لا يعرف على وجه التحديد متى ظهرت فكرة الصوفية، إلا أن المؤرخين يرجعون بداية ظهورها إلى القرن الثاني الهجري، عندما أقبل الناس على الدنيا، وجنحوا إلى مخالطتها، حيث نشأت هذه الفكرة كردة فعل، وكانت في البداية بقصد التورع، ومداومة الصدق، ورياضة النفس ومجاهدتها وحملها على كل ما يصلهم بالآخرة، حتى لبس عليهم إبليس، فتركوا العلم، ونبذوا المال، وبالغوا في الابتعاد عن الدنيا، حتى وإن كانت مبلغاً للآخرة، فأتوا بشطط من القول، وتطرف من الفعل، حتى جاء أقوام بعدهم فتكلموا في الجوع والفقر والوساوس، والخطرات، ثم أتى مَنْ بعدهم، فأفردوا مذهبهم بصفات ميزوه بها من الاختصاص باللباس المرقع، والسماع والوجد والرقص والتصفيق والوسوسة في الوضوء إلى حد المبالغة والإسراف، ثم ما زال بهم الأمر مع موافقة ابتعادهم عن العلم والعلماء، حتى آل بهم الأمر إلى أن يخلصوا أنفسهم بهذا العلم الذي يسمى (العلم اللدني)^(٢).

ولهم في نهجهم طرق عجيبة يزعمون أنهم بها يُكشَف لهم الحجاب،

(١) نفس المرجع، ص ٣٠، ٣١.

(٢) انظر: تلبس إبليس، ص ١٥٩، (مرجع سابق). مقدمة ابن خلدون، ص ٣٦٧ (مرجع سابق). وانظر: فجر الإسلام، ص ٩٨ (مرجع سابق). والمدخل إلى دراسة الأديان، ص ٩ (مرجع سابق). الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة: عبد الرحمن عبد الخالق، ص ٤٩ (مرجع سابق). مجموعة الفتاوى ٣٠٩/١١ - التصوف والقرآن كلام الله، تحقيق عامر الجزائر - أنور البار، دار الوفاء، ط ١ (١٤١٨هـ - ١٩٩٧م).

فيطلعون على غيبات في الكون، لا يطلع عليها إلا صوفي ترقى به الحال إلى ذلك المآل، فيصيبهم بذلك الفتح الإلهي حتى يدركوا من حقائق الوجود ما لا يدركه الأنبياء والرسل والملائكة المقربون^(١).

وبسبب ابتعادهم عن كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وعزوفهم عن العلم، ونأيهم عن العلماء، لبس عليهم إبليس في أمورهم الدينية والدنيوية، فشدد عليهم في الطهارة، وحبب إليهم ابتداء صلوات، وزين لهم الخروج عن الأموال بحجة أنها شواغل فخرجوا عن مساكنهم إلى الخلوات والفلوات، وساكنوا الضباع والحيات، ولبسوا المرقع، وتركوا الزوجات، وعزفوا عن الطعام والشراب، وأجأهم إبليس إلى السماع والرقص والوجد والشهوات من صحبة الأحداث، وربما مخالطة النسوان بحجة أنهن أخوات، وجرهم بهذا خطوة خطوة إلى الشطح في القول حتى قالوا بالحلول والاتحاد، واختلاق الأحاديث المكذوبة على رسول الله ﷺ، فادعوا التوكل بالانقطاع عن الأسباب، حتى لنجد الواحد منهم يخرج مسافراً فلا يتزود لسفره إلا حسن الظن بالله بزعمه، منتظراً ظهور الكرامات من الأرضين أو من السموات، وهذا كله مخالف لهدي الإسلام، ولواقعية الإسلام، ووسطية الإسلام، وافتراء على الدين وعلى كتاب الله تعالى وعلى رسوله ﷺ وتركوا الجمع والجماعات، واختاروا العزلة في الصحراء مفضلين مجالسة الوحوش على مخالطة الناس، واستظهروا التخشع، وطأطأة الرؤوس والمشى بتماوت ومسكنة وفتور، وظنوا أن هذا هو الإسلام، وأنه هو الحق، واخترعوا مصطلحات وكلمات لا تمت للشرع الحنيف بصلة.

وهكذا استمرت هذه الفرقة تسير على غير هدى من الله، متخذة طابع التعذيب للجسد، وترك متع الحياة^(٢)، وفي نهاية القرن الثالث بدأت هذه الفكرة تتبلور بوضوح أكثر فظهرت على حقيقتها وانتشرت في الأمة انتشار النار في الهشيم، وتم لأساطين هذا الفكر - وقد كانوا كلهم من أصول غير عربية، بل

(١) انظر: تليس إبليس، ص ١٥٩ (مرجع سابق). ابن خلدون، ص ٤٦٩، ٤٧٠ (مرجع سابق).

(٢) د. عبد الغني قاسم: الإمام الشوكاني، حياته وفكره، ص ٩٧ (مرجع سابق).

جميعهم كانوا ولا استثناء من أصل فارسي ليس فيهم عربي قط - تم لهم ما أرادوا وبينوا، فظهرت فرق الصوفية مع بداية القرن الرابع حتى غدا أصحاب كل طريقة منهم يزعم أنه من نسل الرسول ﷺ^(١)، وفشت هذه الفرق في بلاد الإسلام، وعمت واختلطت مفاهيمها بشكل أوسع بأفكار الفلاسفة والنصارى والهنود، ومن ثم سادت فكرة الحلول^(٢)، ووحدة الوجود^(٣)، والمحبة^(٤)، والباطنية والحقيقة والكشف وغيرها.

وما أن انتهى القرن الخامس الهجري حتى ظهرت طرق الصوفية، التي تفرعت منها عدة طرق في القرون المتأخرة السادس والسابع والثامن... حتى بلغت منتهاها، وأنشئت بعدها فرق خاصة بالدرأويش، وظهر المجاذيب، وبنيت القباب على القبور في كل ناحية، وكان للدولة الفاطمية - التي دعي إليها في المغرب وقامت في مصر، وبسطت سيطرتها على العالم الإسلامي - الأثر السيئ في تشجيع الصوفية حين غزت العالم الإسلامي^(٥)، فأنشأت المزارات والقبور المفتراة، والزوايا، والروابط.

وبذلك عمّت البدع، وسيطرت على العقول الخرافات والشعوذات والجدال، وهكذا تبادت هذه الفتنة العمياء باسم الصوفية الحمقاء، حتى نهاية القرن الحادي عشر الهجري، في حين أن البلاد الإسلامية على عمومها تعيش في دياجير الظلمة، ودهليز البدعة، وأطبق الجهل على معظم المسلمين.

ولكن هل وقف علماء السنة مكتوفي الأيدي أمام هذا الشطح الصوفي والانحراف الواضح عن منهج الكتاب والسنة؟ أم كان لهم دورهم في النفاخ عن السنة، والدفاع عن حياضها، وعلى سبيل الإيجاز فإنه يحسن بنا استعراض مواقف

(١) عبد الرحمن عبد الخالق: الفكر الصوفي، ص ٥١ (مرجع سابق).

(٢) يمثل مذهب الحلول، الداعية الضال الأول الحسين منصور الحلاج (ت: ٣٠٩هـ).

(٣) مذهب وحدة الوجود مثله داعيهم إلى الضلالة محمد بن علي بن محمد ابن عربي (ت: ٦٨٣هـ).

(٤) محبة الله تعالى وهي تنطوي على عقائد صوفية باطلة مثل (الغيبوبة - المحو - الفناء) ويمثله ابن الفارض عمر بن علي بن مرشد الحموي (ت: ٦٣٢هـ).

(٥) عبد الرحمن عبد الخالق: الفكر الصوفي، ص ٥١ (مرجع سابق).

العلماء من العاملين من هذه الفكرة الدخيلة على المسلمين، ذلك أن فكر العلماء لم يكن موجهاً ضد الزهد والتقشف، والبعد عن الاستكثار من الدنيا، إنما كان حرباً سافرة ضد التفلسف والسفسطة التي أدخلها النصارى الحاقدون، واليهود المغرضون، والفرس عبدة النار، ليكيدوا بها المسلمين، ولتكون لهم ثغرة يغزون المسلمين من خلالها، وقد كان ذلك ولا حول ولا قوة إلا بالله.

○ موقف علماء أهل السنة من الصوفية:

كان مبتدأ إنكار العلماء الفقهاء على الصوفية نتيجة حتمية لما بثته هذه الفرقة من أفكار منافية للإسلام، وتصطدم مع وسطية الإسلام وروحه، وذلك أنهم أدخلوا فيه ما لم يأذن به الله فشرعوا لأنفسهم شرائع ما أنزل الله بها من سلطان، وسنوا لأتباعهم سنناً تتنافى مع إنسانية الإنسان، وقد بسطت القول فيما مر آنفاً موثقاً ذلك من كتب السابقين، بل والمعاصرين لهؤلاء المتصوفة المتزندقين، وهذا إجمال مقتضب لأقوال بعض أئمة العلم في شأن المتصوفين.

١ - نستطيع أن نقول: إن أول من تكلم في الصوفية على جهة الإنكار هو الإمام الشافعي، فها هو عندما يدخل مصر تاركاً وراءه بغداد حاضرة الإسلام في ذلك الوقت سنة ١٩٦هـ يقول: (خلفت ببغداد شيئاً أحدثته الزنادقة يسمونه التغيير)^(١).

وقال يزيد بن هارون^(٢): (وما يغبر إلا فاسق، ومتى كان التغيير).

ومما أثر عن الشافعي أيضاً أنه قال يذم الصوفية وينكر عليهم بأسلوب لاذع منفرد: (لو أن رجلاً تصوف أول النهار، لا يأتي الظهر حتى يكون أحماً)^(٣).

٢ - وهذا الإمام أحمد يفتي بأن لا يجالس هؤلاء القوم، حينما أتى إليه رجل يستفتيه في كلام الحارث المحاسبي، فقال له الإمام: (لا أرى لك أن تجالسهم) خاصة بعد اطلاعه على ما عندهم. وسئل عليه السلام عن الوسواس

(١) فتاوى ابن تيمية ٢٠٩/١، والفكر الصوفي، ص ٤٩.

(٢) (يزيد بن هارون): القدوة شيخ الإسلام أبو خالد السلمي مولا هم الواسطي، ولد سنة ١١٨هـ، وتوفي سنة ٢٠٦هـ. انظر: الذهبي، تذكرة الحفاظ، ٣١٧/١ (مرجع سابق).

(٣) فتاوى ابن تيمية ٢٠٩/١، والفكر الصوفي ص ٤٩.

والخطرات فأجاب بقوله: (ما تكلم فيها الصحابة)^(١)، وهجر الإمام أحمد الحارث حين تكلم في الصفات^(٢).

* - وأما الإمامان الجليلان أبو حنيفة ومالك، رحمهما الله تعالى، فلم يؤثّر عنهما شيء من هذا، لأن (الصوفية) أحدثت بعدهما.

٣ - الإمام أبو زرعة^(٣) رحمه الله تعالى:

سئل عن الحارث المخاسبي وكتبه فقال: (إياك وهذه الكتب، هذه كتب بدع وضلالات، عليك بالأثر فإنك تجد فيه ما يغنيك عن هذه الكتب)^(٤).

قيل له: في هذه الكتب عبرة، قال: (من لم يكن له في كتاب الله ﷻ عبرة، فليس له في هذه الكتب عبرة، بلغكم أن مالك بن أنس، وسفيان الثوري، والأوزاعي، والأئمة المتقدمين صنفوا هذه الكتب في الخطرات والوساوس، وهذه الأشياء، هؤلاء خالفوا أهل العلم، يأتوننا مرة بالحارث المخاسبي، ومرة بعبد الرحيم الدبيلي، ومرة بجاتم الصم، ومرة بشقيق)، ثم قال: (ما أسرع الناس إلى البدع)^(٥).

٤ - وما من إمام من أئمة أهل السنة إلا وتكلم عن هذه الفرقة، محذراً العامة والخاصة منهم ومن ضلالتهم وانحرافاتهم، فالإمام ابن الجوزي ألف كتاباً خص معظم فصوله في الكلام عن الصوفية، فشنع عليهم، وأنكر ما لبس الشيطان عليهم في العبادات، والمعاملات، وفي المباحات، وفي كل مناحي الحياة.

٥ - والإمام ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) تتبع أقوالهم وأقوال غيرهم ممن ضلوا الطريق من الزنادقة والملحدون، وخص الصوفية بجهد مثمر، حتى أصبح كلامه مرجعاً لمن بعده، وذلك أنه سبر أغوار المتصوفين، فلم يترك لهم

(١) الفكر الصوفي، ص ٥٠، وابن تيمية ٣٠٩/١١، وتلبس إبليس، ص ١٦٢، ١٦٣.

(٢) تلبس إبليس، ص ١٦٣.

(٣) أبو زرعة الدمشقي: الحافظ الثقة محدث الشام عبد الرحمن بن عمرو بن عبد الله بن صفوان بن عمرو النصري، (توفي سنة ٢٨١هـ). الذهبي في تذكرة الحافظ ٦٢٤/٢، (مرجع سابق).

(٤) تلبس إبليس، ص ١٦٢. (٥) تلبس إبليس، ص ١٦٢.

مخرجاً، وحجزهم في أقماع السماسم، وتناول بالخصوص منهم ابن عربي (ت: ٦٣٨هـ)، والتلمساني (ت: ٦٩٠هـ) وابن سبعين (ت: ٦٦٩هـ)، فعزى مذهبهم، وفضح باطنهم، وبيّن مثالبهم في فتاويه المشهورة، وأفرد لهم مؤلفاً خاصاً سماه «الفرقان بين أولياء الرحمن، وأولياء الشيطان» فصل فيه القول في الولاية الرحمانية، وبيان صفاتها من الكتاب والسنة، وأقوال السلف الصالح، وفرق بينها وبين الولاية الشيطانية الصوفية التي تعتمد على الشعوذات، والدجل، والكذب، وأكل أموال الناس بالباطل، والسماع، والغناء، والرقص، والبدع المنكرة في الدين والتظاهر بالصلاح والتقوى... إلخ^(١).

وأما ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) فقد أحسن وأجاد حين حذر الأمة منهم ونصح فقال:

ذهب الرجال وحال دون مجاهم	زمر من الأوياش والأنذال
زعموا بأنهم على آثارهم	سادوا ولكن سيرة البطال
لبسوا الدلوق مرقعاً وتقشفوا	كتقشف الأقطاب والأبدال
عمروا ظواهرهم بأثواب التقى	وحشوا بطونهم من الأدغال
إن قلت قال الله قال رسوله	همزوك همز المنكر المتغالي
أو قلت قد قال الصحابة والأولى	تبعوهم في القول والأعمال
أو قلت قال آل المصطفى	صلى عليه الله أفضل آل
أو قلت قال الشافعي وأحمد	وأبو حنيفة والإمام العال
أو قلت قال صحابهم من بعدهم	فالكل عندهم كشبه خيال
ويقول قلبي قال لي عن سره	عن سر سري عن صفا أحوال
عن حضرتي عن فكرتي عن خلوتي	عن شاهدي عن واردي عن حالي

... إلخ الأبيات التي تبلغ الحوالي المائة والثلاثين بيتاً^(٢).

(١) الفكر الصوفي، ص ٦٩٨.

(٢) انظر: كتاب أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الشهير بابن قيم الجوزية (٦٩١هـ - ٧٥١هـ).
إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، تحقيق محمد حامد الفقيه، ١/ ٢٣١ إلى ٢٣٧.

وهكذا حذر كل علماء الأمة الأتقياء العاملين من أجل هذا الدين من كل دخيل على الإسلام غريب، فلا حجة بعد ذلك على من لم يلتفت ولا حجة بعد ذلك على من يتغافل.

٧ - وبهؤلاء العلماء امتدت السلسلة المباركة، فهذا الإمام برهان الدين البقاعي (ت: ٨٨٥هـ):

له مؤلف أفرده في الذب عن شريعة الإسلام من كيد الصوفية المتمثلة في عقيدة ابن عربي، وابن الفارض وسماه «تنبيه الغبي بتكفير عمر بن الفارض وابن عربي»^(١)، وحذر من كتاب «الفصوص» لابن عربي، وأظهر ما فيه من كفر والمحال، وقول بالاتحاد وضلال، فكان لهذا المؤلف أثره البالغ حتى أقض مضاجع الصوفية، فأخذوا ينظمون في ذمه المقطوعات الكثيرة، فانتشرت بين العوام والخواص، وأخذ الناس يرددونها، ومنها قول أحدهم:

إن البقاعي بما قد قاله مطلب
لا تحسبوه سالماً فقلبه يعاقب^(٢)

○ علماء اليمن والصوفية:

وهكذا وقف العلماء صفاً واحداً ضد الفلسفة الصوفية، وضد الانحراف عن الدين، فظهر في القرن العاشر الإمام شرف الدين (٩١٢هـ - ٩٦٥هـ)^(٣) الذي لم يتوان في ضرب الصوفية لما أظهرها من عقائد فاسدة، مخالفة للشريعة الإسلامية الصحيحة، وفي القرن الذي بعده، أحرق الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم (١٠٥٤ - ١٠٨٧هـ) كتاب «الفصوص» لابن عربي بناء على ما فيه من كفر بواح.

وهكذا ظل العداء قائماً بين الصوفية والأئمة في اليمن، فهذا العلامة صالح بن مهدي القبلي (ت: ١١٠٨هـ) في كتاب «العلم الشامخ» بين فساد مذهبهم وضلالهم... وفي آخر المطاف يذكر منة الله على أهل اليمن من الزيدية

وذكر علماء اليمن
وغيرهم من أهل اليمن
وهذا الكتاب كان
مؤلفه من أهل اليمن
وهذا الكتاب كان
مؤلفه من أهل اليمن
وهذا الكتاب كان
مؤلفه من أهل اليمن

(١) الفكر الصوفي، ص ٦٩٩.

(٢) من كتاب الصوفية والفقهاء في اليمن، للجبتي، ص ٩٢، ٩٣.

(٣) مختصر من تاريخ اليمن: عبد الله أحمد الثور، دار الهنا للطباعة ١٩٨٣م.

فيقول: (لقد من الله علينا في اليمن بحسم هذه المادة من جبال اليمن بسبب الإمام القائم فيها...) (١)، وفي ثنايا كلامه يعرض بهذه الفرقة، ولكنه ينصف فريقاً منهم موضحاً أنهم أقرب إلى الحق قائلاً: (. . . ومن بلايا هذه البدعة (يقصد الصوفية) دخولها في كل فرقة، وأبعدهم ضلالاً قومٌ مذهبهم عين الفلاسفة، والمعطلة، والباطنية، وأقربهم إلى الحق درجة الغزالي وشيعته) (٢).

ثم يأتي من بعده العلامة الجليل محمد بن إسماعيل الأمير (١٠٩٩ - ١١٨٢هـ)، فحذا حذو من سلفه، بل إنه ندد بهم وحذر من اعتقاداتهم، فقال: (وفي الأحياء ممن يدعي العلم بالمغيبات والمكشفات وهو من أهل الفجور، لا يحضر للمسلمين مسجداً، ولا يُرى لله راکعاً ولا ساجداً، ولا يعرف السنة ولا الكتاب ولا يهاب البعث ولا الحساب) (٣). وله في ذلك مؤلفان خاصان سمي الأول «تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد» (٤) والثاني «نصرة المعبود في الرد على أهل وحدة الوجود» (٥) وغيرها.

ثم جدد الله ﷻ هذه الدعوة بشيخ الإسلام محمد بن علي الشوكاني، فوقف كالطود الشامخ ينافح عن عقيدة المسلمين الصافية آخذاً على نفسه العهد أن لا يترك لمبتدع مجالاً، ولا لذي هوى متنفساً، فضيق الخناق على الصوفية وهدم بنيانهم ببياناته القوية.

وله في ذلك مؤلف جيد سماه «الصوارم الحداد القاطعة لمقالات أرباب الاتحاد» (٦) قسم فيها أئمة الصوفية إلى قسمين:

القسم الأول: وهم المتبعون لسنة المصطفى ﷺ، ومدحهم. والقسم

(١) العلم الشامخ في تفضيل الحق على الآباء والمشايخ، (دار البيان، دمشق ١٩٨١م)، مع كتاب الأرواح النوافح، للعلامة صالح بن المهدي القبلي اليماني، ص ٤٦٧.

(٢) نفس المرجع، ص ٤٥٨.

(٣) الإمام المحدث السلفي محمد بن إسماعيل الصنعاني: تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء (١٤١٠هـ - ١٩٩٠م).

(٤) (المرجع السابق) ص ٩٧. (٥) الصوفية والفقهاء، ص ١٠٣.

(٦) ضمن كتاب الفتح الرباني من فتاوى الإمام الشوكاني، طبع المعهد العالي للقضاء (وزارة العدل)، في مطبعة الإكليل (١٤١٥هـ - ١٩٩٤م)، ص ٢٧ - ٢٠٦.

الأخر: الذين نهجوا نهج الحلاج وابن عربي وابن الفارض وغيرهم...

واستشهد للمستشكيلين بكلام من مؤلفاتهم، حيث صرحوا بالكفر تصريحاً لا ريب فيه في كتاب «الفتوحات» لابن عربي، وفي «رسالة القشيري»، وفي غيرهما؛ وفي نهايته يقول: (قد أسلفت لك أيها الناظر في هذا المختصر ما صدر عن هؤلاء المخذولين من المقالات التي كل واحدة منهما أكفر من الكفر، كقولهم بالاتحاد، وتخطئة الأنبياء، وتصويب الكفار، ورفع أنفسهم على الأنبياء وكلامهم على القرآن، فلا تزيدك على ذلك، ولنقتصر على هذا المقدار، فإن داء لا يشفيه هذا الدواء، لداء عضال... إلخ^(١)).

والجدير بالذكر أن العلامة المقبلي، وابن الأمير، والشوكاني كلهم يغترفون من مذهب الإمام محمد بن إبراهيم الوزير (ت: ٨٤٠هـ) في مسألة الصوفية^(٢).

وأما عن ظهور الصوفية والتصوف في اليمن:

فيحدثنا المحقق المعاصر عبد الله محمد الحبشي: (أنها ظهرت في اليمن في القرن الخامس^(٣))، ثم ظهرت في القرن السادس جماعة من الصوفية عرفوا بالفقه، وذكر منهم الفقيه الصوفي زيد بن عبد الله اليافعي (ت: ٥١٤هـ)^(٤)، وعمرو بن عبد الله السري (ت: ٥٥٠هـ)^(٥)، وظلت الصوفية تسير جنباً إلى جنب مع العلوم الإسلامية، خاصة في مناطق الشافعية بشكل عام، فظلت تتقلب بها الأحوال من حال إلى حال، حتى وصلت في القرن السابع إلى ظهور أعلام صوفيين، بينهم الأمي، وبينهم المتعلم، مثل الصوفي الأمي أبو الغيث بن جميل (ت: ٦٥١هـ)^(٦)، والصوفي أحمد بن علوان (ت: ٦٥٥هـ)^(٧) وكان الأخير من المتعلمين، واكتملت مقومات الصوفية في القرن الثامن حتى انفصل كثير منهم عن الفقهاء، ووجد بينهم من لم يكتف بمجرد الزهد، بل أدخل فيها مواجيد من

(١) من نفس المرجع، ص ٢٠٦.

(٢) من موسوعته الكلامية المسماة «العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم»، من كتاب الصوفية والفقهاء في اليمن، ص ١٠٣، (مرجع سابق).

(٣) الصوفية والفقهاء، ص ١٢.

(٤) نفس المرجع، ص ١٦.

(٥) نفس المرجع، ص ١٦.

(٦) نفس المرجع، ص ١٥.

إلهامات تقربهم إلى ما كان عليه الحلاج وابن عربي وأضرابهما^(١)، ثم أخذت الصوفية على مدار السنين تتغلغل في المجتمع، فأصبح بعد ذلك (أي في القرنين التاسع والعاشر) من السهل التمييز بين الفقهاء والمتصوفين.

ولقد كانت مناطق الشافعية الجنوبية والساحلية، تعشعش فيها فرق كثيرة، وطوائف من المتصوفين، في حين ندرت هذه الطوائف في المناطق الجبلية، بل كادت أن تكون معدومة، لما كان للمذهب الزيدي من نظرة تحررية، أدان من خلالها الصوفية في كثير من شطحاتهم وشعاراتهم البعيدة عن الإسلام، وربما يميل في بعض الأحيان إلى أسباب سياسية بحتة، كخشية بعض الأئمة من نفوذ الصوفية الروحي وتغير العامة من أتباعهم عليهم، ويرجح الحبشي أن العدا للصوفية من قبيل الأئمة مرجعه السياسة البحتة بما تقتضيه الأوضاع من تنافس الفريقين في استمالة الناس عن طريق التأثير الروحي^(٢)، وهذا الجانب يرجحه الباحث أيضاً، ذلك أن المذهب الزيدي فرض سيطرته على أنحاء اليمن، مستعملاً الجانب الروحي في استمالة قبائل اليمن ووقفها جنباً إلى جنب مع الإمام فاعتبروا هذا ديناً خالصاً.

وبعد أن بلغ التصوف أقصاه في التطور في هذين القرنين، طغت عليه بعد ذلك عوامل متناقضة من ازدهار وسقوط، ولعل أبرز مظاهر ازدهاره كما يقول الحبشي: رجالاته الذين عاشوا في حضرموت، وزبيد حين حافظوا عليه حتى عصرنا هذا... إذ وجدوا فيها الأمن والهدوء، فأثروا العزلة والعبادة بعيداً عن ضجيج الحياة، وقلقل الحكام. وكذا وجدت الصوفية عدم المعارضة من فقهاء الشافعية في حضرموت، حتى إن كثيراً منهم اعتنق آراء الصوفية المعتدلة دون أن يرد فيها ما يصطدم مع نصوص ظاهر الشريعة^(٣).

وهناك عالم جليل عاش في المناطق الجنوبية من اليمن، حيث تعشعش الصوفية، له معهم صولات وجولات، هو العلامة محمد بن سالم البيهاني (ت: ١٣٩٢هـ)، وأشهر مؤلف له في الرد على الصوفية ونقدهم، خاصة منهم الحلولية، كتابه «أشعة الأنوار على مرويات الأخبار»، فمما جاء فيه: (أما ابن

(٢) انظر: الفقهاء والصوفية، ص ٥٣.

(١) نفس المرجع، ص ١٦.

(٣) انظر: الفقهاء والصوفية، ص ٢٤.

عربي فهو الذي ملأ الأذان صيته، وانتشر ذكره، فهو وحسين الحلاج حالهما مخالف تماماً لأحوال المتصوفين في الإسلام)، ثم يبين حالهما من خلال كلامهما في كتابيهما «الفصوص» و«الفتوحات المكية» من كفر بواح، وزندقة صريحة ويسوق من أقوال الحلاج مثلاً يبين به كفره حيث يقول في كتابه الفصوص: (أنا الله وما في الجبة إلا الله)^(١) ثم لا يتراجع لحظة في أن يصمهما بهذا الكلام وأمثاله بالخروج عن تعاليم الدين، واستحقاقهما القتل، ويستنكر أن يقف فريق من الناس إلى جانبهم والبعض حائراً متوقفاً في أمرهما، ويحكم بالنجاة لمن تمسك بالشرعية في الحكم عليهما.

ولكن بعد هذا كله ما هو الموقف الذي اتخذته علماء عصرنا منهم، وبالذات عالماً الفذ الذي نحن بصدد مواقفه مع كل مناوئ للإسلام القاضي محمد بن إسماعيل العمراني.

ما من شك أن أهل السنة عبر هذه القرون كلها ليس لهم مواقف متعددة بل القول واحد تجاه كل من يتنغي غير سبيل المؤمنين سواء من الصوفية أو من غيرهم. ويكفي هذا الاستعراض الموجز لنصل إلى موقف القاضي محمد العمراني.

○ موقف القاضي محمد من الصوفية:

يرى القاضي محمد أن الصوفية عبر التاريخ يمكن تقسيمها إلى ثلاثة أقسام:

١ - قسم منهم كانوا على منهج السلف، وهؤلاء لا غبار عليهم، ولا يمكن أن نقول فيهم إلا خيراً، وهم الصوفية الأولى الذين كان شعارهم: الزهد، والورع، والتقلل من الدنيا، وعملوا بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وجعلوا من الدنيا بلغة لهم إلى الآخرة، وعافوا كثيراً من الحلال بل خافوا منه. وهؤلاء أمثال: الحسن البصري^(٢)، أويس القرني^(٣)، سفيان بن

سفيان بن عيينة
لهذا الكلام
طبيس
ابن الجوزي

(١) نفس المرجع، ص ١٠٤.

(٢) الحسن البصري: هو الحسن ابن أبي الحسن، واسمه يسار البصري، أبو سعيد مولى زيد بن ثابت، ويقال: مولى جابر بن عبد الله، وأمه خيرة مولاة أم سلمة زوج النبي ﷺ، ولد لسنتين بقبلاً من خلفه عمر، ونشأ بوادي القرى، وتوفي في خلافة هشام (سنة ١١٠هـ، وقيل سنة ١١٦هـ). المزي: تهذيب الكمال، ص ٩٥ (مرجع سابق).

(٣) أويس بن عامر القرني، وفاته لم تعرف بالتحديد، لكن قيل: توفي أيام عمر، وقيل: وجد =

عيينة^(١)، سفيان الثوري^(٢).

٢ - قسم منهم قالوا بما لا يحتمل غير الكفر والمروق من الدين، وهم الذين قالوا بالحلول والاتحاد أمثال الحلّاج^(٣)، ابن عربي^(٤)، ابن الفارض^(٥)، وغيرهم . . .

فهؤلاء نبرأ إلى الله مما قالوا ونحذر من الاغترار بهم وبكتبهم.

٣ - والقسم الثالث: هم المخرفون وهم الموجودون حالياً وأكثرهم قبوريون، وهم الذين يتوجهون إلى القبور بالدعاء والاستغاثة والتوسل مع اعتقادهم أنهم ينفعون أو يضرّون ويتصرفون في الكون بالقدرة والمشيئة.

فهؤلاء يجب نصّحهم وإرشادهم وتعليمهم أن الاستعانة بغير الله شرك، وأن الله يسمع عبده ويحييه بدون واسطة.

قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ . . .﴾ [البقرة: ١٨٦].

○ أهم التحولات في الناحية المذهبية في العهد الجمهوري:

١ - لم يعد المذهب الزيدي الهادي المذهب السائد في الحكم، خاصة في جانب الأحوال الشخصية.

٢ - لقد أصبح بإمكان مشايخ الحلقات المسجدية أن يعلموا أي كتاب وليس من الضروري أن يكون خاصاً بمذهب معين، وله أن يفتح درساً في الفقه المقارن بعد أن كان محظوراً في العهد الإمامي.

= قتيلاً بين قتل صفين في جيش علي. من كتاب صفة الصفوة، دار الوعي، (١٩٧٣)، (٥٩/٣).

(١) سفيان بن عيينة سبقت ترجمته.

(٢) سفيان الثوري: أبو عبد الله الكوفي، سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، ولد (٩٧هـ) وتوفي بالبصرة (١٦١هـ)، كان إماماً من أئمة المسلمين وعلماً من أعلام الدين، مجتمعا على أمانته متقناً حافظاً عارفاً ضابطاً ورعاً زاهداً. المزي: تهذيب الكمال، ص ١٦٩، (مرجع سابق).

(٣) تقدمت ترجمتهم في هامش ص ١١١. (٤) تقدمت ترجمتهم في هامش ص ١١١.

(٥) تقدمت ترجمتهم في هامش ص ١١١.

- ٣ - فتحت ربوع اليمن ذراعيها مستقبلة الصحوة بشكل واضح في ظل العمل ذات التعددية السياسية.
- ٤ - أصبح العمل بالسنة شيء طبيعي بعد أن كان محل استنكار واستهجان بفعل التعصب المذهبي والتحجر العقلي.
- ٥ - تقلص نشاط الفرق الموجودة في اليمن إلى حد ما والصحوة في اجتياح متواصل لمناطق هذه الفرق.
- ٦ - ظهرت على الساحة جماعات متعددة الاتجاهات بفعل الانفتاح الحاصل على العالم الإسلامي.



المبحث الثالث

الناحية الاجتماعية لليمن أيام بيت حميد الدين

تميز الشعب اليمني بتركيبه الاجتماعية تختلف اختلافاً بيناً عما هي عليه الآن الشعوب الأخرى، وذلك يرجع عند بعض المؤرخين إلى الطبيعة الجغرافية لليمن، ففي المرتفعات الجبلية وخاصة الشمالية منها، حيث تقل نسبة هطول الأمطار، نجد التركيب القبلي المتماسك غالباً فيها، أما المناطق الأقل ارتفاعاً والمناطق السهلة والتي تتلقى نسبة أعلى من الأمطار، فإن الطابع الفلاحي للسكان هو الغالب^(١).

وهناك ثلاث سمات رئيسية وبارزة في المجتمع اليمني:

- ١ - القبيلة المتمسكة باستقلالها الذاتي، والمتعصبة له أشد التعصب بل تعتبر دويلة مصغرة داخل الدولة الأم الوطن^(٢).
- ٢ - الاختلاف البين بين سكان المرتفعات وسكان المناطق السهلة^(٣).
- ٣ - المذهبان الرئيسيان في اليمن، تحتضن اليمن مذهبين رئيسيين هما المذهب الزيدي وينتشر في الجزء الأعلى منها، وهم يقبضون على زمام الحكم غالباً منذ ظهور المذهب الزيدي في اليمن (٢٨٠هـ)؛ والآخر: المذهب الشافعي وينتشر في الأجزاء الساحلية، والمناطق السهلية، والهضبة الجنوبية، وهم يشكلون غالبية السكان، إلى جانب فرقة إسماعيلية، توجد في جبل حراز، وكذا في مذيخرة (العدين) وهم نسبة ضئيلة جداً^(٤)، وأصبحت الأخيرة الآن منطقة سُنيَّة وانحصرت الإسماعيلية في منطقة المزاحنة ناحية (الفرع) فرع العدين.

(١) د. أحمد قائد الصائدي: حركة المعارضة اليمنية، (مرجع سابق)، ص ١٦.

(٢) سيد مصطفى سالم: تكوين اليمن الحديث، ص ٢٠ - ٢٣.

(٣) سيد مصطفى سالم: تكوين اليمن الحديث، ص ٢٠ - ٢٣.

(٤) سيد مصطفى سالم: تكوين اليمن الحديث، ص ٢٠ - ٢٣.

ويظهر الأئمة في اليمن^(١) فقد أولوا شريحة في المجتمع من دون الشرائح الأخرى اهتماماً بالغاً وهي شريحة (السادة) الذين ينتسبون لآل النبي ﷺ من جهة فاطمة الزهراء عليها السلام، وحتى لا نرجع إلى الماضي البعيد فسيتم التركيز بإشارات طفيفة إلى أيام بيت حميد الدين، أيام عصر القاضي محمد، حين جعلوا لهذه الشريحة الأولوية في اعتلاء المناصب الرئيسية في الدولة والهيمنة عليها كحكام ونواب وقضاة وإن لم يكونوا أهلاً لذلك، غاية الأمر أنهم ينتسبون للآل، الأمر الذي حمل الكثير من الناس أن ينتسب لهذه السلالة زوراً وبهتاناً ويختلق لنفسه شجرة نسب توصل نسبه إلى بيت النبوة، وذلك ليحظى بمنزلة سامية في المجتمع وليحصل على احترام أوفى وتقدير وإجلال، حيث إن الأئمة طوال عهدهم قد أذكوا هذه الروح الاستعلائية ممزوجة بروح التدين^(٢) وذلك لشعورهم أنهم متميزون عن الآخرين غير مؤمنين بالمساواة رغم أنها من جوهر الإسلام، وبهذا أصبحت صلتهم بإخوانهم المسلمين هي صلة السيد بالمسود، سيد فاطمي يرى أن سيادته وسيادة أسرته قدر مقدور من لوازم ماهيته، بل من مكوناتها^(٣).

(١) أول دخول للمذهب الزيدي إلى اليمن كان بدخول الإمام الهادي يحيى بن الحسين، بعد جده الإمام القاسم الرسي.

(٢) انظر: أرجوزة الإمام عبد الله بن حمزة، التي شرح فيها عقيدة آبائه وأجداده، على أن الإمامة حق شرعي لهم، وأنهم قد صاروا يملكون رقاب المؤمنين، وأن من خالفهم فهو إلى النيران مع قارون وفرعون وهامان، وأنهم بهذا النسب وبهذه العقيدة قد اعتبروا أنفسهم في المكانة السامية والمرتبة العالية، فهم بهذا الفهم يتعالون على الناس ويفتخرون بنسبهم الهاشمي (العدناني) (السيد) (الشريف) الأمر الذي أوجد لدى الطبقة المثقفة في الشعب امتعاضاً ونفرة منهم؛ إذ كيف يتعالون ويفتخرون والله ﷻ قد قال: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]، والرسول ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَفْخِرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ»، أخرجهم مسلم وابن ماجه وغيرهما، وقال عنه الألباني: صحيح لغيره، تحت رقم (٥٧٠) ج ٢/ من السلسلة الصحيحة. وقد قال ﷺ: «الناس رجلان: تقي وشقي» وقال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عِبَةَ الْجَاهِلِيَّةِ... وَلَا يَزَالُ قَوْمٌ يَتَفَاخَرُونَ بِالْأَحْسَابِ وَالْأَنْسَابِ حَتَّى يَكُونُوا عِنْدَ اللَّهِ أَهْوَنَ مِنَ الْجَعْلَانِ». صحيح الجامع الصغير وزيادته الفتح الكبير الطبعة المنقحة تأليف محمد ناصر الدين الألباني المكتب الإسلامي ط ٢ (١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م) تحت رقم (١٧٨٧ - ٧٩٢) ص ٣٦٧.

(٣) عبد الله بن عبد الوهاب المجاهد الشماحي: الإنسان والحضارة، منشورات المدينة، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ص ١٩، ط (١٤٠٦ هـ - ١٩٨٥ م).

وعند الحديث عن (الشرائح الاجتماعية) في اليمن أيام الأئمة فس نجد أن المجتمع اليمني - كما سبق أن قلت - تميز بتركيبة اجتماعية تميزه عن المجتمعات الأخرى بسبب الطبيعة الجغرافية .

ويرى الباحث سبب إذكاء روح الخلاف في المجتمع هو النظام الحاكم في الدرجة الأولى .

وانظر إن شئت إلى المجتمع قبل الثورة وبعده فستجد أن المجتمع قبل الثورة كان مجتمعاً أشبه بمجتمع الشرائح كثيرة الثغرات، كل شريحة تستعلي على الأخرى .

شريحة عليا لها زمام الأمور في الدولة، وشريحة أخرى مسحوقة تعيش على هامش الحياة .

* - شريحة السادة: ومعها (الفقهاء - والقضاة - والنقباء - والمشايخ - والعقال) وهؤلاء هم عليّة القوم، وتُخصّ شريحة السادة من بين الشرائح بالاحترام الأوفر والمكانة العليا بل قل القدسية؛ فهم القابضون على عنان الأمور وعلى العقائد والميول، وهم المسيرون للآراء والنزاعات، بل إنه لمن المؤسف إن كان مجرد مقابلة الشخص العادي من الناس لأي شخص من هذه الشريحة وإن صغر سنه يجعله - ذلك - يهوي على ركبتيه ويديه منها لاً عليه بالتقبيل^(١) والخضوع والانكسار (ومن أراد معرفة الكثير من أسرار هذه الشريحة فليرجع إلى أي كتاب تأريخي كتب عن اليمن سواء كان الكاتب يمينياً أو غير يميني).

* - شريحة القضاة: هم حكام الشرع الحنيف في كافة أنحاء البلاد، باعتبارهم أهل العلوم الدينية والذين كانوا يدرسون في المدارس العلمية نادرة الوجود في المدن الرئيسية وهي تكاد تخص أبناء السادة والقضاة والمشايخ، وأما عامة القوم فكأنهم خلقوا لفلاحة الأرض ولخدمة السادة والقضاة والمشايخ والعقال!!

تحترف هذه الجماعة مهنة القضاء وهم أقل شأناً من السادة، إلا أنهم

(١) سيد مصطفى سالم، (مرجع سابق)، ص ٢٤، ٢٥ .

يشاركونهم في المكانة السياسية والمراكز الاجتماعية، وهم ينتمون إلى السلالة القحطانية، وهم يمارسون عدة أعمال جنباً إلى جنب مع السادة إلا أن وظائفهم أقل من وظائف السادة - إلى جانب الإشراف على التعليم الرسمي في المدارس الدينية والدينية المتاحة آنذاك - وكذلك يمارسون مهنة التعليم في حلقات العلم في المساجد والبيوت والمجالس العامة، وكذلك يمارسون الخطب المنبرية في المساجد^(١).

* - جماعة المشايخ: هذه الجماعة تنقسم إلى قسمين:

١ - شيوخ القبائل.

٢ - شيوخ الأرض.

وشيوخ القبائل بدورهم ينقسمون إلى قسمين: مشايخ المشايخ، وهم رؤساء الاتحادات القبلية الكبرى، تكون القبائل فيما بينها اتحاد أو حلف يرأسها جميعاً شيخ واحد يسمى شيخ المشايخ.

ومشايخ عاديون: رؤساء لوحدات صغرى من القبائل^(٢)؛ والعصية القبلية تشكل المصدر الرئيسي لقوة هؤلاء المشايخ.

شيوخ الأرض: وهم أولئك الذين لا يستند نفوذهم إلى مكانة دينية ولا إلى مكانة قبلية، وهم عادة لا يشغلون أبداً أنفسهم بهموم السلطة، وإنما يستند نفوذهم إلى ملكيتهم الكبيرة للأرض وحدها^(٣).

والمشيخة تنتقل بالوراثة من الآباء إلى الأبناء^(٤)، وهناك جماعة تساويهم في النفوذ تقريباً وهم العقال في المدن لكل حارة (منطقة) عاقل.

هذه الشرائح الثلاث يحكم موقعها السياسي ومركزها الوظيفي كونت ما يسمى بجماعة كبار ملاك الأرض على تفاوت بينها، فشريحة السادة تأخذ الدرجة الأولى ثم القضاة ثم شيوخ القبائل.

(١) د. عبد الملك المقرمي: التاريخ الاجتماعي للثورة اليمنية، رؤية فيولوجية لتحول بنار القوة، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط١ (١٤١١هـ - ١٩٩١م)، ص ١٨٥ - ١٨٦.

(٢) (مرجع سابق)، ص ١٩٥.

(٣) د. أحمد قائد الصائدي: حركة المعارضة اليمنية، مرجع سابق، ص ١٧.

(٤) أحمد وصفي زكريا: رحلتي إلى اليمن، دار الفكر، ط١ (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م)، ص ١٢٣.

* - التجار والحرفيون: تتألف هذه الشريحة من كل الحرفيين ومن يملك رأس مال ولو صغيراً، وبعض العائلات تمارس التجارة أباً عن جدّ، ويشكل هؤلاء جزءاً من أثرياء المدن^(١).

* - القبائل: ويطلق على الواحد منهم قبلي، وهم المعروفون في عامة الأقطار العربية بالقرويين والفلاحين.

وقد سمو بهذا الاسم لأن قروبي اليمن وفلاحيه ما برحوا محتفظين بأنسابهم واجتماعهم على هيئة قبائل وبطون وأفخاذ.

فالقبايلون هم جمهرة الشعب اليمني ودهماؤه وخدام زرعه وضرعه وجنود سادته وحكامه وحملة دواعي بؤسه وشقائه، يرهب جانبهم ويحذر بأسهم، لأنهم ولا يزالون أتباع الناعقين وأعوان الوثابين والخارجين^(٢).

تبقى شريحتان في المجتمع اليمني تعيشان على هامش الحياة في هذا المجتمع بسبب ما تمارسه من أعمال هي عند أهل اليمن مدعاة للسخرية خاصة الجزء الشمالي منها الذي يعيش في المرتفعات، فإنهم يمتنون الأعمال الحرفية كالحلاقة، والجزارة، والحجامة، والحمامة (خدمة الحمامات البخارية العامة) والحياكة ويسمونهم في اليمن (بني الخمس)، والذي يزرع في أرضه البصل، الفجل، الثوم يسمونه (القشام)، فهؤلاء مدعاة للسخرية في هذا المجتمع، وكذا شريحة الأخدام الذين يقال أنهم من أصل حبشي وهؤلاء تُوكَلُ إليهم الأعمال الدنيئة والمضنية إلى جانب أعمال أخرى كالرقص والغناء، والخدمات المتنوعة في الأعراس^(٣).

○ عادات وتقاليد يمنية:

١ - الزواج المبكر: يتميز أهل اليمن بأنهم يقدمون على تزويج أولادهم في سن مبكرة، وعادة يقوم الأب بنفقة الزواج كاملة، ويرى الآباء أن ذلك حفاظ

(١) نجيب أبو عز الدين: عشرون عاماً في خدمة اليمن، (مرجع سابق)، ص ٢٣٣.

(٢) أحمد وصفي زكريا، (مرجع سابق)، ص ١٢٤.

(٣) نعمان الشرجبي: الشرائع الاجتماعية التقليدية في المجتمع اليمني، دار الحدائق للطباعة والنشر والتوزيع، بالتعاون مع مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ص ٢٣٠.

على الأعراض وتحصينا لأبنائهم وبناتهم من الوقوع في الرزايا، قد نجد مبالغة في ذلك إذ ربما يكون الزواج والعقد بين الولد والبنت وهما لا يزالان في عهد الطفولة، وهذه العادة عادة ما يلجؤون إليها حفاظاً على البنت من أن يخطفها غيرهم، أو ربط للأسرتين حتى لا يبتعدان عن بعض، أو ربما يلجؤون لهذه الطريقة من أجل مساعدة الأم والأب في البيت.

وهذه الطريقة مخالفة للشرع الحنيف إذ ينعدم بذلك حق الزوج في الاختيار، وحق الزوجة في الرضى والقبول، وربما تنشأ في المستقبل مشاكل وخلافات^(١).

والجدير بالذكر أن في اليمن عادة قد لا توجد في غيره من البلدان، أنه إذا تزوج فرد ما يقوم أهل الحي أو المنطقة، بمساعدته يوم العرس، وذلك عند زيارته والسلام عليه وتهنئته، ولكن حبذا لو كانت هذه المساعدة غير علنية وحبذا لو تكون بغير عوض!!

٢ - الألقاب: جرت العادة عند أهل اليمن في عهد بيت حميد الدين (وربما قبله) أنهم ينادون بعضهم بألقاب خاصة، فمثلاً: أبناء الإمام كل واحد منهم يسمى سيف الإسلام مهما بلغ من العمر ولو كان طفلاً، علاوة على ذلك يطلقون لقب البدر على من كان اسمه (محمد) وشمس الدين على من كان اسمه (أحمد) من أنجال الإمام خاصة.

وأما في العرف الجاري بين الرعية فإنهم يطلقون أيضاً من باب الأدب على أسماء الأعلام منهم ألقاباً.

ف(محمد) يردفون قبله (العزي) أو (عز الإسلام) وأما في المناداة فيكتفون بلقب (عزي).

و(أحمد) يردفون قبله (الصفى) أو (صفى الدين) وأما في المناداة فيكتفون بلقب (صفى).

(١) صالح محمد صغير مقبل: محمد بن علي الشوكاني وجهوده التربوية، دار الجيل، بيروت، مكتبة جدة، ط١ (١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م)، ص ٩٥، ٩٦.

و(علي) يردفون قبله (الجمالي) أو (جمال الدين) وفي المناادة يا (جمالي).
و(حسن) و(حسين): (الشرفي)، و(محسن): (الحسام)، وقاسم: (العلم)،
وعبد الله (الفخري).

وكل اسم مضاف إلى اسم من أسماء الله الحسنى مثل عبد الرحمن،
عبد الكريم، عبد الملك، . . . يقال له (وجيه الدين) أو (الوجيه)، إلا عبد الله
فهو الفخري أو فخر الدين، وبقية أسماء الأعلام يلقب كل واحد منهم
بالضياء^(١).

٣ - مضغ القات: (عادة التخزين):

من أشنع العادات التي ابتلي بها اليمنيون إلا من رحم الله منهم عادة مضغ
القات، والتي انتقلت من بلاد الحبشة إلى اليمن في القرنين السابع والثامن
الهجريين على أرجح الأقوال^(٢)، (والقات داهية اليمن الدهماء، ومصيبته
العظماء، ابتلي بها كبيرهم وصغيرهم وجليلهم وحقيرهم، وهم لا يبغون عنه
حولاً ولا يقبلون فيه جدلاً، بل يمدحونه ويهجون من يذمه بأبيات وجل لا يقرأها
المنطق، وقد أدى استمرار الناس على هذه العادة (عادة التخزين) إلى تلف
الصحة وضعف الهمة، وبعثرة الثروة، وإلى غير ذلك، فقد أدى بآثارهم إلى جمع
الصلواتين الظهر والعصر جمع تقديم من أجل التخزين^(٣)، وبعضهم إلى تأخير
الصلوات عن أوقاتها، وإلى تقتيرهم على أنفسهم وأهلهم، بل ربما يتضورون
جوعاً من أجل شراء القات أو قل يقتاتون بالشيء الغيث^(٤)، ويؤدي إلى ضياع
الأوقات وصرفها في أطول الجلسات يمضغون القات في مجالس يكثر فيها القيل
والقال واللغو وأكثر هذه المجالس يقضونها بالسماع إلى أي نوع من

(١) عبد الواسع الواسعي: تاريخ اليمن، مكتبة اليمن الكبرى، ط٢، ص ١٥٤ - ١٥٥.

(٢) الموسوعة اليمنية، مؤسسة العفيف، دار الفكر المعاصر، ط١ (١٤١٢هـ - ١٩٩٢م)، ٢/٧٣٥.

(٣) الجمع بين الصلاتين في الحضر هو مذهب الزيدية وقبل وجود القات، والذين يجمعون
ليسوا هم المخزنين فحسب، بل غيرهم أيضاً يجمع.

(٤) الجمع لدى الزيدية
كتاب الساج للذهب ص ١٤٠.

أنواع الطرب والغناء، وهذه مجالس عادة مكتنزة (قات مع سيجارة أو مداعة شيشة - نرجيلة) مع الماء أو المشروبات الغازية أو الشاي.

٥ - عادة التعاون في البناء والحصاد: ومن العادات الطيبة، أنه إذا جاء يوم الحصاد فإنهم يجتمعون زرافات ليتعاونوا على حصاد ثمرة فلان من القوم، وكل يوم عند واحد منهم، ومنها أنهم يجتمعون لمساعدة بعضهم في البناء، وغيرها من العادات الطيبة.

○ أهم التحولات الاجتماعية في العهد الجمهوري:

- ١ - إلغاء نظام الرق وكذلك نظام الرهائن.
- ٢ - ذوبان الشريحة ذات السيادة في البلاد (السادة) في المجتمع، فقد ترك أغلب أفراد المجتمع المظاهر التقليدية القديمة تجاه هذه الشريحة لإظهار احترامهم، وتركت هذه الشريحة ما يسمى بالزواج الداخلي.
- ٣ - شهدت شريحة (الأخدام) تحولات هامة في علاقاتهم بالآخرين ومن أنماط المعيشة والتعليم، وهيئت أمامهم الفرص للتعليم المجاني والعمل في كثير من المجالات المختلفة، وأصبح لهم الحق الآن أن يعيشوا في المجتمع كالمواطنين العاديين متساوون في الحقوق والواجبات^(١) بعد أن كانوا على هامش المجتمع.
- ٤ - تشهد بعض القيم التقليدية (العرفية) المتعلقة بالنظر إلى بعض الحرف والمهن تحولاً إيجابياً حتى في المناطق القبلية، فلم يعد من العيب زراعة الخضروات أو التجارة أو الحدادة، وغيرها من الحرف والمهن، والتي كانت تعد عيباً لمن يمارسها قبل الثورة.
- ٥ - ظهرت على الساحة شريحة المثقفين العصريين من حملة الشهادات الجامعية وكذا من خريجي المعاهد العليا وحملة الشهادات العليا ذات التخصصات المتشعبة.

(١) إلا أنهم لا زال كثير منهم مصراً ومتمسكاً بعاداته في استحقاق نفسه والعيش بأدن مستوى، وبيمة سفلية ومهما حاولت أن تنصحه فلا يتسجيب منهم إلا النادر، وأكثرهم لا يعرفون الدين ويعيشون عيشة البهائم وكأنها عقبة فيهم.

- ٦ - خروج المرأة إلى العمل جنباً إلى جنب في جل المجالات، وهذا أخطر تحول من حيث مخالفته للدين، ومن حيث خروجه عن الضوابط الشرعية وما رافقه من تبرج الكثير من العاملات وسفورهن واختلاطهن بالرجال الاختلاط المحرم غير المقيد بالضوابط الشرعية.
- ٧ - أصبحت المدن وخاصة الكبرى منها تضم فئات من المجتمع تشمل كل المناطق اليمينية وهذا في حد ذاته أسهم إسهاماً كبيراً في إذابة الفوارق وانتهاء المناطقية إلى حد بعيد.





المبحث الرابع

الناحية الاقتصادية

○ بيت المال:

أما بيت المال فقد كان يعج بما فيه من مخزون سواء كان هذا المخزون عينياً أم نقدياً .

(إن بيت مال المسلمين غني وغني جداً، والحبوب مدفونة في الأرض، في أماكن مختلفة، وفي سنين المحل (القحط) يعطي الإمام الزراع بذار، ولكنه يستوفيه الإمام منهم أيام البيدر) هذا ما قاله نزيه العظم على لسان جندي من جنود الإمام^(١).

كان هذا المخزون يمتلئ مما تأخذه الدولة من الفلاحين والتجار كزكوات (أعشار الأرض عيناً - أعشار الثمار نقداً - إلى جانب زكاة المواشي والدواجن - وزكاة التجارة والمخازن - كذلك زكاة رمضان - وزكاة حلي النساء من ذهب وفضة - إعانة الجهاد - ورسوم مفروضة على اليهود كذميين، وغيرها مثل ضرائب جمركية و... إلخ)^(٢).

كل هذا يقتطعه الإمام ونوابه من الشعب الفقير البائس، وإذا ما أراد الإنسان أن يطلع على البنية التحتية للبلاد فسيجد أنها تعيش مظاهر التخلف والجمود في مختلف نواحي الحياة، وليس عجباً بعد ذلك أن يقول الكاتب أمين

(١) نزيه مؤيد العظم: رحلة في العربية السعودية، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ط ٢، (١/٢٨١).

(٢) نفس المرجع. مرتبات موظفي الجهاز الإداري: قرر لهم الإمام مرتبات بسيطة لا تفي بم حاجاتهم الضرورية، فكأنه بذلك كان سبباً في انتشار الرشوة والفساد وابتزاز الأموال بالحق والباطل، خاصة أثناء المنازعات التي تحدث بين الموظفين.

الريحاني في كتابه «ملوك العرب»^(١) (وكأنك في السياحة في تلك البلاد السعيدة (١٩) تعود فجأة إلى القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) لا مدارس ولا جرائد ولا مطابع ولا أدوية ولا أطباء ولا مستشفيات في اليمن، إن الإمام هو كل شيء، هو العالم والطبيب، والمحامي، والكاهن، ذلك أن الإمام كان مولعاً وشديد الولع بالاقتصاد (الادخار) والبخل الشديد، فكان يحول كل ما يجوزه من أموال ليوم الشدة)^(٢) حتى أنه بهذا الأسلوب حرم شعبه من أي تطور ملموس، وكذا من أسباب العيش الرغيد، بل جعلهم يعيشون عزلة تامة عن العالم وعن أسباب الرقي، فهم لا يعرفون الطرق المسفلتة ولا الاتصالات ولا الكهرباء ولا حتى يسمعون إلى الإذاعات إلا إذاعة الإمامة الناطقة الرسمية باسم دولة الإمام وحده).

○ أهم التحولات في الجانب الاقتصادي في العهد الجمهوري:

يشهد الاقتصاد والحالة المعيشية العامة ازدهاراً ملموساً بعد الثورة وبالتحديد بعد فترة السبعينات، وساهم في تلك النهضة عاملان رئيسيان.
- مجهودات الدولة.

- وتحويلات المهاجرين اليمنيين (خاصة من بلاد النفط المجاورة).

فقد أولت الدولة أهمية خاصة بالبنية الأساسية للدولة باعتبارها الركيزة الأساسية للتنمية الاقتصادية والاجتماعية، وتمثل البنية الأساسية في (شق الطرقات - وتوفير المياه والكهرباء - وعمل شبكة الصرف الصحي - الاتصالات - الموانئ والمطارات... إلخ).

- أصدرت الدولة عملة نقدية ورقية هي (الريال).

- تم استخراج البترول بكميات تجارية وكذا الغاز الطبيعي وبعض المعادن كالذهب والحديد.

- انخفض المستوى الإنتاجي للزراعة النقدية (البن - الفواكه وغيرها) بعد الثورة إلى حد جعل اليمن تعتمد على استيراد الحبوب بشكل كبير وخاصة

(١) أمين الريحاني: ملوك العرب، ١/١٦٤.

(٢) د. أحمد قائد الصائدي: حركة المعارضة اليمنية، (مرجع سابق)، ص ٤١ بتصرف.

القمح، ويرجع ذلك إلى قلة الأيدي العاملة بسبب الهجرة الداخلية (إلى المدن) والهجرة الخارجية، وكذلك بسبب انتشار زراعة القات على حساب المحاصيل الأخرى وخاصة البن والعنب^(١).

- استغلال الشواطئ البحرية (شواطئ البحر الأحمر والبحر العربي) والمياه الإقليمية في استخراج الثروة السمكية في السوق الداخلي والسوق الخارجي.



(١) انظر: د. محمد سعيد العطار: التخلف الاقتصادي في اليمن. وانظر: د. قائد الشرجي: القرية والدولة، ص ٢٣٠ وما بعدها، (مرجع سابق).

المبحث الخامس

الناحية التعليمية

لقد ركز كثير من الكتاب عن اليمن في كتاباتهم عن التعليم في اليمن وتكلم جلهم بأن مستوى التعليم في اليمن (ويقصدون التعليم الحديث) كان متدنياً للغاية، أما التعليم الأساسي الديني فقد كان موجوداً تقريباً في كل قرية ومدينة؛ إذ يستأجر الأهالي لأولادهم معلمين يعلمونهم كتاب الله وشيئاً من الخط والحساب. غير أن هذه المدارس لا تفي بالغرض ولا تتعدى نطاق التعليم المبدئي^(١)، وقل أن تخلو قرية من بوادي اليمن عن مدرسة تقوم بهذا الغرض المقصود وهذه الحال ثابتة على مرور الأزمنة والأجيال، وكانت هذه الطريقة في الأصل ضامنة لأن يتدرج تحتها تعلم الكتابة وما لا بد منه من الحساب على ما يعد تعليماً أولياً سهل بعده قبول وضممان الترقى في الدرجات العليا من العلوم، ولكن هذه الطريقة بمرور الزمن كادت أن تلحق بالأميين، حتى جاء عصر الإمام يحيى فطورها عما هي عليه تطويراً أولياً، ذلك أنها خلعت من أي برنامج تعليمي حديث لكل نواحي الحياة وبقيت فقط مدارس ابتدائية منتشرة في القرى المهمة كتعليم أساسي فقط^(٢).

والذي لا تستطيع إنكاره أن الإمام يحيى قد أسس مدارس عدة لكنها قليلة، منها مدرسة (الكتاب) بغية الحصول على موظفين في دوائر الحكومة.

كذلك فتح مدرسة (ابتدائية) سميت بمدرسة الأيتام في صنعاء ضمت إليه عدداً لا بأس به، والمتخرج منها أيضاً يوظف في أي دائرة حكومية بمرتب زهيد أو يرسل ليعلم في القرى والمدن.

(١) أحمد وصفي زكريا: رحلتي إلى اليمن، (مرجع سابق)، ص ١٥٥.

(٢) الواسعي: تاريخ اليمن، (مرجع سابق)، ص ٣٤٠، ٣٤١.

كما فتح مكتبان بعد أن تسلم (سيف الإسلام) عبد الله بن الإمام يحيى وزارة المعارف يضمن أبناء الأهالي لتعليمهم مجاناً وتمتاز الدراسة في هذين المكتبين بوجود شيء من الجغرافيا والحساب والتاريخ بصورة أولية^(١).

كما فتحت مدرسة سميت دار المعلمين يخرج فيها معلمون في القرى والمدن، ومنهج هذه الدار، تعنى بالدروس الدينية واللغة العربية وكذا شيء من الحساب والجغرافيا والمساحة، ومدتها من سنتين إلى ثلاث حسب ما تقتضيه الحاجة.

وفتحت في صنعاء مدرسة علمية تعنى بعلوم الدين واللغة بشكل أوسع وهي تشبه على حد وصف أحمد وصفي زكريا بل... إلى حد ما علوم الأزهر الشريف.

وفي هذه المدرسة قسم داخلي ويمكث الطالب فيها من (٧ - ١٠) سنوات ويخرج منها عالماً ويعين إما حاكماً أو ما أشبه ذلك في الوظائف الحكومية الراقية آنذاك.

أما المساجد^(٢): فقد كانت منابر هدى ومصدر إشعاع ونور يضيء للمسترشدين طريقهم.

فلا يخلو جامع أو مسجد وفي صنعاء بالذات وغيرها من المدن الإسلامية من حلق التعليم في مختلف العلوم، وقلّ أن تجد مسجداً لا يقيم هذه الحلقات، إنهم ليعملون هذا العمل الجليل لله تعالى لا يريدون من أحد جزاء ولا شكوراً.

وكذا الذين يرتادون هذه الحلقات هم طلاب للعلم غير مدفوعين من أحد بل يذهبون إليها وتحذوهم الرغبة ويسوقهم الشوق فهم كذلك يتعلمون لله.

ولا تزال هذه الحلقات إلى يومنا هذا، لكنها أقل بكثير مما كانت عليه في الماضي.

وإنا لله وإنا إليه راجعون، فقد انشغل كثير من الناس بديناهم وتقلبت بالناس أحوالهم وأصبحت ظروف الناس المعيشية مجحفة ومتعبة، والله المستعان.

(١) أحمد وصفي زكريا: رحلتي إلى اليمن، ص ١٥٦.

(٢) انظر: أحمد وصفي زكريا: رحلتي إلى اليمن، (مرجع سابق)، ص ١٥٧.

ترجمة القاضي محمد بن إسماعيل العمراني

وفيه المباحث التالية:

- المبحث الأول: مولده، واسمه وكنيته، ونسبه، ولقبه.
- المبحث الثاني: أسرته ومكانتها العلمية: وفيه ترجمة موجزة لأبائه.
- المبحث الثالث: حياته التعليمية: وفيه ذكر مشايخه، وإجازاته، وأسانيده.
- المبحث الرابع: وفيه العوامل التي أسهمت في تكوين شخصيته، وتمهيداً عن البيئة التي عاش فيها والمحن التي لاقاها.

المبحث الأول

مولده

ترجم القاضي محمد لنفسه^(١) كعادة كثير من العلماء حينما يترجمون لأنفسهم في مصنفاتهم فقال: (ولدت في ١٢ شهر ربيع الأول سنة ١٣٤٠هـ في صنعاء، ولما بلغت الرابعة من عمري توفي والدي، فنشأت يتيماً فقيراً جاهلاً أهو وألعب مع الصبيان...).

وستأتي بقية ترجمته عند مرحلة طلبه للعلم^(٢).

○ اسمه وكنيته ونسبه:

هو أبو عبد الرحمن القاضي العلامة الفقيه ناصر السنة، قانع البدعة، صاحب التحقيق في العلوم والتدقيق في الرسوم، المشتغل بالعلم والتعليم طوال حياته، محمد بن إسماعيل بن محمد بن علي بن حسين بن صالح بن شايح العمراني اللقب، الصنعاني المولد والنشأة^(٣).

(١) في مخطوط من مخطوطاته، وهي غير مرقمة ولا مبوبة، غاية الأمر أنها تشمل عدة مواضيع، وفيها فوائد حديثة وفوائد تاريخية وفتاوى فقهية... وتشتمل على كتاب الأوائل، جمع مادته العلمية القاضي محمد نفسه.

(٢) انظر: بقية الترجمة ص ١٦٢.

(٣) له من الأولاد الذكور أربعة: عبد الرحمن وهو دكتور في جامعة صنعاء وحاصل على ماجستير، جامعة السربون، وماجستير أخرى من جامعة القاهرة ودكتوراه من جامعة القاهرة أيضاً، من مؤلفاته: الزبيرى أديب اليمن الشاعر، الشعر التقليدي في اليمن، الاتجاه الرومانسي في الشعر اليمني، وديوان غريب من اليمن، وغيرها. الولد الثاني: عبد الغني، وكان ملحقاً ثقافياً لليمن في سوريا، حاصل على شهادة ماجستير في الأردن، وهو الآن يحضر الدكتوراه. الولد الثالث: عبد الوهاب، خريج ماجستير من بغداد في السياسة والاقتصاد، ويعمل في وزارة الخارجية بدرجة مستشار، وقد عمل في السفارة اليمنية في جدة، وفي واشنطن في أمريكا. الولد الرابع: عبد الرزاق، أيضاً يعمل في الخارجية وقد عمل اتصالاً في سفارة اليمن في باريس، ثم في النمسا.

○ لقبه :

اشتهر القاضي محمد بن إسماعيل بـ(العمراني) مع أنه ولد ونشأ وترى في صنعاء!! ذلك أن أصل هذه الأسرة من عمران^(١)، وأن أول من انتقل من هذه الأسرة إلى صنعاء هو جده القاضي علي بن حسين بن صالح بن شايح العمراني في عهد الإمام المنصور الحسين (١١٣٩هـ إلى ١١٦١هـ) في القرن الثاني عشر من الهجرة، وهذا ما يقوله القاضي محمد نفسه فيما كتبه عنهم من تأريخ في «الكلمة الوجيزة»^(٢)، وأن جدهم هذا هو أول من استوطن صنعاء في القرن الثاني عشر للهجرة وهو أول من قرأ العلم من هذه الأسرة.

و(عمران) بالفتح، وبعضهم يطلق عليها (عمران) بكسر العين المهملة، والذي يرجحه شيخنا القاضي العلامة العمراني أنها (عمران) بفتح العين المهملة وسكون الميم، وكذا يقول صاحب كتاب «أئمة اليمن»^(٣).

(١) وهي مدينة مشهورة من بلاد همدان شمالي صنعاء بنحو خمسين كيلومتراً. من مجموع بلدان اليمن وقبائلها للعلامة القاضي محمد بن أحد الحجر اليماني، تحقيق إسماعيل الأكرع: دار الحكمة اليمانية ط٢، (١٤١٦هـ)، ج ٣ ص ٦١١.

(٢) الكلمة الوجيزة بتاريخ أسرة بيت العمراني العزيزة، مخطوطة لشيخنا العلامة القاضي محمد بن إسماعيل العمراني، ص ١.

(٣) أئمة اليمن في القرن الرابع عشر، المطبعة السلفية ومكتبتها، المطبوع سنة ١٣٧٦هـ، من مجاميع العلامة محمد بن محمد بن يحيى زبارة، ص ٤٥، وضبطت بالضم عند ياقوت الحموي فقال: (عمران) بضم العين المهملة وسكون الميم. بينما يطلق عليها الآن عمران بفتح العين.

ويقول الشيخ العلامة قاسم بن إبراهيم بجر في القيس النوراني بتاريخ أعلام بني العمراني (مخطوطة): (لعل ياقوت الحموي رحمه الله تعالى ضبطها باعتبارها مصدراً مشتقاً أي قبل أن تكون علماً جامداً، أما بعد أن صارت علماً جامداً فلا كلام فهي بالفتح للعين المهملة وسكون الميم).

وقد علق شيخنا العمراني على عبارة صاحب كتاب أئمة اليمن عند ذكر عمران في قوله: (عمران) بفتح العين المهملة... إلخ، قوله: هذا هو الواقع وهو المطابق لما ذكره المؤرخ محمد بن علي العمراني (١١٩٤هـ إلى ١٢٦٤هـ)، وقد كان شيخ شيوخنا الوالي الحسن بن علي العمري (ت: ١٣٦١هـ) رحمه الله تعالى يقول: إنه العمراني بكسر العين، والصحيح الأول هـ.

وترتفع مدينة عمران عن سطح البحر (٢٣٠٠م) وتقع في الطرف الغربي الجنوبي لقاع =

ويصلح هذا اللقب لكل من سكن مدينة عمران قديماً وحديثاً، وصارت كلمة (العمراني) علماً بالغلبة عليه ثم على عقبه إلى يومنا هذا، وهم لا يُعرفون بدون هذه الكلمة باعتبار موطن أجداده الأقدمين فقط ولكنهم في وقتنا الحاضر يعتبرون من أهل صنعاء، وكل واحد من هذه الأسرة يقال له: (فلان العمراني) مع أنه لم يسكن عمران أبداً وربما لا يعرفها^(١).

= البون المشهور مخصب تربته ووفرة مياهه. ولعلها سميت باسم (قصر عمران) بفتح العين وضم الميم الذي أقامه هناك الملك الحميري (ذو عمران بن ذي مرثد بن ذي سحر). وكانت المدينة القديمة محاطة بسور من الطين، ولها بابان هما: الباب الغربي ويسمى (الباب الأعلى)، والباب الشرقي ويسمى (الباب الأسفل).

وفي عمران وخارجها بعض الآثار تجاوزت السور، وتطور العمران فيها، خاصة بعد قيام الثورة واستقرار البلاد، وتعتبر عمران منطقة غنية بزراعة الحبوب والبقوليات وبعض الفواكه (الرمان والفرسك والسفرجل) وبها أكبر مصنع للأسمت في البلاد (ينتج بطاقة تزيد عن ٥٠٠ ألف طن في السنة)، وهي تتبع داعي حاشد من الناحية القبلية.

وقد اشتهرت عمران بعد قيام الثورة باحتضانها لما سمي (مؤتمر عمران) الذي انعقد في ٢ سبتمبر ١٩٦٣م، وضم طائفة من المشايخ والعلماء الذين بدؤوا من ذلك الوقت بوجهون الانتقادات إلى حكومة الثورة التي كان يرأسها المشير عبد الله السلال. نقلاً عن الموسوعة اليمنية ١/٦٩١، ط ١٩٩٢م، مؤسسة العفيف الثقافية.

وقال عنها القاضي العلامة الشهيد محمد بن علي العمراني: وهي صنع كثير الخيرات، نشير البركات، ذات أفنان، ولكنها قليلة الفقهاء عديمة البهاء في صحاري... إلى أن قال: وعمران وأهلها بهذا الوقت خاصتهم وعامتهم يوصمون بغلظ الطبع في الحوار والمقاصد. من إنحاف النيبه في تاريخ القاسم بن محمد وبنيه وما كان من ابتداء الأمر إلى تناهيه، ص ١٦٨، النسخة المصورة (مخطوطة).

وعمران ذكرت بالضم والفتح والكسر (عُمران، عَمْران، عِمْران) فبالضم من حيث الاشتقاق، والكسر والفتح كما ذكر سابقاً في القبس النوراني من تاريخ أعلام بني العمراني (مرجع سابق).

والذي يظهر لي والله أعلم: أنها مضافة إلى رجل اسمه (ذو عمران) كما ذكر صاحب كتاب (صاحب الموسوعة) (مرجع سابق) لأن القرى والمدن اليمنية كانت تسمى بأسماء مؤسسيها من ملوك حمير. وانظر: كتاب صفة جزيرة العرب للمهمداني... بتحقيق محمد علي الأكوخ، ص ١٥٩، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م).

(١) القبس النوراني في تاريخ أعلام بيت العمراني، مخطوطة، (مرجع سابق).

أما ما فوق علي بن حسين العمراني فالنسبة إليهم - أي عمراني - إلحاق نسبة لا غير، ولثلا يلتبس هذا العلم بالنسبة، تجد كثيراً ممن أرخ لهم يزيد بعد قوله (العمراني) قوله (الصنعاني).

وأما بنو العمراني بالكسر فمنهم العلامة الفقيه الشافعي يحيى بن أبي الخير العمراني^(١) مصنف «البيان» في فقه الشافعية فهو عمراني بكسر العين نسبة إلى جده عمران بن ربيعة من ولد عبد الله بن عك بن عدنان^(٢).

ولأن أسرة صاحب الترجمة ينتمي إلى أهل بيت عريق في العلم ضاربة جذورها في الفضل والصلاح والقضاء، وأن أجداده قد ساهموا في نشر العلم واجتهدوا في ذلك تعليماً وإرشاداً وتأليفاً فقد رأيت أن أعرج بشيء من الإيجاز إلى ترجمة هذه الأسرة مشيراً إلى من حاز منهم قصب السبق في المضمار العلمي من حيث انتقلهم إلى صنعاء حتى عصرنا الحاضر.



(١) نسبه: يحيى بن أبي الخير بن سالم بن أسعد بن عبد الله بن محمد بن موسى بن عمران بن ربيعة بن عيسى... إلى عدنان، وبنو عمران عزلة من ناحية شلف في بلاد العدين، وبنو عمران من مشايخ بلاد عنس وأعمال ذمار. انظر: مجموع الحجري، ص ٦١٢، (مرجع سابق).

(٢) انظر: مجموع الحجري، ص ٦١١ (مرجع سابق). وانظر: طبقات فقهاء اليمن لعمر بن علي بن سمرة الجعدي، المكتبة اليمنية، تحقيق فؤاد سيد، القاهرة ١٩٥٧م، ص ١٧٤. وانظر: معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ط ١ (١٣٩٤هـ).

المبحث الثاني

أسرته ومكانتها العلمية

لقد حظيت هذه الأسرة عندما انتقلت من عمران إلى صنعاء في عصر الإمام المنصور حسين الذي تولى من الفترة (١١٣٩هـ حتى ١١٦١هـ)، وكان أول من انتقل كما مر معنا هو القاضي علي بن حسين العمراني - الصنعائي - وكان عمره إذ ذاك عشر سنوات، ثم شب وترعرع في أيام الإمام المهدي عباس (١١٦١ - ١١٨٩) وهو العصر الذهبي لمدينة صنعاء، العصر الذي عاش فيه الأئمة الأعلام أمثال العلامة البدر المنير محمد بن إسماعيل الأمير (١٠٩٩هـ - ١١٨٢هـ) وأترابه من العلماء وتلامذته.

كان هذا العصر من أزهى عصور صنعاء؛ حيث انتشرت فيه علوم السنة، وتحرك العلماء من ربة التقليد، وأعلن الكثير منهم الاجتهاد المطلق^(١)، ذلك لأن الإمام المهدي نفسه كان من محبي العلم بل من المشتغلين به، متقاداً إلى الخير محباً للعدل^(٢)، فشجع علماء السنة، وانكفأ الفساد في عصره، وبذلك انتهضت الحركة العلمية وكثر المؤلفون... وسجلت اليمن أزهى عصور النهضة العلمية. ولذلك رأيت أنه لا بد - لترجمة شيخنا - أن يسبق بترجمة موجزة لأبائه الذين انتقلوا إلى صنعاء ليطلبوا العلم، حيث إن منهم المحققين في علوم السنة المتضلعين فيها، ولنبدأ بأول من انتقل منهم إلى مدينة صنعاء.

○ ترجمة القاضي علي بن حسين بن صالح العمراني^(٣):

ترجمه ابنه في كتاب «إتحاف النبيه» فقال: (أما والدي فكان حليف القرآن

(١) الكلمة الوجيزة، ص ١، ٢، (مرجع سابق).

(٢) البدر الطالع ٣١٠/١ لشيخ الإسلام محمد بن علي الشوكاني. الكلمة الوجيزة، ص ٢٥١، لشيخنا العمراني.

(٣) إتحاف النبيه، ص ٩٨ (مرجع سابق).

يدم التلاوة عن ظهر قلب، متدبراً آياته بقدر الإمكان، يقوم به آناء الليل والنهار بلا ملل ولا ضجر ولا توان، وله في علم الدين شركة، تكفيه في أداء ما عليه من فعل وإحسان ما كلف تركه، وإطلاع على الأخبار والتواريخ، يحفظ من الأشعار ما فيه وعظ وحث على معالي الأمور وترقي الشماريخ^(١) وصدق لهجة، لا يجري الكذب على لسانه، وصادع بكلمة الحق - فليس الدهان من شأنه - ومجبة للعلم وإجلال لأهله).

وكم أثنى عليه ولده بكفايته له، وأنه قد كفاه الطريق، وكفاه المؤن مع حقارة دخله، وكان لا يدعه يعينه ولو بجمل متاع البيت مع كبر سنه، ويتجشم ذلك بنفسه ولا يشوب ما أعطى وتعاطى بمنة.

ثم ذكر أنه كان: (حاضر الجواب سريع البادرة حلو الفكاهة، لا خلو النباهة، طيب النادرة، وله محبة في أهل البيت وولاء، يكرم موجود حيهم ويرحم على ميتهم، ويقبل من محسنهم ويعفو عن مسيئهم، وإن كان عليه (...)^(٢) ويستلذ ذكر مناقبهم ويستحد فكر مثاقبهم ويستعذب مشاربهم ويقتني بينات مساربهم... إلخ).

وهو من مواليد عمران^(٣) كما ذكر ذلك المؤرخ محمد بن علي العمراني، وقال: (إن وفاته كانت في شوال سنة ١٢١٩هـ تسع عشرة ومائتين وألف للهجرة، عن أربعة وسبعين عاماً، مما يدل على أن ولادته كانت في سنة ١١٤٥هـ تقريباً وليس على وجه التحديد، أي في أيام المنصور بالله الحسين (١١٣٩هـ - ١١٦١هـ)^(٤) أي قبل مائتين وثلاثة وسبعين عاماً، فتكون مدة وجود هذه الأسرة في صنعاء حوالي قرنين وثلاثة وسبعين عاماً.

ونشأ في عصر المهدي عباس (١١٦١هـ - ١١٨٩هـ)^(٥) وهو (العصر الذهبي حقاً لمدينة صنعاء) حيث يقول الشوكاني عنه في ترجمته: (كان إماماً فطناً زكياً

(١) الشماريخ: جمع شمراخ - بكسر الشين - عليه بسر، (المعجم الوسيط) للفيروزآبادي. أو عنب كالشمروخ. ورأس الجبل وأعالي السحاب. انظر: القاموس المحيط، باب الخاء فصل الشين، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط ٣ (١٤١٣هـ - ١٩٩٣م)، ص ٣٢٥.

(٢) كلمة غير مفهومة في النص الأصلي. (٣) انحاف النيه، ص ٩٩.

(٤) البدر الطالع ١/ ٢٢٥، ٢٢٦. (٥) المرجع السابق، ص ٣١٠.

عادلاً قوي التدبير منقاداً إلى الخير مايلأ إلى أهل العلم محباً للعدل منصفاً للمظلوم^(١). بل يقول عنه في نهاية ترجمته مادحاً ومشيداً بهذا الإمام: (إنه من أفراد الدهر ومحاسن اليمن بل الزمن)^(٢). فمن كانت هذه أوصافه حري أن تزدهر في ظل حُكْمِهِ البلاد وينعم العباد وتتفجر القرائح وتتفتح العقول والمواهب.

لذلك فالنتيجة الحتمية في ظل هذه الأسباب أن يبرز نجوم العلماء ومصاييح الهدى مثل العلامة البدر المنير محمد بن إسماعيل الأمير^(٣) (١٠٩٩ - ١١٨٢هـ) صاحب المؤلفات القيمة مثل «سبل السلام»، و«منحة الغفار»، وحيث إن هذا الإمام - أي المهدي عباساً - كان من محبي أهل السنة والجماعة، ويبغض التعصب، ويرفض التشيع، ويقصي أهل الرفض، فقد انتشرت في عهده علوم السنة، وتحرر العلماء حينها من ربة التقليد والتعصب المذهبي والجمود الفكري، وأعلن كثير منهم الاجتهاد المطلق^(٤).

ثم على أثر هؤلاء العلماء نشأ علماء آخرون بلغوا مرتبة الاجتهاد؛ فأثروا المذهب الزيدي مثل شيخ الإسلام محمد بن علي الشوكاني (١١٧٣ - ١٢٥٠هـ)، والسيد إبراهيم بن عبد القادر بن أحمد^(٥) (١١٦٩ - ١٢٢٣هـ)؛ ثم تخرج على

(١) المرجع السابق، ٣١٠، ٣١١. (٢) مرجع سابق، ص ٣١١.

(٣) راجع ص (٢٥٦) من هذا الكتاب.

(٤) الاجتهاد نوعان: اجتهاد مطلق واجتهاد مذهبي. والاجتهاد المطلق يعني: استنباط الأحكام مباشرة من الكتاب والسنة. أما الاجتهاد المذهبي فيسمى مجتهد مذهب، وهو أن يخرج لإمام المذهب على ما اجتهد في مذهبه، وقد انتقد الأمير هذه التخريجات في كتابه سبل السلام ١٧٧/٤، عند شرحه لحديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»، أخرجه الترمذي عن أبي هريرة في باب: ترك ما لا يعني.

وقال ابن الأمير رضي الله عنه: ولا يخفى أن تخريج البخاري وتقدير التقادير ليس من العلم المحمود في شيء، لأن غايتها أقوال خرجت من أقوال المجتهدين، وليست أقوالاً لهم ولا أقوالاً لمن يخرجها ولا احتياج إليها، والعمل بها مشكل... إلخ. انظر: ج ٤ من كتاب سبل السلام، شرح الحديث المذكور.

(٥) إبراهيم بن عبد القادر بن أحمد: له رسائل ومسائل مفيدة، منها: «فتح الرحمن في بيان =

هذين العالمين الجليلين وأمثالهما الكثير من رجال السنة والتاريخ، كالقاضي حسن الرباعي^(١)، ولطف الله جحاف^(٢) (١١٨٩ - ١٢٤٣هـ)، والعلامة إبراهيم بن عبد الله بن إسماعيل الحوثي (١١٨٧هـ - ١٢٢٣)^(٣)، أحد تلاميذ الشوكاني وهو عالم مجتهد، والعلامة محمد بن حسن الشجني (١٢٠٠ - ١٢٨٦) وغيرهم.

وتذكيراً للقارئ فإن هذا الحديث إنما هو عن القاضي علي بن حسين بن صالح العمراني في الأصل، وما جاء هذا الكلام عن عصره إلا استطراداً؛ لنعرف كيف أن اليمن كانت تتمتع ببحرية فكرية ونهضة علمية، والتي كان قائدها الأول وحامل لوائها هو الإمام القاسم بن محمد بن علي مؤسس الدولة القاسمية (٩٦٧ - ١٠٢٩هـ) حين دعا علماءها آنذاك دعوة صريحة قوية عالية إلى الاجتهاد المطلق، حينما كان العالم الإسلامي في ذلك الحين يغوص في ظلام التقليد ودياجير التعصب والجمود^(٤).

ثم إن للقاضي العلامة علي بن حسين العمراني ولّدين: أحدهما: محمد، والآخر: أحمد.

○ ترجمة القاضي محمد بن علي العمراني:

حظي هذا الجهد من علماء بيت العمراني بعدة تراجم، ذلك أنه بلغ منزلة سامية ورتبة عالية في جميع العلوم لا سيما علم الحديث ورجاله.

فممن ترجمه: الشوكاني في «البدر الطالع»، وتلميذه عاكش الضمدي، ونقلها صاحب «نيل الوطر» في تراجم رجال القرن الثالث عشر، ثم ترجم نفسه

= حكم الختان» وكشف المحجوب عن صحة الحج بمال مغصوب»، و«القول القيم في حكم تلوم الميت» وغيرها من الرسائل. انظر: ترجمته كاملة في: البدر الطالع ٧١/١.

(١) حسن بن أحمد بن يوسف الرباعي (ت: ١٢٧٦هـ). له مؤلف في الحديث اسمه (فتح الغفار) انظر: البدر الطالع، ١٩٤/١.

(٢) انظر: ترجمته المطولة في: البدر الطالع ٦٠/٢ وما بعدها. له مؤلفات كثيرة، منها: الشرح المختصر لمنتهى الأخبار - التواريخ الكثيرة.

(٣) انظر: ترجمته في البدر الطالع ١٩/١.

(٤) من مقالة شيخنا العلامة العمراني، أذيعت في إذاعة صنعاء في سنة ١٣٧٤هـ تحت عنوان: «الحرية الفكرية وفتح باب الاجتهاد المطلق في اليمن في القرن الحادي عشر».

كعادة بعض أهل التراجم في كتابه «إتحاف النبيه بتاريخ القاسم بن محمد وبنيه»، ولم يفت المؤرخ الزركلي في كتابه «الأعلام» ذكره، وعبد الله الحبشي في «مصادر الفكر العربي والإسلامي في اليمن»، واخترت نماذج من هذه التراجم، منها: ترجمة الشوكاني له، وترجمة تلميذه عاكش الضمدي منقولة من كتاب «نيل الوطر»^(١).

○ ترجمته في «البدر الطالع»:

بالرغم مما حدث في آخر مدة بقاء العمراني عند شيخه العلامة الشوكاني من وحشة وجفاء كما يحدث بين الأقران من العلماء مثل ما حدث بين السخاوي (ت: ٩٠٢هـ) والسيوطي (ت: ٩١١هـ)، وبين السبكي (ت: ٧٧١هـ) وابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ)، وغيرهم، لكن شيخ الإسلام الشوكاني ذو النفس الكبيرة والقلب الطيب لم يغمط تلميذه حقه في الترجمة بل أنصفه أيما إنصاف فقال عنه: (برع في جميع العلوم الاجتهادية، وصار في عداد من يعمل بالدليل، ولا يعرج على القال والقليل، وبلغ في المعارف إلى مكان جليل، وهو قوي الذهن، سريع الفهم، جيد الإدراك، ثاقب النظر، يقل وجود نظيره في هذا العصر، مع تواضع وإعراض عن الدنيا وعدم اشتغال بما يشغل به من هو دونه بمراحل من تحسين الهيئة ولبس ما يشابه المتظاهر بالعلم، كثّر الله فوائده ونفع بعلمه، وقد سمع عليّ غالي الأمهات الست، وفي العضد، والكشاف، والمطول، وحواشيها وغيرها من الكتب)^(٢).

وسمع من الشوكاني أكثر مصنفاته، وكثر اشتغاله بعلم الحديث ورجاله حتى صار من أعظم رجال هذا الشأن.

ويضيف الشوكاني قائلاً: (وفي الجملة فهو قليل النظر في مجموعه وكثرة فنونه وإتقانه)^(٣).

(١) نيل الوطر من تراجم رجال القرن الثالث عشر من هجرة سيد البشر ﷺ، للعلامة محمد بن زبارة، طبعة المطبعة السلفية القاهرة، سنة ١٣٥٠هـ، ٢/٢٨٩.

(٢) سيأتي في المباحث القادمة توضيح لمسميات هذه الكتب.

(٣) البدر الطالع ٢/٢١٠.

ويقول شيخنا العلامة محمد بن إسماعيل العمراني معلقاً:

وجدت في هامش «البدر الطالع» بعد هذه الترجمة في مخطوطه بعناية السيد عبد الرحمن الشامي كلاماً طويلاً في الثناء على القاضي محمد بن علي العمراني ما نصه: إنه إمام العلوم، وحافظ العصر الذي انتهت إليه رئاسة العلم في هذه الديار، وأحاط بأطرافها إحاطة الأهلة بالأقمار والأكماء بالأثمار، وإنه برع في علم الحديث حتى برز الأقران، بل فقد نظيره فيمن تقدم بقرون حتى سمعت عن يروي عن بعض الأعلام أنه لم يأت في هذه الديار بعد عبد الرزاق الصنعاني نظيره في هذا الشأن. اهـ. من خط الفقيه حسن بن أحمد البرغشي بهامش نسخة من «البدر الطالع»^(١).

○ ترجمته في «نيل الوطر»:

وترجمه تلميذه عاكش الضمدي فقال^(٢):

(خاتمة أهل التحقيق، والفائق لأقرانه في أصناف التدقيق، له اليد الطولى في جميع الفنون من نحو وصرف ومنطق وأصول وبيان مع إمام بعلم المعقول. وأما علم الحديث فهو إمام محرابه، والذي لا يلحقه قرين من أهل زمانه وأقرانه، فهو يستحضر رجال الحديث الستة بحيث لا يخفى عليه من أحوالهم خافية. غاية الأمر أنه ناظر القدماء في هذا الفن وبلغ رتبة في الحفظ يقصر عنها أهل الزمن.

اتفقت به في رحلتي إلى صنعاء سنة ١٢٤٣هـ، وقرأت عليه شرح الغاية في أصول الفقه من فاتحته إلى خاتمته، وأخذت عليه في صحيح مسلم، وسنن ابن ماجه، ومستدرك الحاكم، وغير ذلك.

وكان هو الحاكم في حلقة البدر^(٣) الشوكاني، وما تدور مراجعةً إلا ويسند بيان إشكالاتها وإيضاح إبهامها إلى صاحب الترجمة.

(١) هي في مكتبة القاضي محمد بن إسماعيل العمراني.

(٢) نيل الوطر ٢/٢٨٩.

(٣) البدر: لقب يستعمله أهل اليمن للعلماء الكبار الذين يسمون بمحمد. وأما الصغار منهم فيقال له: العزي أو (عز الإسلام).

وفي آخر المدة وقعت بينهما وحشة كما جرت به العادة بين الأقران، وجرت على المترجم له محنة، وأودع دار الأدب في صنعاء بسبب تمالؤ الحساد عليه، وكاد يعرض على السيف، وبعد ذلك أفرج عنه وأبعد عن وطنه، وانتهى خروجه إلى زبيد سنة ١٢٥٠هـ، ثم هاجر إلى مكة المكرمة وأقام بها ثلاث سنين مكباً على نشر العلم، ثم استدعاه الشريف الحسين بن علي بن حيدر إلى حضرته في المخلاف السلطاني، وبني له بيتاً في مدينة أبي العريش، وأجرى عليه الكفاية التامة، ولبث نحو سنتين ثم ترجح له الانتقال إلى مدينة زبيد فأسدى إليه الشريف الحسين الإنعام وقابله بالإجلال والإكرام، وبعد استقراره في زبيد اشتغل بالفروع الفقهية.

○ آثاره:

□ ومن مؤلفاته:

أولاً: «حاشية على سنن ابن ماجه» سماها: «عجالة ذوي الحاجة»^(١)، وهي حاشية مفيدة جاء فيها بأسلوب مخترع يورد السند ويتكلم على رجاله بما قيل فيه، ويجمع الطرق الشاهدة لذلك المتن والاعتبار، ويتكلم على متن الحديث، وقد كان جعلها أولاً كالتخريج ثم جاوز ذلك إلى شرح السنن.

ثانياً: «التعريف بما في التهذيب من قوي وضعيف»، في مجلدين. وهو مؤلف حافل يجمع رجال الكتب التي لم يتكلم على رجالها، مثل «حلية الأولياء» لأبي نعيم، وغيرها.

ثالثاً: «مؤلف في التاريخ»، ترجم فيه علماء عصره وسماه «إتحاف النبيه في تاريخ القاسم بن محمد وبنيه».

□ شعره:

ومما قاله في شعر لطيف:

إذا مت فادعوا لي بغفران زلتي ويسخّوا على قبري سجال الترحم
فإني لكم ما زلت أدعو مبالغاً بوقت ضياء أو بأسود مظلم

(١) انظر: كتاب «التقصير في حياة الإمام الشوكاني علامة الأمصار» ترجمة العمراني، ص ١،

مكتبة الجيل الجديد، صنعاء، ط ١ (١٤١١هـ - ١٩٩٠م)، ص ٤١٥.

وله في حصر من ينسب إليهم التدليس في الحديث:

إن الذين إلى التدليس قد نسبوا
أبو الزبير^(١) وحجاج^(٢) مع الحسن^(٣) البصر
ويونس^(٦) وحميد^(٧) والوليد^(٨) مع
وزد مغيرة^(١٣) والنهمي^(١٤) وابن أبي
كما حكاها الإمام الحافظ الذهبي
في قتادة^(٤) سفيان^(٥) العلي النسب
يحيى^(٩) بقية^(١٠) إسماعيل^(١١) مطلي^(١٢)
نجيح^(١٥) ابن جريج^(١٦) شامخ الرتب

- (١) أبو الزبير المكي محمد بن مسلم بن تدرس: (صدوق إلا أنه يدلس، من الرابعة (ت): ٢٦ (١٠٧/٢).
- (٢) حجاج بن أرطاة بن ثور بن هبيرة أبو أرطاة. أحد الفقهاء، صدوق كثير الخطأ والتدليس، من السابعة (ت: ٤٥)، (١٥٢/١).
- (٣) الحسن بن أبي الحسن البصري، واسم أبيه يسار، ثقة فاضل كان يرسل كثيراً ويدلس، (ت: ١١٠)، (١٦٥/١).
- (٤) قتادة بن دعامة بن قتادة السدوسي أبو الخطاب البصري ثقة ثبت يقال: ولد أكمه، وهو رأس الطبقة الرابعة (ت: بضع عشرة) (١٢٣/٢).
- (٥) سفيان الثوري بن سعيد بن مسروق الثوري أبو عبد الله الكوفي ثقة حافظ فقيه عابد إمام حجة من رؤوس الطبقة السابعة، وكان ربما دلس (ت: ٦١) (٣١١/١).
- (٦) يونس بن زيد البصري (لم أجد). لعنه يونس بن عبيد وصفه النسائي بالتدليس انظر: تهذيب اللسان ٤٠٥/٢٤.
- (٧) حميد الطويل: حميد بن أبي حميد الطويل، أبو عبيدة البصري، (ت: ٤٢ ويقال: ٤٣/ع)، من الخامسة، (٢٠٢/١).
- (٨) الوليد بن مسلم القرشي مولاهم، أبو العباس الدمشقي، ثقة لكنه كثير التدليس والنسوية، من الثامنة (ت: ٥٩٥/ع)، (٣٣٦/٢).
- (٩) يحيى ابن أبي سمير (لم أجد). لعنه يحيى بن أبي كثير وصفه النسائي بالتدليس انظر: تهذيب اللسان ٥٩٦/٤١.
- (١٠) بقية بن الوليد بن صائد بن كعب الكلاعي، أبو محمد كثير التدليس عن الضعفاء، من الثامنة (ت: ٩٧) (١٠٥/١)، كتبها في الأصل بقية، ولعلها بقية.
- (١١) إسماعيل بن الوليد (لم أجد).
- (١٢) مطلي محمد بن يحيى (لم أجد).
- (١٣) مغيرة بن عبد الرحمن الخزاعي: يوجد في التقريب عدة أشخاص بهذا الاسم فلم أعرف من أنقل.
- (١٤) النهمي محمد إبراهيم (لم أجد).
- (١٥) ابن أبي نجيح (لم أجد).
- (١٦) أبو الوليد، وقيل: أبو خالد: فقيه الحرم، عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج الرومي، الأموي مولاهم، المكي، من الكتاب، ولد بمكة عام الجحاف سنة ٨٠هـ، من تذكرة =

كذا هشيم^(١) إمام العلم ابن أبي عروبة^(٢) الخبر قاضي هدى خيرني
أبو اليمان^(٣) سليمان^(٤) الفريد بما أوتي من فضل جميع العلم والأدب

ولما كان دخول الباطنية من قبائل (يام) مع الشريف الحسن بن محمد بن علي بن حيدر إلى مدينة زبيد لاستخلاص عمه الشريف الحسين بن علي بن حيدر: دخل بعض أهل (يام) على المترجم له إلى بيته وضربه بخنجر في عنقه،

= الحفاظ للذهبي ١٦٩/١ - ١٧٠، (مرجع سابق).

(١) هشيم بن بشير السلمي: هشيم بن بشير بن القاسم بن دينار السلمي، ثقة ثبت كثير التدليس والإرسال الخفي، من السابعة (ت: ٨٣/ع)، (٢/٣٢٠).

(٢) ابن أبي عروبة مهران، الإمام الحافظ أبو النظر العدوي مولا هم، البصري، أحد الأعلام، حدث عن الحسن ومحمد بن سيرين، وهو أول من صنف الأبواب بالبصرة، وقيل: إنه تغير حفظه قبل موته بعشر سنين، (ت: ١٥٦هـ)، تذكرة الحفاظ، (١/١٧٩)، (مرجع سابق).

مراجع تراجع هؤلاء الرجال: خاتمة الحفاظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٧٧٣ - ٥٨٥٢)، تحقيق وتعليق عبد الوهاب عبد اللطيف أزهرى، دار المعرفة - بيروت - لبنان، ط ٢، (١٣٩٥هـ - ١٩٧٥ك) وفي مقدمته ذكر الطبقات، فقال: الأولى: الصحابة على اختلاف مراتبهم، والثانية: طبقة كبار التابعين، والثالثة: الطبقة الوسطى من التابعين كالحسن البصري وابن سيرين، والرابعة: طبقة تليها جل روايتهم عن كبار التابعين كالزهري وقتادة، والخامسة: الطبقة الصغرى منهم، والسادسة: طبقة عاصروا الخامسة لكن لم يثبت منهم لقاء أحد من الصحابة كابن جريج، السابعة: طبقة كبار أتباع التابعين كمالك والثوري، الثامنة: الطبقة الوسطى منهم كابن عيينة وابن علية. التاسعة: الطبقة الصغرى من أتباع التابعين كيزيد بن هارون والشافعي... العاشرة: صغار الآخذين عن تبع الأتباع ممن لم يلق التابعين كأحمد بن حنبل، الحادية عشرة: الطبقة الوسطى من ذلك كالزهلي والبخاري، الثانية عشرة: صغار الآخذين عن تبع الأتباع كالترمذي، وألحقت بها باقي شيوخ الأئمة الستة الذين تأخرت وفاتهم قليلاً كبعض شيوخ النسائي. وذكرت وفاة من عرفت سنة وفاته منهم، فإن كان من الأولى والثانية فهم قبل المائة، وإن كان من الثالثة إلى آخر الثامنة فهم بعد المائة، وإن كان من التاسعة إلى آخر الطبقات منهم فهم بعد المائتين، ومن ندر عن ذلك بيته... إلخ.

(٣) أبو اليمان الحكم بن نافع، البهاري، مشهور بكنيته، ثقة ثبت، يقال: إن أكثر حديثه عن شعيب من رواية، من العاشرة (ت: ٢٢)، (١/١٩٣).

(٤) سليمان الأعمش بن مهران الأسدي الكاهلي، أبو محمد الكوفي، الأعمش، ثقة حافظ عارف بالقراءة ورع لكنه يدرس، الخامسة (ت: ٤٧)، (١/٣٣١).

فلبث يومين ومات شهيداً سعيداً في داره بزبيد في شهر جمادى الأولى سنة ١٢٦٤هـ عن سبعين سنة، رحمه الله تعالى رحمة واسعة^(١).

○ ترجمة القاضي أحمد بن علي العمراني:

هو أصغر من أخيه محمد، وأقل شهرة منه، وصفه ابن أخيه عبد الرحمن بن محمد بأنه: كان سريع البادرة قوي الإدراك حاضر الجواب حسن المحاضرة^(٢).

تخرج على يديه ابن أخيه عبد الرحمن بن محمد بن علي العمراني، وله ترجمة أيضاً في «نيل الوطر»^(٣).

وقال عنه ابن أخيه القاضي عبد الرحمن بن محمد العمراني: (كان عمي عالماً أثرياً سريع البادرة، قوي الإدراك، حاضر الجواب، حسن المحاضرة، استفاد من أبي كثيراً، وقرأت عليه وانتفعت به) اهـ^(٤).

○ أولاد القاضي محمد بن علي العمراني:

وله ثلاثة أولاد، وهم: القاضي محمد، وكناه والده بأبي الدرداء. والقاضي عبد الرحمن، وكناه والده بأبي هريرة. والقاضي حسين وهو أصغرهم وأقلهما شهرة.

○ القاضي محمد بن محمد العمراني^(٥):

هو أكبر من أخيه عبد الرحمن، ولد في سنة ١٢٢٠هـ.

نشأ في حجر والده، وتخرج على يديه، وأخذ عنه صحيح البخاري، وصحيح مسلم، والسنن الأربع، وسنن الدارقطني، والموطأ، ومسند الإمام أحمد بن حنبل، والدارمي، ومستدرک الحاكم. وقرأ عليه الكشاف وحواشيه، والعضد وحواشيه، وشرح الرضوي، وشرح المحلى لابن حزم، وفي القاموس، والصحاح، وشرح التقريب للعراقي، وسيرة المؤرخ الشامي وغيرها.

(١) الكلمة الوجيزة، ص ١٣، (مرجع سابق).

(٢) من الكلمة الوجيزة لشيخنا العمراني، ص ١١ (مرجع سابق).

(٣) للعلامة محمد بن محمد زيارة. (٤) نيل الوطر، ص ٣٨٠ (مرجع سابق).

(٥) هذه الترجمة منقولة بتصريف من كتاب أئمة اليمن بالفرون الرابع عشر للهجرة. من مجاميع محمد بن محمد زيارة، المطبعة السلفية ومكبتها، سنة ١٣٧٦هـ، ص ٤٠ - ٤٥.

وجلس إلى القاضي محمد بن علي الشوكاني، أخذاً عنه جميع صحيح البخاري وصحيح مسلم، وبعض مؤلفاته، وبعض المسلسلات، وأجازه إجازة عامة.

وأجازه أيضاً السيد عبد الله بن محمد الأمير، وأسمع المسلسلات على السيد العلامة يوسف بن إبراهيم الأمير، وأخذ عن السيد علي بن أحمد بن حسن الظفري، والقاضي محمد بن المهدي الضمدي: شرح الأزهار، وبيان ابن مظفر، وشرح الغاية، وحاشية سيلان. وعن السيد محمد بن محمد الكبسي: الكشف، وعن السيد علي بن إسماعيل بن يحيى: العضد، وبعض المطول. وعن السيد أحمد بن زيد الكبسي: شرح العمدة، وفي البحر الزخار. وأخذ عن السيد يحيى بن المطهر، وعن السيد حسين البغدادي. وأسمع المسلسلات وهو دون البلوغ بصنعاء على الشيخ محمد عابد السندي، ثم لازمه بمكة وأخذ عنه الأمهات وغيره، واستخاره بما قرأ عليه.

ص
واستخاره

وأسمع بزويد على السيد المسند عبد الرحمن بن سليمان الأهل، صاحب (النفس اليماني في إجازة قضاء بني الشوكاني)، وعلى السيد الطاهر بن أحمد الأنباري، والقاضي إبراهيم بن محمد الزجاجي، والشيخ محمد بن عبد اللطيف المزجاجي المشرع، والشيخ عباس بن محمد السالمي، والشيخ سليمان الزبيدي في الأمهات وكتب التفسير، والآلة، والأصول، والزهد، والطب..

وبعد استشهاد والده سنة ١٢٦٤هـ - كما في ترجمته في كتاب «نيل الوطر» - انتقل إلى مكة المكرمة فأخذ بها عن الشيخ عبد الله سراج، والشيخ إبراهيم الصمياطي، والشيخ يوسف مساوي في كتب الحديث والتفسير وكشف الغمة للشعراني، وقد كان جاور بمكة مع والده ثلاث سنوات.

وعلى الجملة، فإنه جد واجتهد في طلب العلوم، وقام وقعد في تحقيق حدودها والرسوم حتى برع في جميع الفنون، وكان خاتمة أهل السند العالي لعلم الرواية في عصره باليمن الميمون.

ثوى بزويد برهة وبمكة زماناً وفي صنعاء لذي العلم تابع
وإن رمقت عينك بعض صلاته وإخباته سبحت والشيخ راعع^(١)

(١) أئمة اليمن بالقرن الرابع عشر ص ٤٣ (مرجع سابق).

ومن أجل من أخذ عنه واستجاز منه إمام القراء السيد علي بن أحمد الشرفي الحسيني الصنعائي، والقاضي محمد بن عبد الملك الأنسي، والسيد علي بن أحمد بن علي السدسي الروضي، والقاضي الحسن بن الحسن الأكوغ، والسيد عبد الله بن علي بن عبد القادر، والفقير لطف بن محمد شاكر، والقاضي إسحاق بن عبد الله المجاهد وغيرهم.

○ الأعمال التي تولاهما :

١ - تولي أوقاف مدينة ثلاث.

٢ - تولي الأوقاف الخارجية بصنعاء.

وكان يحضر مجلس الإدارة في يومي انعقاده من كل أسبوع، كما كانت العادة في أعوام الحكومة التركية بصنعاء بحضور ناظر الأوقاف الخارجية مجلس الإدارة مع سائر الأعضاء فيه.

ولما طلب منه تلميذه القاضي محمد بن عبد الملك الإجازة أجازته في محرم سنة (١٢٩٦هـ) إجازة مطولة وكتب معها هذه الأبيات :

أهدي إليك سلاماً	يعطر الكون نشره
ولم يزل مستجداً	على الأصائل بشره
أذكر من المسلك عرفاً	قد زين الدهر زهره
يعلو على كل فرد	وداده بـل وقـدره
راياته خافقات	ونظمه زان دره
أودعته صدق ودي	ينبئك من ذاك نشره
فأسلم لك الخير يسعى	في موقف أنت بدره

فأجاب عليه القاضي محمد قبل أن يتحقق أن أبياته مضمومة الراء :

أهديت لي يا إماماً	ما جاوز النجم قدره
من بحر نظمك ذراً	لا يدرك الناس سره
إني وكيف ومن ذا	يدري من اليم قعره
تركبت رب القوافي	في سكره ثم فكره

إلى أن قال :

واعذر فديتك إني قابلت ذراً ببعرة

وأسبل لك الفضل سترأ بيوت نظمي عورة
ثم كتب القاضي محمد بن عبد الملك في سلخ صفر سنة ١٣٠١هـ إلى شيخه
القاضي محمد العمراني هذه الأبيات يطلب إبعاده سماع الموطأ برواية يحيى بن
يحيى وسنن ابن ماجه مطلعها:

سقى سحب الرضى دهرأ حبابي وصال أحبتي فلبست تاجه
إلى أن قال:

ابن لي أيها المولى أيقضي لنا الدهر الذي أبدى اعوجاجه
بجمع الشمل والمقصود وقت لإملاء الموطأ وابن ماجه
ونجني زهر روض العلم غضأ ونسلك في الحديث به فجاجه
ونحبي للقاء بيتأ قديمأ ونوسع في تنالينا شجاجه
فهب لي منك في الأسبوع يوماً يدير الأنس فيه لنا زجاجه

فما كان من أستاذه وشيخه إلا أن عين له بعد صلاة الجمعة من كل أسبوع
لدرس الموطأ وبعد إكماله شرع في درس سنن ابن ماجه حتى عاقه الحمام عن
التمام فمات ليلة الأربعاء وعشرين من شعبان سنة ١٣٠٢هـ عن اثنين وثمانين سنة،
وقبر بمقبرة السعدي جنوب مدينة صنعاء، ورثاه تلميذه محمد بن عبد الملك مع
السيد محمد بن علي الأمير، المتوفى قبله بأربعة أيام بقصيدة طويلة تختار منها:

وهذه نجوم الأرض في الترب غيبت وألقت عصاها عن لقاء المطالع
رويدك يا ريب المنون أخذت من لموتهم تغشى البلاد الزعازع
سمى رسول الله نجل ابن يوسف ال أمير على نهج الهدى وهو يافع^(١)
وأستاذنا قطب الرشاد وسند ال بلاد فدع ما يدعيه المنازع
خليلان في ورد الحمام تسرعا كما كان كل في المراضي يسارع
وبدرا هدى غابا علينا وأشرقت بنورهما في الجننتين مطالع
وكان على هدي النبي يحافظا فقد لحقوه في الممات وتابعوا
... إلخ الأبيات.

(١) هو السيد العالم الشاب التقى الفاضل محمد بن علي بن يوسف الأمير، ولد سنة
١٢٧٢هـ، وتوفى سنة ١٣٠٢هـ.

وذكره القاضي محمد بن إسماعيل العمراني^(١) فقال: وقد كان القاضي محمد بن محمد العمراني من كبار رجال السنة، وسنده من أعلى الأسانيد بحيث أنه كان من يقرأ عنده من العلماء في القرن الرابع عشر - مثل القاضي إسحاق المجاهد (ت: ١٣٣٨هـ)، والقاضي حسن الأكوغ^(٢) (ت: ١٣٠٧هـ)، الذي هو حفيد الشوكاني، والسيد علي السدسي (ت: ١٣٦٤هـ) - حصل على السند العالي، لأنه قرأ على الشوكاني مباشرة وبلا وساطة أثناء ما كان يقرأ والده مع الشوكاني رحمهم الله جميعاً.

كما أجاز السيد عبد الله بن محمد الأمير في مؤلفات والده السيد محمد إسماعيل صاحب سبل السلام وغيرها من الكتب، فليس بينه وبين الأمير غير شيخ واحد، في حين أن الأمير توفي سنة ١١٨٢هـ.

فهو يشارك الشوكاني الذي روى عن السيد عبد القادر بن أحمد عن البدر الأمير رحمهم الله في أنه ليس بينه وبين الأمير غير شيخ واحد.

كما أن العمراني يروي عن السيد عبد الرحمن بن سليمان بن يحيى الأهدل عن أبيه عن جده (سليمان)، وهذا السيد سليمان هو شيخ السيد عبد القادر بن أحمد شيخ الشوكاني.

ص
يحيى بن عمر
الأهدل

فيكون القاضي العلامة محمد بن محمد العمراني في درجة شيخ الإسلام الشوكاني من ناحية السند.

○ معاصروه من الأئمة:

أدرك القاضي محمد بن محمد العمراني بضعة عشر إماماً، حيث ولد أيام المنصور علي، وعرف أيام المتوكل أحمد وهو صبي لم يبلغ الحلم، وشب وترعرع أيام المهدي عبد الله، ثم أدرك عهد المهدي عبد الله ثم علي بن المهدي ثم عبد الله بن الحسن، ومحمد بن أحمد، ومحمد بن يحيى، وأحمد بن هاشم، وعباس بن شمس

(١) في الكلمة الوجيزة، ص ٧.

(٢) فائدة: القاضي حسن الأكوغ جد القاضي إسحاق المجاهد من جهة أمه، (أي أن المجاهد يعتبر ابن بنت الأكوغ) كما أن جد الأكوغ من جهة أمه: شيخ الإسلام محمد بن علي الشوكاني. (من القاضي العمراني في كتاب: الدر الفريد للواسعي، ص ٣٨).

الجوهر، وغالب بن محمد، ومحمد بن عبد الله الوزير، وحسين بن المتوكل،
ومحسن بن محمد... وغيرهم من الأئمة الذين ظهرُوا أيام الفوضى.
كما عاصر المهدي أحمد بن قاسم الحوني، والإمام الهادي شرف الدين،
وخمسة من ولاية الأتراك وهم:
أحمد مختار، ومصطفى عاصم، وإسماعيل حافظ، ومحمد عزت، وأحمد
فيضي باشا.

○ القاضي عبد الرحمن بن محمد العمراني:

أصغر من أخيه محمد حيث ولد في شهر ذي الحجة سنة ١٢٣٤هـ، وترجم
له كل من محمد بن محمد زبارة في «نيل الوطر»، وترجم له ترجمة وجيزة القاضي
محمد بن إسماعيل العمراني في «الكلمة الوجيزة».

ووالده في «إتحاف النبيه» في آخر هذا المؤلف، والقاضي عبد الله بن
عبد الكريم الجرافي في «أبناء اليمن ونبلاء ما بعد الألف»، وفي هامش «تحفة
الإخوان» وغيرهم، نختار منها ترجمة السيد زبارة^(١) إذ يقول:

(القاضي الحافظ المحدث التقي عبد الرحمن بن محمد بن علي بن حسين بن
صالح بن شائع العمراني الصنعاني، أخذ عن والده المحقق، وأسمع على القاضي
محمد بن علي الشوكاني في صحيح البخاري وغيره، وأخذ عن السيد محمد بن
عبد الرب بن محمد بن زيد بن المتوكل: شرح العمدة لابن دقيق العيد، وشرح
القلائد للنجري، واستجاز منه. وأخذ عن القاضي إبراهيم بن يحيى السحولي
نزيل قرية القابل سنة ١٢٥٣هـ: شرح الناظري في الفرائض، وأخذ عن السيد
يحيى بن المطهر بن إسماعيل: في سنن ابن ماجه، وعن السيد الطاهر بن محمد
الأنباري الزبيدي: في شرح الزيد، وشرح ابن زياد، والخبيصي. وعن السيد
محمد بن الطاهر بن أحمد الأنباري: في الجنيسي، وشرح التفتازاني على الغزني،
وعن السيد علي بن إسماعيل بن يحيى بن محسن: المناهل، والشرح الصغير،
وحاشية الشيخ لطف الله، والجامي وحواشيه. وعن الفقيه محسن بن حسين

(١) نيل الوطر من تراجم رجال اليمن في القرن الثالث عشر، ٣٨/٢، المطبعة السلفية،
(١٣٥٠هـ). ومن الكلمة الوجيزة، ص ٤.

الطويل: المناهل. وعن السيد علي بن أحمد بن حسين الظفري: سنن ابن ماجه، وسيرة ابن هشام، وسبل السلام، ونجبة الفكر، والتنقيح. وعن السيد عبد الرحمن بن سليمان الأهدل: صحيح البخاري، وأوائل الأمهات، والمجاميع. وعن الفقيه محمد بن مهدي الضمدي: الغاية، في أصول الفقه، وشرح الأزهار، والمناهل، ورسالة الوضع وآداب البحث، وغير ذلك. وأخذ عن الفقيه إسماعيل بن حسين بن حسن العلفي: في شرح الرضى على الكفاية، وفي المناهل، وفي الشرح الصغير، وفي العروض. وعن السيد أحمد بن زيد الكبيسي: في شرح الغاية، وشرح الشافية. وأخذ على عمه أحمد: شرح الكافي في أصول الفقه.

ووجدت بخط المترجم له ما يفيد أنه كان على قيد الحياة في شعبان سنة ١٢٧٢، ولعل وفاته كانت في آخر العام، أو في سنة ١٢٧٣ كَلَّفَهُ. أمين.

○ من آثاره:

- ١ - مختصر السبل الجرار للشوكاني اقتصر فيه على ذكر الدليل على مسائل الأزهار والكلام المقبول فقط.
- ٢ - شرح في كراريس على نظم السيد محمد بن إبراهيم المفضل الشامي لورقات الجويني في أصول الفقه وغيرها...

○ من أشهر تلاميذه:

الشيخ الماس، وكان مملوكاً، وكان زاهداً تقياً ورعاً... ترجمه صاحب «نيل الوطر»^(١) فقال: هو الشيخ العلامة الزاهد القانت الناسك العابد الماس بن عبد الله الحبشي الأصل الصنعاني النشأة، كان من ممالك بيت مال المسلمين، فمال إلى العلم وأهله ولازم حلق التدريس بصنعاء ومجالس أشياخ العلم وطلبته، وأخذ عن علمائها، ومنهم القاضي عبد الرحمن بن محمد العمراني الصنعاني.

(١) انظر ترجمته كاملة في كتاب نيل الوطر من تراجم رجال اليمن في القرن الثالث عشر، لمحمد بن محمد زبارة، ١٩١/٢، (مرجع سابق).

○ القاضي حسين بن محمد العمراني:

هو الولد الثالث للعلامة محمد بن علي العمراني.

يقول القاضي محمد بن إسماعيل العمراني عنه في «الكلمة الوجيزة»^(١): إنه أقل شهرة من أخويه، ولم أر من ترجم له، وقد عاش إلى العقد الثالث من القرن الرابع عشر، وتولى القضاء في بلاد حجة، وله ولد اسمه عبد الله، تولى القضاء في بني حارث ومات قبل والده، رحمهم الله تعالى. أمين.

- وأخيراً وقفت على ترجمة له في كتاب أئمة اليمن للمؤرخ زبارة، قال: وفيها أي سنة ١٢٢٣ مات بصنعاء القاضي العلامة الحسين بن محمد علي العمراني، أخذ عن أبيه الحافظ الكبير وعن أخيه محمد بن محمد، وأخيه عبد الرحمن بن محمد وغيرهم، وتولى القضاء ببلاد حجة الخضر^(٢).

○ القاضي إسماعيل بن محمد العمراني:

من مواليد سنة ١٢٨٠هـ ثمانين ومائتين وألف للهجرة. درس العلوم الشرعية عند القاضي علي بن حسين المغربي... وتوفي سنة ١٣٤٤هـ. وكان عمر ابنه محمد تقريباً أربع سنوات.

كان فاضلاً زاهداً قانعاً متواضعاً ورعاً رحمه الله رحمة الأبرار. أمين^(٣).

وله ولدان: عبد الرحمن وهو الأكبر، وبعده محمد - أعني به: القاضي محمد بن إسماعيل العمراني.

○ أولاً: ترجمة القاضي عبد الرحمن بن إسماعيل العمراني:

يقول عنه أخوه القاضي محمد، واصفاً إياه في «الكلمة الوجيزة»^(٤):

(أجمع جميع من يعرفه بأنه من أذكى الرجال وأنبلهم، وأنه من أحسن رجال العصر علماً بالأحوال الاجتماعية والسياسية في هذا العصر، كما أنه كان أديباً (ومتطعاً)^(٥) على كثير من العلوم الإسلامية والأدبية كما أن له إلمام ببعض

(١) في صفحة ١٠.

(٢) من الكلمة الوجيزة، للقاضي محمد بن إسماعيل العمراني، ص ٢٤.

(٣) أئمة اليمن، ص ٧٠ المجلد الخامس. (٤) صفحة (٢٤).

(٥) كذا في الأصل، والظاهر أنها (ومتطعاً).

اللغات الأجنبية)، بل إنه بالغ في وصفه فقال: (هو عالم وأديب وسياسي واجتماعي له إلمام ببعض اللغات الأجنبية التي قل أن يحفظها من أديباء عصره من هم أكثر منه إحاطة).

○ ثانياً: ترجمة القاضي محمد بن إسماعيل العمراني:

سبقت في بداية الفصل ترجمة موجزة عن هذا العَلم الشامخ، وأنه ينتمي إلى أسرة احتفلت بالعلم وعينت بحفظ السنة، حيث كان أبوه من القضاة، وكان جده من العلماء المحققين ومن أهل السُّند العالي، ذلك أنه كان من تلاميذ شيخ الإسلام محمد بن علي الشوكاني، بل ويشاركه في علو السند إلى محمد بن إسماعيل الأمير، وكذا كان جد أبيه محدثاً محققاً وعالمًا جهيداً. انتهى إليه علم الحديث في عصره، وكان المرجع والحَكْمُ في حلقة شيخ الإسلام الشوكاني إذا اختلفوا في مسألة حديثية أو فقهية^(١).

إذاً ماذا ننتظر من عَلمنا حينما نسلط عليه الضوء لمعرفة محيطه الذي عاش فيه، وما أخرج لنا زمنه الذي كان يحفل بالعلماء والأعلام، مع العلم بأن زمنه لم يكن كسابقه من العصور في كثرة العلماء وانتشارهم، ولقد كانت مساجد المدن اليمينية وقراها تحظى بجلقات العلم متنوعة العطاء، فهذا يدرس الفقه، وذاك يدرس علوم العربية وآخر يدرس الحديث، ورابع يدرس الأصول، وخامس يدرس المنطق وهكذا، ورواد العلم من البحور يتضلعون.

وعَلمنا (العمراني) بدلوه يستقي، ويركبه يزاحم القوم، ومن أطايب الكلام والمعاني ينتقي، فلقد سبقه موكب حافل بالعقول الزاخرة والبصائر المستنيرة، سبقه أجداده أيضاً الذين حفظ الله بهم سنة المصطفى ﷺ.

لا شك، بعد هذا، أن شيخنا وعَلمنا العمراني، لا بد وأن يتأثر بهذه البيئة العلمية، خاصة تلك القمم، عالية الهمم، أمثال ابن الوزير (٧٧٥هـ - ٨٤٠هـ)، وابن الأمير الصنعاني (١٠٩٩ - ١١٨٢هـ)، والشوكاني (١١٧٣ - ١٢٥٠هـ)، والمقبلي (١٠٤٧هـ - ١١٠٨هـ)، والجلال (١٠١٤هـ - ١٠٨٤هـ)، ولقد ذكر لي أنه كان ينهل من مؤلفاتهم بشغف ونهم بالغين، فكان لهم الأثر الكبير في

(١) الكلمة الوجيزة، ص ٣.

حرية الفكرية ونبذ التقليد وتركه التعصب والجمود، وظهر منه ذلك أكثر حين بلغ من العلم درجة أهله لأن يختار ويرجع، حتى أنه كان لا يتقيد في كثير من المسائل باختيارات مشايخه وترجيحاتهم، وهذا النهج - أقصد تركه التقليد والجمود - أخذه من شيخه شيخ الإسلام محمد بن علي الشوكاني (بالوجادة)^(١)، حيث إنه يدعو في معظم كتبه إلى هذا المنهج، خاصة لمن ملك أدوات الاجتهاد^(٢).

وعلى العموم، فإن شيخنا قد تميز بين أقرانه بقوة الإدراك، ودقة الفهم، وجودة الحفظ، وهو عند الكتابة بخطه الجميل، مليح العبارة، فصيح المنطق، يختار من الألفاظ أسهلها وأجزؤها، ولا ينجح إلى التعقيد في التعبير.



(١) الوجادة: صورتها أن يجد حديثاً أو كتاباً بخط شخص بإسناده، فله أن يرويه عنه على سبيل الحكاية فيقول: وحدثت بخط فلان: حدثنا فلان وبسنده، وله أن يقول: (قال فلان)، إذا لم يكن فيه تدليس يوهم اللقيا.

(٢) انظر: البدر الطالع، ٨٥/٢.



المبحث الثالث

حياته التعليمية

المطلب الأول

مرحلة الطلب الأولى

○ محمد بن إسماعيل العمراني صبيّاً على طريق العلم:

لترك المجال لشيخنا حفظه الله يتحدث عن نفسه:

(طالما تردد إلى سمعي من كبار السن من القضاة والعلماء عبارة توبيخية: أنت ابن القاضي إسماعيل بن القاضي محمد...)، لقد كان جدك من كبار علماء صنعاء، وكذلك جد أبيك، وكانهم بهذا يستجيشونني ويحفزونني للعلم واللاحق يركب العلماء.

من هنا تاقّت نفسي للعلم فبادرت للدخول في مدرسة الفليحي الابتدائية وأنا في التاسعة من عمري.

○ مشايخي في القرآن الكريم:

قال: أخذت القرآن الكريم على الأستاذ محمد النعماني وغيره، وجودته على السيد محمد المؤيدي، والأستاذ محمد حمزة، والأستاذ لطف العطاب، وعن الأخيرين تعلمت إلى جانب فن التجويد مختصرات من العلوم الدينية ممثلة في منهج مدرسة الفليحي الابتدائية وهي: الأخلاق، النحو، الخط، الإنشاء، الحساب، الهندسة، الجغرافية، والصحة. حتى أخذت في ذلك شهادة^(١)، انتقلت

(١) سألقتها مع الملاحق الأخيرة.

بعدها إلى مدرسة الإصلاح في اليوم الذي افتتحت فيه^(١).

○ منهج التدريس في مدرسة الإصلاح:

فأخذت في جميع ما تقدم ذكره من المختصرات الابتدائية، ولكنها كانت أرق وأرفع من الأولى، وذلك عند الأستاذ غالب الحرازي، وعلى رأس السنة من دخولي هذه المدرسة كان خروجي منها بشهادة أعلى من الأولى وكانت هذه الشهادة التي حزتها مع زملائي في هذه المدرسة أول شهادات أعطيت لخريجها، فكانت فيها أول دفعة تخرجت.



(١) افتتحت مدرسة الإصلاح بأمر من الإمام يحيى عليه السلام (سنة ١٣٥١هـ - ١٣٥٢هـ).

مرحلة الطلب الثانية

○ بداية الدراسة الحرة:

قبل الخوض في هذا الموضوع، لناخذ نبذة مختصرة عن معنى الدراسة الحرة؟
جرت العادة عند طلاب العلم أن يختار الطالب شيخاً خاصاً يلزمه،
وآخرين منهم يأخذ عنهم في فروع العلوم والمعرفة، وهذا الاختيار الشخصي لا
شك أن له جوانب إيجابية، منها:

أن هذه الحرية في الاختيار تعطيه انسجاماً أكبر وقبولاً أكثر عند تحصيله
من هذا العالم، وهذا الأسلوب - أعني أسلوب الاختيار - كان متبعاً منذ القدم
عند العلماء الأوائل، فالحرية الشخصية عند الطالب لمعلمه تجعله محباً لمعلمه،
وشغوفاً بما يسمع منه، ولا شك أن هذا يتيح له جواً أوسع لمناقشة أستاذه
فيما يدرس ويحصل عليه، وكذا تكون هذه الدراسة كما أشار شيخني حفظه الله
خالصة لوجه الله تعالى، إذ أنها لا ترتبط بإدارة ولا مدير، ولا يتلقى المتعلم
منها معاشاً أو راتباً شهرياً، إنما يكون هذا برغبة من المعلم، وأخرى ملحة من
التلميذ، وكلاهما يعمل هذا العمل لله، ولا يهمنه أن يحصل من هذه الدراسة
على شهادة عليا يتوظف بها، أو يرتقي درجة في السلم الاجتماعي، إنما يأخذ
العلم للعلم لا غيره، بل إنه يأخذه لله أولاً وأخيراً، ولذا نفعوا وانتفعوا،
وكان المبرز منهم يأخذ من أساتذته في النهاية إجازة^(١) اعترافاً له بأنه قد درس

(١) الإجازة: هي عبارة عن شهادة يشهد فيها الشيخ أن تلميذه هذا درس على يديه كتباً،
ويكتبها له ويوصل سنده بسنده إلى أن يوصل هذا الكتاب إلى كتابه شيخاً عن شيخ إلى
الرسول ﷺ، فيقال بذلك شرف السند، ولا يعطى هذه الإجازة إلا الطالب المجتهد
المبرز في العلوم والذي يجيزه عدة مشايخ في أن يدرس ويتصدر المجالس، بل ربما
يرغمونه على ذلك إذا رأوا أنه قد بلغ هذه الرتبة.

ما يكفيه من العلوم، وعليه بعد ذلك أن لا يترك التحصيل الذاتي.

والتأمل في تاريخ علماء هذه الأمة وتراجهم يجد ميزة تميزهم عن غيرهم، وذلك في اختيارهم منهجاً علمياً من نمط خاص، إذ كان الواحد منهم يأخذ العلم على علماء أجلاء، لكنه يختار أكثرهم علماً وأفضلهم، فيلازمه، وينقطع إليه ليكون لنفسه بذلك حصيلة علمية أكثر مما لو انقطع إلى آخر مع الاختلاف إلى غيره على الدوام.

فلو أننا تتبعنا سير علمائنا الأجلاء لوجدنا أن كل واحد منهم قد لزم هذه الطريقة واختار لنفسه هذا المنهج الرائع.

ولنضرب لذلك أمثلة من علماء هذه الأمة، بل من أئمتهم، فمثلاً: الإمام أبو حنيفة^(١) انقطع إلى شيخه وأستاذه حماد بن أبي سليمان^(٢)، إذ صحبه ثمانية عشر عاماً كاملة من غير فتور ولا تواني ولا تقصير، سوى ما كان من غياب الشيخ أيام رحلاته وأعوانه خارج المكان الذي يلقي فيه الدرس.

والإمام مالك^(٣) لزم صحبة شيخه ربيعة طوال حياة ربيعة^(٤)، واختلف إلى ابن هرمز^(٥) حوالي ٣٠ سنة، إذ يقول مالك معبراً عن ذلك ومنوهاً: [إن كان

(١) أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن المرزبان، ولد سنة ٨٠هـ، توفي سنة ١٥٠هـ. مناقب الإمام الأعظم: الموفق المكي.

(٢) حماد بن أبي سليمان: (ت: ١٢٠هـ) عن عبد المنعم الهاشمي: سلسلة الأئمة الأربعة: الإمام أبو حنيفة، دار بن كثير، بيروت، دمشق ط١ (١٤١٧هـ - ١٩٩٦م)، ص ٢٠ عن تاريخ بغداد (١٣/٣٣٢).

(٣) مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي كان ثقة مأموناً ثباتاً ورعاً فقيهاً علماً حجة، توفي سنة (١٧٩هـ). انظر: محمد بن سعد (ت: ٢٣٠هـ)، الطبقات الكبرى، تعليق سهيل كياي، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط١ (١٤١٤هـ - ١٩٩٤م)، ج ٢، سنة ١٨٧ وما بعدها.

(٤) ربيعة (الرأي): هو ربيعة بن أبي عبد الرحمن، واسمه فروخ القرشي التيمي أبو عثمان، ويقال: أبو عبد الرحمن المدني المعروف بربيعة الرأي، مولى آل المنكدر، أدرك بعض أصحاب رسول الله ﷺ والأكابر من التابعين، وكان صاحب الفتوى في المدينة، وكان فقيهاً عالماً حافظاً للفقه والحديث.

(٥) روى له الجماعة، وتوفي بالأنبار سنة ١٣٦هـ، في عهد السفاح. جمال الدين بن الحجاج المزي: تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق وتعليق د. بشار =

الرجل يختلف للرجل ثلاثين سنة يتعلم منه) وكان تلاميذ مالك الذين يسمعون منه هذا القول، يذهبون إلى أن الإمام مالكا يريد بهذا القول اختلافه إلى ابن هرمز ولزومه له].

والإمام الشافعي^(١) اتخذ من الإمام مالك شيخاً له، أستاذاً يتفرغ لسماعه وينقطع له، واستمر معه حتى انتقل مالك إلى جوار ربه سنة ١٧٩هـ مائة وتسعة وسبعين هجرية، ثم اتخذ مكانه من سفيان بن عيينة^(٢) أستاذاً.

وأما عن الإمام أحمد^(٣) (١٦٤ - ٢٤١هـ) فقد اختار في البداية أبا يوسف (تلميذ الإمام أبي حنيفة) وكان مجلس أبي يوسف^(٤) مجلساً فخماً، وكانت حلقاته مليئة بأعلام السامعين ولكنه كان ينتسب إلى مدرسة الرأي حسبما هو معروف، بل هو رأسها بعد أستاذه أبي حنيفة صاحب فقه الرأي، ثم قرر الانصراف إلى فقه الأثر والذي كان يمثل في بغداد آنذاك هشيم بن أبي حازم الواسطي^(٥) (ت: ١٨٣هـ). وانقطع الإمام أحمد بعد ذلك إلى هشيم، يتردد على حلقاته ويتخذ منه أستاذاً وشيخاً، ملتزماً بذلك المنهج السالف الذكر عن الأئمة الذين سبقوه، ثم لا

= عواد معروف، مؤسسة الرسالة، لبنان ج ١١، ط ٢ (١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م)، ص ١٢٣ وما بعدها.

(١) الشافعي: أبو عبدالله محمد بن إدريس بن عثمان المظلي الشافعي، ولد سنة ١٥٠هـ، وتوفي سنة ٢٠٤هـ. انظر: الإمام أبو عبد الله شمس الدين الذهبي: تذكرة الحفاظ، ١/ ٣٦١، دار الكتب العلمية.

(٢) سفيان بن عيينة: هو أبو محمد سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون الهلالي، كان إماماً عالماً ثبتاً حجة زاهداً ورعاً، مجموعاً على صحة حديثه وروايته، حج سبعين حجة، ولد بالكوفة سنة ١٠٧هـ، وتوفي بمكة سنة ١٩٨هـ. انظر: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر ابن خلكان (٦٠٨ - ٦٨١هـ): وفيات الأعيان وأنباء الزمان، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر، دار الثقافة، بيروت، ٣٩١/٢، (١٩٦٩م).

(٣) أحمد بن محمد بن حنبل هلال بن أسعد الشيباني، ولد في ربيع الأول سنة ١٦٤هـ، وتوفي سنة ٢٤١هـ. من كتاب المسند.

(٤) أبو يوسف (تلميذ أبي حنيفة): يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري الكوفي، ولد سنة ٦١٣هـ، وتوفي سنة ١٨٢هـ. انظر: محمد بن سعد: الطبقات الكبرى، ٥٤/٦ (مرجع سابق).

(٥) هشيم بن بشير بن أبي حازم الواسطي: توفي سنة ١٨٣هـ.

بأس بعد ذلك من الاختلاف إلى غيره، واستمر عند شيخه هشيم خمس سنوات بالتمام والكمال، ثم توفي شيخه سنة ١٨٣ هـ.

وهكذا كان دأب علمائنا، ولهذا فإن شيخنا القاضي محمد كان قد اتخذ لنفسه نفس المنهج، وقرر أن يكون له شيخ يلزمه ويستفيد منه بفكره، ويكون لنفسه حصيلة علمية، فلازم السيد العلامة عبد الكريم بن إبراهيم الأمير^(١)، لازمه عشر سنين، ويعتبر هذا العالم ابن خالته، والجدير بالذكر أنه محرر (الجريدة الإيمانية)^(٢) التي كانت تصدر في تلك الأيام.

إنما أحببت تقديم هذا التمهيد ليعرف الجيل القادم أن أجدادهم إنما انتفعوا بما علموه، لأنهم قصدوا وجه الله أولاً وآخرأ، وما كان يهمهم الحصول على الشهادات والأوراق والأوسمة والألقاب والألفاظ... وليعرف أن الفائدة الكبرى تكون في الجلوس إلى المشايخ والمزاخمة بالركب، وفي الدافع الذاتي للطلاب في مرحلة الطلب... إلخ.

ولندع المجال مرة أخرى لشيخنا يتحدث عن دراسته الحرة عند مشايخه، يقول حفظه الله تعالى: (لقد قرأت أثناء دراستي في مدرسة الفليحي في مدرسة بير العزب وبير الشمس عند الأستاذ غالب الحرازي، وفي مدرسة الروضة عند الأستاذ الحسن بن إبراهيم، وعندما بلغت الرابعة عشر من عمري سنة ١٣٥٤ هـ

(١) ولد الأمير سنة ١٣٣٠ هـ ولا زال حياً يعيش في العربية السعودية.

(٢) وصدر العدد الأول من جريدة (الإيمان) في جمادى الأولى سنة (١٣٤٥ هـ - ١٩٢٦ م)، وكانت بمثابة الجريدة الرسمية للدولة، وهي تشبه في ذلك جريدة (الوقائع المصرية) التي صدرت منذ عهد محمد علي باشا لنشر قوانين الدولة وأخبارها. نقلاً عن مجلة الحكمة اليمانية (دراسة ومقالات)، تأليف د. سيد مصطفى سالم، جمع المقالات: علي أحمد أبو الرجال، ط٢، (١٩٨٨ م)، ص٤. مركز البحوث والدراسات اليمني، صنعاء. وكان إخراجها ضعيفاً، وهي لا تهتم إلا بالتحدث عن الدولة وأخبارها ومراسيمها، وكانت تصدر كل شهر مرة واحدة، واستمر صدورها إلى قيام ثورة السادس والعشرين من سبتمبر سنة ١٩٦٢ م. وقد أخطأ الذي علق على كتاب نزهة النظر في الهامش حينما عزا تأسيس هذه الجريدة لقائد سريع في حين أن الأخير لم يكن عالماً ولا مثقفاً ولا شاعراً ولا أديباً ولا كاتباً... إلخ. اهـ. من كلام القاضي محمد بن إسماعيل العمراني. انظر: حاشية نزهة النظر في تراجم القرن الرابع عشر، ص٥٥.

انتقلت إلى الجامع الكبير بصنعاء، ومسجد الفليحي، فجودت القرآن على المقرئ محمد بن إسحاق، والفقير المراصي، والعلامة الضير الكسبي.

○ ما حفظه من مختصرات :

وحفظ المختصرات على السيد عبد الكريم بن إبراهيم الأمير، وغيره؛ ولزم هذا المسجد كثيراً، واختلف إلى مساجد أخرى جلس متتلمذاً على يد شيوخها، ومن هذه المختصرات: متن الأزهار^(١)، متن الكافل^(٢)، ومتن الكافية^(٣)، والألفية^(٤)، وملحة الإعراب^(٥).

كما أخذ عليه - على السيد عبد الكريم^(٦) - في شرح القواعد^(٧) والفاكهي^(٨) وشرح القطر^(٩)، وشرح السعد للفتازاني^(١٠) على الغزني في الصرف وغير ذلك، وأخذت على الصفي^(١١) أحمد بن محمد السنيدار في مفهوم ومنطوق

-
- (١) متن الأزهار: كتاب عمدة من الفقه الزيدي، للإمام المهدي أحمد بن المرتضى (٧٧٥ - ٨٤٠هـ). البدر الطالع ١/١٢٢.
 - (٢) متن الكافل: في الأصول الفقهية، للعلامة محمد بن يحيى بن محمد... الصعدي المعروف ببهبان الزيدي، له شروح كثيرة، منها: (شرح الأثمار على متن الأزهار)، وله: (تخريج على البحر الزخار)، وكلاهما للإمام المهدي (ت: ٩٥٧هـ). البدر الطالع ٢/٢٧٩.
 - (٣) متن الكافية في النحو: أبو عمرو عثمان بن أبي بكر بن يونس، الملقب بابن الحاجب، لأن أباه كان حاجباً للأمير موسى الصلاحي (٥٧٠ وقيل ٥٧١ إلى ٦٤٦هـ).
 - (٤) الألفية: للإمام أبي عبد الله محمد جمال الدين بن مالك (٦٠٠ - ٦٧٢هـ).
 - (٥) ملحة الإعراب وسنخة الآداب: للإمام جمال الدين أبي محمد قاسم بن علي الحريري البصري (٤٤٦ - ٥١٥هـ).
 - (٦) ستاتي له ترجمة.
 - (٧) شرح قواعد الإعراب: للأزهري، وهو: العلامة خالد بن عبد الله الأزهري. من كتاب مخطوط.
 - (٨) في النحو، تأليف الخبر المدقق المحقق عفيف الدين بن عبد الله بن أحمد الفاكهي (ت: ٩٧٢هـ).
 - (٩) شرح القطر: لأبي محمد عبد الله جمال بن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري (٧٠٨ - ٧٦٦هـ)، له من المؤلفات العربية: (معني اللبيب، وتعليق على ألفية بن مالك، قطر الندى، وشذور الذهب، وقواعد الإعراب).
 - (١٠) شرح الفتازاني: شرح السعد في علم البديع والمعاني والبيان، لسعد الدين الفتازاني. في البدر الطالع.
 - (١١) ستاتي لهم ترجمة في المبحث القادم.

الأزهار، وفي صحيفة علي بن موسى الرضي، وأخذت على العزي البهلوي في شرح الجوهر المكنون^(١)، وشرح ابن عقيل عن الألفية، وشرح الطبري^(٢) على الكافل، وشرح السعد على التلخيص وشرح عمدة الأحكام، وفي الأصول أوائل الغاية، وفي التفسير أوائل الكشاف، وأخذ على الفخري^(٣) عبد الله بن عبده حميد في القواعد، وشرح ابن عقيل، وشرح الجوهر المكنون، والكافل، وتحفة الذاكرين^(٤)، ونخبة الفكر^(٥)، وبعض من المناهل الصافية^(٦) وغير ذلك من الكتب، وأخذ على القاضي علي بن حسن المغربي^(٧) بعضاً من القطر ونخبة الفكر وغير ذلك.

وأخذ على القاضي^(٨) أحمد بن لطف الزبيرى بعضاً من القطر، والفاكهي، والقواعد، وأخذ على السيد^(٩) أحمد بن محمد بن زيارة في أوائل شرح الأزهار، وثلاثي سبل السلام، وبعضاً من الشفاء للأمير حسن، وأخذ على القاضي^(١٠) عبد الوهاب المجاهد الشماحي بعضاً من الجزء الأول في شرح الأزهار وبعضاً منه في الجزء الثاني، وأخذ على القاضي حسين^(١١) بن علي المغربي في الفرائض،

(١) الجوهر المكنون: في الثلاثة فنون: علم المعاني، وعلم البيان، وعلم البديع. انظر: مجموع المنون الكبير المشتمل على (٦١) متناً. مطبعة مصطفى الحلبي بمصر، سنة ١٣٤٠هـ.

(٢) شرح الطبري. بمخني من علماء اليمن في القرن الحادي عشر.

(٣) تأتي ترجمته قريباً.

(٤) تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين: تأليف شيخ الإسلام محمد علي الشوكاني.

(٥) نخبة الفكر، للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٧٧٣ - ٨٥٢هـ).

(٦) المناهل الصافية، للطف الله بن محمد الظفيري (ت: ١٠٣٥هـ)، لخص فيه شرح الرضي (صرف) على الشافية لابن الحاجب النحوي.

(٧) ستأتي ترجمته.

(٨) أحمد بن لطف الزبيرى: من علماء صنعاء، وقضاتها ومن أسرة بيت الزبيرى، المشهورين بالعلم والقضاء، ولا زال حياً.

(٩) له ترجمة ستأتي.

(١٠) القاضي عبد الوهاب المجاهد: ولد سنة ١٣٢٥هـ.

(١١) حسن بن علي المغربي: ولد سنة ١٣٠٨هـ، وأخذ العلم عن والده في كثير من الفنون، =

وشرح الأزهار وأصول الأحكام وبيان ابن مظفر، وغير ذلك.
وأخذ على السيد عبد الخالق^(١) الأمير في شرح الأزهار والفرائض وصحيح
مسلم وغير ذلك، وأخذ على القاضي^(٢) علي الأنسي في شرح الأزهار
والفرائض، وأخذ على غيرهم من رجال الفروع والفرائض.
وإن كان ثمة تعليق، يمكن إجماله في النقاط التالية:

الملاحظ من نهج الأوائل ومنهم شيخنا حفظه الله أن دراسة المادة العلمية
تكون عند أكثر من شيخ، حيث يزداد بذلك علماً وتحصيلاً، ومن خلال تنوع
المشايع تنوع الفوائد، ويأخذ من كل شيخ تجربة، ولا يمنع هذا التنوع أن يختار
لنفسه شيخاً يلزمه ويختلف إليه ليحصل على يديه مدة طويلة قد تصل إلى
العشرين سنة فما فوق.

وقد كان الشيخ المختار لشيخنا هو السيد عبد الكريم بن إبراهيم محرر
جريدة الإيمان الناطقة باسم المملكة المتوكلية آنذاك.

وما تجدر الإشارة إليه أن الطالب لا يقتصر في فترة الطلب على التحصيل
فقط، وإنما يعمل جاهداً على إتمام هذا التحصيل بعقد حلقات علمية يعقدها لمن
هم أصغر منه سناً أو أقل منه تحصيلاً، والله در القائل^(٣):

يزيد بكثرة الإنفاق منه وينقص إن به كفا شددت
ويقول شيخنا مصداقاً لما ذكرت:

(وبينما كنت أختلف إلى مشايخي لأخذ عليهم كبار الكتب - كتب
التخصص -، كنت أستعين الله وأفتح حلقات علمية لطلاب أقل مني تحصيلاً في

= وعن العلامة حسين بن علي العمري، وعن غيرهم، وتوفي سنة ١٤٠٠هـ، وهذه المعلومة
من القاضي محمد بن إسماعيل العمراني.

(١) السيد عبد الخالق الأمير. يأتي ذكره في مشايخي، وكذا إجازاته.

(٢) علي الأنسي: علي بن عبد الله الأنسي (ت: ١٣٧٧هـ).

(٣) قائل البيت هو العلامة الشهير: أبو إسحاق إبراهيم بن مسعود الألبيري الأندلسي (ت: ٦٥٣)
ضمن قصيدته المشهورة التي بحث فيها ابنه على طلب العلم والتخلق بالأخلاق
الكريمة، وقد كان كثير من العلماء يحملون طلابهم على حفظ هذه القصيدة لما فيها من
حكم ومواعظ.

الكتب الأولية من المتون والمختصرات التي تشمل كتب الفقه واللغة والحديث، وبهذا الأسلوب حصلت على فوائد جمة، وعلوم نافعة قيمة أكثر مما لو كنت مقتصرأ على التحصيل فقط). اهـ من كلام العمراني.

وهذا الأسلوب الذي انتهجه شيخنا مقتضياً نهج شيوخه، يطلق عليه علماء التربية في عصرنا الحاضر ما يسمى بالإعداد المهني^(١) للمعلم، أو ما يسمى بالتطبيق العملي في الكليات العلمية والتربوية.

وإن هذا المنهج لم يكن أسلوباً متبعاً عند عامة طلاب العلم إنما يأخذ به المجدون والمثابرون، أمثال شيخنا بشهادة علمائه له.

○ نماذج من الكتب التي كان يقرأها طلاب المساجد:

ومما يستحق الالتفات ويجدر بالاهتمام وأن يقف المرء عنده موقف الإجلال تلك الكتب التي كان يدرسها الطالب لدى مشايخه عبر حلقات العلم في المساجد، وهي الآن تدرس في الجامعات المتخصصة والدراسات العليا.

وكما لاحظنا، فإن الطالب يبدأ بالاهتمام بكتاب الله تلاوة وحفظاً إلى جانب حفظ المتون المختصرة في الفقه واللغة والحديث، ثم ينتقل مباشرة وهو لا يزال في سن مبكرة إلى دراسة الشروح على أيدي كبار الشيوخ، مثل: «شرح متن الأزهار» في الفقه الزيدي المسمى بـ«المنتزح المختار من الغيث المدرار» لابن مفتاح^(٢)، و«شرح الغاية» في علم أصول الفقه للعلامة الحسين بن القاسم^(٣) و«الكشاف» في التفسير للعلامة الزنجشيري^(٤)، و«البحر الزخار» للإمام

(١) د. عبد الغني قاسم: الإمام الشوكاني، حياته وفكره، ص ١٦٥ (مرجع سابق).

(٢) الإمام المتوكل على الله شرف الدين بن شمس الدين بن الإمام المهدي أحمد بن يحيى (٨٧٧هـ - ٩٥٠هـ). انظر: البدر الطالع (١/٢٧٨).

(٣) هو العلامة الحسين بن القاسم بن محمد (٩٩٩هـ - ١٠٥٠هـ)، ألف كتاب الغاية في الأصول وشرحها. البدر الطالع ١/٢٢٦.

(٤) الزنجشيري: هو محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزنجشيري، جار الله أبو القاسم، من أئمة العلم بالدين والتفسير واللغة والآداب، ولد في زنجش من خوارزم، وسافر إلى مكة وجاور بها زمناً فلقب بجار الله... إلخ. من أشهر كتبه: الكشاف في تفسير القرآن، وأساس البلاغة، والمفصل والمقامات. ولد: (٤١٧هـ الموافق ١٠٧٥م) =

المهدي^(١)، و«البيان» للعلامة ابن المظفر^(٢)، و«مغني اللبيب عن كتب الأعراب» للعلامة ابن هشام الأنصاري، و«المنهاج» وغيرها من الكتب، ولا يبلغ متنهاها إلا المجدون.

○ شيوخ القاضي العمراني:

حينما كانت صنعاء تحفل بالعلماء، وتعقد لهم الحلقات في مساجدها، وذلك في إطار المذهب السائد للدولة (المذهب الزيدي) أخذ شيخنا العمراني على أكابر علمائها، ولم يذكر عن نفسه أنه رحل إلى خارج اليمن على عادة طلاب العلم على مر العصور، وقد أجاب عن سبب ذلك عندما وجه إليه سؤال فقال: (ما كنت لأفكر في السفر مطلقاً، وذلك بسبب قلة ذات اليد، فالأيام التي كنا نعيشها كان وطء الفقر علينا فيها شديداً، وكانت هذه الظروف تعم أهل اليمن، حتى إنني لم أستطع أن أؤدي فريضة الحج إلا بعد ثورة اليمن التي انتهت بالحكم الإمامي على إثرها، ولم يحالفني الحظ في لقاء أي من علماء مكة أو غيرها لقاءً علمياً).

ومن هنا فإن شيخنا حفظه الله إنما حصل هذا القدر الواسع من العلم على أيدي علماء اليمن فقط، وبالأخص علماء صنعاء، وشق به طريق حياته العلمية. ومر معنا آنفاً حديث موجز عن مشايخه وما أخذه عليهم من العلوم، ويستحسن سرد مشايخه وما أخذه عليهم بشيء من التفصيل وهم:

= وتوفي: (٥٣٨هـ - الموافق ١١٤٤م)، نقلاً عن: خير الدين الزركلي: الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين بيروت، لبنان، ط ١١ سنة، (١٩٩٥م)، ص ١٧٨.

(١) الإمام المهدي، هو أحمد بن يحيى بن مرتضى بن مفضل، ينتهي نسبه إلى الإمام الهادي يحيى بن الحسين مؤسس الدولة الزيدية في اليمن، ولد سنة ٧٧٥هـ، ترحل في العلوم، واشتهر فضله وبعد صيته، وصنف التصانيف في أصول الدين وأصول الفقه، وفي الفقه، وفي الحديث، وفي الفرائض وغيرها من المؤلفات، ومن أبرز مؤلفاته: الأزهار وشرحه الغيث المدرار، والبحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الأمصار، توفي سنة ٨٤٠هـ. انظر: البدر الطالع ١/١٢٢.

(٢) ابن المظفر: هو يحيى بن أحمد بن مظفر (ت: ٨٧٥هـ). انظر: البدر الطالع ٢/٣٢٥، ومصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن، مركز الدراسات اليمنية، صنعاء: تأليف عبد الله محمد الحبشي، ص ٢٠٣.

أولاً: القاضي العلامة عبد الله عبد الكريم الجرافي: (ت: سنة ١٣٨٧هـ).
وقرأ عليه موطأ مالك، وكتاب الاعتبار في النسخ والمنسوخ من الآثار،
وأكثر سبل السلام، وأكثر نيل الأوطار، وسنن النسائي، وشطراً من سنن ابن
ماجه، وشطراً من صحيح مسلم، وصحيفة علي بن موسى الرضى.

ثانياً: القاضي العلامة عبد الله بن عبد الرحمن بن حميد (ت: ١٣٩١هـ).
وقرأ عليه شرح ابن عقيل، وشرح الجواهر المكنون، وفي شرح الكافل في
الأصول، وبعض شرح متن الأزهار، وشرح قواعد الإعراب، وغير ذلك من الكتب.

ثالثاً: القاضي العلامة حسن بن علي المغربي: (ت: ١٤١٠هـ).
وقرأ عليه بعضاً من شرح الفرائض، وبعضاً من شرح الأزهار، وبعضاً من
كتاب أصول الأحكام للإمام أحمد بن سليمان، وبعض بيان بن المظفر، وغيرها
من الكتب.

رابعاً: القاضي العلامة علي بن حسن بن علي بن حسين المغربي (ت:
١٩٤٨م) توفي وهو شاب.

وقرأ عليه شرح القطر لابن هشام في النحو، وكتاب نخبة الفكر في مصطلح
أهل الأثر لابن حجر العسقلاني.

خامساً: القاضي عبد الله بن محمد السرحي: (١٣١٨هـ - ومات عن قريب).
قرأ عليه بعض تفسير الكشاف للإمام الزمخشري.

سادساً: القاضي العلامة عبد الوهاب الشماحي: (ت: ١٣٥٧هـ).
وقرأ عليه وهو لا زال شاباً في سن الخامسة عشرة في بعض شرح الأزهار
قبيل موته، أي قبل حوالي ٦٣ عاماً.

سابعاً: السيد العلامة أحمد بن علي الكحلاني: (ت: ١٣٨٦هـ).
قرأ عليه في شرح الأزهار، وفي شرح الغاية، والكشاف، وبعض سنن أبي
داود، وغير ذلك.

ثامناً: السيد عبد الخالق بن حسين الأمير (١٣١٣هـ - ١٣٧٠هـ تقريباً).
وقرأ عليه بعض الفرائض، وبعض شرح الروض النضير، وكتاب صحيح
مسلم، وغيرها.

تاسعاً: السيد عبد الكريم بن إبراهيم الأمير: (١٣٣٠هـ ولا زال حياً).

وحفظ عليه غيباً المختصرات مثل متن الأزهار، ومتن الكافل، ومتن الكافية، والألفية، والملحة، ثم أخذ عليه شرح القطر لابن هشام، وشرح ملحمة الإعراب للفاكهي، وشرح قواعد الإعراب للأزهري، وشرح ابن عقيل على الألفية، وشرح الكافل لابن لقمان، و(الجزء الأول من مغني اللبيب)، والجوهر المكنون، وشرح التفتازاني على الغزني في الصرف، وغيرها.

عاشراً: السيد العلامة أحمد بن علي السراجي:

وقرأ عليه في شرح الغاية للحسين بن القاسم، وفي شرح عمدة الأحكام.

الحادي عشر: الشيخ العلامة محمد بن صالح البهلولي: (١٣٢٤ - ١٣٩٠).

قرأ عليه في شرح القطر للفاكهي، وشرح الجوهر المكنون، وفي شرح الطبري على الكافل في الأصول، وشرح التخليص في المعاني والبيان، وفي شرح عمدة الأحكام في الحديث، وأوائل الكشاف، وبعضاً من سنن أبي داود، وأوائل غاية السؤال في علم الأصول.

ولقد كان عالماً محققاً في علوم النحو وأصول الدين، إلا أنه كان متشدداً في المذهب الزيدي والمعتزلي ومدحهم كثيراً، ويقلل من شأن أهل السنة؛ ولبي معه قصص تدل على مدى التعصب سأذكر بعضاً منها في مظانها.

الثاني عشر: الشيخ العلامة علي بن هلال الدبب: (١٣٢٠هـ - ١٣٨٨هـ).

قرأ عليه الشعاع الفائض في علم الفرائض، بعضها من الكشاف، وهو (من ذوي السمات الحسن) والتواضع الجم.

الثالث عشر: القاضي العلامة يحيى بن محمد الإرياني: (١٢٩٩ - ١٣٦٢هـ).

وقرأ عليه في الروض النضير، وفي سنن أبي داود، وفي البحر الزخار، وبعضاً من الكشاف، وبعضاً من شرح الغاية في علم الأصول، وبعضاً من زاد المعاد لابن القيم.

الرابع عشر: السيد العلامة أحمد محمد زبارة: (١٣٢٥هـ - ١٤٢١هـ) وقد

كان مفتي الجمهورية إلى حين وفاته قبل سنة من طباعة هذا البحث.

وقد قرأ عليه شيخنا جزءاً يسيراً من شفاء الأمير الحسين، وبعض شرح

الأزهار، وأكثر سبل السلام.

* ترجمة لأهم شيوخ القاضي *

○ الفقيه العلامة جمال الإسلام^(١) علي بن هلال الدبب^(٢):

(هو الفقيه العلامة الورع، جمال الإسلام، علي بن هلال الدبب الصنعاني، ولد سنة (١٣٢٠هـ). حفظ القرآن عن ظهر قلب، وأخذ الفقه بصنعاء عن الفقيه العلامة محمد بن محمد السنيدار، والعلامة إسماعيل بن علي الرمي، والسيد محمد بن زيد الخوي، وأخذ العربية عن القاضي العلامة عبد الله بن محمد السرحي، والسيد أحمد بن عبد الله الكبسي، والمولى الحسين بن علي العمري وغيرهم.

ودرس بجامع صنعاء وبالمدرسة العلمية، وهو من العلماء الأتقياء (ومن ذوي العفاف)، قام بتهديب حواشي شرح الغاية المطبوع بصنعاء، وألف مختصراً في الفرائض، وهو حسن الأخلاق كثير الطاعات مع زهد وورع وعفاف، وكذا اشتغل بإبراز قواعد علمية نافعة، وله ذهن قوي، وطبع مستقيم، وخلق كريم^(٣) وكانت وفاته سنة ١٣٨٨هـ).

○ القاضي العلامة يحيى بن محمد الإرياني:

القاضي العلامة الحافظ المتقن الشاعر البليغ الجهبذ، يحيى بن محمد بن عبد الله بن علي بن علي بن حسين الإرياني ثم الصنعاني. مولده بهجرة إريان من بلاد يريم في جمادى الأولى سنة ١٢٩٩هـ. وأخذ عن أبيه محمد بن عبد الله، وعن عميه الحسين بن عبد الله، وعلي بن عبد الله، وعن القاضي العلامة إسماعيل بن عبد الله العنسي الذماري، والمولى سيف الإسلام أحمد بن قاسم حميد الدين، والمولى الحسين بن علي العمري، والسيد سليمان بن محمد الأهدل، والعلامة محمد بن إسماعيل الهتار وغيرهم.

(١) نزهة النظر في رجال القرن الرابع عشر، ص ٤٦٠، محمد بن زبارة وأحمد بن محمد زبارة، تحقيق ونشر مركز الدراسات والأبحاث اليمنية، الجمهورية اليمنية، صنعاء ١٩٧٩م.

(٢) الدبب بفتح الدال المهملة وبائين موحدتين لقب لهذا البيت.

(٣) تحفة الإخوان بحلقة علامة الزمان حليف السنة والقرآن، المولى شيخ الإسلام المعمر الحسين بن علي العمري: تأليف القاضي العلامة فخر الدين عبد الله بن عبد الكرمي الجرافي، المطبعة السلفية، القاهرة ١٣٦٥هـ.

وقال عنه صاحب تحفة الإخوان: (هو من حفاظ هذا العصر، حسن المحاضرة، حلو المفاكحة، بليغ في شعره ونثره)^(١).

وبرع في فنون العلم من أصول، وفروع، ومعقول، ومنقول، وتبحر في الحديث، وقام بالتدريس بمدينة يريم، وحج لنفسه في سنة ١٣٤٥هـ، وعكف على التدريس بوطنه.

وفي سنة ١٣٥٠هـ طلبه الإمام يحيى إلى صنعاء، وعينه عضواً في محكمة الاستئناف برئاسة السيد العلامة زيد بن علي الديلمي، فقام بذلك أحسن قيام، وشكر سيرته المأموم والإمام، وقام بالتدريس بصنعاء، وأخذ عنه جماعة من الأعلام في الحديث والتفسير والفقه، ثم أنيط به رئاسة محكمة الاستئناف فقام بأعماله مع التدريس.

تحمل أعباء الرئاسة ناهضاً بها كاشفاً للمعضلات العظام
وما زال في نشر العلوم مشمراً بهمة صنيدي قوي العزائم^(٢)

وكان في مدة بقائه بصنعاء يحضر مجلس العلامة محمد بن زبارة الذي يعقده في بيته للسمر في ليالي شهر رمضان، ولإملاء بعض كتب الحديث مثل البخاري، وزاد المعاد، وتحفة الذاكرين شرح عدة الحصن الحصين وغيرها من الكتب، ودرس بمسجد الفليحي في الروض النضير، والكشاف، وضوء النهار، وغير ذلك من الكتب.

وكانت وفاته في تاسع ذي الحجة سنة ١٣٦٢هـ^(٣)، وقال قبل وفاته:

أيا رب قد عمرت ستين حجة وزدت ثلاثاً وهي عمر محمد
فهب لي ختاماً صالحاً ثم خذ يدي إليك وكن يوم القيامة منجدي
وله أشعار وقصائد (طنانة!) من ذلك ما كتبه إلى الإمام يحيى بعد أن نهبت قبائل برط مدينة يريم سنة ١٣٢٩هـ، وهي قصيدة بليغة، مطلعها:

على رسلكم أهل المخابر والقلم بذأ خبروا فلينقل النظم من رقم
قفوا ريثما أملي عليكم رسالة لها الصدق خال وابن خال لها زعم
منزهة عن ذكر ليلي وزينب ومشغولة عن وصف سلمى وذو سلم

(١) تحفة الإخوان، (مرجع سابق)، ص ١٣٢. (٢) نزهة النظر، ١/ ٦٣٥، ط ١ (١٩٧٩م).

(٣) تحفة الإخوان، هامش ص ١٣٢.

مبرأة عن ريبة في حديثها
إلى مربع المجد الذي طال سؤودا
إلى واحد العصر الإمام الذي سما
ومنها:

فيا راكبا إما بلغت إليه لا
بما كان حقا في يريم ما جرى
فلم يتركوا للمسلمين جميعهم
فقد أخذوهم من محب ومبغض
ومنها:

لأنهم ظنوا بأن دخولهم
ولم يعلموا والله أن ليس مسلم
وحاشا وكلأ أن يكون إمامنا
مبيح فكل للإباحة قد زعم
بذا قابلا بأقبح ذلك من وهم
بذا آذنا أو راضيا للذي ظلم

○ عبد الكريم بن إبراهيم الأمير^(١):

(هو العلامة الأديب الشاعر البليغ عبد الكريم بن إبراهيم بن حسين بن علي بن يوسف بن إبراهيم بن محمد بن إسماعيل (يتصل نسبه ببيت النبوة). مولده سنة ١٣٣٠هـ تقريباً بصنعاء، ونشأ في حجر والده إبراهيم، وأخذ عن عمه العلامة عبد الخالق بن حسين الأمير في علم العربية والحديث والفقه، كما أخذ عن القاضي العلامة يحيى بن محمد الإرياني وغيره، وكتب في جريدة الإيمان ورأس تحريرها، وله ملكة في الشعر والنثر، وتمكن من تقريظ «نشر العرف»^(٢) بما يعجز عنه غيره، ويعتبر أيضاً من أبرز رجال الفكر والأدب وأطولهم باعاً في مجال الشعر الحر المعبر عن أصدق المشاعر والوجدان، ومن مفاخر الأدب اليمني المعاصر قصيدته الرائية التي بعث بها إلى صاحب كتاب «نشر العرف» كتقريظ للكتاب، وذلك في عام ١٣٥٨هـ عند بداية طبع الجزء الأول منه:

(١) نزهة النظر، صفحة ٣٦٠.

(٢) نشر العرف لنبلأ اليمن بعد الألف: للعلامة محمد بن محمد بن يحيى زبارة، نشر مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء.

ويقول صاحب كتاب نزهة النظر: إن هذه القصيدة فريدة في الأدب العربي... بل هي معجزة من معجزات الفكر اليميني الخلاق وقدرته على تجبير على المعاني والمباني الشعرية لإرادته... إلخ^(١) وله مساجلات مع عديد من الشعراء اليمنيين آنذاك، وبالجملة فهو مدرسة جامعة لمعظم أدباء وشعراء اليمن البارزين، وهو كريم الأخلاق حسن الطباع).

○ القاضي عبد الله بن عبد الكريم بن محمد الجرافي^(٢) الصنعاني:

(القاضي عبد الله بن عبد الكريم بن محمد بن أحمد بن علي بن حسين الجرافي الصنعاني، ولد في صفر سنة ١٣١٩هـ بصنعاء، ونشأ بحجر والده، وقرأ القرآن، وجوده على عدة من المشايخ الحفاظ، ودرس في علم العربية والفقهاء والأصول والحديث على جماعة من الأعلام منهم: العلامة حسين بن محمد أبو طالب، والعلامة عبد الخالق بن حسين الأمير، والقاضي عبد الله بن محمد السرحي، والقاضي العلامة علي بن حسين المغربي، والسيد محمد بن زيد الجرافي في شرح الأزهار، والسيد العلامة علي بن حسين المغربي، والسيد محمد بن زيد الجوفي في شرح الأزهار، والسيد العلامة أحمد بن علي الكحلاني في شرح الأزهار وشرح الكافل، وغير ذلك، وفي ١٣٤٣هـ لازم القراءة على المولى الحسين بن علي العمري وأخذ عنه الكثير الطيب كالأهيات في علم الحديث وغيره، وأخذ عن شيخ الإسلام القاضي علي بن علي اليماني سبل السلام وسنن أبي داود؛ وقد استجاز من كثير من مشايخه).

○ إجازات القاضي العمراني:

وبعد أن اغترف من بحر العلم وارتشف من ينابيع الحكمة، أخذ يطلب من مشايخه ومن غيره من أهل العلم والفضل الإجازات التي تمنح لأمثاله، فما قصر منهم في ذلك أحد.

(١) انظر: نزهة النظر، ص ٣٦١، ٣٦٢.

(٢) الجرافي: بكسر الجيم والفاء، نسبة إلى بلاد الجراف بمأشده. انظر: نزهة النظر، ص ٣٨٠ (مرجع سابق).

○ شروط الإجازة:

ويشترط العلماء للإجازة شروطاً عدة:

- ١ - جودة الفهم وإمعان النظر.
- ٢ - البحث عن النسخ الصحيحة.
- ٣ - الثبوت خشية التحريف والوهم^(١).

□ أهم من أجازته من العلماء:

وكان ممن أجازته من أكابر العلماء في عصره:

- ١ - السيد العلامة محمد بن زبارة:
يقول العمراني عنه: جالسته كثيراً وتذاكرنا في كثير من العلوم ولا سيما التاريخ، وأجازني إجازة عامة في جميع إجازاته من مشايخه وغيرهم ممن أجازته من علماء مصر ومكة المشرفة وبغداد وغيرها.
- ٢ - السيد العلامة أحمد بن محمد زبارة (أجازني إجازة عامة).
- ٣ - القاضي العلامة عبد الله بن عبد الكريم الجرافي: (إجازة عامة في جميع مقروآته).
- ٤ - القاضي عبد الله بن عبد الرحمن بن حميد.
- ٥ - القاضي العلامة الحسن بن علي المغربي.
- ٦ - الشيخ عبد الواسع بن يحيى الواسعي: أجازني في الدر الفريد الجامع لمتفرقات الأسانيد.

وصدر إجازته للقاضي العمراني بالأبيات التالية:

- أجزت لعز الدين فيما أجازني نجوم الهدى رصاد كل معطل
وفيمَا حوى الدر الفريد أجزته وفي كل مسموع سمعت وصح لي
على شرط أهل العلم والفضل والتقى سراة النهى في كل جمع ومحفل
٧ - والقاضي العلامة عبد الله بن محمد السرحي رحمه الله تعالى؛ أجازته إجازة

(١) نيل الأمان في إجازات القاضي العلامة محمد بن إسماعيل العمراني، ص ١٥٥. من إجازة

شيخه القاضي عبد الله بن عبد الكريم الجرافي له.

الرحمن بن يحيى الأنباري

عامة في جميع العلوم التي قرأها عنده والتي لم يقرأها عليه وصحت للمجيز روايتها.

والشيخ الدكتور حسين بن محفوظ الوشاحي (دكتور عراقي).

والشيخ منصور بن عبد العزيز نصر؛ إجازة (بالمراسلة) بعد الصحبة والصدقة الحميمة.

١٠ - وممن أجازته السيد العلامة يحيى بن عبد الرحمن الأنباري الزبيدي.

١١ - وكذلك السيد العلامة إبراهيم بن محمد بن حسن بن عبد الباري الأهدل المروعي.

١٢ - ومن السيد العلامة محمد بن حسن بن عبد الباري الأهدل؛ كتب الإجازة لشيخنا ولده إبراهيم لضعف بصره ولضعف يده عن الكتابة قبل موته.

١٣ - ومن السيد العلامة عبد القادر من عبد الله بن علي شرف الدين.

١٤ - ومن السيد العلامة عبد الله بن محمد بن يحيى المنصور.

١٥ - ومن القاضي العلامة أحمد بن أحمد الجرافي؛ ولقد قال في سطور إجازته: إن القاضي العلامة محمد بن إسماعيل العمراني إذا ما أعطي درجة علمية فهو فوق الدرجات والشهادات العلمية العالية وهذا أقل ما يقال في حقه. انتهى من كلام المجيز.

١٦ - وأجازته القاضي العلامة عبد الله بن عبد الكريم الجرافي.

١٧ - وأجازته السيد العلامة المؤرخ المسند محمد بن محمد زبارة.

١٨ - وأجازته السيد العلامة أحمد بن محمد بن يحيى بن زبارة.

١٩ - وأجازته العلامة القاضي حسن بن علي بن حسين المغربي.

٢٠ - وأجازته العلامة القاضي علي بن حسن المغربي الذي قتل شهيداً في ثورة ١٣٦٧هـ ١٩٤٨م.

٢١ - وأجازته العلامة القاسم بن إبراهيم.

٢٢ - وأجازته العلامة القاضي محمد بن محمد السماوي نظماً ونثراً.

ومما قاله في نظمه:

أجزت محمد رمز الكمال وعمود السجايا والخلال

أجزتك يا أخي نظماً ونثراً
أجزتك بالذي ترويه عمّن
ومنها الأمهات الست فاعلم
وتفسير وآداب ونحو
وإتحاف الأكابر سوف يغني
عن التطويل في سند الرجال
لما تحويه من رتب المعالي
قرأت عليهم بعد اتصال
وتخرجه الأحاديث العوالي
وصرف ثم تهذيب الكمال

ويتبين من خلال هذه الإجازات أن القاضي العلامة قد ارتقى منزلة عالية رفيعة القدر، وأنه كان يتمتع بإجلال واحترام وتقدير العلماء له من خلال وصفهم له بألفاظ، منها: العلامة، الفهامة، الأملعي، النبيه، المدقق، الحافظ، الورع، التقي، الزاهد، المحقق، علم الأعلام، مفخرة اليمن، نسبة الزمن، أعز الإسلام... إلخ^(١).

وإذا كان ثمة تعليق حول هذه الإجازات والتي هي في نظر العلماء أعلى مرتبة من الشهادات العصرية العليا فأقول:

١ - إنها من الدلائل العظيمة والموحيات الكبيرة أن صاحبها (المعطى له) قد حاز سبق في مضمار العلوم الشرعية على أعلى درجات الفهم والفقه، سيما وأنه يدرس كتباً تؤهله لأن يبلغ (إذا استمر في الاطلاع والبحث) درجة الاجتهاد^(٢)، فعنده في هذه الإجازة شهادة من مشايخه بأنه قد حصل من علوم الآلة (في اللغة العربية) ما يؤهله للاجتهاد إضافة إلى علوم أخرى في فنون شتى.

٢ - إن طالب هذه الإجازة يهتم بها اهتماماً بالغاً لما يرى فيها من شرف، وصل سنده بسند أكابر علماء العصور السالفة ذوي القدر العظيم والفهم العريض.

٣ - بل (إن حفظ سند السنة المطهرة عند علماء السلف مما تدعو إليه الحاجة فبادروا رحمهم الله إلى الاهتمام بحفظ الإسناد، وقد روي عن ابن المبارك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(٣)

(١) من خلال إجازات العلماء للقاضي العمراني.

(٢) على قول من يقول: إن باب الاجتهاد لم يغلُق، وعلى رأسهم علماء الزيدية المجتهدون.

(٣) هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي، مولاهم، جمع العلم والفقه =

أنه قال: (الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء)^(١).
وروي عن محمد بن حاتم بن المظفر^(٢) أنه قال: (إن الله أكرم هذه الأمة
وشرفها بالإسناد وليس لأحد من الأمم كلها قديمها وحديثها سند
موصول، إنما هي صحف بأيديهم وقد خلطوا بكتبهم أخبارهم وخلطوا
التوراة والإنجيل بما ألحقوه بهما من أخبار رهبانهم وأخبارهم)^(٣).
ويروي عن ابن حجر^(٤) أنه قال: (ولكون الإسناد يعرف به الموضوع من
الحديث من غيره كانت معرفته من فروض الكفاية)^(٥).
وقال بعض الأعلام ونعم ما قال: ما لفظه: (وكفى الراوي المنتظم من
هذه السلسلة شرفاً وفضلاً وجلالة ونبلأ أن يكون اسمه منتظماً مع اسم
المصطفى ﷺ).

-
- = والأدب والنحو واللغة والزهد والشعر والفصاحة والورع والإنصات وقيام الليل
والعبادة، والشدة في رأيه، وقلة الكلام فيما لا يعنيه، وقلة الخلاف على أصحابه، وصنف
كثراً كثيرة. أصله من مرو مدينة عظيمة في خراسان. (ت: سنة ١٨١هـ). له: كتاب السنن
في الفقه، وكتاب التفسير، وكتاب الزهد، وكتاب البر والصلة. انظر: الفهرست للنديم
أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحاق، المعروف بالوراق، تحقيق رضا نجود.
- (١) مقدمة صحيح مسلم لشرح الإمام النووي، تحقيق الشيخ خليل مأمون شيجا، ط١، دار
المعرفة، بيروت، لبنان (١٤١٤هـ - ١٩٩٤م)، ص ٢٩.
- (٢) كتب عنه محقق شرح صحيح مسلم في الهامش ص ٣٤ (مرجع سابق) ما يلي:
لم أظفر بترجمة محمد بن حاتم المظفر فيما رجعت إليه من كتب ومراجع، وهو من أهل
القرن الثالث، لأن تلميذه أبا العباس الدغولي توفي سنة ٣٢٥هـ، وأبو العباس هذا هو
(محمد بن عبد الرحمن السرخسي الدغولي) كان من كبار علماء عصره في الحديث، ومن
بيت علم كبير بسرخس، وكان شيخ خراسان في زمانه، فلا ينقل إلا عن كبير
جليل... وهو تلميذ الرياشي اللغوي البصري المتوفى سنة ٢٥٧هـ، وتلميذ الزبير المديني
ثم البغدادي المتوفى سنة ٢٣٦هـ، فهو من علماء القرن الثالث... إلخ. انظر: مقدمة
المحقق ص ٣٤ هامش.
- (٣) مقدمة محقق صحيح مسلم، ص ٣٤.
- (٤) هو أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي العسقلاني، الشهير بابن حجر،
(٧٧٣هـ - ٨٥٢هـ). انظر: مقدمة فتح الباري لشرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر
العسقلاني، ترقيم وتبويب محمد فؤاد عبد الباقي. دار الريان للتراث، ط٢ (١٤٠٧هـ).
- (٥) من إحدى إجازات العمراني.

○ أسانيد القاضي العمراني:

السند إلى إتحاف الأكابر للشوكاني^(١):

- ١ - يروي القاضي محمد بسنده عن شيخه عبد الله حميد، عن شيخه العلامة علي السلامي، عن شيخه محمد بن محمد العمراني، عن شيخه شيخ الإسلام الشوكاني جميع ما حواه مؤلفه (إتحاف الأكابر).
- ٢ - يروي القاضي محمد عن القاضي عبد الله الجرافي، عن المولى الحسين بن علي العمري، عن العلامة إسماعيل بن محسن بن عبد الكريم بن إسحاق، عن الشوكاني بسنده المعروف (إتحاف الأكابر).
- ٣ - يروي القاضي العمراني عن القاضي قاسم بن إبراهيم بن أحمد، عن القاضي العلامة إسحاق المجاهد، عن جده القاضي العلامة محمد بن محمد العمراني، عن الشوكاني بسنده المعروف (إتحاف الأكابر) للشوكاني.
- ٤ - ويروي بسنده عن السيد العلامة عبد الله بن محمد بن إسماعيل الأمير، عن والده العلامة البدر المنير محمد بن إسماعيل الأمير بسنده المعروف (بإتحاف الأكابر) للشوكاني.

ومن غيره من كتب الأسانيد:

ومثال ذلك: القاضي العمراني عن شيخه العلامة عبد الواسع بن يحيى الواسعي جميع ما تضمنه كتابه الدر الفريد من المقروءات والمسموعات والمجازات عن علماء اليمن، وحضرموت، ومصر، والهند، والشام، وغيرها من الأقطار. وأما أقرب سند لشيخنا العمراني في صحيح البخاري وأعله فهو يتضمن ثلاثة عشر رجلاً بينه وبين البخاري نفسه صاحب الصحيح. وليبيان ذلك فيحسن أن أسوق الدليل الآتي:

(١) إتحاف الأكابر: جمع فيه مصنفه الشوكاني ما ثبت له من الروايات للمكتب التي درسها بأسانيد متصلة بمصنفها، سواء من كتب الأئمة من أهل البيت، أو من كتب غيرهم من سائر الطوائف الإسلامية، رحمهم الله جميعاً، في جميع فنون العلم، واقتصر ﷺ في الغالب على طريق واحد بغية الاختصار، وذكر فيه أيضاً إسناد مؤلفات جماعة من العلماء؛ ليكثر النفع وتعم الفائدة. من الفتح الرباني فتاوى الإمام الشوكاني، مطبعة الإكليل، صنعاء، ط١ (١٤١٥هـ - ١٩٩٤م)، ص٢٢٧.

○ أعلى سند للقاضي محمد في صحيح البخاري:

هي عدة أسانيد يروها الشيخ بسنده إلى صحيح البخاري، ولكن أقرب سند له هو:

ما يرويه عن: شيخه الواسعي، عن العلامة عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف^(١)، عن العلامة عيروس بن عمر^(٢)، عن العلامة عبد الرحمن بن سليمان الأهدل^(٣)، عن العلامة محمد بن محمد بن سنه الفلاني^(٤)، عن العلامة أحمد بن محمد العجل اليماني^(٥)، عن القطب النهروالي^(٦)، عن الطاووس^(٧)، عن بابا يوسف الهروي^(٨)، عن الجمال الفرغاني^(٩) عن ابن مقبل الختلافي^(١٠)، عن محمد بن يوسف الفريزي^(١١)، عن البخاري.

وكذا يرويه عن السيد قاسم بن إبراهيم، عن القاضي إسحاق المجاهد، عن جده القاضي محمد بن محمد العمراني، عن السيد عبد الرحمن بن سليمان الأهدل... وبقية السند كما هو في السابق.

- (١) السيد المسند عبد الرحمن.
- (٢) لعله السيد عيروس بن عبد الرحمن بن عمر الحسيني. انظر: ترجمته في نيل الوطر (١٦٩/٢).
- (٣) السيد العلامة الحافظ المحدث عبد الرحمن بن سليمان الأهدل (١١٧٩ - ١٢٥٠هـ). منها: شرح على بلوغ المرام بلغ فيه إلى كتاب البيوع، وله مجاميع للعلوم والفوائد جامعة وغيرها... نيل الوطر (٣٠/١).
- (٤) لم أقف عليه. (٥) لم أقف عليه.
- (٦) قطب الدين محمد بن أحمد النهروالي التقصار باللام، منسوب إلى نهرولة بلدة من بلاد الهند. انظر: البدر الطالع (٦٥٧/٢ - ٦٥٨). وكتاب التقصار للشجني، ص ٢٢. ومعجم المؤلفين، مؤسسة الرسالة ط (١٤١٤هـ). (٩٩٠ - ٩٩٠هـ) (الطاووسي) وليس الطاوي، من كتاب التقصار، ص ٢٢، لم يذكر وفاته.
- (٧) حياة الإمام الشوكاني، المسمى «كتاب التقصار في جيد الزمان أعلام الأقاليم والأمصار»، لمؤلفه محمد بن الحسن بن علي بن أحمد الشخيني (ت: ١٢٦٨هـ) تحقيق محمد بن علي الحسين الأكوخ الحوالي، مكتبة الجليل الجديد، صنعاء، ط (١٤١١هـ).
- (٨) بابا يوسف بن عبد الله الهروي (ت: ٨٢٢هـ) (٩) لم أقف عليه.
- (١٠) لم أقف عليه.
- (١١) أبو عبد الله محمد بن يوسف بن مطر الفريزي، أوثق من روى صحيح البخاري (٢٣١ - ٣٢٠هـ). الزركلي: الأعلام، (١٤٨/٧) (مرجع سابق). سير أعلام النبلاء (٤٦٦/٥)، مؤسسة الرسالة، بتحقيق الأرنؤوط.

روان القطب
عن ابن مقبل
بن عبيد الله
ويرويه صاحب
السند الشيخ
بنها قد
(١٠٩) كتاب
الفرغاني

ويرويه
عمر بن
عبد الرحمن بن
محمد بن
عبد الله بن
بكر الحسيني
سنين
١٣٤٣ - ١٣٤٤هـ
شبه منحة
تأليفه
كله الهروي
روان في
٢٣٠٠هـ - ٢٣٠٠هـ
ابن يوسف سنة ٨٢٢هـ
عن الفرغاني
في سير أعلام النبلاء

○ تعليق على دراسة القاضي لدى شيوخه:

مما سبق يلاحظ الباحث أن القاضي محمداً لم يكن ليعجزه أو يعيقه نأي مشايخه عنه، سواء من الناحية الفكرية (العقدية)، أو من الناحية الزمنية عن أن يذهب إليهم، ويختلف إلى غيرهم، مهما بعدت عليه الشقة ومهما كلفه الأمر من مشقة.

يمكن إجمال هذا التعليق في النقاط التالية:

١ - حرص القاضي محمد أن يستوعب جميع ما عندهم من علم، وقد يدرس الفن الواحد عند أكثر من شيخ، فعلى سبيل المثال أخذ علم النحو على كل من العلامة عبد الله بن عبد الرحمن حميد (١٣٢٨هـ - ١٣٩١هـ)، والعلامة الحسين بن علي المغربي (١٣٠٨هـ - ١٣٦٧هـ)، والعلامة عبد الكريم بن إبراهيم الأمير (١٣٣٠هـ - ولا زال حياً)، وغيرهم، وهذا أسلوب قديم عند علماء المسلمين، يمكن التلميذ من الفهم والإتقان والحفظ، ويوسع لديه ملكة الاجتهاد، وخاصة في إطار المذهب الزيدي.

٢ - وكذا يجد الباحث أن القاضي محمداً قد أخذ بمنهج السابقين له في الطلب من علماء السلف، حينما لازم شيخاً معيناً ليأخذ عنه مختلف العلوم، وهذا شبيه ما يسمى في الوقت الحاضر لدى علماء التربية، بالإعداد الرأسي (التخصصي)، والإعداد الأفقي (الثقافي)^(١)، فهو لازم شيخه القريب إليه (ابن خالته) السيد عبد الكريم بن إبراهيم الأمير.

٣ - ولم يغفل القاضي دراسة كتب الحديث (الصحيح والسنن والمسانيد)، فالملاحظ من خلال دروسه لدى شيوخه أن دراسته قد اشتملت على كتب الحديث والسنة وغيرها.

وهذا في حد ذاته مَعْلَمٌ بارز لدى المذهب الزيدي الذي نادى بالاجتهاد، فهو يفتح له نوافذ يدخل منها إلى مذهب أهل السنة، بعكس المذاهب الشيعية الأخرى، ولذا تجمد علماء الاجتهاد في المذهب الزيدي قد وجدوا لكتبهم قبولاً

(١) د. عبد الغني قاسم غالب الشرجي: الإمام الشوكاني، حياته وفكره، مؤسسة الرسالة بيروت، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء.

وانتشاراً واسعاً في أوساط أهل السنة، مثل مؤلفات ابن الوزير، وابن الأمير، والشوكاني وغيرهم، وهذا لا تجده أبداً عند علماء الشيعة الآخرين.

٤ - ولا أنسى أن أنوه إلى نقطة هامة في اليمن نتيجة لهذا الاجتهاد في المذهب، فالتشريع اليمني القائم الآن (مثلاً في الأحوال الشخصية) في وزارة العدل يأخذ كثيراً من مذاهب هؤلاء المجتهدين^(١) . . . وكثيراً ما تُختار آراؤهم الممتازة بآراء علماء السنة، وبهذا خلّت الساحة اليمنية من التعصب المذهبي الذي ظل يبرز أحياناً ويختفي أخرى، تبعاً لقوة تأثير علماء العصر.

٥ - بهذا النهج الذي اختاره لنفسه قدوة بعلماء الأمة الإسلامية على مر العصور، تبرز سمّة خاصة عند هذه الأمة، كون التلميذ يختار علماءه الذين سيلازمهم والذين سيختلف إليهم، فقد كان لهذا المنهج أثره البالغ في الشيخ، أكسبه مهارة في التدريس والإفتاء والقضاء، وهو الآن مدرساً مفتياً عالماً بالقضاء وخبيراً بدروبه.

٦ - من الملاحظ أن نزعة التحرر من ريقة التقليد التي عنده تبرز في عدم استسلامه لآراء الجامدين على المذهب من مشايخه ومصارحتهم بل ومناقشتهم، وربما الأخذ برأيهم، وكثيراً ما يجمع إلى آراء المجتهدين من أهل المذهب حتى عرف بين مشايخه بجنوحه إلى أهل السنة. . . ولا غرو بعد ذلك أن تكال له الاتهامات ويوصم بالألقاب من أفواه مشايخه المتعصبين، مثل (فيه لوثة سنة، وناصبي، وسني، وغيرها. . .).

إذاً فما هي العوامل التي أسهمت في تكوين شخصية القاضي محمد؟!

(١) منها المادة السادسة عشر في قانون الأحوال الشخصية المختصة بولاية عقد الزواج، خالفوا فيها الهادوية فجعلوا الولاية على مذهب الشافعية الأقرب فالأقرب على الترتيب - الأب والجد وإن علا - ثم الابن وابن الابن وإن سفل، ثم الإخوة أبناؤهم، ثم الأعمام ثم أبناؤهم ثم أعمام الأب ثم أبناؤهم. . . إلخ. انظر: القرار الجمهوري بالقانون رقم (٢٠) لسنة ١٩٩٢م بشأن الأحوال الشخصية، صادر في وزارة العدل مطبوعة ١٤ أكتوبر للصحافة والنشر. ومنها: المادة (٢٥) الخاصة بالرضاع، خالفوا فيها الهادوية، حين جعلوا الرضاع المحرم (خمسة رضعات متفرقات). انظر: نفس المصدر الصفحة التي بعدها. . . وغيرها في المواد. . .

المبحث الرابع



المطلب الأول

العوامل التي أسهمت في تكوين شخصية القاضي العمراني

سبقت الإشارة إلى أن القاضي محمد العمراني ولد في مدينة صنعاء في حارة العلمي، في المدينة القديمة حالياً.

فيمكننا إذاً أن نستخلص العوامل التي أثرت في شخصيته ونجملها في النقاط التالية:

- ١ - منزله وموقعه الكائن في حارة العلمي، فبحكم قربها من الجامع الكبير بصنعاء فإنها تحفل بالعلماء الأفاضل.
- ٢ - الأسرة العمرانية الصنعانية التي ورثت العلم كابراً عن كابر، فلم يكن القاضي وحده صاحب العلم في الأسرة، فقد كان خلف أسلافه الجهابذة الأعلام الذين طار صيتهم وعم نفعهم رحمهم الله رحمة واسعة، وقد ترجمتهم في مقدمة المبحث.
- ٣ - جلوسه إلى الشيوخ منذ نعومة أظفاره خاصة بعد أن تكرر إلى سمعه من كبار القضاة والمشايخ عبارة^(١) حفزته بل دفعته إلى الالتحاق بطلاب العلم. وهذا الكلام في حد ذاته يعتبر من الأساليب التربوية التي يستخدمها عادة العلماء الكبار لتحفيز وتشجيع طلابهم.

(١) والعبارة هي باللهجة اليمنية: (قد كان أبوك قاضي، وقد كان أجدادك علماء مشاهير!! وأنت هيا!! إلحق بهم).

ولقد كان لأمه موقفاً مشرفاً حينما دفعتة هي الأخرى لطلب العلم، فواسته في شراء ما يحتاجه طالب العلم من أدوات الكتابة، فوفقت بجانبه طوال أيام تحصيله بين يدي مشايخه، وقبل ذلك في مدرستي الإصلاح والفليحي، ولم تتركه يحتاج أو يهتم بأعباء الحياة، فتفرغ للتحصيل وجد واجتهد حتى بلغ شأواً محموداً في العلم، فسبق أقرانه وجلسوا له متواضعين يأخذون عنه، ولقد كان لأخيه الأكبر دوراً آخر ولكن دون موقف أمه، فقد كانا سوياً يساعده في شراء الضروريات تشجيعاً له على طلب العلم، ومع هذا فقد كان لا يستطيع أن يشتري لنفسه كتاباً يقتنيه، بل كان إذا احتاج إلى كتاب استعاره فيطالعه في أقصر مدة وربما اضطر لنسخه بيده، وعلى سبيل المثال فقد نسخ كما أخبرني هو بنفسه شرح الفاكهي على ملححة الإعراب وهو إذ ذاك مطبوع، ونسخ شرح قواعد الإعراب وهو مطبوع، وكذا الكافل في أصول الفقه.

بهذه الطريقة حفظ كثيراً من المتون المختصرة، بل من الكتب، وقد يقف المرء مندهشاً عندما يرى مكتبته التي لا تكاد أن تملأ جانباً من جدار غرفته في بيته، فيأخذ العجب عندما يسمع منه هذا العلم الغزير، وعندما سألتناه في الدرس قال: (كنت أستعير الكتب من العلماء أو أتحنن فرص لقائي بهم حالة الدروس أو الجلوس معهم فأخذ الكتاب أو الصفحة بل أتصفحه وربما أستعيره فأحفظ ما فيه من مسائل، وهكذا).

وعندما وجه له سؤال: ومن أين هذه الكتب، قال مجيباً: (ما اجتمعت لي هذه الكتب إلا الآن وقد كبر سني، ورق عظمي، وضعفت عن المطالعة همتي، وأكثرها هدايا!!).

وهذا يعني عند الباحث أن القاضي محمد كان يعتبر فعلاً من ذوي الكفاف، الأمر الذي جعله يعجز عن اقتناء كتب خاصة به، وما تحسن وضعه ومعيشته إلا قبيل الثورة وبعد قيام الثورة في اليمن.

٥ - ومن الأسباب في نظر الباحث التي جعلت العمراني يسلك هذا المسلك: مدينة صنعاء حينما كانت تزدهن بالعلماء الأفاضل الذين كانوا يعطرون مساجدها بحلقاتهم العلمية والتي كانت مستمرة ومنتشرة، فلا يكاد مسجد

من مساجدها يخلو منه، مثل الجامع الكبير، مسجد الفليحي، مسجد العلمي، مسجد قبة المهدي، مسجد الأهر، ومسجد الوشلي، ومسجد خضير، وغيرها من المساجد.

ولا شك أن هذا الجو المعطر بالحلقات العلمية يعمل دوره في اجتذاب الطلاب النابهن إليه، خاصة مع وجود علماء كبار يجسسون أنفسهم لمن يأتي إليهم يطلبون العلم.

٦ - مطالعته للكتب التي لا تتقيد بمذهب معين، فهو يردد دائماً: (ومن كان لهم الأثر الأكبر في حياتي العلمية علماء اليمن المتأخرين وهم الخمسة الأبطال الذين أعلنوا الاجتهاد المطلق في العصور المتأخرة التي ساد فيها الجمود وعم التقليد في سائر الأقطار الإسلامية)^(١): (الوزير - الجلال - المقبل - الأمير - الشوكاني)، ولا سيما الأخير منهم؛ فمؤلفاته الحرة، وقلمه السيل، وشجاعته الفكرية، واجتهاده المطلق، كان لها الأثر العظيم في مجرى حياتي العلمية.

كما أن لمؤلفات العلامة محمد رشيد رضا الفضل العظيم علي ولا سيما (مجلة المنار)^(٢) التي كنت أستعير الموجود منها في مكتبة الجامع الكبير في صنعاء، فأطالع الكثير من أبحاثها القيمة في التفسير والفقه والحديث والسياسة وغيرها وخصوصاً باب (الفتاوى) فكنت أطلعها كلها ولا أعيد المجلد من مجلدات تلكم المجلة إلى المكتبة المذكورة وأبدله بغيره إلا وقد استنفذتها قراءة، فاستفدت منها فوائد لا تحصى، وذلك قبل أكثر من خمس وخمسين عاماً، وهي الأعوام التي ما كنا نجد مجلة دينية غيرها بعد موت محررها بعشرة أعوام تقريباً.

إن هذا الاطلاع بهذا النهم الشديد، والحرص البالغ أيضاً كان له أثر عظيم في مجرى تكوين شخصيته العلمية وإقباله على علوم الاجتهاد من أصول وفقه وعلوم عربية وغيرها.

(١) عن فيلم فيديو، فيه ترجمة للشوكاني وترجمة للعمري نفسه، مسجل ضمن تسجيلات مكتبة الشيخ عبد المجيد الزنداني.

(٢) مجلة المنار: هي مجلة إسلامية إخبارية شهرية، أسسها العلامة محمد رشيد رضا سنة (١٣١٥هـ - ١٨٩٨م) - وانظر: د. حسين عبد الله العمري، دار الفكر، دمشق، سورية ط١، (١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م)، ص٩.

ثم لا أنسى أن أذكر مطالعته لكتب الألباني الحديثية وغيرها من كتب المحدثين، الأمر الذي انعكس على فتاواه ودروسه وإرشاداته، وربما كان هو أول من طالع كتب الشيخ الألباني في اليمن والله أعلم، فأصبح القاضي محمد بعد هذا كله لا يرفع إلى التقليد رأساً، ولا يرى في مخالفة كثير من شيوخ أهل زمانه بأساً، متجافياً عن كل بدعة تشوب دينه، عاملاً بالدليل، وغير معرج على القول والقييل، مجتهداً في كثير من المسائل، منكرأ على بعض مشايخه كل ما لا يمت إلى الحق بطائل.

فواجه نتيجةً لذلك كثيراً من المتاعب والمصاعب والمشاكل، حتى غمط حقه وأنكر فضله بين أنصاف العلماء المتعممين المتزلفين لعوام الناس فضلاً عن خواصهم بالترويج للمذهب وإن كانوا يعرفون أن الحق في غيره، مظهرين أن الحق في مذهبهم، فيروون له الأحاديث المنكرة، متجاهلين بذلك صحة الإسناد، فكم من حديث مكذوب في كتبهم مخالفين به الأمهات الست؛ وللقاضي محمد تعليقات على كتبهم.

ولقد أحسن الشوكاني حين فند كتبهم فبين عورها، وميز بين الحق والباطل فيها، فامتحن أشد الامتحان، وواجه من قومه مصائب تعرض فيها للثلب والامتهان، حتى من أشد شيوخه، وهذه عادة مضت في أهل اليمن، يعادون أهل الحق منهم حسداً وكبراً (لهم عناية كاملة ورغبة وافرة في دفن محاسن أكابرههم وطمس آثار مفاخرهم)^(١).

فلا غرو بعد ذلك أن يتعرض القاضي محمد لما تعرض له أسلافه الذين جعلوا من منهج السلف منهجاً لهم... وسأحاول جاهداً ذكر بعض المحن التي وقعت له مع من عاصره في بيته.

○ تمهيد عن البيئة التي عاش فيها العمراني:

إن للبيئة أثر بالغ في حياة طالب العلم^(٢)، خاصة عندما يكون البلد الذي نشأ فيه الطالب يتمذهب أهلها بمذهب معين، وأن يكون صاحب المذهب الذي

(١) انظر: البدر الطالع ٦٠/١.

(٢) انظر: أدب الطلب ومنتهى الأدب، ص ٩١ وما بعدها.

يتسبون إليه مقدساً حتى يكون لهم بمثابة القدوة فيقدمون قوله على الدليل، وهذا التقديس داء عضال درج عليه أهل المذاهب والعقائد في كل بلاد المسلمين، ولست مبالغاً حينما أجزم أن البيئة اليمنية من أشد بلاد المسلمين تمذهباً وتعصباً (خاصة البيئة الزيدية).

إن أنصاف العلماء المتظاهرين بالعلم في كل مذهب - بما فيهم المذهب الزيدي - يعتبرون غيرهم ضالين، ومن يدعو إلى غير مذهبهم فكأنه يدعو إلى ضلالة، ذلك أنهم يعتبرون أن مذهبهم هو المذهب الصحيح، وأن مذاهب غيرهم ضلالات وبدع.

إن التقليد الأعمى الذي أهلك الأولين والآخرين^(١) جعل الجامدين في بلادنا يتخذون من المذهبية أساساً للحكم، فكانت سيوف الأئمة لا ترحم مخالفينهم، فازدحت سجونهم بخصومهم في الرأي أكثر من ازدحامها بخصومهم في السياسة، فقد زج بشيخ المؤرخين أبي محمد الحسن بن أحمد الهمداني^(٢) في السجن ستة أعوام مكبلاً في الحديد لأنه دافع عن نفسه ورد هجاء الشعراء في صعدة، ثم أغريت القبائل به وبكتابه العظيم (الإكليل)^(٣)، وأفى عبد الله بن حمزة فرقة المطرفية (إحدى فرق الزيدية) وكانت لا تقول بقصر الإمامة على أبناء فاطمة

(١) السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار: لشيخ الإسلام محمد بن علي الشوكاني، تحقيق محمود إبراهيم زايد، (ط١، الكاملة) دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ص ٩.

(٢) هو أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب بن يوسف المهدي الهمداني، توفي نحو سنة ٣٥٠هـ، وله مؤلفات كثيرة ومفيدة جداً، وأكثرها لا يزال مفقوداً، ومن مؤلفاته المعروفة: كتاب الإكليل (موسوعة في معارف اليمن)، كتاب صفة جزيرة العرب، كتاب المسالك والممالك، وغيرها من المؤلفات. انظر: كتاب الإكليل للمؤلف، ج ١، تحقيق محمد بن علي الأكوع الحوالي، دار الحرية للطباعة ١٩٧٧م. وانظر: د. يوسف محمد عبد الله: أوراق في تاريخ اليمن، بحوث ومقالات، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط٢، (١٩٩٠م) ص ١٤٧ - ١٤٨.

(٣) الإكليل: كتاب يتناول التاريخ والإنسان في جنوب جزيرة العرب، ويعرض فيه مؤلفه لعلم الفلك والتنجيم والفلسفة وغيرها من علوم الأوائل، ويتألف الكتاب من عشرة مجلدات وتدل الأجزاء القليلة المتوفرة من هذا الكتاب على إضافة مؤلفه بكل مناحي المعارف الإسلامية في عصره. (مرجع سابق)، ص ١٤٧ - ١٤٨.

الزهراء، وأيضاً لهم آراء في الطبيعة^(١) خالفت رأيه فأفناهم حتى لم يبق منهم بقية في اليمن إلا قرية خربة ومزارع عفت عليها الأمطار والسيول^(٢).

هذا ما كان يجري ولا يزال إلى يومنا هذا، إلا أنه وبفضل الله تعالى كاد أن ينقرض، وخاصة بعد القضاء على الحكم الإمامي، وكم عانى منه علماء السنة

(١) المطرفية: فرقة تنسب إلى مطرف بن شهاب، من أعلام أواخر المائة الرابعة وأوائل المائة الخامسة للهجرة، كانوا من شيعة الإمام الهادي يحيى بن حسين وأتباع مذهبه في الفروع، ولا يرون جواز الخروج عنه، ويعتقدون الحق في الاجتهادات مع واحد، فلذلك حظروا الخروج عن مذهبه.

بايع علماءها وفقهاؤها الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة (٥٦١هـ - ٦١٣هـ) حينما دعا لنفسه بالإمامة وتابعوا جمعته وجماعته، ولما تبين لهم أن الإمام المنصور بالله قد خالف الهادي في بعض مسائل الفروع أنكروا عليه ذلك، فكان هذا الإنكار من أسباب الشقاق بينه وبينهم مع أنه القائل (إننا نهاب نصوص الهادي كما نهاب نصوص القرآن). من معتقداتها:

أ - ترى هذه الفرقة جواز تولي الإمامة العظمى من ليس علوياً فاطمياً، وإنما تستحق بالفضل والطلب، وإجماع كلمة الشورى، وهو مذهب إبراهيم بن سيار النظام، ومن قال بقوله من المعتزلة وغيرهم، وكذا مذهب نشوان بن سعيد الحميري.

ب - هم في الأصول على مذهب المعتزلة إلا أنهم أظهروا القول بخلق العناصر الأربعة الماء والتراب والهواء والنار، وفيما عدا ذلك لأنهم يعتقدون أن التأثير لله في أصول الأشياء دون فروعها. فالمعتقد الأول لم يروق للإمام عبد الله بن حمزة فكفرهم بالإلزام (لقولهم بجواز الإمامة في غير أبناء الحسين) وجعل حكمهم حكم الحريين، فاستحل دماءهم وأموالهم وخرّب بيوتهم ومساجدهم، وحكم بأنها مساجد ضرار وسماهم روافض الشيعة المتابعين له في الجمعة والجماعة، كما حكم بمثل ذلك على نشوان بن سعيد الحميري.

انظر: القاضي إسماعيل بن علي الأكوخ: هجر العلم ومعاقله في اليمن، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان ط ١ (١٤١٦هـ - ١٩٩٥م)، ج ٢ ص ٩٥٤ هجرة سنم، ج ٣ ص ١٢٨٨ تحت عنوان هجرة ظفار.

القاضي إسماعيل بن علي الأكوخ: الزيدية نشأتها ومعتقداتها. دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سورية، ط ٢ (١٤١٨هـ)، ص ٧٦، ٧٧.

(٢) مقدمة السيل الجرار، ص ٨. وانظر: تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن، تأليف عبد الواسع بن يحيى الواسعي، مكتبة اليمن الكبرى، صنعاء، ط ٢، ص ١٩٨.

والجماعة في اليمن، خاصة أولئك المجتهدون المتحررون من قيود التمدد كوكبة النور في اليمن الذين مر ذكرهم - وهم الإمام ابن الوزير، والجلال، والمقبلي، والأمير، والشوكاني، حيث أنزل بهم أهل بلدهم ألواناً من المحن والأذى، فمنهم من حاولوا قتله، ومنهم من نفي، ومنهم من حاولوا ضربه، ومنهم من سجن، ولا زال هذا دأبهم مع كل عالم لا يتقيد بمذهبهم وإنما يعمل بالدليل ويرفض قال وقيل، فيرمونه بالنصب ومعاداة أهل البيت والخروج عن المذهب محاولاً هدمه^(١).

وقد يبلغ المتعصب في معاداة من يخالفه إلى حد يجاوز به عداوته لليهود والنصارى، ولو علم المخدوع المغرور بأن سعيه ضلال وعمله عليه وبال، وأنه كما قال تعالى من ﴿الأخسرين أعمالاً﴾^(٢) لأقصر عن غيه وارعوى عن بعض جهله^(٣)، ولما اتخذ أهل المعرفة والفهم غرضاً، ولما رماهم بكل نقيصة ودنيئة جهلاً منه وشططاً.

وفي عصر شيخنا القاضي محمد أمثلة كثيرة ولكنها أقل حدة مما سلف، ذلك أن مدرسة الكتاب والسنة (على حد تعبير صاحب مقدمة السيل الجرار) أخذت تقوى ويشتد عودها مبتدأة بالعلامة النحرير الجهد الشجاع محمد بن إبراهيم الوزير (ت: ٧٧٥هـ) ووصلت ذروتها بالعالم الجليل شيخ الإسلام ومفتي الديار اليمنية، وقاضي قضاتها محمد^(٤) بن علي الشوكاني (ت: ١٢٥هـ).

(١) انظر البدر الطالع ٢/١ في تراجم علماء الاجتهاد في اليمن، ليتبين لك من خلالها مدى معاناتهم مع قومهم عندما التزموا الدليل، وحاولوا إرشاد الأمة لأهدى سبيل.

(٢) سورة الكهف: الآية ١٠٣. (٣) أدب الطب، ص ٩٢، (مرجع سابق).

(٤) ولقد كان هذا العالم بحق أحد رواد وأعلام حركة النهضة الإسلامية في النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري، وكان امتداداً لكوكبة عظيمة من المسلمين والمجدين (علماء وأدباء ومؤرخين)، الذين ظهروا في اليمن خلال مرحلة عصر النهضة الأدبية في اليمن (من منتصف القرن الحادي عشر حتى منتصف القرن الثالث عشر) وهذه الفترة تعد من أخصب فترات الازدهار الفكري والثقافي في اليمن (انظر محمد بن علي الشوكاني في أدب الطلب ومنتهى الأدب، تحقيق ودراسة عبد الله بن يحيى السريحي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، دار ابن حزم، بيروت، ط ١ (١٤١٩هـ - ١٩٩٨م)، ص ٢٠٩. ولقد دعى الشوكاني كثرة في جميع مؤلفاته إلى الاجتهاد، وإعمال العقل، وتحريره من قيود =

صاحب المؤلفات القيمة والمتشرة في بقاع العالم الإسلامي .
وهكذا ظلت هذه الشجرة المباركة تؤتي ثمارها خلال عصر النهضة الفكرية
في اليمن وامتدت حتى عصرنا الحاضر متمثلة بكوكبة من العلماء الأجلاء من
أهل السنة والجماعة، وفي مقدمتهم شيخنا القاضي محمد العمراني، وأخذ طابع
التقليد، والجمود الفكري يضمحل شيئاً فشيئاً .
ورغم ذلك فقد قاسى العمراني من أهل عصره ألواناً من المعاناة من جراء
التعصب الذميمة إبان حكم الأئمة؛ ذلك أنهم - كما أسلفت - كانوا يحكمون
الامة بمذهب واحد، ولا يستسيغون أن يخالفهم أحد في مذهبهم، بل كانوا
يقفون ضد كل من يحاول إحياء السنة ما دام يخالف مذهبهم .
وها هو شيخنا العمراني حفظه الله يسرد لنا قصصاً وقعت له مع غير واحد
من هؤلاء المتعصبين - أنصاف العلماء - للمذهب الزيدي أثناء تدريسه لأحد
كتب الشوكاني .



= التقليد والتعصب حتى أنك لتجد هذه الفكرة قد شغلت تفكيره، وكانت بمثابة الفكرة
المحورية تدور حولها معظم كتاباته وآرائه، فكرس لها معظم جهده وفكره من خلال
التأليف والتدريس، فلا يكاد يخلو كتاب من كتبه من التشنيع على التقليد والمقلدين،
والدعوة إلى الاجتهاد وإعمال العقل، (المصدر السابق ص ٣٥)، بل إن الشوكاني يوجب
الاجتهاد على من ملك مادته . (انظر: البدر الطالع ٨٥/٢ (مرجع سابق)).

محن تعرّض لها القاضي العمراني

القصة الأولى: مسجد الفليحي أحد مساجد صنعاء الأهلة بطلاب العلم، الذين يرتادونه، فقد كان يحفل أيضاً بالعلماء ومن ضمنهم شيخنا القاضي محمد ابن إسماعيل العمراني، ولترك المجال لشيخنا يتحدث عن نفسه وهو يلقي دروسه في هذا المسجد:

(بينما كنت أدرس طلاباً جاءوا إلى اليمن من الخلف السليماني من صبيا، وجيزان، وأبي عريش)^(١) أي: من المملكة العربية السعودية، جاءوا يطلبون العلم على عادة أجدادهم^(٢)، فقد كان هذا الخلف مرتبطاً بحكومة صنعاء قبل ذلك، وكان كثير من بيوتات ذلك الخلف مثل: بيت النعمي، وبيت الضمدي، وبيت الحازمي، وبيت عاكش، وبيت السميحي وغيرهم، كانوا يطلبون العلم على يد علماء صنعاء، مثل الأمير والشوكاني ومحمد بن علي العمراني (جد شيخنا) فهؤلاء الطلاب كانوا يقرؤون عندي كتب الشوكاني والأمير وغيرهما، وكان يرتاد هذا المسجد أصناف الناس من بينهم زبدي متعصبون لمذهبهم على رأسهم قاسم بن حسين أبو طالب الملقب بالعزي^(٣).

وكان هذا الرجل من أهل الوجاهة في الدولة، وله بين العوام صولة

(١) هذه البلاد تقع تحت حكم المملكة العربية السعودية، وقد كانت قبل ذلك تابعة لحكومة صنعاء، سواء في أيام الدولة القاسمية أو في أيام الحكم العثماني، فقد كانت اليمن مقسمة إلى ثلاثة مخاليف أو أربعة، منها: خلف صنعاء. انظر: د. حسين بن عبد الله العمري: تاريخ اليمن الحديث والمعاصر (٩٢٢ - ١٣٣٦هـ / ١٥١٦ - ١٩١٨م)، في المتوكل يحيى حميد الدين، دار الفكر، دمشق سورية، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط١ (١٤١٨هـ - ١٩٩٧م).

(٢) من كلام القاضي العمراني في الدرر.

(٣) ترجمته في كتاب نزهة النظر في رجال القرن الرابع عشر: تأليف محمد بن محمد زبارة، تحقيق مركز الدراسات والأبحاث اليمنية، صنعاء، ط١ / ١٩٨٩م.

وجولة، وكانوا يعتبرونه من المقدمين ومن عليّة القوم، حتى لقد شبهه شيخنا بأنه آية من آيات إيران (آية الله قاسم العزّي)، وكنت أحاول أن ألقى الدرس حين غيابه وأحياناً أدخل أنا وطلابي متوارين (قبة المسجد) حيث إن لها باباً منفصلاً، ولكن جاءنا قاسم العزّي إلى داخل القبة فجأة ونحن متلبسون في نظرهم بجرعة تدرّس كتب السنة، فأقبل علينا يمشي بخطا وثيدة متهكماً قائلاً: ماذا تدرسون؟

فأجبت إجابة فيها نوع من التحدي والصراحة من غير مواربة ولا مداراة، علماً بأنه كان ذو منزلة عالية رفيعة القدر في قلوب العامة في صنعاء، وكان لكلامه عندهم قدسية حتى لكأنه يتكلم بلسان نبي!! قلت له: هذا كتاب نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار لشيخ الإسلام محمد بن علي الشوكاني، وهذا كتاب سبل السلام شرح بلوغ المرام للسيد البدر المنير محمد بن إسماعيل الأمير. فوصلت الكلمات إليه كأنها صواعق مرسلّة، وإذا به يهاجم بكلام ملؤه الغيظ والحنق قد احمر وجهه، وانتفخت أوداجه، رافعاً صوته يبرق ويرعد: اتقوا الله - بصراخ يصدع الرؤوس - أو قد نسيتم دخول القبائل إلى صنعاء، هاتكين الحرمات، ناهيين البيوت والمتاع، وأن ذلك كان - على حد تعبيره - بسبب هذه الكتب، كتب أهل السنة المعادية لأهل البيت، اتركوا كتب الناصبة^(١).

فظل هكذا يصرخ ويعول حتى قلنا ليته سكت، ولكن لم أبال به، فما إن مضى لسبيله حتى بدأت بمواصلة الدرس وبدون تلكؤ: وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ...

ثم ذهب يتوضأ، وبعد انتهائه من وضوئه أقبل يبحث عني، - وكنت قد أتممت الدرس وذهبت - فما كان منه إلا أن توعد وهدد بأنه سيكتب إلى وزير المعارف محرضاً إياه على توقيف معاشي أو راتبي، علماً بأنّ هذا المعاش كان مقابل ما أعطيه من دروس في المدرسة العلمية التابعة إدارياً لوزارة المعارف، أما الدروس التي تلقى في المسجد فعادة العلماء في اليمن وغيرها أنهم يقومون بها لوجه الله لا يريدون من أحد جزاء ولا شكوراً.

وبمجرد سماعي لتهديده ووعيده ذهبت مباشرة لمقابلة ابن وزير المعارف،

(١) الناصبة: كلمة يطلقها الزيدون على كل سني، معتقدين أن السني يعادي أهل البيت (العترة المطهرة).

وكان ولدًا ذكيًا لبيباً متفهماً للأمور، فسردت له قصتي مع قاسم العزي، والذي منعني أن أذهب إلى الوزير نفسه أن تُمنعته كانت سيئة، والحمد لله فقد كان جواب الولد لي: أن اطمئن واكتب ورقة تشرح فيها موضوعك أوصلها إلى أبي، ففعلت، وكان الجواب من الوزير (درسوا ما أردتم، فنحن لا نصدق أحداً).

لكن قاسم العزي لم يكتف بهذا، خاصة بعد علمه بجواب وزير المعارف لي، فهدد بأنه سيكتب إلى الإمام في تعزيباً مبالغاً منه في التحريض والتشفي من أهل السنة، ويومئذ لم يكن الإمام يعرف عني شيئاً، فلهذا نصحتني كثير من الناس الأفاضل بالذهاب إليه حتى لا يصدق أي وشاية عني تشوه سمعتي سواء من قبل أخيه الحسن بن الإمام يحيى الذي كان يعاديني عداً سياسياً حتى أنه سجنني أكثر من مرة ولا أعلم سبباً لذلك.

ثم بقيت في صنعاء مدة خائفاً أترقب حتى اهتديت إلى شيخي العلامة السيد محمد زبارة فذهبت إليه، فقلت له ما حدث لي مع قاسم العزي ووزير المعارف، واستعطفته أن يكتب لي رسالة إلى الإمام يزكيني فيها، ويشيد بي عنده، حتى لا يصدق أحداً يريد تشويه سمعتي، بمعنى آخر أريد منكم تعريفاً للإمام بمذهبي وعقيدتي حتى يعرف الإمام من أنا فقط لا غير.

فقال لي: اكتب بيدك رسالة إلى الإمام وأنا أذيلها بسطور تفيد تعريفاً بشخصك، ففعلت، وفعل جزاء الله عني خيراً، وكان مفاد رسالته: (أن القاضي محمد بن إسماعيل العمراني رجل عالم وفقه غير متعصب ولا ميال إلى أي مذهب من المذاهب، وهو يتصف بالإنصاف إلا أنه يخشى من الوشاة أن يغروا عليكم يا مولانا بأنه يريد تحريب المذهب وأنه يناصب أهل البيت العدا، بل هو ينهى عن ذلك، وإن له نشاط وهمة عالية في تدريس كتب الحديث والسنة فقط، فلا تصدقوا قاسم العزي أو غيره، وتفضلوا بالجواب على العمراني في ظاهر ورقته).

وكنت قد ذكرت له في معرض الرسالة أن السيد قاسم العزي يمنع تدريس كتب الحديث ويقول أن هذا بامرٍ من قِبَلِكُمْ فإن كان صادقاً فتفضلوا وامنعوا أنتم واكتبوا بخطكم، أما أن يتدخل قاسم العزي باسمكم فلا يرضيكم هذا، ... إلخ.

فأجاب الإمام قائلاً:

(حاكم الله، لا يتصور أحد أن نمنع كتب السنة أن تدرس في المساجد من إنسان عادي فضلاً من عالم من العلماء، وإذا قيل لكم أن الإمام يمنع هذا فلا تصدقوه، ولكن أنصحكم إرغاماً للشيطان وإرضاء للرحمن أن تجمعوا بين الشيتين، فتقرؤوا شفاء الأورام للأمير الحسين^(١)، وتقرؤوا بالإضافة إلى ذلك من كتب الحديث ما تريدون إما البخاري أو مسلم أو غيرها من كتب السنن والمسانيد حتى تقطعوا عنكم تقولات الآخرين وتدحضوا بذلك الشبهة التي تروج ضدكم بين العوام، والله يرفعكم والدعاء مستمد كما هو لكم مبذول).

وإن كان ثمة تعليق فإنه من الواضح أن جواب الإمام فيه شيء من الذكاء والدهاء حيث أنه عند الخاصة والعامة من بين علماء اليمن المشار إليهم فلا يريد أن يتهم بأنه يمنع كتب أهل السنة ولا يريد أن يثير الدهماء من العوام رعا على الناس على العلماء، وهو بذلك ينفي عن نفسه التهمة ويمنع وقوع الفتنة.

وكذا كانت رسالة العمراني إليه حين استعمل عقله ودهاءه فأجبر الإمام أن يجيب هذا الجواب ليرضي جميع الأطراف.

وما إن وصل الجواب إلى السيد محمد زبارة، فأرسل لي رسولاً فأتيته، فعرض علي جواب الإمام فأخذته معي، وبينما أنا في الطريق قابلت كاتب قاسم العزي فقلت له: اقرأ هذا الكتاب، ثم قلت له: ها قد رأيت بنفسك، فأخبر قاسم العزي بما رأيت وقل له يدعني وشأني، فأوصل الخبر إلى قاسم العزي...!! فثارت ثائرتة، فحث الخطي نحو السيد محمد زبارة وترك وظيفته وشغله حيث كان موكلاً بمقابلة القشامين^(٢) والسنادرة^(٣)، وإذا به يطرق الباب فصعد إليه، وبعد أن سلم، وما كاد ينهي سلامه حتى قال: (هيا مه يا صنو^(٤)) محمد قد هذاك القاضي محمد معه أمر من الإمام^(٥)!! من الذي أوصل العمراني إلى الإمام؟ والله ما أظن الوسيط إلا أنتم).

(١) أحد كتب الزيدية الفقهية المعتمدة.

(٢) القشامين: هو الذي يعمل في الأرض ويختص بزراعة الفجل والكرات والبصل وغيرها.

(٣) السنادرة: جمع سنيذار، مصطلح عند أهل اليمن يعني: سادن المسجد.

(٤) صنو: تعني أخ. ويطلقها أهل اليمن من أهل البيت على بعضهم.

(٥) هذه العبارة باللهجة المحلية فكتبتها على علائها.

وأخذ يلوك كلمات لا يفهم معناها متضجراً مما حدث وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على غليان صدره، حتى طفح منه الكيل، فأخذ يتألم ويعض أصابع الحسرة، كل ذلك خوفاً من انتشار السنة بين العوام!!، ويبدو ذلك من كلامه مع السيد زباره، فأخذ الأخير يهذي من روعه ويسكن نائرتة، وأنه متحير مثله وأن العمراني قد جاءه قبله مظهراً نشوة الانتصار، وقرأ لي جواب الإمام له ثم خرج ضاحكاً مسروراً.

فإذا بالعزي يقف متسائلاً واضعاً يده على ذقنه متحيراً كيف وصل العمراني إلى الإمام، فما كان منه إلا أن طامن من كبريائه وغطرسته ومماحكاته للعمراني، ثم جاء بنفسه إلى العمراني يعرض عليه أنه إذا أراد أن يدرس كتاب الشفاء فإنه ^ص العمراني سيخرج له نسخة من البيت.

قال العمراني: والحمد لله، بعد أن نصرني الله عليه، فكنت بعد ذلك أختار وقتاً وهو بين مغرب وعشاء لتدريس كتاب الشفاء، وبعد الظهر أختار من كتب السنة ما شئت؛ وهذا من فضل الله علي وعلى الناس، ولكن أكثر الناس لا يشكرون.

وما أن انتهيت من مماحكات العزي إذا بأخ الإمام الحسن يقوم ضدي.

* تعليق على القصة:

١ - يظهر من أحداث القصة تعلق العمراني الشديد بمنهج أهل السنة والجماعة من خلال تدريسه لكتب أهل السنة (الأمير والشوكاني) رغم ما كان يجده من معارضة من فئة تدعي انتسابها إلى الإمام زيد، وهم منه براء (إذ كان الإمام زيد من العترة الطاهرة وهو من الأئمة المعبرين لدى أهل السنة والجماعة، وقد أخرج له الترمذي والنسائي وأبو داود وابن ماجه وأحمد بن حنبل في مسنده واتفق علماء الجرح والتعديل على توثيقه ولم يتكلم فيه أحد)^(١)، ويرجع تعلقه هذا بفضل من الله إلى كثرة اطلاعه على كتب أهل السنة ممن قد بينته في محله قبل هذا.

(١) انظر: شريف الشيخ صالح أحمد الخطيب في: الإمام زيد المفترى عليه، دار الندوة

الجديدة ١٤٠٤هـ، ص ٧٧.

- ٢ - البيئة الزيدية التي عاش فيها العمراني وما تطفح به من أفكار، الأمر الذي جعله يعيش صراعاً دائماً فيها وهذا دأب أهل اليمن في المناطق الزيدية مع أهل السنة إلا من رحم ربي منهم .
- ٣ - حدة الطبع التي اتسم بها القاضي محمد سببت له محنة كادت أن تودي به أو أن تعزله عن المجتمع لولا لطف الله تعالى ورحمته به .!!؟
- ٤ - مكانته العلمية جعلت الطلاب يفدون إليه من أقصى البلاد بل من خارجها، فكان بهذا موضع حسد الحاسدين أمثال قاسم العزي وغيره .
- ٥ - علاقة الشيخ بكبار العلماء الذين هم موضع احترام الجميع، مكنته من التخلص من كل من يضع له الشراكات والعراقيل التي تحبطه عن أداء مهمته ورسالته على أكمل وجه .

○ القصة الثانية :

كنت أعمل في مقام نائب الإمام وفي مقام البدر، وكان عملي ضمن مجموعة نحرر إجابات مسائل قضائية وشرعية، وكان رئيس المحكمة العليا للنقض والإقرار يأتينا بين فينة وأخرى، وبمكّم منصبه كان يحاول أن يتدخل في أعمالنا فيجيب على بعض المسائل، وكان كثيراً ما يحدث تناقض بين إجاباتنا وإجابته، فنقوم من غير معرفته بتمزيق إجاباته، حتى أنه تحسّس منا، فإذا به يضمّر في نفسه عداًء، ولكني ما كنت لأظن أن تصل به المعادة نحوي إلى التعصب المذهبي، وذلك أي كنت أدرس في ليلة من ليالي رمضان بعد أن أؤدي وظيفتي والتي كانت تستمر حتى منتصف الليل، فكنت أهتبل هذه الساعة المتأخرة من الليل (تقريباً الساعة الواحدة والنصف) لأختلي ببعض طلاب العلم المجتهدين فنتدارس سوياً كتاب السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار لشيخ الإسلام محمد بن علي الشوكاني، وإذا ببعض الواشين المتزلفين إلى الحكام يوشي بي إلى رئيس المحكمة العليا بأني أخرج مذهب أهل البيت لتدريسي هذا الكتاب، فما كان من رئيس المحكمة إلا أن أبرق برقية إلى الإمام في تعزبأن القاضي محمد العمراني يدرس كتاب السيل الجرار في المسجد ويفتن به العوام، وأنا لا أعلم قط بالذي يحدث .

غير أن أحد عمال السلك، بل الذي أبرق البرقية كان يودني، فجاء وأخبرني فقط بقوله: ما بينكم وبين السيد يحيى محمد عباس (رئيس المحكمة)؟

فقلت: لا شيء بيننا غير أنه كان يأتي إلى المقام وكان يحاول أن يتدخل في عملنا فننقضه، وما كنت أتصور أن تصل العداوة بيننا إلى عداوة مذهب.

ثم بلغني عن طريق أخي عبد الرحمن - وكان قاضياً في تعز عند الإمام أحمد - أن الإمام بلغه عني كذا وكذا، وأبلغه الإمام: أن قل لأخيك (يعني): لا مانع من تدريس كتاب السيل الجرار وغيره، ولكن لا يدرسه بين العوام حتى لا يثير فتنة، وليكن ذلك إما في البيت أو في مكان آخر، وليُلقه لطلاب العلم الواعين؛ ثم أردف قائلاً: (نحن نعرف أن القاضي محمد غير متعصب لمذهب من المذاهب وأنه في غاية الإنصاف، ولكن العوام لا يفهمونه ولا يعرفون له قدراً، وربما يتهمونه بتخريب المذهب، فأخبره بذلك)^(١).

ثم زيادة في التحذير وأخذاً بالحليظة قال لي أخي: يبدو أن الإمام (قد هو زابل!) يعني: أنه أصبح سؤوماً^(٢) وإلا فإنه سيثير عليك ثائرته.

وكنت قد زرت السيد محمد يحيى عباس في بيته، وسلمت عليه سلام العيد، ولم أكن أعرف أنه قد أبرق للإمام بشأن تدريسي لكتاب السيل الجرار، فأظهر لي مودة واحتراماً واحتفى بي، وعظمني وأجلسني في محل تكرمته، ثم إنه عند الوداع قام معي وشيعني، كل ذلك إجلالاً في الظاهر للعلم وأهله، ولكن التعصب للمذهب دفعه لرفعها كقضية إلى أعلى سلطة في البلاد مبالغة في الإيذاء ومحاربة لنشر السنة وإمعاناً منه في نصرته مذهب، وإن كان يعرف أن الحق في غيره.

* تعليق على القصة:

١ - التزلف للحكام من أجل مكسب رخيص ومنزلة وضيعة قد يصل بصاحبه إلى النيل من أعراض أكرم الناس (وهم العلماء).

(١) هذا الكلام من الإمام يدل على أنه كان قد عرف قدر القاضي محمد إسماعيل العمراني من طريق السيد محمد محمد زيارة ومن اجتماعه به عدة مرات قبل هذه الوشاية وبعد أن حبسه الحسن آخر الإمام.

(٢) من سثم من الشيء، أي: مله. انظر: مختار الصحاح: محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي؛ مؤسسة علوم القرآن سوريا، دمشق، طبعة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م. وانظر: القاموس المحيط للفيروزآبادي، مؤسسة الرسالة ط ٣ (١٤١٣هـ - ١٩٩٣م) بيروت، لبنان.

- ٢ - يلاحظ المرء من خلال هذه القصة أن الله ﷻ (يكلؤ العلماء بحفظه ورعايته).
- ٣ - التعصب والهوى والجمود المذهبي: صفات تحمل المرء على البغض والحقد والضغينة وتجعله ينظر إلى من لا يجاربه بعين سوداء وقلب حقود.
- ٤ - الحسد يدفع صاحبه إلى الكذب والافتراء والعداء الصريح لأهل الحق والفضل.
- ٥ - موقف الحاكم هو الفيصل يوم أن يكون الناس أمام الحق عنده سواء.
- ٦ - الداعية إلى الحق لا يحمل نفسه إلا على الحب والخير وإيصاله إلى الآخرين مهما كان منهم من عدا.

○ القصة الثالثة:

وهذه محنة من ضمن المحن التي واجهها شيخنا الكريم في بيئة تنفخ بالعصبية والكيد، لكل من خالفهم في اعتقاد أو مذهب مهما بلغ المخالف من العلم. ولترك المجال لشيخنا يسرد محنته حيث يقول:

وكانت هذه المحنة أشد من سابقتها، إذ كان الخصم فيها نائب الإمام ورئيس وزرائه، وهو أيضاً شقيق الإمام، وكان مسؤولاً عن صنعاء، ويسمى (بسیف الإسلام^(١) الحسن بن الإمام يحيى) وقد كان دائماً يقف ضدي، لذلك فقد حبسني مرتين في سجن لا يجس فيه إلا المتهمون بقضايا سياسية كبيرة تمس أشخاص الدولة، في حين أني كنت لا أعرف ما هو سبب سجنني.

فقد سجننت في المرة الأولى مدة تبلغ نصف شهر تقريباً، ولم أخرج من السجن إلا بمراجعات كثيرة ووساطات كبيرة، ثم ما لبثت إلا قليلاً حتى أمر بي إلى السجن مرة أخرى.

ولما أخرجت من السجن أشار عليّ وليّ العهد البدر الذي كان نائباً للإمام في الحديدة أن أخرج من صنعاء وانزل إلينا مكرماً مشرفاً، أو نكتب لكم رسالة توصية إلى الإمام في تعز فتمكث هناك، ذلك أن الحسن لا زال فيما أعلم يضمركم الشر. فأخذتني العزة والأنفة وآثرت البقاء في صنعاء.

(١) سيف الإسلام، لقب كان يلقب به أولاد الإمام، ولا يحمل هذا اللقب غيرهم.

ثم هدأت العاصفة لتتفضل مرة أخرى بعد مضي خمسة أشهر ونصف،
ليودعني في السجن للمرة الثانية، فبلغ ذلك البدر.

فلما جاء إلى صنعاء أخذ يوبخني حيث إنني لم أطاوعه بما أشار إلي من
الخروج من صنعاء، فقلت له: ها أنا بين أيديكم، ولن أتردد في النزول إلى
تعز لملاقة الإمام، ولكن بتوصية منكم ليعرفني الإمام لا لأتوظف عنده ولا
ليقربني إليه؛ وفي الأخير اتفقنا على أن نلتقي جميعاً عند الإمام، ولكن لم يتم
لي ذلك.

وعندما وصلت إلى تعز تظاهرت بمقابلة أخي القاضي عبد الرحمن وأبرقت
للإمام برقية، فوجهني إلى دار الضيافة، وأرسل لي بمبلغ من المال تسد حاجة
المسافر، فأشار علي أخي بالبقاء حتى لا يظن الإمام أنني ما جئت إلا طامعاً في
لعاعة من الدنيا، أو متزلفاً إليه، فعملت بهذه النصيحة؛ فلما جلس الإمام في
مقامه لمقابلة الناس وحلّ مشاكلهم، كتبت إليه طالباً مقابته، فأذن لي بالدخول،
فلما سلمت عليه رد التحية بمثلاً وبدأ مباشرة بمتاحفتي بكلام يدخل به السرور
على قلبي، قائلاً: (أهلاً بأخ الأب أسرفي)، فأجبت حالاً: (بين أيديكم)^(١).
فعرف الإمام أنني قد فهمت لغزه أو أحجيته كما يسميها أهل اليمن، ثم أعطاني
غصناً طرياً من قاته^(٢) المخصص له مبالغة في الحفاوة والتكريم؛ ثم التفت إلى الملا
من قومه الذين يجلسون معه في المجلس قائلاً: (أرايتم صاحب صنعاء كيف فهم
اللغز من أول وهلة) فأجابوا: نعم، نعم؛ إلا واحداً منهم أبدى تدمراً فقال:
قد كان من الأفضل أن يجيبكم بلغز مثل لغزكم؛ فأدار الإمام رأسه مباشرة نحو
وبادرنى: (وأنت يا قاضي محمد ما لك ألا تجيب بمثل أحجيتي؟) فأجبت: بأنني لم
أتهرب من الإجابة بنحو ما تريدون إلا كراهة أن أتلفظ بكلام لا يعجبكم،
وأعفوني؛ فأصر إلا أن أجيب، فقلت: كنت سأقول: (المش سارق بين

(١) قد لا يفهم هذه العبارة لأول وهلة، وهذا ما يسمى في اللهجة اليمنية أحجية أي لغز،
وتعني: أهلاً بالعم راني، ينبغي أن نفهم حالاً بها ذكاء الشخصية ففهمها العمراني أنه
يرحب به شخصياً فقال: هو بين أيديكم.

(٢) شجرة القات في اليمن يمضغها المولع بها لساعات طويلة في مجلس من المجالس يصل إلى
ست ساعات أو أكثر، وقد ذكرت نبذة عنها في الفصل الأول.

أيديكم^(١). ففهمها الإمام وقال: نعم إن ذلك من حسن أدبه، فهل رضيتم؟ فقال القوم: نعم نعم. ولكن على استكثار أن يقولوها إمعاناً في إحراج القاضي محمد، كل ذلك خوفاً من أن ينافسهم، وهو عن منافستهم لزهد.

وصادف أنهم كانوا يبحثون عن مسألة فقهية فرعية، وكانهم كانوا قد عجزوا عن إيجاد جواب لها، فوجه لي الإمام سؤاله: (ما رأيكم يا قاضي محمد: ما الحكمة في أن الصلاة يوم العيد قبل الخطبة ويوم الجمعة بعدها؟). فأجبت في البداية: (بهذا جاءت النصوص فما لنا إلا التسليم).

فقال: (نحن نعرف هذا، ولكن لعل هناك حكمة).

فأجبت: (الحكمة هي أن الصحابة خرجوا وقت الخطبة لملاقاة العير التي قدمت إلى المدينة بتجارة لدحية بن خليفة، وقد كان رسول الله ﷺ يقدم الصلاة على الخطبة يوم الجمعة في أول الإسلام، فلما تركوه وانفضوا عنه وخرجوا للتجارة قدّم عليه الصلاة والسلام الخطبة وأخر الصلاة)^(٢).

فدهش الحاضرون جميعاً وقال لهم الإمام: (هل سمعتم بمثل هذا الجواب؟) قالوا جميعاً بصوت واحد: لا... لا!.

فقال الإمام - يريد إضحاك القوم -: (لعله على خرجته من صنعاء أتى بها لنا من باب اليمن، فابحثوا في جميع الكتب الموجودة لديكم)، فبحثوا وفتشوا في الكتب، ولكن دون جدوى.

قال القاضي: وأنا هناك في مكان من المجلس واجم مطرق أنظر إليهم من طرف خفي، والإمام هناك في محله مشغول بأوراق خاصة وإجابات مهمة وغيرها، فلما انتهى من عمله صاح فيهم: هيا هل وجدتم الإجابة؟ فأجابوا جميعاً: لا... لم نجد شيئاً، لا في الكشاف، ولا في العمدة، ولا في متن

(١) معناها: المخلص بين أيديكم، فإذا أوصلناها تقرأ بدون التباس: المخلص بين أيديكم، والمش باللهجة اليمنية يعني المخ.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، للإمام الحافظ أبو الفداء إسماعيل ابن كثير، المتوفى سنة ٧٧٤هـ، دار الأندلس، حائل، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط (١٤١٣هـ) ٣٦٧/٤ في تفسير الآية الحادية عشر ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا مُّغْرِبُوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾... إلخ.

الأزهار، ولا... إلخ. وأنا صامت لم أبت بكلمة، مع أني أعرف مصدرها خوفاً من أن يأخذ الإمام كتابي لعدم وجود الكتاب لديه.
ثم بادرنى بالسؤال متندراً: (هيا من أين خطفتها؟؟).

فقلت: (ليس العلم محصور عندكم يا مولانا، وإني وجدتتها في كتاب «الاعتبار في النسخ والمنسوخ من الآثار» للعلامة الحازمي الذي قال فيه السيد العلامة محمد بن إبراهيم الوزير: (إن على المجتهد أن يقرأ هذا الكتاب لمعرفة النسخ والمنسوخ)، وأنا قد قرأت الكتاب في مسجد الفليحي).

فأجاب الإمام: (لم نعرف هذا الكتاب من قبل ولم نسمع به) ثم التفت إلى السيد أحمد زبارة يستفسره عن هذا الكتاب فأجاب الأخير: (نعم هو عندي) فطلبه الإمام ليحوزه ويقتنيه ضمن مكتبته، فأتاه به فوجدوا المسألة على ما قلت تماماً، ولكنهم استعجلوا ولم ينتبهوا إلى أن الحديث من مراسيل أبي داود، وأنا في وجوم وصمت، حتى أخذتهم الدهشة فقالوا: إن القصة على ما قال القاضي محمد؛ إذن أعطني الكتاب يا ولد أحمد، وأنت تشتري لك نسخة أخرى من مصر.

وهنا حظي القاضي لدى الإمام وارتفعت مكانته عنده، فما كان منه إلا أن قال: (إذن يا قاضي محمد لا بد أن تداوم عندنا في المجلس، واحضر من جملة من يحضرون ولا نفتقدك بعد اليوم).

ولكنني تعمدت الغياب في اليوم الثاني، فأرسل لي رسولاً يبحث عني وبلغني أنه كان يريد أن يرسل سيارة تأتي بي رفعة لشأني، وإجلالاً لأهل العلم، إلا أن اثنين من المجلس اعترضوا وقالوا للإمام: (إنه لم يأت للبحث عن عمل، إنه يعمل في المدرسة العلمية في صنعاء، وكذلك هو من شيوخ جامع الفليحي، ويريد أن يرجع إلى صنعاء، ولم يأت إلا ليعرفه الإمام، وحتى يأخذ عنه فكرة عن كذب، ذلك أن السيد قاسم العزي، وسيف الإسلام الحسن، قد بالغا في إيذائه، والوقوف ضده).

لكن الإمام تغافل عن مقصده وأمرني أن أبقى قريباً منه، وخصص لي مجلساً آخر حتى أكون قريباً منه لأي حاجة تطرأ له، وبقيت في المكان المخصص على كره مني ومضض؛ وما لبث أن مرض الإمام، فلم يخرج لمدة شهر ونصف، وظللنا نتكئ في المكان لوحدنا، ثم بعد مضي مدة أمر الإمام أن يكون المجلس في

حضرته، فقلت: سمعنا وأطعنا؛ حتى تعلق بي الإمام ورفض أن أرجع إلى صنعاء، فاختلَّت عليه بأني أريد إجازة، فسمح لي شريطة أن أصعد بالطائرة وأرجع معها. وفعلاً نفذت الأمر على كره مني، وذلك أني لا أريد البقاء في تعز، وما كان قصدي إلا أن يعرفني الإمام مخافة أن تشوه سمعتي عنده، وأصر الإمام على بقائي عنده في مجلس خاص، وكنت غالباً أبقى وحدي ولا أستطيع أن أسمح لأحد بالدخول، ذلك أني أعتبر نفسي غريباً، ومكثت هكذا فترة حتى أحسست بالوحشة والغربة.

ومن الطاف الله بي أن وصل الملك سعود بن عبد العزيز زائراً إلى اليمن، ثم كان من حسن حظي أن اختارني الإمام معه مرافقاً ضمن الوفد. قال: فتفتست الصعداء حينها وحمدت الله على النعمة، فلا أدري بما أفرح، هل بخروجي من تعز، أم بالأمر الذي وجهه لرفع معاشي، أم بمرافقتي للإمام فيراني الخضم الألد لي (سيف الإسلام الحسن) أخو الإمام، فيغتاز مني من جهة ويفرض هذا الموقف احترامه لي، والحمد لله فقد تم لي ما أردت وزيادة.

* تعليق على القصة:

هذه القصة وإن كانت تحكي في بدايتها، تلك المواقف الحرجة، بل والعصية التي تعرض لها العمراني، وذلك بسبب التعصب المذهبي، والجمود الفكري، إلا أنه قد حقق من خلال رحلته المضنية إلى تعز عدة مكاسب منها:

- ١ - بمجرد أن عرفه الإمام عن قرب حظي عنده بمكانة سامية بسبب بديته الحاضرة، وذهنه الصافي، وعلمه الغزير.
- ٢ - أصبح في عداد رجال الدولة، فصار الذين كانوا يتخذونه عدواً يتورعون أن يسيثوا إليه ولو بكلمة نابية.
- ٣ - ارتفع راتبه الشهري فتحسن وضعه المادي تباعاً وسمت منزلته الاجتماعية.
- ٤ - قطع الله كيد أعدائه، وردده في نحورهم.
- ٥ - إصراره ودفاعه المستميت عن السنة ونشره لها أوصله إلى العاقبة الحميدة، وصدق الله إذ يقول: ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(١).

(١) سورة القصص: الآية ٨٣.

○ دفاع القاضي عن الأئمة العلماء :

وإن لشيخنا مواقف مشرفة في الدفاع عن أئمة العلم والهدى (حتى إن كان ذلك ليصل إلى شيخ من شيوخه، وقد مجرم بسبب ذلك علماً كثيراً) ولكن ما قيمة العلم وما فائدته إذا لم ينفع صاحبه، وصدق من قال: إذا ما لم يفدك العلم شيئاً فليتك ثم ليتك ما علمت.

وها هو يحدثني أنه جلس لشيخه المحقق كما وصفه بنفسه (محقق في علم الأصول واللغة)... الشيخ العلامة محمد بن صالح البهلوي.

يقول وهو يعرض أحداث تلك الجلسة:

(بينما كنت أدرس في كتاب إحكام الأحكام لابن دقيق العيد، وأثناء ما كنت أقول: قال الشوكاني يتصدى لي مباشرة معارضاً إياي بقوله: (أعرض عن هذا فهو مغفل جامد) فصبرت وكتمت غيظي عله يتراجع، وبعد أيام توصلنا إلى مسألة وافقت قولاً للسيوطي ومباشرة، قال: (السيوطي حشوي حاطب ليل يقبل كل ما سمع) فقلت: (اصبر وامضي في الدرس).

وبعد أيام وصلنا إلى درس فتذاكرنا أقوال العلماء، فقلت للشيخ: (هناك رأي لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه في مسألة التيمم، فهو يقول: إن التيمم لا يرفع الحدث!) فقال: (هو أغا) وهي كلمة تركية استعملها أهل اليمن ويقصدون بها (أمياً) يعني أن عمر بن الخطاب - والذي كان وزيراً للنبي صلى الله عليه وسلم، بل والذي قال فيه رضي الله عنه: (لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب) ^(١) - يقول عنه: إنه أمي: فما كان مني إلا أن أطبقت الكتاب (حتى أحدث صوتاً مزعجاً)، وقمت مغاضباً وقلت للشيخ: (خاطركم وإلى اللقاء) يعني مع السلامة... فقال الشيخ: (إلى أين؟)، فقلت: (والله لا أدري، أجتنا لتتعلم أم جتنا لنكسر شرف العلماء، ونقدح ونعرض بالأئمة الأعلام؟ هذه ليست دراسة هذه (...). اليوم

(١) مخرج في الجامع الصغير، وزيادته (الفتح الكبير) (ج/٩٣٥)، الطبعة الجديدة، المكتب الإسلامي، للشيخ ناصر الدين الألباني، وقال: حديث حسن، وهو عند الإمام أحمد في مسنده وفي سنن الترمذي وفي مستدرک الحاكم عن عقبه بن عامر، وفي الطبراني عن عصمة بن مالك.

الأول قلت: إن الشوكاني جامد مغفل، واليوم الثاني عرضتم بالسيوطي وقلت: إنه يسمع كل ما قيل، وهو حشوي، واليوم الثالث تطاولتم على أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه وقلت عنه: أمي، فأخشى أن تتطاولوا إلى جانب النبوة فتقولوا منكرًا من القول وزورًا، هذا ليس علم).

فأجاب: (هذا لا يتصور منا، أتريدنا أن نكون جامدين في قراءتنا) قلت: (لا، ولكن إذا عرضتم على شيء، دعا داع إليه، فلا يمنع ذلك من الرد، ولكن بأسلوب علمي نقدي غير مجرح ولا مبدع ولا معرض بأحد نأخذ القلم ونكتب هذا القول ممن كان!! رأي شخصي لفلان من الناس وفيه نظر!! وذلك لكذا وكذا... والصحيح والله أعلم كذا وكذا... وأنا بالتالي أكتبها في حاشية كتابي، فيما أن أقول بقولك أو أرد عليه إن كنت أهلاً لذلك رداً علمياً مثل سائر العلماء).

وانفقتنا في نهاية المطاف أن نرجع للقراءة من غير تعرض لأي عالم مهما كان بسوء أو مكروه، إذ الرجل (يعني شيخه) كان عالماً محققاً في علم الأصول واللغة، ولكنه كان متعصباً لمذهب الزيدية ويحاول مراراً أن يقلل من شأن غيره من أهل المذاهب الأخرى، ولكن لم يمنعه ذلك من الاستفادة منه.

فإذا علمنا أن هذه الحادثة كانت في سنة ١٣٥٩هـ تقريباً، أي (وعمر القاضي محمد إذ ذاك تسعة عشر عاماً) دل هذا على أنه كان ذو فهم ناضج وذهن متوقد، فهو لا يجمد على تعليم شيخه له وتلقيه له أو تقديسه مهما كان منه، لا بل يبدو أنه كان قد قرأ كتب ابن الوزير والأمير والمقبلي والشوكاني والجلال، وبالتالي لم يكن ليسكت على باطل أو يكتم حقاً... إنه في الحقيقة تلميذ لهؤلاء العلماء الأحرار الذين نبذوا التعصب والجمود ونشروا مبدأ إعمال العقل والأخذ بالدليل من مصادره من غير التفاتٍ إلى القائل والقبيل...

ولم يكن هذا الحدث بغريب عليه من شيخه فقد كان جل مشايخه بهذا الأسلوب، حتى عندما سألته سؤالاً عارضاً: (من هم المشايخ الذين تجد فيهم القدوة، ومن من مشايخكم تجدون فيه صفة الربانية والروحانية والتخلق بأخلاق النبوة؟) أجاب مسرعاً: (لا أحد، بل أكثرهم كان ضدي والمعتدل فيهم كان صامتاً... يكفيني أن أسلم منهم، فأنا وإياهم في إشكال مستمر حيث إن

أكثرهم يتهمني بأني ناصبي سني، عدو لأهل البيت والمذهب، وإني لأجد ذلك حتى في المسجد وأنا أصلي)

يقول: (ومما حدث لي، وهو غيظ من فيض في مسجد الفليحي، وهي قصة متكررة (أي تتكرر لي دائماً) ذلك أنه عندما كان يصعد المؤذن إلى المثذنة ليرفع النداء لصلاة المغرب كنت أقوم إلى مصلاي فأركع ركعتي السنة القبلية بعد الأذان، ركعة أقضيها أثناء نزول المؤذن من المثذنة حيث إنها كانت بعيدة نسبياً، والمؤذن كبير السن ضعيف البنية، وركعة أخرى حين يصل إلى المسجد فيقيم، فلا يأتي إلا وقد أتممت الركعتين، فيأتي هذا الشيخ وهو صاحب القصة الأولى ويصيح بين الناس: (ما هي هذه الصلاة؟) ما جاء فيها حديثاً^(١). وهكذا كان ضدي دائماً، وأنا وهو في عراك دائم مبالغ في وقوفه ضدي، ذلك لكرهته العمل بما يوافق مذهب الشافعية أو غيره من مذاهب السنة).

إذاً كيف نبت هذا الشيخ في هذه البيئة بين هذه العقول الجامدة والوجوه المتمعرة والقلوب المتحجرة!! فهم يجتهدون في غمط غيرهم وإخفاء ما يعلي شأنهم، والمطلع على تراجم العلماء المجتهدين في اليمن مثل: ابن الوزير - والجلال - والنيل - والأمير - والشوكاني، يجد أنهم قد حوربوا وتمالاً عليهم المقبلي^ص القوم لولا لطف الله بهم وحفظه لهم، ورحم الله الشوكاني عندما قال في ترجمة المقبلي: (وهكذا شأن غالب أهل اليمن مع علمائهم، ولعل ذلك لما يريد الله لهم من توفير الأجر الأخروي)^(٢).



(١) تليساً على العامة بالرغم من أنه كان من العلماء، لكن التعصب أعمى.

(٢) البدر الطالع، ص ٢٩١ ج ١.

الفصل الثالث

حياة القاضي الدعوية

وفيه : تمهيد .

وسائل الدعوة التي انتهجها القاضي في حياته .

المبحث الأول : إسهاماته العلمية الداعمة للدعوة .

المبحث الثاني : إسهاماته السياسية الداعمة للدعوة والأعمال التي تولاها .

مواقفه مع أولي الأمر ، وأهمية الولاية .

المبحث الثالث : مواقفه الاجتماعية الداعمة للدعوة .

المبحث الرابع : موقفه من الجماعات الإسلامية .

الحياة الدعوية للقاضي العمراني

○ تمهيد:

تحت هذا العنوان لنا أن نتصفح وننقب في بطون الكتب أولاً بأولٍ عن حياة العلماء الأوائل العلمية والعملية، فسنجد أنه ليس من السهل على العالم أن يعقد له مجلس علم أو حلقة علمية خاصة أو عامة، أو أن يتصدر إلا بعد أن يتكدر، وبعد أن يشهد له علماء عصره ومن سبقوه في هذا الموكب النوراني، وينطقوا من خلال إجازاتهم الشفهية له والكتابية، والتي تعتبر بمثابة شهادات له أو درجات من أعلى الدرجات العلمية للذي سيتصدر مجالس التعليم والفتيا.

ولقد كان من السلف من لا يجلس هذا المجلس حتى يشهد له عشرات العلماء ويميزونه بل ويمجثونه على القيام بتعليم الناس وربما يرغمونه، وذلك إذا علموا منه خصالاً درج عليها، قد أصبحت سجية أو كأنها جبلت طبع عليها كالفطنة والذكاء، والقبول والحرص على الاستفادة من غيره ولو كان أقل منه، والسمت الصالح وصفات كثيرة غيرها، ومناقب جليلة، وخلال حميدة؛ حتى يكون قدوة للآخرين يأخذون عنه وينشر فيهم الخلق القرآني والهدي النبوي، ويسألونه عن الحلال والحرام، والحق والباطل، والهدى والضلال، والغبي والرشاد، فيبين لهم ويهديهم سواء السبيل، وينصح لهم، ولا يكتم عنهم علماً علمه الله.

فإذاً، إنها مهمة شاقة ووظيفة سامية تحتاج همةً عاليةً، وقلباً مخلصاً لله، وضميراً حياً متوقداً.

○ وسائل الدعوة:

وتتعدد وسائل الدعوة التي يمكن للداعية أن يأخذ بها في طريقه نحو تبليغ

دعوة الإسلام، وتعليم الناس أمور دينهم، ومن الوسائل التي يمكن أن تكون طريقاً للبلاغ: القول الواضح البين المفهوم للسامع، قال تعالى: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

وقال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ...﴾ [آل عمران: ١١٠].

وقال تعالى: ﴿قُلْ يَكَايْهَآ النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا...﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وللقول أنواع كثيرة منها: الخطبة، الدرس، المحاضرة، المناقشة والجدل، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بقواعده المعروفة عند العلماء؛ ولا بد لكل ذلك من التسليح بالعلم بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ.

ومن الوسائل التي يمكن أن تتاح لمعلم الناس الخير: الوسائل الإعلامية، من صحف ومجلات وإذاعة وتلفاز...؛ وغيرها من الوسائل المتقدمة ذات التقنية الحديثة التي يمكن للداعية من خلالها أن يقدم كل ما هو مفيد ونافع.

وشيخنا العمراني حفظه الله تعالى لم يكن بعيداً عن هذه الوسائل، بل استخدم كل ما أتيج له منها، حتى في المواقف التي تتطلب مواجهة مع أولي الأمر، وكان الناصح الأمين لهم، وهذا من فضل الله تعالى عليه.

ولقد تأتي مواقف تتطلب من العالم أن يصدع بالحق ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر بمعروف، وكم من المرات دُعِيَ شيخنا إلى مجلس يحضره الحاكم وأعوانه ليأخذ رأيه في سياسة الرعية، فلا يالو جهداً أن يكون الناصح الأمين للحاكم والمحكوم، عملاً بقول رسول الله ﷺ، فعن أبي رقية تميم بن أوس الداري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الدين النصيحة» قلنا لمن يا رسول الله؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم^(١).

(١) أخرجه مسلم في صحيح مسلم بشرح الإمام النووي، تحقيق وتخريج الشيخ خليل مأمون، دار المعرفة، بيروت ط١ (١٤١٤هـ) ص٢٢٥. وفي سنن أبي داود، دار الجليل الجديد، بيروت ط (١٤١٣هـ - ١٩٩٣م) ج٢ رقم الحديث (٤٩٤٤)، والنسائي. وفي رياض الصالحين للنووي دمشقي (٦١٣ - ٦٧٦هـ)، مؤسسة الرسالة، تحقيق شعيب الأرنؤوط، باب النصيحة، ص١٢٤.

وكم شارك في المؤتمرات سواء الداخلية منها أو الخارجية، فما قصر ولا
قتر ولم يألُ جهداً في النصح والتوضيح، وكان نعم السفير للمسلمين.
وهناك مواقف اجتماعية تتطلب من العالم أن لا يغيب عنها، سواء دُعي
إليها أم لم يُدع، وقد كان شيخنا ممن تُوجَّه لهم الدعوات سواء في الندوات ذات
الطابع الإسلامي، أو المهرجانات والمؤتمرات الشعبية والحكومية، فعمل جاداً على
تبليغ وتعليم الناس أمور دينهم من خلالها، وقد كان سباقاً إلى كل خير إذا ما
دعي إلى مراكز يقيمها شباب الصحوة سواء في الجانب المعنوي أو الجانب
المادي...



المبحث الأول



المطلب الأول

إسهاماته العلمية الداعمة للدعوة

من خلال العرض التمهيدي تبين لنا أهمية الوسائل التي يمكن أن تتاح للداعية ويمكنه الاستفادة منها .

والملاحظ هنا أن القاضي محمد حاول بكل الوسائل التي أتاحت له نشر العلم، وتوعية المجتمع، واهتم اهتماماً كبيراً بالجانب الفقهي ومتطلباته، فاستفاد حفظه الله من المسجد كثيراً وأفاد، وذلك بالحلقات العلمية الدائمة والتي لم تنقطع حتى الآن، وقد بدأ فيها وعمره تسعة عشر عاماً أي في عام ١٣٥٩هـ، وقد أتاحت له فرص كثيرة نقل من خلالها علومه وفكره، وذلك عبر الصحافة من مجلات وجرائد، ولا ننسى أن الفرصة كانت متاحة له أيضاً في الإذاعة، فقد استمر فيها أعواماً تزيد على خمسين عاماً، ولا تزال متاحة له بين الحين والآخر يقدم للمجتمع من خلالها الفتاوى، ويدعو من خلالها إلى الاجتهاد، وقد قدمت له برامج دعوية أيام الإمام يحيى، والإمام أحمد بن الإمام يحيى قبل ثورة السادس والعشرين من سبتمبر ١٩٦٢م، وفي تلك الفترة قَدَّم أكثر من خمسين مقالاً - كما سيأتي بشيء من التفصيل في الفصل اللاحق - حيث دعا من خلالها إلى الاجتهاد ونبذ التعصب وترك الجمود، ولم يكن ليوجه خطاباته ومقالاته إلى المجتمع اليمني فحسب، ولكن شمل بذلك العالم الإسلامي وجزءاً من العالم المسيحي من خلال البرامج الإذاعية التي تقدم في المناسبات، مثل الاحتفال بالمولد النبوي، أو رأس السنة الهجرية، وحتى ميلاد المسيح ﷺ، وغيره من المقالات التي مرت آنفاً.

ويمكن أن نجمل إسهاماته العلمية في حقل الدعوة بالنقاط التالية:

١٠ - التدريس وفتح الحلقات العلمية:

□ أ - الحلقات العلمية:

كانت أول الحلقات العلمية التي جلس فيها الشيخ إلى طلابه في مسجد الفليحي في سنة ١٣٥٩هـ، وهو أول مسجد استظل تحت سطحه، وجلس إلى مشايخه فيه، يقتبس منهم نور العلم ونور الهداية حتى فتح الله عليه فأصبح من مشايخ ذلك المسجد.

وفي معرض الإجابة على سؤال وجه إليه من أحد طلابه، قال حفظه الله: (في الوقت الذي كنت أقرأ فيه شرح الأزهار، والكشاف، وكتب الحديث الكبار مثل نيل الأوطار للشوكاني وشرح العمدة لابن دقيق العيد والروض النضير^(١))، كنت في نفس الوقت أملي على الطلبة الصغار ما كنت حفظته وقرأته في الأعوام السابقة، كشرح القطر، وشرح الجواهر المكنون، وشرح الكافل لابن لقمان، وشرح ابن عقيل على الألفية، ومجموع الإمام زيد بن علي، وأمالي الإمام أحمد بن عيسى، والدراري المضية للشوكاني وغيرها من الكتب) اه من كلامه.

واستمر شيخنا في هذا المسجد مع غيره من العلماء حوالي اثنين وعشرين عاماً، أي من سنة ١٣٥٩هـ. إلى ١٤٠٢هـ، والجدير بالذكر أن هذا المسجد بالذات كان من أفضل المساجد في صنعاء من ناحية الحرية الفكرية والحرية في اختيار الكتب التي تدرس فيه، ذلك أن جل المساجد في صنعاء آنذاك لا تسمع إلا لكتب الزيدية في ظل المذهب السائد في البلاد، وفي ظل التوجيه العام للدولة وهي جامدة عليه، ويا ويل من يشم منه رائحة أي مذهب آخر أو يعرف منه أنه يشيد بغيره من المذاهب، أو يتعرض بنقد إيجابي أو سلبي لمذهب أهل البيت.

وفي هذا يقول شيخنا (حفظه الله): إنه كان قد بدأ يلزم الجامع الكبير بصنعاء لكنه ما لبث أن هجره ومن فيه، ذلك أنه لم يجد روح العلم وريحانته، إنما وجد ريح المذهبية، وبتن التعصب لها، وخاصة من أنصاف العلماء، والذين

(١) للعلامة السياغي الحسين بن أحمد بن الحسين السياغي الحيمي ثم الصنعائي، ولد سنة ١١٨٠هـ، وتوفي سنة ١٢٢١هـ. البدر الطالع، المجلد الأول، ص ٢١٤.

كان همهم وشغلهم الشاغل (وكأنها وظيفة) مقارعة ومصادمة أهل السنة أو من له صلة بأهل السنة؛ فلا يحجزهم الحياء والدين أن يكيلوا التهم لمن ينتسب لأهل السنة بأنهم يكرهون أهل البيت، وأنهم ناصبة، سنية (وحتى مجرد الانتساب إلى أهل السنة تعتبر شتيمة في مظهرهم).

فما كان من شيخنا إلا أن ترك الجامع الكبير ليجد الراحة والمنتفس في جامع الفليحي ولسان حاله يقول: (ففي الناس أبدال وفي الترك راحة...)، حيث كان المشايخ فيه يعقدون حلقاتهم بروح طيبة، وقلوب سليمة، ونفوس ملؤها الحب والوثام مع الفرق في منهج كل منهم، فذاك عالم يدرس كتب أهل السنة في أصول الفقه والحديث، وذاك عالم آخر يدرس كتب الشيعة في الأصول والفروع، ولا يمنع أحدهم هذا المنهج من السلام على أخيه، وإن فارقه في الفكر، فيخرجون من الدرس وهم سليمو الصدور لبعضهم، وكل واحد منهم يدعو لصاحبه، وربما يجمعهم المكان الواحد في الغداء أو المقييل^(١)، كيف لا وقد جمعهم مكان له حرمة وشرفه، وكل له معتقده.

ومن هنا يتضح الفرق بين الجامع الكبير، وهو النموذج للتيار الزيدي المتعصب في مساجد صنعاء في ذلك الوقت، وبين جامع الفليحي وهو الذي يمثل التيار المعتدل مع ما فيه من منغصات ومكدرات قد ظهر ذلك جلياً عند سرد تلك القصص أو المحن التي وقعت للقاضي محمد في بيئة الزيدية، وما ذلك إلا للجمود العقلي، والتعصب المذهبي، حتى لقد كان يراقب ويتبع في صلاته، فإذا رأوا فيها اختلافاً، وذلك لعمله بالسنة، عرفوا أنه فيه (لوثة سنية) على حد تعبيرهم، ومن يتمعن هذا التعبير ويتدبره يتبين له كيف أنه يحمل في طياته حقداً دفيناً على أهل السنة، وإن كان من أقرب الناس إليهم، وأنهم ليعتبرون المنتسب

(١) المقييل: عند أهل اليمن جلسة يعقدها أهل الحي بعد الظهر عادة حتى المغرب، وبعضهم يطيلها أكثر، يجلس الواحد منهم بمضغ حزمة من القات (شجرة خضراء أوراقها أكثر شبهاً بأوراق البرسيم جاءت إلى اليمن من الحبشة قبل خمس مائة عام). انظر: الفصل الثاني من هذه الرسالة، ص ١٢٩.

وهي من العادات القبيحة في اليمن لأن فيها تضييعاً للوقت، وضباعاً للمال وإهداراً للصححة... ومضارها كثيرة جداً، ونسأل الله أن يخلص أهل اليمن منها وخاصة العلماء.

للسنة الشريفة (متلوثاً) والعياذ بالله من هذا الكلام الذي يطفح بنتن الرفض والتشيع البغيض، وأن التعصب يحمل صاحبه على التقول على الغير، والتلفظ بألفاظ تخرجه عن الإسلام فضلاً عن الأدب والخلق الرفيع.

والعامّة في بلاد الزيدية لا يزال هذا دأبها مع علماء السنة أو مع أي طالب علم يحاول العمل بالدليل، أو يتظاهر بمظهر أهل السنة ويترك قال وقيل. وما كان ذلك ليحدث لولا أن من لهم هيئة أهل العلم من قومهم يقولون لهم: إن هذا حق، وإن هذا باطل، ويعلمونهم أن الحق ضلال، والضلال حق، والبدعة سنة، والسنة بدعة، وأن الشريعة هي ما يجيء عن طريقهم فقط وما عداها ضلال وانحراف^(١).

ولم يفت في عضد القاضي ما كان يجده من أهل عصره من محاربة له، بل ظل يواصل التدريس في حلقة العلم سنة بعد سنة حتى بعد الثورة، ولم ينتقل من ذلك المسجد إلا في منتصف الثمانينات، وقد بلغ من العمر نيفاً وستين سنة، بعد أن انتقل من منزله القديم إلى منزل جديد في نفس المدينة، وأبت عليه نفسه إلا أن ينفع طلاب العلم، ففتح حلقة للعلم في مسجد (الزبيرى)، وهي لا تزال إلى الآن، بل زاد من نشاطه في حقل التدريس، إذ أصبحت دروسه كل يوم تقريباً عدا يوم الجمعة، بل إنه ليفرغ نفسه للعامّة وأسئلتهم قبل كل فرض يصليه في المسجد، ويأخذ ما كتب من الفتاوى كل يوم إلى بيته ليحيب عنها، فلا يأتي السائل في اليوم الثاني إلا والجواب جاهز خدمة واحتساباً.

□ ب - التدريس:

مارس القاضي محمد التدريس وهو لا يزال في مرحلة الطلب حيث كان يقوم بالتدريس في حلقات العلم كما مر آنفاً، ثم انتدب مدرساً في المدرسة العلمية التي أنشأها الإمام يحيى (سنة ١٣٤٤ هـ تقريباً) وقد كان أصغر عضو بين هيئة التدريس، وهذا في ذاته منقبة له حين عين وهو في هذا السن وقد كان قرناؤه تلاميذ في هذه المدرسة.

(١) البدر الطالع ٢/١، في ترجمة كل من الأمير، والشوكاني، والوزير، والمقبلي، والجلال، وغيرهم من المجتهدين.

ولما أنشئ المعهد العالي للقضاء سنة ١٤٠٢هـ كان أول من عين فيه مدرساً، وقد اعتذر إليهم في البداية مبدئياً لهم أنه ليس أهلاً فأصروا عليه، ودرس فيه مادة القضاء.

وكذلك انتخب مدرساً في جامعة صنعاء لما أنشئت ودرس فيها سنتين، ثم اعتذر لأن ذلك أثر عليه في تدريسه في حلقة المسجد.

ولما فتحت جامعة الإيمان أيضاً ألح عليه رئيستها مدرساً لمادة الفقه ولا يزال فيها حتى الوقت الحاضر.

□ ج - الإفتاء:

تصدر القاضي محمد للإفتاء في سن مبكرة، وقد كان محل ثقة منذ بزغ نجمه بين العلماء ولا يزال، وله مشاركات في الفتوى في الإذاعة منذ نشأتها، والحق يقال أن فتاواه أصبحت هي الفيصل إذا تعددت الآراء والاختيارات، فنجد الكثير من الناس يقولون في مثل هذه الحالة ما قول العمراني في المسألة ليأخذوا بها ويتمسكوا باختباره، وهناك ميزة تميز بها من بين سائر المفتين، فهو يفتي في المسألة عادة على المذاهب الأربعة بل الخمسة على القول بأن الزيدية الهاشمية مذهب لا فرقة!، وهذا في ذاته جعله محل رضا وقبول الجميع.

ومما تجدر الإشارة إليه أنه عادة ما يطلب منه من قبل وزارة الأوقاف بمشاركة البعثة اليمنية في كل حجة ليكون المفتي للحجيج، بل أهم المرشدين فيها، خاصة مع سعة اطلاعه على المذاهب.

□ ع - الكتابة:

لم يكن القاضي محمد بمعزل عن الكتابة أبداً فقد بذل جهداً ملموساً في هذا المضمار وله في ذلك مؤلفات عدة، القليل منها طبع، ولا يزال الباقي الكثير منها مخطوطاً.

ففي جانب الفتوى فقد سطر الكتب الكثيرة، فلو جمع ما كتبه منها إلى الآن لبلغت المجلدات في جوانب شتى في جانب العبادات، وفي جانب المعاملات، وفي العقائد، والحديث.

ومما اهتم به أيضاً الرسائل ذات المواضيع المتعددة، وسأذكرها بالتفصيل

في الفصل الرابع مع ما سطره أيضاً من بحوث فقهية وحديثة .
وأما المقالات فقد جمعها في مجلد صغير قبل الثورة بخط أحد تلاميذه ،
فمنها ما أذيع في الإذاعة ومنها ما نشر في المجلات التي كانت تصدر في تلك
الأيام .



المبحث الثاني إسهاماته السياسية

○ توطئة :

لقد شارك القاضي محمد في العمل السياسي في غير ما مرة، ولم يقتصر على المسجد أو الإذاعة أو الصحيفة، بل أنيطت به الأعمال السياسية، وتقلد أعمالاً عدة، منها ما هو قبل الثورة، ومنها ما هو بعد الثورة.

وهو يرى أن القرب من السياسة فيه مغامرة ومخاطرة، والبعد عنها بالكلية فيه ضرر من جهة أخرى، وهو في الحقيقة لم يقترب من السياسة، سواء في الحكومة الملكية أو الجمهورية، ولم يبتعد عنها، حيث إنه لم يكن من العلماء المتهافتين على السلطة أو المتزلفين إليها، وعرض عليه مرة أن يستلم منصباً عالياً^(١) في الدولة، فرفض واعتذر، لأنه يرى فيه خطورة على دينه، ولا يرى لنفسه الأهلية الكاملة لمثل هذا العمل، وهذا فقط مثال، وإلا فقد عرضت عليه أعمال غيرها فأبى.

وقد اختط لنفسه منهجاً يسير عليه وشغل نفسه به وهو العلم والتعليم، ولكنه عندما عرض عليه عمل جليل يليق بالعلماء، ورأى أن فيه خدمة للناس، وفيه منفعة لهم، وهو أن يكون رئيساً لرفع المظالم في مكتب رئيس الجمهورية، قبل هذا العمل للغرض المذكور. ولمعرفة طبيعة هذا العمل فلا بد من ذكر شيء عنه بالتفصيل.



(١) عرض عليه أن يكون الحاكم الأول بصنعاء، ولكنه ابتعد وفضل الاشتغال بالتعليم والتدريس.

أهم الأعمال التي تولاها

١٠ - ولاية المظالم:

إن هذا العمل يعتبر نوعاً من أنواع القضاء، وفصل في الخصومات، وله أصل في كتب الفقهاء، أفردوا له بحثاً خاصاً. عرفه ابن خلدون فقال:

هي وظيفة ممتزجة، من سطوة السلطة ونصفه القضاء^(١)، وأضاف: إنها تحتاج إلى علو يد، وعظيم رهبة؛ تقمع الظالم من الخصمين، وتزجر المعتدي، وكأنه يمضي ما عجز عنه القضاء، ويكون نظره في البيئات، والتقارير، واعتماد الأمارات والقرائن، وتأخير الحكم إلى استجلاء الحق، وحمل الخصمين على الصلح، واستحلاف الشهود، وذلك أوسع من نظر القاضي^(٢). وكان الخلفاء الأولون يباشرونها بأنفسهم، إلى أيام المهدي من بني العباس، وربما كانوا يجعلونها لقضاتهم^(٣).

ومن هذا التعريف يتبين معنى هذه الوظيفة الممتزجة من شقين، وهي تدل على أن اختصاصات صاحب هذه الوظيفة واسعة جداً كما تبين من كلام ابن خلدون، وهي تشمل ما يدخل في صلاحية وسلطة القضاء، كما تشمل ما يدخل في اختصاص الأمراء ورجال السلطة التنفيذية^(٤).

إلا أن لائحة مكتب رفع المظالم الذي عمل فيه المترجم قد تخالف ما كانت عليه هذه الوظيفة في القرون الأولى والتي عرفها ابن خلدون كَلَّفَهُ.

(١) مقدمة ابن خلدون، ص ٢٢٢. (٢) المرجع السابق، ص ٢٢٢.

(٣) المرجع السابق، ص ٢٢٢.

(٤) انظر: د. عبد الكريم زيدان: نظام القضاء في الشريعة الإسلامية، دار البشير، مؤسسة الرسالة، ص ٢٩٩، ٣٠٠.

ولهذا فإن صاحب هذه الولاية يملك صلاحية وسلطة القاضي، كما يملك صلاحية وسلطة الأمير أو صاحب السلطة التنفيذية^(١).

ولا يمكن أن يتولى هذا المنصب أو هذه الولاية، إلا من اتصف بشروط ذكرها ابن خلدون كما هو مبين في التعريف، ومنها:

- ١ - أن يكون جليل القدر.
- ٢ - أن يكون نافذ الأمر.
- ٣ - أن يكون عظيم الهيبة.
- ٤ - أن يكون ظاهر الفقه.
- ٥ - أن يكون قليل الطمع.
- ٦ - أن يكون كثير الورع^(٢).

وتضاف هذه الشروط إلى شروط من يتولى القضاء.

ولأن مهمة هذه الولاية جليلة القدر، رفيعة المستوى، فإن ولايتها مباشرة تكون إلى الخليفة أو إلى السلطان، ولهذا فقد وضع القاضي محمد رئيساً لمكتب رفع المظالم بتعيين من رئيس الجمهورية، مرة بدرجة عضو محكمة عليا، وهذه سلطة يتولى تنصيب العضو فيها السلطان الأعلى، ومرة أخرى بدرجة وزير، وهذه الدرجة يرجع التعيين فيها إلى الوالي أو السلطان أيضاً.

وعلى هذا فقد يتبادر سؤال: ما طبيعة عمل هذا الوالي (قاضي المظالم)؟

بالرجوع إلى كتب الفقهاء في الأحكام السلطانية، يتضح أن صلاحيات عمل والي المظالم تشتمل على:

- ١ - النظر في تعدي الولاة على الرعية، وتصفح أحوالهم ليقويهم إن أنصفوا ويكفهم إن عسفوا، ويعزلهم إن لم ينصفوا^(٣).

(١) انظر: تبصرة الحكام ١/٢٠، ٢١.

(٢) انظر: الأحكام السلطانية لأبي يعلى محمد بن الحسين الفراء الحنبلي، دار الفكر، تصحيح وتعليق محمد حامد الفقي، ط (١٤٠٦هـ)، ص ٧٣.

(٣) انظر: الأحكام السلطانية، لأبي يعلى الحنبلي ص ٦١، ٦٣، والأحكام السلطانية للماوردي ص ٧٦، ٧٩.

- ٢ - رد مظالم الدولة في جباية الأموال (كالخراج - الجزية - العشور) زكاة الأموال .
- ٣ - النظر في حسن قيام كتاب الدواوين بأعمالهم، ويقاس عليهم سائر موظفي الدولة .
- ٤ - رد الغصب إلى أصحابها سواء من جهة السلطان، أو من جهة ذي الأيدي القوية .
- ٥ - النظر في الوقوف (أموال الوقف) .
- ٦ - النظر في تنفيذ ما وقف من أحكام القضاة لضعفهم أو عجزهم .
- ٧ - النظر فيما عجز عنه الناظرون في الحسبة .
- ٨ - النظر بين المتشاجرين والحكم بين المتنازعين^(١) .

ومن هنا فإن الولاية التي كلف بها القاضي عمداً، ولاية عظيمة وخطيرة، وإدارتها من أصعب الإدارات، وأعمالها مضمّنة جداً، ومع ذلك فقد قام بما أنيط به من عمل أحسن قيام، وما تخلّى عن تدريسه وأعماله الدعوية قط، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على النفس الكبيرة التي يحملها الشيخ بين جنبيه وعلى الهمة العالية التي بلغها هذا الرجل، والله در القاتل:

وإذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الأجسام^(٢)

فهذا العمل يعتبر من السياسة، وغمار المعركة، فهو لم ينأ بعيداً عن وظائف الدولة الشاقة، علماً أن أعمال رفع المظالم الذي أنيط عمله إلى المترجم يشبه هذه الاختصاصات وليست مثلها تماماً .

ولم تكتف الدولة من القاضي محمد بهذا العمل، بل عين بعد هذا المنصب الرفيع في مجلس الشورى، وهذا عمل أيضاً شاق جداً، ومهمته بالغة في الخطورة، ولا يغر المرء تسابق الناس في هذه الأيام لهذا المكان العظيم، والمنصب

(١) د. عبد الكريم زيدان: نظام القضاء في الشريعة الإسلامية، ص ٣٠٢ - ٣٠٦ (مرجع سابق).

(٢) قاتل هذا البيت: أبو الطيب أحمد بن الحسين الجعفي الكندي الكوفي المنتهي، في مدحه لسيف الدولة أبي الحسن علي بن عبد العدوي .

(٣) انظر: أبو البقال العكبري في شرحه لديوان المنتهي المسمى بالتبيان في شرح الديوان ٣/ ٣٤٥. طبعة دار المعرفة، بيروت، لبنان.

الجليل، إذ الحقيقة أن تولية هذا المنصب لا يكون إلا لأهل الحل والعقد، وهم أهل العلم والحلم، العارفون لأمر الله، المتفدون لشرعه، الحافظون لحدوده. أما الآن فإن أكثر من يدخل هذا المكان قد لا يتصف بهذه الصفات ولا يصل إلى هذا المستوى.

وقبل أن نتعرف على بعض الأعمال التي كلف بها القاضي محمد في هذا المجلس وما واجهه من متاعب ومصاعب وعوائق، فيتحتم على الباحث الإشارة إلى شرعية هذا العمل، وهل طريقة الانتخاب فيه هي الطريقة الشرعية أم لا... .

○ ٢ - مجلس الشورى:

كثر الجدل والخوض في الوقت الحاضر من بعض من لا يوجد عنده حظ في النظر في مصالح الأمة، ومقاصد الشريعة، حتى عزوا كثيراً من المصالح المرسله التي يقوم بها المسلمون إلى الغرب، وإلى أنها تقليد بحت للغرب، ومما قالوه عن مجلس الشورى أو مجلس النواب أنه تقليد بحت للغرب والشرق، وحرموا على أنفسهم الاقتراب من هذا المكان وحرموه على غيرهم، بحجة أن هذا العمل ليس عملاً إسلامياً، فهل هذا كلام صحيح؟

المتأمل في أدلة الأحكام، يجد أن نظرية النيابة عن الأمة تجدها مستنداً قوياً، وأساساً متيناً ترتكز عليه في القرآن الكريم والسنة النبوية وفي الإجماع.

□ أولاً من القرآن:

قال تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾^(١)، وقال تعالى: ﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ﴾^(٢). إن الإسلام يقرر مبدأ الشورى في نظام الحكم حتى ولو كان ومحمد رسول الله ﷺ هو الذي يتولاه؛ وهو نص قاطع لا يدع للأمة الإسلامية شكاً في أن الشورى مبدأ أساس لا يقوم نظام الإسلام على أساس سواه... أما شكل الشورى والوسيلة التي تتحقق بها، فهذه أمور قابلة للتجديد والتطوير وفق أوضاع الأمة وملابسات حياتها وكل شكل وكل وسيلة تتم بها حقيقة الشورى - لا مضطرها - فهي من الإسلام.

(٢) سورة الشورى: الآية ٣٨.

(١) سورة آل عمران: الآية ١٩٥.

والله يعلم أن الشورى خير وسيلة لتربية الأمم وإعدادها للقيادة الرشيدة، وإن الأمة ينبغي أن تتربى عليها، وأن تدرب على حمل تبعات أخطائها... إلخ^(١).

وإن الآية الأخرى توحى بأن طابع الشورى كان أمراً مبكراً في الجماعة الإسلامية فمدلوله إذاً أوسع وأعمق من محيط الدولة وشؤون الحكم فيها، بل إنه طابع ذاتي للحياة الإسلامية، وسمة مميزة للجماعة المختارة للقيادة البشرية، وهي من ألزم صفاتها^(٢).

□ ثانياً: من السنة:

ورد في الطبقات الكبرى لابن سعد، أن رسول الله ﷺ قال لمن حضروا بيعة العقبة، أخرجوا إلي اثني عشر منكم يكونوا كفلاء على قومهم... فأخرجوا اثني عشر رجلاً^(٣).

فالنبي ﷺ قد سن فكرة نيابة اثني عشر رجلاً ممثلين عن قومهم، أي نواباً عنهم، وكفلاء عليهم أمام الرسول ﷺ.

وفي غزوة بدر عندما قال الرسول ﷺ: أشيروا علي أيها الناس (وإنما يريد الأنصار)، فقام سعد بن معاذ نائباً^(٤) عن الأنصار جميعاً فتكلم.

وفي مسألة مصالحة بني غطفان يوم الأحزاب... استشار النبي ﷺ ممثلي الأوس والخزرج سعد بن معاذ، وسعد بن عباد^(٥).

□ ثالثاً: من الإجماع:

توفي رسول الله ﷺ ولم ينصب إماماً للأمة، مما يدل على أن للأمة حقاً في تولية إمام عليها.

(١) انظر: سيد قطب: في ظلال القرآن، ط ١ (١٤١٠ - ١٩٩٠)، دار الشروق ١/٥٠١.

(٢) انظر: سيد قطب: في ظلال القرآن، ٣١٦/٥، نفس الطبعة.

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى (٦٠٢/٣).

(٤) أبو محمد عبد الملك بن هشام: سيرة النبي ﷺ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر ٢/٢٥٣.

(٥) انظر: نفس المرجع ٣/٢٣٩.

وعندما توفي عمر رضي الله عنه وجعل إقامة الحكم أو اختياره (والذي هو حق الأمة) إلى أهل الشورى أو ممثلي الأمة، وهم علي، وعثمان، وطلحة، والزبير، وسعد، وعبد الرحمن بن عوف.

وفي النهاية مثل هؤلاء الستة واحد في اختيار أمير على الأمة. فالنيابة أو التوكيل قد حصل من ثلاثة منهم للثلاثة الآخرين، ثم نيابة أو توكيل من اثنين لواحد، وفي النهاية صار هذا الواحد نائباً ووكيلاً عن أهل الحل والعقد، ممثلي الأمة، ليقوم نفسه بالعقد نيابة عن الأمة^(١).

□ رابعاً: الفروض الكفائية أساس لفكرة النيابة عن الأمة:

إنه لما كان من طبيعة الفرض الكفائي أن لا يقوم به كل أفراد الأمة في وقت واحد، وإلا لزم انشغال الأمة بالقيام بالواجب الواحد دون بقية الفروض، كأن تنفر الأمة مثلاً عن بكرة أبيها للجهاد، فمن يبقى إذن للقيام بباقي الأعمال الضرورية لحياتها.

من هنا كان إقامة أشخاص معينين لتنفيذ الفروض الكفائية، ومن هنا جاءت تسميتها بهذا الاسم^(٢).

من هم ممثلو الأمة؟ وما شروطهم؟ وكيف يمكن أن ينالوا هذه المكانة في المجلس؟

للإجابة على هذه التساؤلات نرجع إلى كتب الأحكام السلطانية عند علماء الإسلام المتقدمين.

أن ممثلي الأمة لهم أسماء متعددة عند الفقهاء، فلماوردى يسميهم أهل الاختيار، ويشترط فيهم شروطاً ثلاثة:

- ١ - العدالة الجامعة بشروطها.
- ٢ - العلم الذي يتوصل به إلى معرفة من يستحق الإمامة على الشروط المعتمدة فيها.

(١) د. منير البياتي: النظام السياسي الإسلامي، مقارنة بالدولة القانونية، دار البشير، ط ٢ (١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م)، ص ١٧١، ١٧٢.

(٢) انظر: النظام السياسي، ص ١٧٣ (مرجع سابق).

٣ - الرأي والحكمة المؤديان إلى اختيار من هو للأمة أصلح وبتدبير المصالح أقوم وأعرف^(١).

والبغدادي يسميهم أهل الاجتهاد حيث قال: (قال الجمهور الأعظم من أصحابنا... أن طريق ثبوتها به، الاختيار من الأمة باجتهاد أهل الاجتهاد منهم واختيار من يصلح لها^(٢)).

وابن تيمية يسميهم ذوي الأمر، وهم الذين يأمرون الناس، وذلك يشترك فيه أهل اليد والقدرة، وأهل العلم والكلام، ولهذا كان أولو الأمر صنفين: العلماء والأمراء^(٣).

وابن خلدون يرى أن الشورى والحل والعقد تنحصر فيمن يكون صاحب عصبية يقدر بها على حل أو عقد، حيث يقول: (الشورى والحل والعقد لا تكون إلا لصاحب عصبية يقدر بها على حل أو عقد أو فعل أو ترك، وأما من لا عصبية له، ولا يملك من أمر نفسه شيئاً ولا من حمايتها، وإنما هو عيال على غيره، فأبي مدخل له في الشورى؟...)^(٤).

ومن هنا يتضح أن أهل الحل والعقد أو أهل الشورى، هم المتبعون في الأمة من العلماء والرؤساء ممن حازوا على ثقتها ورضاهم لما اتصفوا به من العدالة والإخلاص والمعرفة الصافية للأمر، والحرص على المصالح العامة، أو بعبارة أخرى هم العلماء والرؤساء، الذين تتوفر فيهم الشروط التي ذكرها الماوردي^(٥).

والمفروض أنه لا يعطى هذه المكانة، ولا يدخل مجلس أهل الحل والعقد (الشورى) إلا من كان أهلاً لهذه الشروط وبهذه الصفات.

وعلى هذا فجواباً على أيهما أجدى، طريقة الانتخاب أم طريقة التعيين؟ إذا كان المجتمع على درجة من الصلاح، وملتزماً شرع الله فلا بأس بالانتخاب،

(١) انظر: الأحكام السلطانية للمارودي، ص ٦ (مرجع سابق).

(٢) أصول الدين، للبغدادي (عن النظام السياسي الإسلامي)، ص ١٧٥ (مرجع سابق).

(٣) ابن تيمية: الحسبة في الإسلام، ص ١٠٢. عن د. منير البياتي: النظام السياسي في الإسلام، ص ١٧٥.

(٤) مقدمة ابن خلدون (مرجع سابق).

(٥) النظام السياسي الإسلامي، ص ١٧٥، ١٧٦ (مرجع سابق).

وأما إن كان قد غلب عليه من لا يستحق هذا المنصب، فالأولى التعيين من الوالي العادل الذي يخشى الله، ويعرف حق الولاية.

وسوف أشير إلى معنى الولاية في الشرع في المطلب الذي بعد هذا، فليتأمل!!.

○ موقفه في مجلس الشورى:

لقد تكلف شيخنا حفظه الله دخول هذا المجلس بتعيين من رئيس الجمهورية، فكان من المعينين في هذا المجلس لتقنين الشريعة، وكان في صف العلماء عند التصويت لأي قرار يتخذه المجلس، وبالرغم من وجود كوكبة من العلماء في هذا المجلس على رأسهم القاضي العمراني، إلا أنه يقول: (لم نستطع أن نفعل شيئاً لصالح الإسلام، ولا لصالح الشعب، وذلك لأن غير العلماء كانوا يجتمعون ويصوتون ضدنا في كل قرار يتخذ).

ولناخذ أمثلة على ذلك منها: مسألة الميزانية - مسألة القروض - مسألة التأمين...

ففي مسألة الميزانية طرح ما يسمى بميزانية المصنع الوطني، وعندما سألنا المقصود بالمصنع الوطني؟ قيل لنا: إن المقصود به مصنع الخمر!! فضج العلماء في وجوههم، وقالوا: هذا مخالف للشريعة، ولا يمكن التصويت عليه أبداً، ولست موافقين على أي شيء من مثل هذا، وكان هذا قبل أن يطرح الموضوع في المجلس. وعندما جلسوا في القاعة، إذا بالمسؤولين يطرحون هذا الموضوع للمناقشة للتصويت، فغلبونا على أمرنا، وقالوا: لا بد من التصويت، فتغلب الجهال على العلماء، وخرج شيخنا مع مجموعته من العلماء مكسوري الخاطر، فكم عارضو وبدلوا النصائح الغالية، ولكن هيئات هيئات فلا حياة لمن تنادي!!

ومثال آخر: ناقش المجلس مسألة التأمين على السيارات، فأفتى العلماء بأمر هذا أيضاً مخالف للشريعة، وهو نوع من الربا، سيما وأن دستورنا يقرر أن الشريعة الإسلامية المصدر الوحيد للتشريع، لكنهم أيضاً غلبوا بما يسمى التصويت.

مثال ثالث: طرح المجلس مشروع القروض، وناقشه، وعارضه العلماء، بحج أن هذا المشروع مصادم للشرع، وهو محاربة لله ولرسوله ﷺ، ولكن تغافل رئيس المجلس وغيره عن كلام العلماء، وفي الجلسات الأخرى صوتوا وإذا بهم يقرونه.

مواقفه مع أولي الأمر

○ تمهيد عن أهمية الولاية في الإسلام وموقع الولاية في الأمة:
لكي نعرف مواقف العمراني مع أولي الأمر، لا بد قبل ذلك من الكلام أو التمهيد على معنى الولاية أو الخلافة في الإسلام وأهميتها، ومكانة ولي الأمر في الأمة، وواجبات أولي الأمر نحو المسلمين، وخاصة العلماء منهم.
وضعت الخلافة في الإسلام لحفظ الدين، وسياسة الدنيا سياسة دينية، نافعة في الدنيا والآخرة، ذلك أن الله ﷻ لم يخلق الخلق عبثاً كما بين في كتابه فقال:

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾... ﴿المؤمنون: ١١٥﴾، وليس المقصود بالسياسة سياسة دنيا، إنما المقصود هو دينهم المفضي بهم إلى السعادة في آخرتهم ﴿صِرَاطَ اللَّهِ الَّذِي لَمْ يَلْمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [الشورى: ٥٣].
فالولاية إذاً معناها حمل الناس جميعاً على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية والدنيوية الراجعة إليها، إذ أحوال الدنيا ترجع كلها عند الشارع إلى اعتبارها بمصالح الآخرة، فهي في الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا به^(١).
وبهذا يتبين أن الوالي أو الخليفة، إنما ينوب عن صاحب الشريعة في حفظ الدين، وسياسة الدنيا.

والإمامة منصب لها شروط معينة ليس بسطها هنا.
وواجبات الإمام المنوطة به كثيرة جداً، منها: تنفيذ الأحكام الشرعية، وحماية الدين، وجهاد العدو، وتدبير المصالح.

(١) مقدمة ابن خلدون، ص ١٩٠، معنى الخلافة والإمامة.

وعلى الوالي أو الخليفة واجبات كثيرة غير هذه نحو محكوميته، وعليهم واجبات نحو علمائهم... الذين عادة ما يلجأ إليهم الحكام في وقت الشدائد، وفي وقت المحن والخطوب، منها وضعهم في المنزلة اللائقة بهم من تقدير وإجلال واحترام، وإفساح المجال لهم في تبليغ دعوة الإسلام إلى الناس كافة، ومشاورتهم في الأمور الشرعية؛ إذ هم في الأصل (أهل الحل والعقد).

وينبغي للسلطان أن يعرف قدر الولاية، ويعلم خطورها، فإن الولاية نعمة من نعم الله تعالى، من قام بحققها نال من السعادة ما لا نهاية له، ولا سعادة بعده، ومن قصر عن النهوض بحققها حصل شقاوة لا شقاوة بعدها إلا الكفر بالله تعالى.

فإذا كان كذلك فلا نعمة أجل من أن يعطى العبد درجة السلطان، ويجعل ساعة من عمره بجميع غيره، ومن لم يعرف قدر هذه النعمة، واشتغل بظلمه وهواه، يخاف عليه أن يجعله الله تعالى من جملة أعدائه، كما قال ﷺ: «ما من عبد يسترعيه الله رعية، يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة»^(١).

فينبغي أن يعلم الولاة أن خطر الولاية عظيم، وخطبها جسيم، ولا يسلم إلا بمقارنة علماء الدين، ليعلموا الولاة طريقة العدل، وليسهلوا عليهم خطر هذا الأمر، وأن يجعل الوالي كلام الله تعالى نصب عينيه، ويشتاق أبداً إلى رؤية علماء الإسلام، ويحرص على استماع نصحتهم، ويحذر من رؤية علماء السوء الذين يحرصون على الدنيا^(٢).

والوالي أو الخليفة بهذا المنصب الذي يعتبر من أوجب الواجبات في الأمة بالإجماع، له مكانة عالية، ومنزلة رفيعة، منحه الشارع إياها، فليتناسب قدره إذاً مع علو وظيفته، ورفيع منزلته، وعظم مسؤوليته، فينبغي للرعية بعد هذا أن يعرفوا له حقه، وأن يعظموا قدره، فيعاملوه بما يجب له من الاحترام والتقدير، وأخص الرعية بهذه المعاملة فهم العلماء أئمة المسلمين، وأن يزهّدوا بما عندهم،

(١) زواه البخاري (٧٥١٠)، ومسلم (١٤٢).

(٢) فقه السياسة الشرعية في ضوء القرآن والسنة وأقوال سلف الأمة، بحوث في النظام السياسي الإسلامي: خالد بن علي بن محمد العنبري، مطبعة سفير، الرياض ١٤١٨هـ، ص ١٩٤. نقلاً عن: التبر المسبوك في فضائح الملوك.

فلا يدعوهم الطمع إلى ما في أيديهم إلى التزلف المقيت، أو التساهل المميت، ولكن التوسط في كلا الحالين، وأن يطيعوهم في غير معصية، لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]، وقوله ﷺ: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»^(١).

ومن جانبه ينبغي على الوالي أن يكرم العلماء، ويعرف لهم منزلتهم، ولا يعمل على إهانتهم أو تحقيرهم، وأن لا يلجئهم إلى السؤال، وإراقة ماء الوجه، ويعين لهم وظائف تليق بمكانتهم السامية كالقضاء، والفتيا، ومجلس الشورى. لقد أخذ الله ميثاقاً غليظاً من العلماء، ليبينوا العلم، ولا يكتُمونه، وأن يقولوا الحق ولا يخافوا لومة لائم.

فقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ...﴾ [آل عمران: ١٨٧].

ولقد تفرد القاضي محمد العمراني من بين قضاة ومشايخ صنعاء بالمنزلة الرفيعة، والمكانة العالية، خاصة في مقام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولم يكن ذلك العالم القابع في بيته المتنحي عن عجلة الحياة ومعركة الوجود، وحياة شيخنا حفظه الله مليئة بالمواقف المشرفة، والتي يضرب بها مثلاً لكل عالم، فما يحدث من أمر يهز كيان الأمة، إلا وكان من السابقين الأول في هذا المضمار، وفي كثير من الأحيان يكون الأول، فكلما حزب الأمة أمر بادرت جموع الأمة إليه يستفسرونه رأيه، ليتبصروا بكلمته، فهو المقدم عند الأمة، وهو الواجهة لدى العلماء عند الشدائد، ففي:

١ - مشروع دستور الوحدة اليمنية:

تجلى موقفه من الدستور في اقتراحه عند دخول العلماء على الرئيس أن يُكتب في أول الدستور مادة نصها: (كلُّ ما خالف الشريعة من مواد هذا الدستور فهو بطل).

(١) نفس المرجع، ص ١١٦، والحديث صححه الألباني في السلسلة الصحيحة ٢١٧٩/١. وفي المشكاة، وفي غيرها. وهو مصحح عنده في صحيح الجامع الصغير وزيادته ج ٢ رقم ٧٥٢٠، صفحة ١٢٥٠.

والجدير بالذكر أنه كان في الطليعة في هذه المسيرة حتى أنه اتهم حينها بأنه منحاز إلى حزب الإصلاح الذي قام بالمسيرة السلمية، والتي قُدِّر عدد المشاركين فيها بمليون مشارك، وكانت في سنة ١٩٩٠م، وكان المطلب الرئيسي فيها تعديل الدستور^(١) بما لا يتعارض مع الشريعة الإسلامية، وقد عدل والحمد لله.

٢ - موقفه من المؤامرة^(٢) على المعاهد:

لقد وقف شيخنا حفظه الله مع من يقول: (بقاء المعاهد العلمية كمؤسسة تعليمية لا تخدم الوطن فحسب، وإنما تخدم العالم الإسلامي أجمع)، وهي من أهم المؤسسات التعليمية، لا سيما وأن مناهجها تتميز عن مناهج المدارس بزيادة منهج التربية الإسلامية، وتكثيف مادة اللغة العربية، وهاتان المادتان هما اللتان أفضتاً مضاجع المعارضين للمعاهد العلمية في اليمن، حينما قالوا: إن المناهج في المعاهد لا تخدم الدولة، ولا تخدم الوطن، إنما القصد منها - على حد زعمهم -

(١) الدستور: لقد أصدر العلماء في اليمن بياناً حول مشروع دستور دولة الوحدة، بينوا فيه أنه يحمل في طياته كفراً بالله ورده عن الإسلام، ولا بد من تعديله حتى يكون مقبولاً لدى الشعب اليمني المسلم، ومعبراً عن عقيدته وآماله وأخلاقه، وأن يكون هذا التعديل وفق مادة تسمى (المادة الأساس) التي يجري التعديل على ضوئها، وهي: (كتاب الله وسنة رسوله فوق الدستور والقانون، وكل شيء يعارض الكتاب والسنة فهو باطل) ووجه العلماء كافة رسالة إلى رئيس مجلس الشورى وأعضائه بهذا الخصوص ذكروا فيها الملحوظات المهمة حول الدستور، مذكرين الرئيس بكلامه، وما كان يردد دائماً أنه لن يفرط في الشرعية الإسلامية، وأنه لن يحكم إلا بالكتاب والسنة.

ومن ضمن هذه الملحوظات.

- ١ - إغفال هوية اليمن العربية الإسلامية في المشروع.
 - ٢ - إلغاء تفرد الشريعة الإسلامية بالحاكمية.
 - ٣ - تقرير المساواة بين المسلم والكافر في الحقوق والواجبات وغيرها من الملاحظات.
- والحمد لله أن حقق الله الأمل وعدل الدستور بفضلته تعالى ثم بجهود العلماء الذين بلغ عددهم في هذا التوجيه مائة وأحد عشر عالماً وكان على رأسهم القاضي محمد بن إسماعيل العمراني.

عن بيان العلماء حول مشروع دستور الوحدة نسخة صغيرة طبعت في اليمن... .

(٢) عقد مؤتمر في سنة ١٩٩٢م حضره كثير من المسؤولين والعلماء ورؤساء الأحزاب لتقرير شأن المعاهدة وإلغائها بحجة توحيد التعليم، وأخيراً دعاهم أحد المسؤولين من الكبار في رمضان سنة ١٤١٩هـ لهذا الغرض، ولكن العمراني لم يحضر.

التفرق والتشردم، ولا يزالون بين الحين والآخر يرفعون هذه النعمة (توحيد التعليم).

وأخيراً دعا أحد المسؤولين الكبار في الدولة لهذه الفكرة قريباً، وكان ضمن المدعوين القاضي محمد، ولكنه اعتذر وأعرب عن رأيه بأن هذا مخطط، الله أعلم ما المراد منه!!



المبحث الثالث

مواقف القاضي الاجتماعية

إن من أهم ما يميز القاضي محمد هو معاملته للناس سواء منهم القريب أو البعيد، لقد تميز بالقرب من الناس وسهولة طبعه وتواضعه ولطفه ودماثة أخلاقه، فتمثل قول رسول الله ﷺ: «أقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً، الموطنون أكنافاً، الذين يألفون ويؤلفون، ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف»^(١).

لقد عرف القاضي بأسلوبه اللين مع طلابه، وتحسسه للمساكين منهم ومساعدته لهم، خاصة طلاب العلم الذين يأتون من بلاد بعيدة، فهو يبدي لهم الاهتمام البالغ ولا يقصر في الاحتفاء بهم وإكرامهم، وربما أخذ الواحد منهم إلى بيته ليؤنسه ويخفف عنه مرارة الاغتراب وقساوة البعد ومفارقة أهله ووطنه، حتى يرغب طالب العلم في التحصيل.

وهو مع غيرهم أيضاً خيراً كثير الصلة والإنفاق، يصنع المعروف ولا يتغني عليه جزاء من أحد إلا من الله، يحب أهل الفضل على الإطلاق، ويعين المساكين كثيراً، حتى إنهم ليقفون له في طريقه الذي يمر منه، فلا يخيبهم ولا يرددهم، وإذا جلس في المسجد، كثيراً ما ترى الناس يلتفون حوله ولو في غير وقت الدرس، يسمعون منه حلول الكلام، المعطر بالنصح الجميل، وهو كثير الدعابة حلو الفكاهة، جميل المنطق، بسيط، سهل، كريم، غاية الأمر أنه سراج منطقته التي يسكن فيها، محبوب إلى الجميع، العامة منهم والخاصة.

وما من جمعية خيرية أنشئت في المنطقة التي يسكنها إلا وله يد فيها أو على الأقل تحريض غيره من أهل القدرة على فعل الخير، وهو لا يجب أن يظهر،

(١) خرجه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم (٧٥١)، ٢/٢٨٩.

فأكثر نفقاته تكون في السر، ولهذا السبب فيما أرى والله أعلم يلاحظ أن له قبولاً عند الجميع حتى إذا ما أتى سائل أو دعوة إلى إنفاق المال في الجهاد، أو في أي وجه من وجوه البر، إلا وكان السابق الأول ليقنتدي به غيره، هذا ما بدا للباحث من حاله ولا نزكي على الله أحداً.

هذه الصفات وهذه المواقف خاصة عند اشتداد حاجات اليتامى والأرامل جعلت دعوته نافذة ونصائحه صادقة حيث إن أفعاله تصدق أقواله.

وتجنباً للإسهاب والإطالة فسأذكر بعضاً من مواقفه التي سجلت له فكان محل احترام الجميع:

١ - موقفه مع (أحد طلاب العلم الذين تتلمذوا عليه في أيام العهد الإمامي) حيث أمر الإمام بهدم بيت هذا الطالب لجنائية أحدثها، وفعلاً هدم بيته بعد الحكم عليه بالإعدام، ولكن تضرر بهدم البيت أهله وذووه، وكان القاضي محمد من المراجعين لهذه العائلة، حتى شهد بأن البيت ليس هو ملك هذا الطالب وحده وليس له غير نصيبه من أبيه فتراجع الإمام وأصلح بيت والده هذا الطالب، وجعلت بعد ذلك هذه الوالدة تدعو له والناس يشكرون له هذه السعاية الحميدة، وكان القاضي محمد كثيراً ما يذهب بالمساعدة المادية لهذه الأم تكرامة لذلك التلميذ ورحمة بها، خاصة وقد أصبحت بلا عائل يعولها.

٢ - وهذا موقف آخر يشكر له، حيث كان يستر على كثير من الذين تربطهم علاقات حميمة بالأحرار المناوئين للحكم الملكي، وربما كان أحدهم تسقط عليه الورقة أو الكتاب في مكان العمل (في مقام البدر) فيأخذها القاضي متخفياً وساتراً لها حتى لا تصل إلى يد البدر أو الإمام فيعدم صاحبها أو يسجن.

وغيرها من المواقف مثل نفقته على بعض طلاب العلم، وإني أعرف أحدهم كثيراً ما يعطيه القاضي ظرفاً فيقول: أوصل هذه الرسالة، هذا إذا كان بين طلاب العلم، أما إذا كان وحده فيعطيه بدون أي تورية، وبعد تكرار هذا الموقف عرفت من قريب أنه من راتبه الشهري، إذ أن هذا الطالب فقير ومحتاج، وكم ساعد غيره من طلاب العلم الذين يجيئون من الخارج في إيجاد أعمال لهم ووظائف ليستقر بهم المقام حتى يطلبوا العلم بأمان.

المبحث الرابع

موقفه من الجماعات الإسلامية

لم يعد يخفى على كثير منا تعدد الجماعات الإسلامية على ساحة العمل الإسلامي، وما نتج عنها، فهي تنخر في جسم الأمة على ما أصابها من أمراض الفرقة والتشرذم فزادتها وهنا إلى وهنها، وضعفها إلى ضعفها، وجرات عليها أعداءها؛ فهي الآن بهذه الأمراض مجتمعة لقمة سائغة لأعدائها، وجندت بعض الجماعات أفرادها للنيل من الجماعات الأخرى، ولتوسيع الهوة بينها؛ فاحترار العامة في أمرها ولم يعد الحق يتبين لهم في أيِّ هو منها، وغصت المكتبات بالكتب والرسائل والبحوث الداعية إلى هذه الجماعات، ففرح الأعداء والمغرضون فأصبحوا يذكرون روح الشقاق والخلاف بينها...

وأصبح الكل ينادي بالاعتصام بحبل الله والرجوع إلى الكتاب والسنة، ولا فائدة مرجوة من هذه الجماعات التي تذكى هذه الروح بين المسلمين، والعلماء قد بينوا الحق ولكن الأذان صماء، والقلوب غلف والأعين عمياء، ويقف القاضي محمد من هذا الذي يحدث موقف العالم الناصح، والمرشد المشفق على جميع من في الساحة ممن يتسبون إلى الإسلام فينادي بأعلى صوته: (ألا إن من أوجب الواجبات في هذا العصر وحدة الصف والجماعة، وإن التفرقة من أقبح البدع وأشنعها).

ولا يكاد يمر درس من دروسه إلا ويبدي النصح والإرشاد والتوجيه للجماعات والإنكار على كل من يسعى للفرقة والتحزب والدعوة إلى غير هدي المؤمنين.

وكم كرر النصح وطرق على المقولة المشهورة: (فلنجتمع على ما اتفقنا عليه من المسائل وليعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه من المسائل الفرعية الجزئية)^(١).

(١) هذه المقولة تؤثر عن الإمام الشهيد رحمه الله حسن البناء، ولكن القاضي يقول: إنها أصلاً لمحمد رشيد رضا مؤسس جريدة المنار، وربما هي لمن قبله.

وطالما بين لطلابه أن المسائل التي يختلف عليها أهل المساجد في زماننا هذا، إنما هي مسائل ظنية، وليست من المسائل القطعية، وهذا من أخطر المحظورات الشرعية، ويتسم موقفه بوضوح في الحياد التام من الجماعات وعدم مهاجمة أي منها، مما أكسبه حرص كل الجماعات أن يكون فيها، بل هذا الذي يحدث، فكثيراً ما يدعى إلى ندوة أو مؤتمر تعقده الجماعة الفلانية فيذهب والحرص بادٍ عليه.

○ أقسام الخلاف:

ومما يجلي هذا الموضوع أن العلماء قسموا الخلاف إلى ثلاثة أقسام^(١):

قسم مذموم، وقسم ممدوح، وقسم مسوغ.

وسيكون التركيز في هذا البحث على ما يختص بموضوعنا.

فالقسم الأول على سبيل المثال: منه اختلاف الناس إلى مؤمن وكافر، واختلاف أهل الأهواء، والبدع، واختلاف المقلدين للمذاهب؛ فيترتب عليه رمي بعضهم بعضاً بما يخرج البعض منهم من الجادة^(٢).

وهذا النوع ذمه أهل العلم بما لا مزيد عليه، فهذا ابن القيم يقول عنه: ثم خلف من بعدهم خلوف فرقوا دينهم وكانوا شيعاً: ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٣]، ﴿وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُفُّوا أَلْسِنَهُمْ رِجْعُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٢]، جعلوا التعصب للمذاهب ديانتهم التي بها يدينون، ورؤوس أموالهم التي بها يتجرون، وآخرون منهم قنعوا بمحض التقليد، وقالوا: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣]، وهؤلاء بمعزل عما ينبغي اتباعه من الصواب، ولسان الحق يتلو عليهم: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ [النساء: ١٢٣]، فهؤلاء ليسوا من أهل الحق، بل هم من أهل الخلاف والشقاق وخلافهم هذا من أشنع الخلاف^(٣)، وهذا الخلاف هو الذي يحذر منه علماء الأمة.

(١) صالح بن عبد الله بن حميد: أدب الخلاف، مكتبة الضياء، ط ١ (١٤١١هـ - ١٩٩١م)، ص ١١.

(٢) نفس المرجع، ص ١١.

(٣) أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الدمشقي المعروف بابن القيم الجوزية. إعلام الموقعين، تحقيق عصام الدين الصبايطي، دار الحديث ١٦/١.

وقد كان للقاضي محمد دور في هذا، فهو يقول في رده على هؤلاء ونصحهم لهم في معرض سؤال طرح عليه:

(لا ينبغي أن يصل الخلاف بأصحابه إلى التعصب الذميمة وإلى رمي الآخرين بأقذع الألفاظ وإلى السباب والشتم والخصام في المساجد، وما أشنع وأقبح ذلك والمصلي يأتي ليؤدي فرضاً فيرجع إلى بيته وقد ملأ صفحاته سيئات وأوزاراً، بل أي جرم أعظم من أن يقتل المسلم أخاه في ساحة المسجد من أجل مسألة خلافية ظنية الدلالة^(١)).

هذه الظاهرة تدعو للأسف والقلق، بل يجب على العلماء أن لا يغفلوا هذا الجانب وأن يتولوا النصح والإرشاد وأن يتحروا في فتاواهم تجميع الناس لا تفريقهم، وأن يركزوا على المسائل التي يخطئ فيها العوام: فيزوجون المرأة في عدتها، ويطلق الواحد منهم آلاف المرات، ويجمع بعضهم المرأة على أختها أو على عمتها بدافع الجهل والعمى، فأين العلماء؟ وأين المرشدون!! هذه مسائل خطيرة في الدين، وإن من المسائل التي ينبغي التركيز عليها مسائل الميراث، فعوام أهل اليمن يجرمون المرأة من ميراثها).

ويركز القاضي محمد على هذه المسائل دائماً، ويقول: هذه التي ينبغي أن يتشدد العلماء فيها، أما مسائل الأذان، وآمين، والضم، والإرسال هي من المسائل الجزئية. هذا من جانب.

ومن جانب آخر تدور في الساحة بين شباب الصحوة أنفسهم مسائل جديدة، هذا يقول: أنا سلفي، والآخر: أنا إخواني، وكل يدعي أنه على الحق ويدعو لحزبه وجماعته، فيقول القاضي محمد: هذه ظاهرة خطيرة وبادرة منذرة بسوء العاقبة، لنترك الخلاف وليكن همنا البناء والتعليم، ولا تجرنا أهواؤنا إلى ما يضحك العدو علينا.

ويتأسف القاضي محمد كثيراً عندما يسمع أن مدير الشرطة يأتي إلى المسجد فيعين لهم إماماً من عنده ويقول: أهذه بالله عليكم وظيفة مدير الشرطة؟! ويسوق

(١) وصل الحال بنا إلى أن يؤدي الشجار والخصام إلى المقاتلة والمدافعة بالسلاح الأبيض، بل بالرصاصة من أجل (حي على خير العمل)، ومن أجل غيرها من المسائل!!

الأمثلة التي حدثت في أيام الصحابة والتابعين ويعلق عليها قائلاً: (حدث خلاف كثير بين الصحابة أنفسهم، والصفحات في كتب السير والحديث والفقهاء مملوءة بمسائل لا تحصى، ولكن هذا الخلاف لم يؤدي إلى أن يتفرق الصحابة ويتحزبوا، بل كانوا على الأخوة والمحبة والوثام ما دام الخلاف سائغاً، ولا يصل إلى معتقد أو أصل في الشرع، وإنما لمصيبة عظيمة ونكبة جسيمة وجرح غائر في جسم الأمة أن يصل بنا الحال إلى هذا المآل).

○ أمثلة من خلاف الصحابة:

١ - خبر بني قريظة حين قال النبي ﷺ: «لا يصلين أحدكم العصر إلا في بني قريظة»^(١) فاختلفت فهم الصحابة، فبعضهم صلاها في وقتها وأسرع نحو بني قريظة وبعضهم ما صلاها إلا بعد العشاء الآخرة، فأقرهم رسول الله ﷺ ولم يعنف أحداً منهم^(٢).

٢ - اختلفوا في قتال مانعي الزكاة، فعزم أبو بكر ﷺ على قتالهم، وامتنع عمر ﷺ بادئ ذي بدء واحتج بقول النبي ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا ألا إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله تعالى»، متفق عليه^(٣).

فقال أبو بكر ﷺ: (والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عقلاً كانوا يؤدونها لرسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها)، فقال عمر: (والله ما هو إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال، فعرفت أنه الحق)، فرجع عمر إلى موافقة أبي بكر ﷺ^(٤).

(١) سيرة النبي ﷺ لابن هشام ٢٥٢/٣ (مرجع سابق).

(٢) نفس المرجع (٢٥٣).

(٣) انظر: الحافظ أبو الفرج زين الدين عبد الرحمن بن أحمد السلامي، الشهير بابن رجب الحنبلي (٧٣٦ - ٧٩٥هـ): إيقاظ المهمم، المنتقى من جامع العلوم والحكم، بقلم أبي أسامة سليم بن عيد الهلالي، دار ابن الجوزي ط ٣/ (١٤١٧هـ - ١٩٩٦م)، ص ١٣٠. وانظر الحديث في صحيح الجامع الصغير وزيادته ٢٩٢/١، برقم (١٣٧١).

(٤) نفس المرجع، ص ١٣٣.

٣ - واختلف عمر رضي الله عنه مع ابن مسعود رضي الله عنه في مسائل كثيرة أوصلها ابن القيم إلى مائة مسألة أو أكثر^(١).

وما أضعفَ هذا من تقدير ومودة أي منهما للآخر، فهذا ابن مسعود يبكي على عمر بعد موته عندما أُبلِّغَ به، وعمر رضي الله عنه يقول عن ابن مسعود: (كنيف مليء فقهاً وعلماً)^(٢).



(١) صالح بن عبد الله بن حميد: أدب الخلاف، ص ١٩، (مرجع سابق).

(٢) نفس المرجع، ص ١٩.

حياته العلمية

المبحث الأول: آثاره وجهوده العلمية.

المبحث الثاني: الفتاوى العامة.

المبحث الثالث: استدراقات القاضي العمراني على شيخ الإسلام

الشوكاني في بعض كتبه.

المبحث الأول

آثاره وجهوده العلمية

○ تمهيد:

مر معنا أن القاضي العمراني كان متفرغاً للتدريس والإفتاء، وأنه لم يتفرغ قط للعمل السياسي إلا عرضاً في عمره؛ لما يجلبه هذا العمل لأصحابه من انهماكٍ وخوضٍ فيما ليس وراءه طائل، خاصة وأن القاضي له تعلق وانشغال مع حب وإخلاص يجلق الذكر والجلوس إلى طلابه ليفيدوا منه، فهو يأنس ويجد حلاوة لهذا العمل الجليل، وله شغف في الاطلاع على كل ما كتب ويقع في يده، لذا فهو واسع الاطلاع غزير الثقافة، له يد طويلة في التحقيق والتدقيق، ذو نفس تواقة في معرفة العلوم، يعرف ذلك كل من جلس إليه يأخذ منه، ويلمس ذلك منه أقل الناس مكثاً في حلقاته العلمية.

ولذا فإن طلابه يتساءلون: هل لشيخنا مؤلفات؟ هل لشيخنا بحوث ودراسات؟ هل تفرغ للكتابة والتأليف؟ هل؟ هل؟

تدور هذه الأسئلة وغيرها وتعتلج في نفوس كثير من طلابه، وللإجابة على هذه التساؤلات فقد حاولت جاهداً أن أصل إلى أجوبة مرضية على تقصير مني، وإحجام من شيخنا أن يظهر ما لديه؛ حيث إنه لا يحب الظهور، ولا يحب أن يرفع نفسه، وعندما سألته عن هذه المسألة أجاب: لا يوجد عندي ما يكلف هذا التعب، فأنا لست بشيء، وما عندي شيء، ولكنني كررت له المسألة يوماً بعد يوم حتى أخرج لي فيما أظن بعض ما عنده وليس الكل قائلاً: (أرجو أن لا يظهر هذا لأحد)، ذلك أنه لا يحب المدح، ولا يحب أن يحمده على أي فعل أو جهد، فهو كثير التواضع، كثير اللوم لنفسه على التقصير.

وكنت قد اطلعت مع من اطلع من طلابه على كثير من كتبه، فما وجدنا له كتاباً إلا وعليه حواشي تعليقية وتحقيقية وتنقيحاً، فلا تكاد تنظر في كتاب من كتبه

سواء فقهي أو حديثي أو في السيرة أو في التاريخ أو اللغة إلا وتجد فيه من هذا الذي أشرت إليه الكثير، وقلت في نفسي: إن كان هذا جهده فقط فلعمر الله إنه لكافٍ أن يذكر به، وإن هذا ليدل على كثرة مطالعته واستذكاره، فسيلان قلمه يحكي تاريخ تعلمه، ومع هذا فقد وجدت ما يشفي العليل، ويروي الغليل، فإن له جهوداً محمودة وسعيًا مشكوراً في الكتابة والتأليف: فقد وقع في يدي مما كتبه من المقالات والرسائل والبحوث ما سأعرضه في هذا المبحث، على أني أقول: ربما المخبوء في الأدراج عنده يضعف هذا بكثير.



الكتب والرسائل

- ١ - كتاب في القضاء، (مطبوع).
- ٢ - كتاب في الأوائل، (مخطوط) وهو مرتب ترتيباً جيداً، وقد جمع فيه أكثر من ألف من الأوليات في التاريخ.
- ٣ - رسالة في الزيدية في اليمن.
- ٤ - رسالة عن الإمام السيوطي والجامع الصغير، استدراك.
- ٥ - رسالة سماها: «الصواريخ القوية على البدور المضيئة»؛ وهي عبارة عن دفاع عن الإمام محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني.
- ٦ - رسالة في الرد على مقالة حول صحيح البخاري بعنوان: «ليس كل ما في البخاري صحيح بل فيه ما هو افتراء ومنكر».
- ٧ - رسالة في المنع من صوم يوم الشك.
- ٨ - رسالة حول بعض الأحاديث في الشفاء للأمير حسين^(١)، لا توجد في كتب الحديث، من كتاب الطهارة إلى كتاب الصيام.
- ٩ - رسالة في الإسرار بالقراءة في العصرين والظهر في غيرها.
- ١٠ - رسالة في الرضاع أسماها: «كشف القناع عما يحرم ويحلل من الرضاع». ولها اسم آخر هو: «إبطال الشبهات على دعوة التحريم بأقل من خمس رضعات».
- ١١ - رسالة في زكاة الحلي.
- ١٢ - رسالة صغيرة في حياة الشوكاني العلمية.
- ١٣ - رسالة تتبع فيها أخطاء الإمام الشوكاني في كتبه من الناحية الحديثية.

(١) هو الأمير حسين بن بدر الدين (ت: ٦٦٢هـ).

- ١٤ - رسالة في نقد لمؤلفين في الفقه الزيدي لعدم اهتمامهم بصحة الأحاديث في كتبهم.
- ١٥ - رسالة في نقد على إنكار القبلي لبعض الأحاديث ونفيه وجودها.
- ١٦ - رسالة في أغلاط العلماء في أسماء الرواة.
- ١٧ - رسالة في أحداث السيرة النبوية مرتبة حسب السنوات، (على غرار كتب التاريخ).
- ١٨ - رسالة في تنقيح الأحاديث الموجودة في كتاب البحر الزخار للإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى.



البحوث العلمية

- ١ - بحث في الإجابة على السلام، هل هو فرض كفاية أو فرض عين؟
- ٢ - بحث عن حديث المباشرة.
- ٣ - بحث في الرفع، الضم، التأمين، والتوجه قبل أو بعد تكبيرة الإحرام.
- ٤ - بحث عن حديث: «لولاك...».
- ٥ - بحث عن حديث: «اختلاف أمتي رحمة».
- ٦ - بحث عن صلاة الفاتنة.
- ٧ - بحث عن صلاة الجمعة.
- ٨ - بحث عن الفارق بين قبر الرجل وقبر المرأة، ونعش الرجل ونعش المرأة، (عدد تكبيرات صلاة الجنائز).
- ٩ - بحث عن الدعاء.
- ١٠ - بحث عن القراءة خلف الإمام.
- ١١ - بحث عن الإشارة بالأصبع عند الشهادة في التشهد. والتورك.
- ١٢ - بحث حول زواج الفاطمية بغير الفاطمي، (موضوع يهم أهل اليمن باعتباره التمايز الذي كان موجوداً في العهد الإمامي).
- ١٣ - بحث حول الأذان الأول في يوم الجمعة والتساييح فيها.
- ١٤ - بحث حول صلاة الشعبانية.
- ١٥ - بحث حول صلاة الرغائب.
- ١٦ - بحث في حد الخمار.
- ١٧ - بحث في حديث التعوذ.
- ١٨ - بحث حول حديث النهي عن العمرة قبل الحج.

- ١٩ - بحث حول حديث النهي عن التورك في الصلاة .
٢٠ - بحث حول: «لا يشغل قارئكم مصليكم» .
٢١ - بحث في أحكام الجن .
٢٢ - بحث في كون الأنبياء أحياء في قبورهم .
٢٣ - بحث في شروط المعجزة في القرآن .
٢٤ - بحث في تخريج بعض الأحاديث الدارجة على الألسن .
٢٥ - أبحاث عن أوقات الصلاة .
٢٦ - بحث عن ترتيب سور القرآن وَمَنْ جَزَّاهُ ونقطه وضبطه .
٢٧ - إجابة بما يشفي الصدر عن امتناع سقوط الأمطار .
٢٨ - إجابة على سؤال: هل يجوز للمرأة أن تنظف جسمها أثناء حيضها .
٢٩ - بحث حول إسلام أهل اليمن .



المقالات

عندما أنشئت إذاعة صنعاء^(١) في الأيام الأخيرة للإمام يحيى، بادرت الإذاعة بطلب العلماء، وكان أبرزهم في ذلك الوقت هو القاضي محمد بن إسماعيل العمراني، فما كان منه إلا أن بادر هو أيضاً بالإجابة، خاصة وهو يجد أن هذا ميدان أفسح من المسجد، وأنه من هذا المكان يستطيع أن يخاطب أكبر شريحة في المجتمع، بل ويخاطب العالم الإسلامي والعالم الغربي والشرقي على مدى قوة هذه الإذاعة! (إذا بلغ مداها العالم!).

كيف لا يجيب وهو الذي هيا نفسه لهذا العمل الجليل، تبليغ دعوة الله ونشر الخير في كل صقع إذا أتبح له ذلك، وهذا باب جديد، يؤدي من خلاله رسالته على أكمل وجه، فكان مما قدمه في هذه الإذاعة عدة مقالات قيمة ذات طابع اجتهادي وفكر حر، يبدو عليها لمسات أولئك الأئمة الأعلام^(٢) والخمسة الأبطال الذين طالما تكلم عنهم ونشر فكرهم الاجتهادي، فهو يدعو إلى ما دعوا إليه من نبذ التعصب وترك التقليد وفتح باب الاجتهاد لمن تأهل له.

ومن هنا بدأ شيخنا يحرر مقالات عديدة، وبأسلوب شيق وجميل، متحريراً فيه أسلوب الحكمة والموعظة الحسنة، أسلوب الحوار الهادي، ينشر من خلالها أهدافه التي أخذ على نفسه الحرة الأبية نشرها.

فنشر السنة، وحارب البدعة، بث الوعي الإسلامي، وتحرى النهج الصحيح، بعيداً عن التعصب المذموم، والجمود العقلي، والفكر المحصور، يجدد بذلك نهج مدرسة السنة التي بدأ بإحيائها ابن الوزير (ت: ٨٤٠هـ) في اليمن،

(١) في عام ١٣٦٦هـ أنشئت الإذاعة اليمنية بصنعاء.

(٢) هم: ابن الوزير، ابن الأمير، والحسن الجلال، والمقبلي، وقد ذكرناهم مراراً في ثنايا البحث.

وهي الدعوة إلى الاجتهاد، وإعمال العقل، وتحريره من قيود التقليد والتعصب^(١).

وهذه قائمة مفصلة بما نشر له في الإذاعة والصحف والجرائد التي كانت تصدر في العهد الملكي سواء في صنعاء أو في تعز:

١ - الرحمة في الإسلام. وتحت هذا العنوان نشرت الإذاعة عدة مقالات متفرعة عنه.

٢ - الحرية الفكرية وفتح باب الاجتهاد المطلق في اليمن في القرن الحادي عشر. وسماها:

النهضة العلمية في اليمن قبل ثلاثمائة عام. وهي حلقات، وقد نشر أيضاً في مجلة رسالة الإسلام^(٢).

٣ - نموذج من التأليف اليمني في بحر القرن الثاني عشر الهجري.

٤ - نموذج من روح العلم اليمني في بحر القرن الحادي عشر الهجري.

أشاد القاضي محمد من خلال هذه المقالات الثلاثة باليمن خلال العصرين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين حينما أنجبت جماعة من علماء الإسلام المجتهدين، وفقهاء الشريعة المجددين مع بداية الدولة القاسمية (١٤٠٥ - ١٢٦٥هـ/ ١٦٣٦ - ١٨٢٩م)، لا سيما أن مؤسسها الأول الإمام محمد بن القاسم (٩٦٧ - ١٠٢٩هـ)^(٣) الذي كان حامل لواء تلك النهضة العلمية، والذي صنف الكثير من المصنفات المفيدة، ودعا فيها إلى الاجتهاد، فلقد كان من دعاة الاجتهاد وأبطال الجهاد.

ويقارن حال الأمة الإسلامية في ذينك القرنين وحال اليمن والنهضة العلمية التي سادتها وذكر أبرز رجال هذه النهضة المباركة في اليمن أمثال الحسين بن القاسم بن محمد (٩٩٩ - ١٠٥٠هـ)^(٤)، والعلامة الحسن بن أحمد

(١) انظر: الشوكاني: أدب الطلب، تحقيق عبد الله يحيى السريحي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، دار ابن حزم للطباعة والنشر، بيروت، ط١ (١٤١٩هـ - ١٩٩٨م)، ص ٣٥.

(٢) العدد الثاني، السنة الثامنة، بتاريخ رمضان سنة ١٣٧٥هـ - سنة ١٩٥٦م.

(٣) البدر الطالع ٤٧/٢، (مرجع سابق). (٤) البدر الطالع ٢٢٦/١، (مرجع سابق).

الجلال (ت: ١٠٨٤هـ)، والعلامة صالح بن مهدي القبلي (ت: ١١٠٨هـ)، والإمام محمد بن إسماعيل الأمير (ت: ١١٨٢هـ)، وفي هذه المقالات أشاد بمؤلفات هؤلاء الأعلام، وساق لكل عالم منهم نموذجاً من تأليفه.

وأراني مضطراً لأن أقدم نماذج من كلام هؤلاء العلماء مقتبسة من هذه المقالات:

* - يقول القاضي محمد في مقالة يتحدث فيها عن الجلال وكتابه فيض الشعاع: (لا يكاد المرء يتصفح أول ورقة من هذا الكتيب حتى يرى مؤلفه؛ قد وثب وثبة قوية نحو الموضوع، فذكر الدليل على تحريم البدعة التي وقعت في الدين الإسلامي؛ فكانت أكبر حائل بين المسلمين وبين الفهم لأصول الدين وأدلته الشرعية الصحيحة، ثم عقبه بذكر الأدلة على تحريم التفرق في الدين الذي كان أكبر مانع للاستضاءة بنور القرآن، ثم يأسف لذلك كثيراً ويعلن اجتهاده بقوله: (لو وقف كل إنسان على فهم نفسه فيما يتفاوت فيه الفهم هان الأمر، ولكن حاول إلزامه الغير فحصل الجدال وتشيعت الشيع، ثم لو اكتفى المتشيعون للأحياء لانقطعت الفرق بموت المتفرقين، زفني من أقوال المتفرقين ما كان بدعة، ولكن حفظها الجاهلون بتقليد الأموات، وقطع نفيس الأوقات بكتب أقاويل الرفاق فحرموا بذلك مباشرة بصائرهم لأنوار التنزيل، وخذلوا عن البلوغ إلى شيء من حقائق التنزيل، فاستبدلوا الأدنى بالذي هو خير، وكان حظهم من سيول الحقائق هو الزبد الذي يذهب جفاء لا غير... إلخ).

الملاحظ في هذا المقال أن القاضي العمراني يختار وينتقي من أقوال العلماء، لما لهم من تأثير في نفوس طلاب العلم، فهم يعرفون معنى كل كلمة في مقالاتهم، ففيها الدعوة ضمناً إلى عدم التفرق، ونبذ البدع التي حالت بين المسلمين، والفهم الصحيح لأصول الدين وأدلته الشرعية الصحيحة).

* - وهذا نموذج آخر لعالم جليل بجرُّ حُرِّ شجاع، وهو العلامة صالح القبلي (ت: ١١٠٨هـ)، والنموذج هو: «كتاب العلم الشامخ في تفضيل الحق على الآباء والمشايخ»، وبهامشه كتاب آخر لنفس المؤلف اسمه: «الأرواح النوافح».

يقول العمراني عنه: (نبه مؤلفه فيه لما عليه أهل عصره من الجمود وتقليد

الآباء والأجداد في جميع ما تركوا من آراء وأقوال، وأخذهم لها كقضايا مسلمة، لا يدور حولها نقاش ولا نقد ولا جدال، نتيجة للتقليد الذي أوجبوه على أنفسهم؛ فكان حائلاً بينهم وبين الفهم لكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، لا فرق بين مذهب ومذهب وبين قطر وآخر، يناقش مشائخه في كل ما لم يظهر له دليله حتى ولو كان إمام زمانه المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم (١٠١٩ - ١٠٨٧هـ)، أو محقق عصره السيد حسن الجلال، غير ناظر إلى استهزاء المستهزئين ولا كيد الحاسدين كما هو شأن كل مجدد... إلخ^(١).

إلى أن يقول في المقال: (تنظر في كتابه هذا فتجده يتكلم بشجاعة أدبية، وحرية فكرية لم يعهد لها ذلك العصر الجامد فيقول - أي المقبل - : (هيهات هيهات، لقد أعمى التعصب البصائر، وأفسد التمذهب السرائر، غير أنني ذاهب إلى ربي سيهدين)؛ وفي نفس خطبة كتابه يقول: (اللهم إنه لا مذهب لي إلا دين الإسلام، فمن شمله فهو أخي وصاحبي...)).

وفي نهاية المقال يوجه القاضي محمد سؤالا إلى المستمعين وإلى القراء: (والآن أسأل التاريخ وأخبرني، وسل الأسفار وأنبئي، سل التاريخ: هل احتفظ بكتاب من كتب الدين التي ألفت في العصر العثماني بمائل كتاب «العلم الشامخ» استقلالاً واجتهاداً، وحرية، وإنصافاً؟! وسل الأسفار التي ألفت في هذا العصر الراكد: هل يوجد فيها كتاب يقول مؤلفه مثلما قال مؤلف «العلم الشامخ»: (اللهم إني لا مذهب لي إلا دين الإسلام فمن شمله فهو أخي وصاحبي)؟!).

فهذا مثال من أمثلة الحركة العلمية الدينية في اليمن في أواخر القرن الحادي عشر وهي تمثل الحرية الفكرية...).

* - وهذا نموذج ثالث من المؤلفات اليمنية في القرن الثاني عشر: ابن الأمير الصنعاني (١٠٩٩ - ١١٨٢هـ).

يقول القاضي العمراني عن هذا الإمام: (لم يغرب عنه ربع القرن الثاني عشر حتى بدا وقد أخذ من كل فن من الفنون الإسلامية بنصيب وافر، وأصبح

(١) من كتاب مخطوط جمع فيه شيخنا بعض مقالاته التي أذيعت في الإذاعة ونشرت له في الصحف والمجلات.

في طليعة العلماء المجتهدين؛ فأحى سنة المصطفى ﷺ ونشرها بين الجم الغفير من العلماء الذين كانوا غارقين في بحر الآراء والتفريعات، كل ذلك ولم يبلغ الثلاثين عاماً من عمره، بل لم يمض من القرن ثلثه حتى أصبح إماماً كبيراً مستعداً للتجديد والإصلاح والسعي العظيم لإرجاع الناس إلى الاستقلال في الفكر، والفهم في الدين).

ويظهر القاضي عند الكلام على ابن الأمير غاية من الحماس وغاية في العاطفة التي تلهب مشاعر المستمعين فهو يشدهم بقوة إلى صاحب المهمة العالية والفكر النير، وعلى المصلح العظيم، حيث يقول: (لقد أمضى مدة طويلة تقارب نصف القرن من الزمن، وهو يدعو إلى الاستقلال في الفكر، والفهم في مسائل الدين الفروعية والأصولية معاً، وإلى فتح باب الاجتهاد المطلق على مصراعيه لكل من كان أهلاً للدخول فيه).

ثم يضيف: (إنه لم يكن قاصراً على الإصلاح العلمي، بل كان مع اشتغاله بالإصلاح العلمي يشتغل بالإصلاح الديني والسياسي، ويضرب لذلك الأمثلة حينما أصلح الأمير بين الأئمة وأقاربهم الذين كانوا ينازعونهم في الأمر).

ولم يكن الغرض من المقال سرد قصص تأريخي بقدر ما كان تركيزه على الدعوة إلى الاجتهاد والأخذ من الكتاب والسنة، وهنا يسوق مثلاً لكلام الأمير حين قال: (. . . إن الأحاديث في الأعصار الخالية كانت متفرقة في صدور الرجال، وعلوم اللغة في أفواه سكان البوادي، ورؤوس الجبال، حتى جمعت متفرقاتها، ولفقت ممزقاتها حتى لا يحتاج طلب العلم في هذه الأعصار إلى الخروج من الوطن، وإلى شد الرحال والظعن، فيا عجباً! حين تفضل الله بجمعها من الأغوار، والأنجاد، وسهل سياقها للعباد حتى أينعت رياضها، وأترعت حياضها، وأجريت عيونها، وتمدلت بشمراتها غصونها، وفاض في ساحات تحقيقها معينها، واشتد عضدها؛ وجل ساعدها، وكثر معينها، نقول بتعذر الاجتهاد! (ما هذا والله إلا من كفران النعمة وجحودها، والإخلاد إلى ضعف المهمة وركودها. . . إلخ)^(١).

(١) نقل بتصرف من كتاب المقالات المشار إليه سابقاً عن رسالة (إرشاد النقاد إلى تيسير الاجتهاد) لابن الأمير الصنعاني.

وهذه نماذج فقط وإلا فإن الكلام عن المقالات يمكن أن يطول أكثر من ذلك، ولكن اختصاراً أجمله في ثلاث نقاط:

الأولى: ما خاطب بها أهل اليمن، كهذه المقالات التي اقتطفت منها نماذج وغيرها مثل «إسلام أهل اليمن».

والثانية: ما خاطب بها المسلمين ككل، مثل الحديث عن رمضان والصوم، والغيبة والنميمة وغيرها من المقالات ذات الطابع الوعظي والإرشاد الديني.

والأخيرة: ما خاطب بها أمة الغرب التي أعجبت بحضاراتها وزهرة الدنيا التي استهوتهم، ذكر فيها بفضل الإسلام وأنه السبب الذي أخرج أمة العرب من ظلمات الجهل والشعوذة والخرافات، ومن ظلمات العصور الوسطى إلى نور العلم والحقائق الساطعة إلى نور الإسلام وعدله ورحمته وخيريته، فلم تقم للأمة الغربية حضارة إلا بعدما درس أجدادهم مؤلفات العرب إبان النهضة العربية التي يرجع الفضل في قيامها إلى الدين الإسلامي (بمولد النبي ﷺ).

وعندما كان يتكلم في مقالة له عن المولد النبوي جاء في معرض مقالته: (إن هذا اليوم هو عيد العالم المتحضر بأسره، لا العالم الإسلامي بخصوصه، وأرجو أن لا تحسبوني مبالغاً في هذا القول، ولا متحكماً في هذا الرأي، فإن التأريخ الغربي هو الذي اعترف بأن المدنية الإسلامية من أعظم المدنيات التي عرفها الإنسان، وإن الموجود لها من العدم هو هذا اليوم المجيد...^(١)).

وإردافاً لما كنت قد ذكرت من مقالات في أول المبحث، فإني أتبعه بما تبقى من مقالات ذكرتها هذه المخطوطة:

٥ - أعظم يوم في تاريخ العالم المتمدن وهو يوم ميلاد النبي الكريم محمد ﷺ. وهو أكثر من مقال.

٦ - النميمة.

٧ - الغش منبع الشرور والآثام.

(١) لا يفهم أحد أن هذا الكلام دعوة إلى الاحتفال بالمولد النبوي، إنما هو استغلال من شيخنا يوم أن فتح له باب الكلام والمقال، قال هذا الكلام من باب الدعوة إلى الله والتذكير بنعمه تعالى على الناس جميعاً.

٨ - النظافة في نظر الإسلام.

٩ - الدعاء وشروط قبوله.

١٠ - حرمة الهجر ووجوبه في الإسلام.

١١ - حقوق الزوجين في الإسلام.

١٢ - ذكرى الهجرة النبوية.

هذه المقالات ركز فيها القاضي محمد على الجانب السلوكي للمسلم، فهي مقالات تربوية اهتمت بالجانب الأخلاقي لدى المسلم عند معاملته وارتباطه بالآخرين، فهي وعظ وإرشاد وتربية وسلوك.

ومع أن القاضي كان ينجح في معظم مقالاته إلى الدعوة إلى الاستقلال الفكري، ولم يغفل أن يخصص جزءاً منها إلى الإرشاد والتربية، وكذلك خصص جزءاً آخر للدعوة إلى الجهاد ومحاربة من أفسد في البلاد، وأعمل القتل في رقاب العباد، فهو لم يغفل جانب السياسة أيضاً؛ فقد جعل في هذه المقالات يقرع بكلامه قلوب المسلمين ويشدهم نحو التحرر من أسر الدنيا وجذب الشهوات، ومن التعلق بوعود الغرب الكاذبة المتمثلة في قرارات (مجلس الأمن المزعوم) الذي لا يزال يطفح بالشر نحو المسلمين.

وإنه ليتألم في هذه المقالات ويحترق بنيران كيد الأعداء ونخاذل المسلمين وتفرقهم وتقايسهم؛ ولذا فقد خصص مقالات عدة لهذا الموضوع، وهذا في حد ذاته يفتح لنا نافذة لندخل منها أو لننظر إطلالة على جزء من عصره الذي حفل بكثير من الأحداث الدامية على الأمة الإسلامية حينما منيت بنكبات متتالية، فقد كان الاستعمار يثبم على معظم بلاد المسلمين، بل لم يسلم من الاحتلال العسكري والغزو الهمجي إلا ثلاث من دول العالم الإسلامي فقط^(١).

إذاً، فهذه المقالات نستطيع أن نقول عنها: إنها جزء من العمل السياسي الذي ساهم فيه شيخنا إسهاماً لا مجال للشك فيه، فهو إذاً حقاً ذلك العالم الذي لم يقبع في زوايا مسجده، بل لقد أصلى بنار دعوته أعداء الدين وأعداء

(١) راجع الفصل الأول: عصر القاضي العمراني من الناحية السياسية.

الإنسانية، كما أنه أضاء بنور دعوته الطريق لكل من يريد معرفة الحق والعمل به، ومن هذه المقالات:

- ١٣ - الجهاد الديني لإنقاذ جميع الشعوب المغربية واجب على جميع المسلمين.
- ١٤ - ما يجب أن يعرفه جميع أفراد المسلمين عن مراكش.
- ١٥ - لا يلدغ المسلم من جحر مرتين (مقال سياسي).
- ١٦ - نداء إلى العالم العربي والمسلمين.
- ١٧ - عدالة المسلمين، وجور الغربيين.
- ١٨ - التسامح الإسلامي مع مخالفيه. وقسم هذا الموضوع إلى ستة حلقات بعنوان آخر (بين الإسلام والغرب).
- ١٩ - مولد المسيح ﷺ.
- ٢٠ - فتح المسلمين لفلسطين وفتح الغربيين لها.
- ٢١ - الفتح الإسلامي والغربي لبلاد الأندلس. مقارنة بين رحمة الإسلام ووحشية (الصلبان).
- ٢٢ - تسامح المسلمين في العصور العثمانية الأولى.
- ٢٣ - الحروب الصليبية.
- ٢٤ - الإسعاف في تاريخ الإسلام والغرب.
- ٢٥ - الفتح الإسلامي والفتح الغربي لبلاد الهند.
- ٢٦ - المرأة في تاريخ الحروب الإسلامية والغربية.
- ٢٧ - الرق في تاريخ الإسلام والغرب.
- ٢٨ - صرخة اليمن من أجل الجزائر.

ومما لاحظته في هذه المقالات أنه لم يدع الخرافيين يهيمون في ضلالاتهم أو يعمهون في دجلهم وكذبهم، بل لقد عرج عليهم وأيقظ الغافلين في غمرتهم ونبه الذين ينخدعون بترويجاتهم وزخرف أقوالهم فأرشدهم إلى ما فيه سعادتهم وصيانة أفكارهم، وأرشد إلى أن لا يذعنوا للخرافات وأن لا يكونوا العون في يد الدجالين والآلة التي يدبرها المصللون والمشعوذون.

كما أشار في مقالته إلى إرشادات ديننا الإسلامي (بتصفية العقول من جميع

أدران الخرافات، وتصفية القلوب من جميع أنواع الدجل والتضليلات، حين أوجب على المسلمين أن يفكروا وينظروا، ويعتبروا ويتدبروا وأن يتحروا في القول، ويستقلوا في الفهم ويجتهدوا في الرأي على ضوء القرآن والسنة والعقل الفطري الذي لم يصب بزكام التعصب والجمود... إلى غيرها من الإرشادات النافعة.

ونراه في آخر المقال يبدي الأسف لما وصلت إليه حالة كثير من الناس الذين ينزلقون في متزلق الشعوذة والخرافة والدجل، فيقول:

(ولكن يا للأسف لا نزال نرى في هذا العصر أناساً يرمون بأنفسهم بين أقدام أولئك المشعوذين والدجالين الذين لا يزالون هم أيضاً يوهمون المساكين والمسكينات أن لهم كتاباً يعرفون منه الداء والدواء، وأنهم بمجرد (فتحهم للكتاب) المزعوم يتشخصون الداء كيفما كان، ويتكيفون الدواء مهما كان... ويذهب القاضي في وصفه هؤلاء كيف أنهم ينخدعون بالدجالين والمشعوذين فيدرون عليهم الأموال بسخاء ويميلون إليهم بقلوبهم وملؤها الصفاء نحو أولئك العرفاء).

وفي آخر المقالة تجد القاضي محمد يبين سبب الداء الخبيث وهو انخداع كثير من الناس بما ظنوه من الحكم والأقوال النافعة، بل هي مما قد اشتهر على ألسن وكبار السن مثل: (الفوائد في العقائد) ويبين الدواء النافع حين يقول: (إن هذه إلا قاعدة من قواعد العجز والخمول، وأصل كبير من أصول الجمود، ولعل هذه الكلمة الباطلة ناشئة من الحديث الموضوع القائل: (لو أحسن أحدكم ظنه بجبر لنفعه)^(١) وهذا حديث موضوع مصنوع، وخبر مختلق مكذوب كما نطقت بذلك الكتب التي ميزت الطيب من الخبيث).



(١) ذكره الألباني في كتابه: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة. المكتب الإسلامي ٤٥٢/١ تحت رقم (٤٥٠)، وقال: موضوع، كما قال ابن تيمية. ونقل عن علي القاري عن ابن القيم أنه قال: هو من كلام عباد الأصنام الذين يحسنون ظنهم بالأحجار. وقال ابن حجر العسقلاني: لا أصل له. انظر: ٤٥٢/١، ٤٥٣.

مكانته العلمية

التأمل في تاريخ الأمة الإسلامية يجد أن الله تعالى خصها بخصائص كثيرة عن سائر الأمم، فهي تمتلك عوامل القوة كاملة، وتمتلك عوامل السيادة والقيادة والريادة، ولكن ما يدعو للأسف والحسرة أن تجد هذه الأمة وهي التي تؤمن برب واحد ونبي واحد ودين واحد قد تقطعت أوصالاً وتمزقت شعوباً وولايات، وأصبحت نهباً للمستعمرين يأكلون خيراتها، ومدعاة لأهل الشر في العدوان عليها.

وما هذه الحدود التي نجدها اليوم بين دول العالم الإسلامي إلا من صنع المستعمر البغيض، فذهبت بذلك ربحها وضاعت بهذا هيبتها، وضعفت بالفرقة قوتها، وسهل على العدو غزوها وصدق بذلك نبيها عليه الصلاة والسلام إذ قال: «يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق كما تداعى الأكلة إلى قصعتها». قيل: يا رسول الله: أمن قلة يومئذ؟ قال: «لا ولكنكم غشاء كغشاء السيل، يجعل الوهن في قلوبكم، وينزع الرعب من قلوب عدوكم، لحبكم الدنيا وكراهيتكم الموت»، من طريق ثوبان رضي الله عنه، كما في مسند الإمام أحمد وسنن أبي داود، وهو في صحيح الجامع الصغير وزيادته.

وبالرغم من سهولة المواصلات والتقنية الحديثة فيها والتطور الحضاري السريع في أسباب الحياة إلا أن شعوب المسلمين تكاد تعيش (بل هي كذلك) في عزلة مصطنعة، وذلك بسبب ما ذكرت وأسباب كثيرة جعلت المسلمين يعيشون فيما بينهم العزلة والشتات والفرقة والاختلاف...

ولعبت القوانين الدولية في هذا الجانب دوراً أساسياً، وأصبح الناس لا يستطيعون التنقل في بلدانهم، إلا بقوانين بالغة الصعوبة من تأشيرة وجواز... مع أن الأصل أن أرض المسلمين واحدة وتجمعهم كلهم (لا إله إلا الله).

ولن يجمع هذا الشتات إلا الدين الإسلامي بهذه الكلمة الطيبة التي أصلها ثابت وفرعها في السماء .

ومن هنا فقد سبب هذا التشرذم والتقاطع حصر كل قوم في بلدهم، وكان من الطبيعي أن يشمل هذا النظام العلماء الذين ما كان لحكامهم أن يشملوهم بهذا الحصار كبقية الناس سيما وأنهم مرجع الحكام عند الشدائد والمحن والخطوب . . .

ولذلك نجد أن العلماء فيما بينهم - في هذا الزمن زمن الحضارة، في القرن العشرين حين أصبح العالم كله كمدينة واحدة بما وصل إليه من وسائل، يكادون - لا يعرفون بعضهم للأسباب سالفه الذكر، فمتى يرجع المسلمون إلى دينهم، ومتى يسترشد الحكام بعلمائهم، وبالرغم من هذا الحصار المفروض والواقع الأليم إلا أنه وبفضل الله قد بقي للمسلمين متنفس يعقدون فيه مؤتمراً عاماً يجمع شتاتهم ويمجد وحدتهم، مؤتمر الحج السنوي، من خلاله يلتقي المسلمون من غير موعد ولا اتفاق .

غير أنه كان لزاماً على الأمة أن لا تترك العلماء يعيشون هذا الشتات المفروض والفرقة، ولينتظم سلك العلماء وتتوثق الروابط بينهم، وكم سنكون سعداء لو نفذت مثل هذه الحلول:

١ - استغلال هذا المؤتمر السنوي - حج بيت الله العظيم - بتنظيم اللقاءات لمناقشة ما استجد من أمور تحتاج إلى فقه معاصر، ليخرج العلماء برؤية واحدة وفتاوى إجماعية .

٢ - التكثيف من إيجاد مجامع فقهية يشترك فيها علماء الأمة من غير تمييز بين مذهب وآخر، خاصة أن هناك من ينظر لعلماء اليمن جميعاً بأنهم زيديون شيعة مع أن في المذهب الزيدي الأئمة المجتهدين والعلماء المجددين، ولو أنصف المؤرخون اليمن لما كانت هذه النظرة مع الأسف .

٣ - استخدام التقنية الحديثة والتكنولوجيا المتطورة في تفعيل شبكة الاتصال العالمية شبكة الانترنت (Enternet) لتوصيل الدعوة إلى كل العالم وربط العالم ببعضه ومن خلال ذلك تتلاقح أفكار العلماء ويتبادلون وجهات النظر حول كل ما هو عصري من ناحية شرعية بنظرة موضوعية .

ولأن القاضي محمداً غير معروف لدى كثير من علماء الإسلام خارج قطره، وذلك يرجع لعوامل كثيرة، منها ما أشرت إليها هنا، ومنها ما أشرت إليه في ثنايا البحث عند مرحلة طلبه للعلم، ومنها ما لم أذكره، وذلك أن القاضي محمداً يتحاشى الظهور، فهو لا يحب الشهرة، ولذلك ابتعد عما يعرضه للشهرة كالمناصب التي عرضت عليه، بيد أني وجدت علماء اليمن على العموم قد أشاروا إلى مكانته العلمية بما يثلج الصدر ويريح النفس ولا يدع مجالاً لمرتاب.

ولقد أشرت عند الكلام على إجازاته والتي حصل عليها من مشايخه المعترين وغيرهم ممن أجازوه بالمراسلة لما عرفوا عنه من اشتغال بالعلم واهتمام بالتحقيق والتدقيق ونصر للسنة، فأثنوا عليه ثناء جيلاً، وأسدلوا عليه ثوباً قشيباً من الأوصاف التي تليق بمكانته وجلالة قدره.

ومما جاء في تلك الإجازات من الكلمات التي وصف بها على سبيل

المثال:

المحقق، المدقق، الفهامة، الثبت، الكاتب، البارع، النبيه، الألمي، المشتغل بالعلم، العلامة، مفخرة اليمن، ونسابة الزمن، الأورع، التقى، النبراس، وغيرها من الأوصاف التي تدل دلالة صادقة على ما وصل إليه من مكانة سامية، ومنزلة عظيمة لدى علماء القرن الرابع عشر، سواء الذين التقى بهم وأخذ عليهم، أو ممن سمعوا به.

خاصة أنه كان في غاية من الإنصاف - بشهادة أولئك العلماء، ومنهم إمام اليمن أحمد وقد مر معنا - مؤثراً للحق عاملاً بالدليل، غير معول على القول والقييل، حتى لقد خالف كثيراً من مشايخه لظهور الدليل عنده بما لم يظهر لشيخه.

○ أولاً: مكانته عند المجيزين له من علماء صنعاء وغيرها:

١ - ولنبدأ بشيخه العلامة القاضي عبد الله بن محمد السرحي^(١) فوصفه بقوله: (الحافظ الفهامة) وذلك في معرض الإجازة التي أعطاها إياه.

(١) ولد بصنعاء سنة ١٣١٨هـ كان معلماً لأولاد الإمام يحيى، ودرس في مدرسة دار العلوم بصنعاء، وعمل عضواً في المحكمة الاستئنافية الشرعية.

٢ - ولما طلب الإجازة من القاضي العلامة أحمد بن أحمد الجرافي، دبح إجازته بقوله:

(إذا كان يقصد بالإجازة حفظ سلسلة الإسناد والرواية اللذين كان لهما في حقبة من التاريخ أهمية بالغة في حفظ بعض العلوم، فقد تلاشت تلك الأهمية بعد أن حفظت الأسانيد في مؤلفات كتبت واشتهرت وأمن عليها التغيير من الزيادة والنقص، وإذا كان يقصد بالإجازة التوثيق أو التعريف بأن المُجاز من أهل العلم وحملة وأنه جدير بأن يؤخذ عنه، فما جدواها إذا كان من طلبها أعلى مكانة وأشهر علماً وأرفع شأناً من أن يوثق أو يعرف به كالقاضي العلامة المدقق محمد بن إسماعيل العمراني، الذي تواضع فطلب مني أن أجيزه لهذا الغرض، فقد كانت فيما تعودنا عليه لا تعطى شهادة بأهلية محدودية ولا درجة معينة؛ وها هي الظروف قد أرتنا الشهادات العلمية الحديثة تعطي درجة معينة وصفة خاصة لحاملها، فهل جدير بأهل العلم أن يكون في شهاداتهم ما يشير ولو بنوع من الإجمال إلى ما يفيد ذلك، وإنه لكذلك؟ ولكن أي درجة وأي شهادة يمكن أن تحدد مكانة العلامة العمراني وهو فوق الدرجات، وشهادته يجب أن تكون فوق أرفع الشهادات؟! وهذا هو أقل ما يمكن أن يقول المجيز في حقه^(١).

٣ - وهذا القاضي العلامة عبد الله بن عبد الكريم بن محمد الجرافي صاحب المؤلفات في التاريخ والأسانيد، يقول عن العمراني الذي طلب منه إجازة: (لكن سبيل من تعذرت عليه الرحلة طلب إجازة ليفوز بنظام اسمه مع اسم المصطفى في طرس^(٢))، وكان ممن رام الانخراط في سلكهم والاندراج في سلسلتهم صاحب الفضيلة والسعادة والقاضي العلامة ذو الورع والمروءة والانتقاد، سليل العلماء الأعلام عز الدين محمد بن إسماعيل بن محمد العمراني... إلى أن قال: (قد أجزت الولد القاضي العلامة المحدث الكاتب البارع النبيه الأملعي إجازة عامة...).

(١) من إجازة القاضي العلامة أحمد بن أحمد الجرافي للعمراني.

(٢) الطرس: بالكسر: الصحيفة، أو التي سجلت ثم كتبت، جمعها أطراس وطروس. انظر: الفيروزآبادي: القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، ط ٢ (١٤١٣هـ)، ص ٧١٣، في باب السين، فصل الطاء (مرجع سابق).

٤ - وعندما أجازه شيخه العلامة محمد بن محمد زبارة... جاء في معرضها: (وقد قام هذا الولد (يعني العمراني) النجيب وقعد في طلب العلوم النافعة، مع ذكاء وألمعية وحافظة وأهلية وأخذ في فنونها عن عدة من شيوخ العلم بصنعاء، حتى استفاد واستجاز عن جماعة منهم، ومكث على التدريس في فنون العلم بمسجد الفليحي وفي المدرسة العلمية بصنعاء...) إلى أن قال: (قد أجزت الولد العلامة البدر محمد بن إسماعيل العمراني...).

٥ - وأما شيخه العلامة أحمد بن محمد زبارة فقد قال عنه: (إنه علامة فهامة محقق مدقق مشتغل بالعلم طوال حياته بذكاء وفطنة وهمة وإخلاص وأنه نشأ بين العلم وأهله).

٦ - ووصفه العلامة القاضي حسن بن علي المغربي بنفس الوصف تقريباً: (العلامة الألمعي عز الدين والإسلام).

٧ - وأما شيخه القاضي العلامة عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله حميد فقد وصفه بقوله: (العلامة الكبير، مفخرة اليمن، ونسابة الزمن، القاضي الجليل الرباني محمد بن إسماعيل العمراني).

٨ - ووصفه القاضي العلامة محمد بن محمد السماوي بقوله: (العلامة والخبر الفهامة الأورع التقي والنبراس الألمعي...).

وهذه فقط نماذج ممن أثنى عليه من مشايخه ومجيزيه، وما عداهم كثير...

○ ثناء علماء عصره عليه:

وأما معاصروه فإنهم يعتبرونه من أكابر علماء صنعاء علماً وسناً وقدرًا، ولقد أثنوا عليه بما هو له أهل، ولو بينت لطلال بنا المقام، ولكن أختصر على نماذج منهم:

الشيخ عبد الكريم زيدان قال عنه: أثق بعلمه، وهو رجل ورع، سريع البديهة في الأدلة^(١).

وأما الشيخ العلامة محمد يوسف حربة (مدرس الفقه المقارن في جامعة

(١) عن شريط كاسيت مسجل عند أحد الطلاب في مكتبته الخاصة: أسامة محمد بن محمد السوري.

الإيمان) فقد وصفه بقوله: (إنه عالم مجتهد بشروط الاجتهاد المعتبرة عند علماء الأصول، فهو محدث رواية ودراية، فقيه أصولي، له اطلاع واسع في الفقه والسير والتاريخ والأدب، وباع طويل في علوم العربية، ومعرفة تامة بأقوال العلماء واستدلالاتهم، يظهر ذلك في فتاويه بذكر أقوال العلماء في المسألة الواحدة، ثم يرجح أحد تلك الأقوال حسب ما تقتضيه الأدلة الصحيحة بالقواعد الأصولية، وهو في دروسه يمزج درسه بالنكت والفكاهة الأمر الذي يجذب طلابه إليه، فهو محبوب لدى طلابه خلقه التواضع واللين، عليه زي العلماء ووقارهم، من لقيه أول وهلة هابه، ومن جالسه وخالطه أحبه، ولا أكون مبالغاً إن قلت: إنه قل أن يوجد نظيره من علماء اليمن في وقتنا الحاضر. اهـ. من كلامه مشافهة).

أما الدكتور حسن الأهدل أستاذ دكتور بجامعة صنعاء: قسم الحديث وأصول الفقه ونائب رئيس الجامعة للدراسات العليا فقال: (شيخنا القاضي محمد إسماعيل العمراني عالم جليل اشتغل بالسنة كثيراً، واهتم بها كثيراً من حيث الصحة والضعف، وهو يميل إلى كتب الحديث، وقد درس الأمهات كلها، وله اهتمام بالغ بما جمعه المعاصرون).

وهو في نظري إمام من أئمة المسلمين ليس له نظير في القطر اليمني (أو في البيئة الزيدية) ذلك أنه شارك في الانفتاح على أهل السنة من هذه البيئة المغلقة على نفسها.

وأثنى عليه رئيس جامعة الإيمان الشيخ العلامة عبد المجيد بن عزيز الزنداني فقال: (هو علم الأعلام ومفخرة لنا في هذا البلد، وهو من المعدودين في العالم الإسلامي بهمته العالية في التدريس والإفتاء والإرشاد مع بلوغه سنّاً يتقاعد عندها كثير من أتباعه...^(١)).



(١) ولذا فقد طلب منه تدريس مادة الفقه والفقه المقارن في جامعة الإيمان.

تلاميذه

لقد مر في الفصل الثاني كيفية دراسة القاضي محمد على مشايخه، وأنه عندما بلغ مرحلة التخصص في العلوم - أي عندما كان يقرأ على شيوخه كبار الكتب ويعيدها عند أكثر من شيخ في هذه المرحلة - كان يعقد حلقات العلم لطلابه، وعندما عين مدرساً في المدرسة العلمية أهر الأساتذة والطلاب على السواء، فهرعوا إلى دروسه رغبة فيما عنده خاصة عندما بعد صيته وتصدى لنشر العلم، فتسابق إليه الطلاب من أنحاء اليمن، بل من خارجها، لينهلوا من علمه وليشربوا من مورده العذب، فازدهوا عليه يأخذون منه العلوم في الأصول والفقه والحديث واللغة والتفسير وغيرها، ولأنه لم يكتب عن القاضي من قبل ولم يهتم هو بطلابه من الناحية التاريخية، إلا أنه قد أفادني فائدة جلييلة عندما سرد لي بعض الأسماء على سبيل المثال لا الحصر، وهم الآن قد بلغوا مرتبة عالية في الجوانب العلمية والاجتماعية.

وهذه أسماء بعضهم على قصور بالغ بسبب تنائي الديار وعدم الاهتمام من المؤرخين اليمنيين كعادتهم، فمن علماء صبياء^(١):

- ١ - الشيخ العلامة: عبد الرحمن النعمي.
- ٢ - الشيخ العلامة: موسى النعمي.
- ٣ - القاضي العلامة: أحمد الحازمي.
- ٤ - القاضي العلامة: عيسى الحازمي.
- ٥ - القاضي العلامة: يحيى عاكش الضمدي^(٢).

(١) لم يتسن لي ترجمة أي واحد منهم.

(٢) أحد طلابه، زار اليمن ليلتقي بمشايخها وشيخ شيخه القاضي محمد بن إسماعيل العمراني، فالتقيت به في الحلقة، وقال عن شيخه الضمدي أنه لا زال يدرس في بلده ضمد في السعودية.

- ٦ - القاضي العلامة محسن السبيعي .
- * - وهذا صنف آخر قد أصبحوا أعضاء في المحكمة العليا في اليمن، منهم:
- ١ - القاضي العلامة: أحمد بن محمد بن يحيى مداعس عضو المحكمة العليا .
- ٢ - القاضي العلامة: علي بن قاسم الشامي .
- ٣ - القاضي العلامة: محمد بن لطف بن محمد الزبيري أحد موظفي المحكمة العليا في صنعاء .
- ٤ - القاضي العلامة يحيى بن محمد بن عبد الرحمن بن أحمد شرف الدين الكوكبان، أحد أعضاء المحكمة العليا سابقاً .
- ٥ - القاضي العلامة: غالب عبد الله راجح المقداد .
- ٦ - القاضي العلامة علي بن أحمد الخري عضو المحكمة العليا .
- ٧ - القاضي العلامة عبد الله بن محمد بن علي الوريث حاكم المنطقة الغربية بصنعاء .
- وجلهم على قيد الحياة .
- * - وهذا صنف ثالث قد أصبحوا سفراء:
- ١ - الأستاذ أحمد بن علي بن علي بن يحيى زبارة، سفير المملكة المتوكلية سابقاً في الولايات الأمريكية، رَحِمَهُ اللهُ .
- ٢ - الأستاذ محمد بن عبد القدوس بن أحمد الوزير، سفير الجمهورية اليمنية في اليابان .
- ٣ - الأستاذ أحمد المضواحي، أحد السفراء اليمنيين المتقاعدين .
- وهؤلاء أيضاً لا زال منهم أحياء .
- * - وهذا صنف رابع تسنم الواحد منهم منصباً في قومه:
- ١ - القاضي عبد الكريم العرشي . كان رئيساً لمجلس الشورى ونائب رئيس الجمهورية .
- ٢ - القاضي يحيى الفسيل (ت: ١٤١٥هـ) . وقد شغل منصب رئيس المعاهد العلمية .

٣ - أحمد محمد الشامي . شغل عدة مناصب منها رئيس حزب الحق ،
ووزيراً للأوقاف والإرشاد وغيرها .

* - وأما الآن فإن تلاميذه يعدون بالآلاف ، ولو قلت أكثر ما كنت مبالغاً أبداً ،
فقد كان طلابه في مسجد الفليحي لا يبلغون خمسة عشر طالباً في الدرس
الواحد ، في حين أنه الآن قد يبلغ عدد طلابه في الحلقة الواحدة المائتي
طالب ، عدا الذين يدرسه في المؤسسات التعليمية الحكومية منها
والأهلية ، وكلهم يعتبرون القاضي من أهم مشايخهم والكثير منهم لا
يكتفي منه بالدرس الذي يلقيه عليهم في المعهد أو الجامعة ولكنه يأتي إليه
كل يوم في حلقة المسجدية ، ليستفيد منه أكثر .

وقد برز منهم كثير ، وأصبح يدير حلقات علمية في منطقته وفي مسجده .
وإن شاء الله سأذكرهم في بحث مستقل غير هذا ؛ لأن أسماء كثير منهم غير
معروفة لدي ولا حتى لدى القاضي محمد فضلاً عن ترجمتهم ، فهذا يحتاج جهداً
مستقلاً . وقد بدأ القاضي محمد بن أحمد الكوخ في جمع تراجم طلبة شيوخنا لعلومه
المجتهد محمد العمري وكذا سبقه طالب عربي بهذا ولكن الأول ما بدأ به ذلك
وإنني سأفروغ إن شاء الله .
ما جمع من التراجم .

وهنا لطيفة في طبقاتنا من عرض دروس شيوخنا إمام العمري :
طبقة طلبة علم
طبقة مستفيروهم
طبقة معسبون ومضرن لأهل التحلي بالأخلاق الفاضلة

بعض تراجم تلاميذ القاضي

منهم على سبيل المثال لا الحصر، وهذا حال تحرير الأسطر:

١ - محمد بن عبد الرحمن غنيم المصري:

من جمهورية مصر العربية حضر إلى القاضي محمد وقد استفاد، وأخذ كثيراً على علماء مصر خاصة في علوم العربية، ولما حضر إلى اليمن لازم القاضي محمد بن إسماعيل العمراني ملازمة كلية حتى لقد كان يقضي معظم ساعات النهار معه في الطلب ولا يفوته أي درس بين مغرب وعشاء، يسمع من القاضي ويستوضح ويناقش واستمر على هذه الحال سبع سنوات تقريباً حتى استفاد فائدة عظيمة فأصبح بمنزلة عظيمة عند شيخنا (القاضي) وأصبح ينوب عنه أحياناً بعد أن رأى القاضي منه ما يسره، وكان يحيل إليه كثيراً من الفتاوى يراجعها فيها ويدارسه فيها خاصة في علم الموارث الذين أصبح فيه مبرزاً وفتح حلقات في مسجد الشيخ (مسجد الزبيرى) في الفرائض والأصول والعربية وغيرها من العلوم.

وله أبحاث ورسائل خاصة في علم الفرائض واللغة، وله كتابات في مجالات وصحف في علم الرؤى والأحلام، وله أيضاً مشاركات في علم الفقه وعلم الحديث.

٢ - عبد السلام بن مقبل عبده غالب المجيدي:

يحفظ القراءات العشر من طريق الشاطبية والدرة والقراءات العشر من طريق طيبة النشر وقد حصل على إجازات فيها.

حاصل على شهادة البكالوريوس في التفسير وعلوم القرآن بتقدير ممتاز، حاز على شهادة الماجستير بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف مع التوجيه بالطبع وكانت في كيفية تلقي النبي ﷺ القرآن الكريم، ودراسة تأصيلية لكيفية تلقي النبي ﷺ ألفاظ القرآن الكريم عن جبريل عن الله ﷻ، ويعمل مدرساً في الكلية

العليا للقرآن الكريم وقد حصل على درجة الدكتوراه، في نفس المجال من جامعة القرآن الكريم في جمهورية السودان بتقدير ممتاز أيضاً.

٣ - فضل بن عبد الله مراد المرادي:

من السلفية ريمة صنعاء حفظ القرآن الكريم في الخامسة عشرة من عمره ثم حفظ القراءات السبع ثم الثلاث المتممة ثم العشر الكبرى من طريق طيبة على العلامة المقري إسماعيل بن عبد العال ثم درس على العلامة د. حسن الأهدل وعلى العلامة القاضي محمد بن إسماعيل العمراني، وعلى العلامة محمد يحيى قطران، وعلى العلامة المجتهد محمد بن يوسف حرّبة، وعلى الشيخ محمد الغزالي، وعلى العلامة قاسم بحر، وعلى الشيخ قاسم بن أحمد سيف التعزي ودرس على غيرهم من العلماء والمشايخ في مختلف العلوم حتى بزّ أقرانه وأجيز في التدريس والرواية وهو الآن يدرس في الحديث والمصطلح والأصول وغيرها.

وله أبحاث ورسائل تبلغ نحو العشرين ما بين رسالة وبحت فهو عقق مدقق ويشهد له العلماء والأقران وهو وعاء مملوء علماً.

٤ - أحمد بن إسماعيل الجهمي المصباحي:

ولد في مصباح وصاب الأسفل سنة ١٣٩٦هـ نشأ في كنف والده رحمته وحفظ عليه القرآن الكريم ولازمه أكثر من ١٢ سنة ودرس عليه عدة علوم في الفقه والنحو والصرف والحديث والأصول وغيرها وختم القرآن الكريم مع والده في حلقه أكثر من (مائة مرة) ثم انتقل إلى صنعاء فلازم القاضي محمد بن إسماعيل العمراني، ودرس عليه أكثر من عشرين كتاباً في الفقه والحديث والأصول وغيرها حتى حصل على إجازة منه ورحل إلى زبيد ودرس على علمائها منهم السيد العلامة الشيخ القرظي أحمد بن داود البطاح الأهدل، والشيخ محمد بن علي البطاح ورحل إلى صعده وأخذ على عالمها هناك الشيخ المحدث مقبل بن هادي الوادعي، ودرس على يد الشيخ المحدث حسن حيدر وتنقل بين العلماء يقطف ثمرات من علمهم ويزاحم طلاب العلم في حلقاتهم وأذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر السيد العلامة د. حسن الأهدل، السيد العلامة الشيخ قاسم بحر، والشيخ القاضي علي نصر الأنسي وعلى غيرهم من العلماء حتى أصبح ممن يؤخذ

عنه لكثرة مشايخه وإجازاته وله بحوث علمية مفيدة وهو يمدح شيخه القاضي محمد بن إسماعيل العمراني كثيراً ويصفه بالورع والإنصاف وسعة الاطلاع وقد فتح حلقات علمية فهو الآن من المشايخ الذين يطلب العلم على أيديهم.

٥ - الخضر سالم بن حليس اليافعي :

من الطلبة المبرزين والمجتهدين وله مشاركة فاعلة أثناء دروس القاضي، ولذلك يجله القاضي كثيراً وهو من حفاظ كتاب الله، درس قبل مجيئه إلى القاضي في مصطلح الحديث وفي النحو وفي الأصول وفي العقيدة وفي الفرائض وغيرها، ودرس على القاضي بعضاً من سبل السلام وبعضاً من نيل الأوطار وبعضاً من الدراري ومن البخاري وغيرها من الكتب، وله أبحاث عرض بعضها على القاضي محمد فاستحسنها وشجعها ونشرت له مجلة النور بعض أبحاثه في صفحاتها وله حلقات علمية وهو خطيب مفوه.

٦ - أسامة بن محمد بن محمد :

له همة تضاهي قمم الجبال في طلب العلم وله الآن رسالة متوسطة الحجم من خمسمائة صفحة في (الرخص الشرعية)، ولا زال يتنقل بين المشايخ ينتقي منهم أطايب الكلام كما ينتقي المرء أطايب الثمار.

٧ - محمد بن أحمد الوزير :

الملقب بالوقشي إلى قرية «وقش» وهو من تلاميذ القاضي الملازمين له، أخذ عليه كثيراً حتى أجازته القاضي في جميع مقروءاته ومسموعاته إجازة خاصة، وإجازة عامة في باقي العلوم الإسلامية، ودرس على مشايخ آخرين ولكن لم يجالسهم كثيراً، له عدة مسائل فقهية وقد فتح الله عليه حتى أصبح من المشايخ الذين يرجع إليهم الناس في المسائل وله حلقات علمية في بعض مساجد صنعاء في الفقه واللغة والفرائض.

٨ - عبد الرحمن بن محمد بن صالح العيزري :

مولده سنة ١٣٩٣هـ له همة عالية في طلب العلم فهو يتنقل بين المشايخ للأخذ عنهم وهو مستفيد في الحديث والمصطلح واللغة والتاريخ وغيرها من القنون. وله أبحاث مفيدة منها: الجامع الصحيح من الأحاديث المشتهرة،

ورسائل حول مسائل مختلفة وهو حال تحرير الأحرف إمام وخطيب جامع العباس، ويدرس فيه كتب الحديث وغيرها.

٩ - عبد الحميد بن صالح بن قاسم بن عبد الله آل أعوج سبر: استفاد من شيخنا ومن غيره بهمته العالية في الطلب والتحصيل له أبحاث جيدة وتحقيقات نفيسة يتجرد فيها عن التعصب وقال وقيل غير منقاد إلا للدليل وقد استفاد في اللغة والحديث وغيرها.

١٠ - عامر بن حسين بن عبد الله بن عبد القادر الكدرو: من دير الزور في سوريا، تلقى العلوم الشرعية على يد مشايخه في سوريا منهم الشيخ دندل جبر، والشيخ يوسف طلب والشيخ عدنان لطفي والشيخ طارق غريب وغيرهم من المشايخ، أكمل تعليمه الجامعي في العراق في كلية الشريعة قسم أصول الدين، ثم قدم إلى اليمن مدرساً للعلوم الشرعية في معاهدها، وفي اليمن تعرف على القاضي محمد فلازمه فترة قرأ عليه الكثير من علوم الحديث ومصطلحه والفقه وأصوله حتى حصل على إجازة منه عام ١٩٩٤م.

له مجموعة من المؤلفات الصغيرة مثل (تحذير ذوي النجابة من إطالة الصلاة والخطابة)، (المحرمات من النساء بسبب المصاهرة)، (الحقوق المشتركة بين الزوجين) وله مشاركة في تحقيق بعض كتب التراث والآن له بحث في الدكتوراه في الفقه المقارن.



المبحث الثاني الفتاوى العامة

○ تمهيد:

تنوعت فتاوى القاضي العمراني في مواضيعها ما بين فقهية وحديثية وعقائدية، ولعل المواضيع الفقهية اشتملت على أكبر جزء منها، حتى لقد اشتهر القاضي محمد بأنه فقيه وليس محدث، فعلاً، إن هذا هو الحاصل، لكن الذي أعجب له أنه قد يتهم من بعض المغرضين بأنه ضعيف في الجانب الحديثي.

ولكي أثبت عدم صحة هذه الدعوى فإنني سأضمن هذا المبحث جزءاً يسيراً من فتاواه الحديثية، وأشير إلى فتاواه العقائدية، فتعم الفائدة طلاب العلم أمثالي ويعم نفعها كل من رام الاطلاع عليها ولو بعد حين.

ولأن مقصود الرسالة إنما هي الترجمة فسأعرض لثلاثة نماذج حديثية فقط وإلا فهي كثيرة، ذلك حتى يعرف الذي لا يعرف من قبل مدى اهتمام القاضي محمد بالجانب الحديثي، وكيف أنه في كل فتوى منها يرجع إلى أكثر من عشرين مرجعاً تقريباً، وربما كان - ولا أجزم - أول من يطلع على كتب الألباني في اليمن، لا سيما وأن البيئة معروفة بعوائها السافر للمحدثين وللمتمسكين بسنة النبي ﷺ، فقد حرص جاهداً على نشر السنة وتحذير الناس من البدع والضلالات، وبيّن بما لا يدع مجالاً للرد ما ينبغي للمسلم إتيانه وما يجب عليه تركه.

ومن هنا فإننا نستطيع أن ندرك منزلة القاضي محمد بين علماء اليمن أجمعين.

وأما فتاواه الفقهية فهي كثيرة جداً وبعضها مطول، ولا يسوغ لي أن أتى بها على علاقتها في البحث لكنني سأنتقي منها خلاصة الخلاصة، ولتكن كاختيارات فقهية له على هيئة مختصرة كرؤوس أقلام.

الفتاوى الحديثية

١ - سئل عن الحديث الآتي:

«اختلاف أمي رحمة» هل هو حديث صحيح أو ضعيف أو موضوع؟

الجواب:

حديث اختلاف أمي رحمة لم يقف المحدثون على أصله، ولا عرفوا من رواه من الصحابة أو التابعين عن النبي ﷺ، كما أنهم لا يعرفون من أخرجه من المخرجين للأحاديث النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، لا في الصحاح ولا في السنن ولا في المعاجم ولا في المسندات ولا في غيرها من كتب السنة النبوية المطهرة على اختلاف أنواعها.

وأنت وغيرك من طلبة العلم لو فتشتم على هذا الحديث في (الجامع الصغير) للسيوطي رحمته الله الذي جمع فيه من الأحاديث النبوية المرفوعة إلى رسول الله ﷺ من الصحابة رحمهم الله تجده يقول في هذا الحديث ما نصه: (نص المقدسي في الحجة والبيهقي في الرسالة الأشعرية بغير سند، وأورده الحيمي والقاضي حسين وإمام الحرمين وغيرهم، ولعله خرج من بعض كتب الحفاظ).

وكذلك لو راجعتم (الجامع الكبير) للسيوطي نفسه وهو الكتاب الكبير الجامع للآلاف من الأحاديث القولية والفعلية لوجدته في هذا الأثر يأتي بنفس هذه العبارة.

وهكذا لو راجعتم (كنز العمال) للمتقي الهندي الذي جمع فيه ما ذكره السيوطي في كتاب (الجامع الكبير) من الأحاديث مرتباً لها ترتيباً آخر غير ترتيب السيوطي لوجدتم هذا الحديث قد ذكره في حرف الباء في الباب الذي عقده لذكر الأحاديث الواردة في فضل العلم والعلماء، ولوجدتم مؤلفه قد أهمل ذكر المخرج والراوي، واكتفى بذكر العبارة التي أتى بها السيوطي في (الجامع الكبير) وفي (الجامع الصغير) بلا زيادة ولا نقصان.

وهكذا لو راجعتم ما كتبه العلماء حول (الجامع الصغير) من شروح أو نقد لوجدتم الجميع قد أهملوا ذكر المخرج والراوي لهذا الحديث الذي اشتهر على ألسنة الناس، ولم يجد الحفاظ له راوياً أو مخرجاً أو مسنداً، لا العزيزي مؤلف كتاب (السراج المنير)، ولا المناوي مؤلف كتاب (فيض القدير)، ولا الغماري مؤلف كتاب (المغير على موضوعات الجامع الصغير)، ولا الألباني في كتاب (ضعيف الجامع الصغير)، ولا غيرهم ممن أتى بعد الإمام السيوطي رحمته الله، بل بالعكس ستجدون المناوي ينقل عن السبكي أنه قال في هذا الحديث: ليس بمعروف عند المحدثين، وأنه - أي السبكي - لم يقف على سند لهذا الحديث لا صحيح ولا حسن ولا ضعيف ولا موضوع، وأن الشيخ زكريا الأنصاري قد أقره على هذا القول في تعليقه على تفسير البيضاوي رحمته الله.

كما أن الغماري في (المغير)^(١) قد عدّ هذا الحديث من جملة الأحاديث الموضوعية التي ذكرها السيوطي في جامع الصغير الذي اشترط في مقدمته ألا يذكر فيه إلا ما كان صحيحاً أو حسناً أو ضعيفاً، وأنه لا يذكر فيه حديثاً موضوعاً، وحكم الغماري على هذا الحديث بأنه موضوع، كما حكم عليه بالوضع أيضاً الألباني في كتابه الذي جمع فيه الأحاديث الضعيفة والموضوعية التي في كتاب (الجامع الصغير) والذي سماه (ضعيف الجامع الصغير)^(٢).

كما حكم الألباني على هذا الحديث بأنه موضوع في كتابه القيم الذي لم يطبع منه إلا مجلدان^(٣) وهو المسمى (سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعية وأثرها على الأمة)^(٤) وفي هامش كتابه المشهور (صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم) من التكبير

(١) انظر: الحافظ أبو الفيض أحمد بن شيخ الإسلام أبي عبد الله محمد بن الصديق الغماري: المغير على الأحاديث الموضوعية في الجامع الصغير، دار الرائد العربي، لبنان (١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م)، ص ١٦.

(٢) الجامع الصغير وزيادته الفتح الكبير، الطبعة الجديدة، أشرف على الطبع زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ١ (١٤١٠هـ - ١٩٩٠م) ص ٣٤ برقم ٢٣٠.

(٣) وأخيراً طبع الثالث والرابع.

(٤) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعية، لنفس المؤلف ٧٦/١. وانظر: تعليق الألباني عليه فإنه غابة في الإفادة.

إلى التسليم)، وفي مجلة (الوعي الإسلامي) الكويتية المشهورة.

وهكذا لو راجعنا المؤلفات التي جمعت الأحاديث الدارجة على الألسن مثل كتاب (المقاصد الحسنة)^(١) وكتاب (التمييز)^(٢) وكتاب (الكشف)^(٣) وكتاب (أسنى المطالب)^(٤) لوجدنا مؤلفيها لم يذكروا هذا الحديث بنفس هذا اللفظ الوارد في السؤال - وهو (اختلاف أمي رحمة) - أي شيء، لا راوياً ولا مخرجاً، بل قال الحافظ ابن حجر العسقلاني، (وهو شيخ سخاوي)، والشيخ زكريا الأنصاري (وهو شيخ السيوطي): لا أصل لهذا الحديث، وكذا في كتاب (اللآلئ المنثورة في الأحاديث المشهورة)^(٥)، وقد تبعه على نفي وجود أصل لهذا الحديث من علماء اليمن المجتهدين الشيخ صالح بن مهدي المقبلي في كتاب (العلم الشامخ في إثار الحق على الآباء والمشايخ)^(٦)، كما أن ممن حكم بوضعه الملا علي القاري في كتابه (الأسرار المرفوعة)^(٧)، وغيره من الحفاظ.

ولقد سبق هؤلاء العلماء الحفاظ أبو محمد علي بن حزم الأندلسي

-
- (١) الإمام أبو الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي: المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ (١٣٩٩هـ - ١٩٣٩م)، ص ٢٦.
 - (٢) تمييز الطيب من الخبيث فيما يدور على ألسنة الناس من الحديث، للإمام عبد الرحمن بن علي بن محمد بن عمر الشيباني الشافعي، دار الكتب العلمية، لبنان ط٢ (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م)، ص ١٦.
 - (٣) كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، الشيخ إسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي، دار الكتب العلمية، ط٢ (١٩٨٨م - ١٤٠٨هـ)، ص ٦٤.
 - (٤) أسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب، للإمام الشيخ محمد درويش الحوت، دار الكتاب العربي، ط٢ (١٤٠٧هـ - ١٩٨٣م)، ص ٣٥.
 - (٥) اللآلئ المنثورة في الأحاديث المشهورة، أو التذكرة في الأحاديث المشتهرة، للإمام محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، تحقيق محمد لطفي الصباغ، المكتب الإسلامي، ط١ (١٤١٧هـ - ١٩٩٦م)، ص ٣٨، لكنه لم يضعفه.
 - (٦) لم أجد الحديث في العلم الشامخ.
 - (٧) الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعية، المعروف بالموضوعات الكبرى، للعلامة نور الدين علي بن محمد بن سلطان، المشهور بالملا علي القاري، تحقيق محمد بن لطفي الصباغ، ط٢ (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م) مع زيادة في التحقيق، ص ١٠٨.

الظاهري؛ حيث حكم على هذا الحديث في كتابه (الأحكام)^(١) بأنه موضوع وذلك قبل ما يقرب من ألف عام.

والخلاصة تختصر فيما يلي:

- لم يذكر أحد من المحدثين الأولين حديث (اختلاف أمي رحمة) لا الصحابة ولا غيرهم من المحدثين.

- لم يذكر أحد من المتأخرين الصحابي الذي روى هذا الحديث أو المحدث الذي أخرجه، لا السيوطي ولا التقي الهندي ولا العزيزي ولا المناوي ولا السخاوي ولا الديبع ولا العجلوني ولا البيروني ولا غيرهم.

- صرح السبكي بأن هذا الحديث غير معروف وأنه لم يقف له على أصل.

- صرح ابن حجر بأن هذا الحديث لا أصل له، وتبعه المقبلي.

- صرح بوضعه ابن حزم والقاري والغماري والألباني وغيرهم.

٢ - سئل عن الحديث الآتي:

«لعن رسول الله رجلاً أمّ قوماً وهم له كارهون، وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط، ورجل سمع حي على الفلاح فلم يجب»، فهل هذا الحديث صحيح أم حسن أو ضعيف أم موضوع؟

الجواب:

حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: «لعن رسول الله رجلاً أمّ قوماً وهم له كارهون، وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط، ورجل سمع حي على الفلاح فلم يجب»^(٢)، أخرجه الترمذي وقال: لا يصح، وحكم عليه ابن الجوزي بالوضع، لأن في سننه محمد بن القاسم، وقد قال أحد: أحاديث محمد بن القاسم موضوعة، ليست بشيء، رمينا حديثه.

وقد أجاب عنه السيوطي بأن ابن معين قد وثق محمد بن القاسم، حيث قال عنه: ثقة، وقد كتب عنه.

(١) لم يتوفر لدي المرجع.

(٢) وذكره الألباني في ضعيف سنن الترمذي، وقال: ضعيف الإسناد، إشراف زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ١ (١٤١١ هـ - ١٩٩١ م)، ص ٣٩.

وللحديث شواهد عديدة، منها: حديث ابن عمر مرفوعاً: «ثلاثة لا يقبل الله منهم صلاة، الرجل يؤم قوماً وهم له كارهون»^(١)، رواه أبو داود وابن ماجه؛ وحديث أنس: «ثلاثة لا يقبل الله صلاة لهم ولا تصعد إلى السماء ولا تجاوز رؤوسهم: رجل أم قوماً وهم له كارهون...» إلى آخره؛ رواه ابن خزيمة كثيرة؛ وحديث ابن عباس: «ثلاثة لا ترفع صلاتهم فوق رؤوسهم شبراً: رجل أم قوماً وهم له كارهون وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط...» إلى آخر الحديث^(٢). رواه ابن ماجه.

ثم ساق السيوطي في كتابه (اللآلئ المصنوعة) شواهد الجملة الأخيرة مرفوع إلى رسول الله.

وقال ابن عمراق: ومن شواهد الجملة الأخيرة: حديث ابن عباس مرفوعاً: «من سمع المنادي فلم يمنعه من اتباعه عذر لم تقبل منه الصلاة التي صلى»^(٣) رواه أبو داود وابن ماجه والحاكم والدارقطني، وفي رواية: «من سمع النداء فلم يجب فلا صلاة له إلا من عذر»^(٤)، وحديث أبي موسى مرفوعاً: «من سمع النداء فلم يجب فلا صلاة له» أخرجه البزار والطبراني والحاكم، وأخرجه العقيلي بهذا اللفظ عن جابر مرفوعاً، وابن عدي به عن أبي هريرة مرفوعاً، وأخرجه أحمد والطبراني عن معاذ بن أنس مرفوعاً: «الجفاء كل الجفاء والكفر والنفاق من سمع منادي الله ينادي إلى الصلاة يدعو فلا يجيبه»^(٥) وأخرج ابن أبي شيبة في مسنده عن ابن أسعد ورواه مرفوعاً: «من سمع نداء الجمعة ثم لم يأت ثلاثاً ثم سمع ثم لم يأت طبع على قلبه فجعل قلبه قلب منافق»^(٦)، وأخرج الطبراني عن ابن مسعود

(١) الحديث في سنن أبي داود، في باب الرجل يؤم القوم وهم له كارهون، بلفظ: «ثلاثة لا يقبل الله منهم صلاة: من تقدم قوماً وهم له كارهون، ورجل أتى الصلاة دباراً، ورجل اعتبد محررة»، ١٥٩/١، لكن الألباني ضعف الحديث. وقال العمراني: يتقوى بشواهد، وقد روي من عدة طرق.

(٢) ذكر الألباني نحوه في صحيح الجامع الصغير وزيادته الفتح الكبير، ٥٨٦/١.

(٣) الحديث في سنن أبي داود، ولكن في إسناده أبو إسحاق وهو ضعيف، ١٤٨/١، ومخرج أيضاً في ضعيف الجامع الصغير وزيادته للألباني في صفحة (٨١٢).

(٤) مخرج في صحيح الجامع الصغير وزيادته ١٠٨٠/٢.

(٥) مخرج في ضعيف الجامع الصغير وزيادته للألباني وقال: ضعيف، ص ٣٩٣.

(٦) قلت: هذا في صلاة الجمعة.

مرفوعاً: «لقد هممت أن أمر بلالاً يقيم الصلاة ثم انصرف إلى قوم يسمعون النداء فلا يجيبون فأحرق عليهم بيوتهم».

وقال ابن طاهر في حديث: «لعن رسول الله رجلاً أمّ قوماً وهم له كارهون..»^(١) إلى آخره: لا يصح، ثم عقب قوله هذا بقوله: قلت: له شواهد عدة. وفي الوجيز: فيه محمد بن القاسم، وليس بشيء. قلت: وثقه ابن معين، والحديث في الترمذي. هكذا قال ابن طاهر في كتاب «تذكرة الموضوعات والضعفاء» في ترجمة هذا الراوي ما (...).^(٢) (محمد بن القاسم الأسدي) يروي عن شعبة وغيره أشياء موضوعة وهو كذب، ثم عقب هذا الكلام بقوله: قلت: هو من رجال الترمذي ووثقه ابن معين، وكذا في الوجيز، وضعفه أحمد وغيره. علماً أن كون هذا الراوي من رجال الترمذي لا يدل على أنه ثقة عند الترمذي ولا سيما والترمذي قد عقب ذكره لهذا الحديث الذي في سنده هذا الراوي بقوله: لا يصح.

والخلاصة: أن ابن الجوزي جعله من الموضوعات، والسيوطي وابن عراق جعله من الضعيفات، ولكل ناظر نظرة، ولكل عالم رأيه.

والله أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب، وسبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم.

٣ - وسئل القاضي عن الحديث الآتي: «أذن بلال لرسول الله مثني مثني، وأقام مثل ذلك».

هل هذا الحديث صحيح أم حسن أو ضعيف أو موضوع؟

الجواب:

حديث: «أذن بلال لرسول الله مثني مثني وأقام مثل ذلك». عده ابن الجوزي من الموضوعات، لأن ابن حبان حكم ببطلانه حيث في سنده زياد بن

(١) في تذكرة الموضوعات للعلامة محمد بن طاهر علي الهندي مع قانون الموضوعات والضعفاء لنفس العالم. دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط٢ (١٣٩٩هـ)، ص ٤٠، في باب الإمامة وفضلها.

(٢) في الأصل (فراغ).

عبد الله السكاكي، وهو فاحش الخطأ، لا يجوز الاحتجاج به. وقد تعقبه السيوطي في كتاب (اللآلئ)، بأن زياداً ثقة صدوق، روى له الشيخان، لكن عد هذا الحديث في مناكيره، وقد أخرجه الطبراني في الأوسط.

وكأنهم إنما أنكروا منه تثنية الإقامة، لمخالفته لما في الصحيح، ولم ينفرد بذلك، بل ورد من طريق غيره، قال الطبراني: حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة، حدثنا أبي، حدثنا حميد بن عبد الرحمن الرواسي، عن ابن أبي ليلى، عن عمرو بن مَرْة، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن عبد الله بن يزيد قال: (كان أذان رسول الله ﷺ وإقامته شفعاً مرتين مرتين، والله أعلم).

وبمعنى ما قاله السيوطي في كتاب (اللآلئ المصنوعة) قال ابن عراق الكنتاني في كتاب (تنزيه الشريعة) وابن طاهر في كتاب (الموضوعات) وغيرهم من الحفاظ.

وسواء كان هذا الحديث من الأحاديث الموضوعية كما قال ابن الجوزي في (موضوعاته الكبرى) أم كان من الأحاديث الضعيفة كما قال ابن عراق في كتاب (تنزيه الشريعة) وابن طاهر في (تذكرة الموضوعات) فإن الحديث قد دل على حكمين: الحكم الأول (أن الأذان مثني مثني) والحكم الثاني أن (الإقامة مثني مثني)، وقد جاء ما يدل على أن الإقامة مثني مثني، وهي أحاديث حسنة صالحة للاحتجاج إن لم تكن صحيحة، كما جاء ما يدل على أن المشروع في الإقامة أن تكون وتراً في جميع ألفاظها، وورد في بعض الأحاديث الإيتار إلا التكبير في أولها وفي آخرها وقد قامت الصلاة فهي مثني مثني، والأحاديث الدالة على إيتار تثنيتها، أصح من الأحاديث الدالة على إفرادها ولا سيما حديث أمر بلال أن يشفع الأذان ويوتر الإقامة الذي أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما.

بل قد عد الكنتاني حديث أنس: «أمر بلال بأن يشفع الأذان ويوتر الإقامة»^(١) من الأحاديث المتواترة، كما في كتابه (نظم المتناثر من الحديث

(١) الحديث مخرج في البخاري مع الفتح، بنفس اللفظ، وفي لفظ آخر: «وأن يوتر الإقامة إلا الإقامة» ٩٨/٢، مرجع سابق. الحديث مخرج في صحيح مسلم بنفس النص في باب «الأمر بشفع الأذان وإيتار الإقامة» ٢٩٩/٤، (مرجع سابق).

المتواتر)، حيث نقل عن ابن حجر في أماليه المخرجة على مختصر ابن الحاجب الأصولي من طرقٍ من حديث أنس، ثم قال: وفي الباب عن عبد الله بن زيد وبلال وسعد القرظ وأبي محذورة المؤذنين وعلي وابن عمر وسلمة بن الأكوع وجابر وأبي هريرة وأبي جحيفة وأبي رافع، ثم ساق أحاديثهم كلها... إلى آخر كلام الكتّاني رحمته الله.

ولكن ذلك لا يدل على أن حديث تشفيع الإقامة موضوع، ولا سيما وقد دلت على تشفيع الإقامة أحاديثٌ أخرى عند النُسائي وغيره من المُخرّجين، وقد قال العلامة صديق حسن خان القنوجي الهندي في كتاب (الروضة الندية، شرح الدرر البهية) تبعاً لشيخ مشايخه العلامة محمد بن علي الشوكاني مؤلف (الدراري المضئية) وكتاب (نيل الأوطار) وكتاب (السييل الجرار) وكتاب (وبل الغمام) ما نصه: (ثبت تشفيع الأذان وإيتار الإقامة في الصحيحين وغيرهما)، وروي من وجه صحيح تشفيع جميع ألفاظ الإقامة.

وورد في الإقامة من وجه صحيح ما يدل على إيتارها إلا التكبير في أولها وآخرها وقد قامت الصلاة؛ فإن ذلك يكون مثني مثني.

فذهب جماعة من أهل العلم إلى أن الكل سنة.

قال الماتن في شرح المنتقى بعدما ذكر اختلاف الناس في ذلك وأطال في بيانه: إذا عرفت هذا تبين لك أن أحاديث تثنية الإقامة صالح للاحتجاج بها، وأحاديث الأفراد وإن كانت أصح منها لكثرة طرقها وكونها في الصحيحين لكن أحاديث التثنية مشتملة على الزيادة، فالمصير إليها لازم، لا سيما مع تأخر تاريخ بعضها... إلى آخر كلامه رحمته الله.

ويقول القاضي العمراني في آخر بحثه: (وإنما أطلت الكلام حول هذه المسألة لأن البعض من الناس يطلع على الحديث المسؤول عنه وبمجرد ما يعرف أن ابن الجوزي قد حكم بوضعه وأن من جاء بعده ممن تعقبه كالسيوطي وابن عراق ضَعَف الحديث، وأن حديث أنس: «أمر بلال أن يشفع الأذان ويوتر الإقامة» في أعلى درجة الصحة وأنه متواتر: يحكم بأن المشروع في الإقامة هو الإيتار وأن تثنية الإقامة قد وردت من طرق تجعل الحديث من قسم الصحيح أو الحسن كما أنها لا تعارض أحاديث الإيتار حتى ترجح أحاديث الإيتار عليها؛

لكونها أصح سنداً وأكثر طرقاً ورواة؛ لأن الترجيح لا يكون إلا بعد التعارض الكلي الذي لا يمكن معه الجمع بين الحديثين بأي وجه من وجوه الجمع، ولا سيما وأن القاعدة - فيما جاءت فيه روايات بعضها زايد على البعض - أنه يعمل بالزائد: لأن العمل بالزائد قد دخل فيه العمل بالمزيد، بخلاف العمل بالمزيد وحده فإن العمل به يلغي الزائد - كما لا يخفى على كل من عرف ما قاله علماء الأصول وشرح الحديث - كما أنه لا مانع للمقيم أن يقيم في بعض الأوقات شفعاً وفي بعض الأوقات وترأً ليكون قد عمل بجميع ما ورد من الأحاديث ويكون غير مبطل لأي حديث ورد في هذا الباب ولا يرجح أحد الحديثين على الآخر ما دام ليس بينهما أي تعارض).

ولم يقتصر القاضي محمد على هذه الإجابة، بل جاد بما عنده لتعم الفائدة، وهذا ضرب من الجود بالعلم، فهذا هو يلخص جوابه ليستوعبه السائل، وليكون على بصيرة من الأمر وبينه:

○ والخلاصة:

- حديث: «أذن بلال لرسول الله مثنى مثنى وأقام مثل ذلك»: موضوع عند ابن الجوزي، وضعيف عند السيوطي وابن عراق وابن طاهر وغيرهم.
- جاءت أحاديث تدل على تشية الإقامة من قسم الصحيح أو الحسن الصالح للاحتجاج.
- جاءت أحاديث في الإيتار بالإقامة في جميع الألفاظ وهي في غاية من الصحة بل متواترة.
- جاءت أحاديث في الإيتار في الإقامة إلا في التكبير الذي في أول الإقامة والذي في آخرها وفي «قد قامت الصلاة» وهي صحيحة أيضاً.
- لا تعارض بين أحاديث تشفيع الإقامة وترها ما دامت كلها صالحة للاحتجاج، وإن كانت أحاديث الإيتار أصح؛ لأن أحاديث الشفع قد تضمنت الإيتار وزيادة، والعمل بالزائد أولى من العمل بالمزيد ولا تعارض بين الزائد والمزيد.
- لا مانع من أن يقيم المقيم بأي صفة من صفات الإقامة، فالكل قد

ورد، والدين يسر، والشريعة سمحه وكل من ذهب إلى قول قد احتج بدليل فمن أحب أن يعمل بأدلة القائلين بالإيتار فليعمل ولا حرج، ومن أحب أن يعمل بأدلة القائلين بالتشفيع فلا جناح عليه، ومن أحب أن يعمل في بعض الأوقات بصفة من الصفتين الواردتين وفي بعض الأوقات بالصفة الأخرى فلا مانع له، وإن كان الأفضل هو العمل بموجب حديث بلال.

المهم أن لا يسيء الظن بالفريق الآخر أو يستنكره أو يدعي أن مخالفه مخطئ أو أن إمامه ليس له دليل.

وكلهم من رسول الله ملتمس غرقاً من البحر أو رشفاً من الدميم^(١)
والله ولي الهداية والتوفيق، وسبحان الله العظيم وبحمده سبحان الله العظيم.



(١) شرف الدين أبي عبد الله محمد البوصيري، بردة المديح المباركة، انظر مجموع المتون الكبير المشتمل على ٦١ متناً مطبوعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر جمادى الأولى ١٣٤٠ هـ ص ٥٠.

الاختيارات الفقهية

كما سبق فقد رأيت أن أكتب رؤوس أقلام إشارة إلى الاختيارات الفقهية التي ظهر في كثير منها اجتهاد القاضي، مما وافق فيها أحد الأئمة من غير قصد منه إلا اللّهم عملاً بالدليل.

وهذه القائمة من اختياراته الفقهية، وهي نموذج لمعرفة المترجم له على سبيل المثال، وإلا فإن اختياراته كثيرة، وتحتاج إلى بحث مستقل، وإذا أمد الله في العمر خرجت ذلك البحث إن شاء الله.

○ باب الطهارة:

- الطهارة الصغرى تدخل تحت الطهارة الكبرى.
- غسل الجنابة يصح بدون ذلك ولكن ذلك أحوط.
- لا وضوء على من مس إلبته أو خصيته.
- الكذب، والغيبة، والنميمة، والقهقهة في الصلاة لغير عجب، وأذية المسلم، وارتكاب الكبيرة لا تنقض الوضوء كما هو الحال عند الهادوية.
- يجوز استعمال الماء المستعمل للوضوء إذا كان لا يزال على إطلاقه.
- اختيار القاضي في مسألة مسح الخفين: المسح. خلافاً للهادوية والجعفرية والأباضية.

○ وفي باب الصلاة:

- اختار القاضي العمراني أن التوجه يكون بعد تكبيرة الإحرام، واختار الدعاء المروي عن أبي هريرة مرفوعاً «اللهم باعد بيني وبين خطايا..».
- وفي مسألة التعوذ هل تكون مرة واحدة بداية الركعة الأولى أم في كل ركعة؟ اختار أن تكون مرة واحدة في بداية الركعة الأولى ووافق فيها جمهور العلماء.

- وفي مسألة الجهر أو الإسرار بالبسملة: اختار فيها أن تكون على مذهب القوم، إذا هم يجهرون بجهر بها الإمام، وإذا هم ممن يسرون بها أسر؛ حسماً لمادة الخلاف.

- واختار جواز الصلاة بالنعال.

- الإسرار والجهر في الصلوات سنة وليس بواجب.

- في مسألة التأمين: اختار أن يجهر بها الإمام، أما المؤتم فهو مخير بين الجهر والإسرار.

- وفي قراءة الفاتحة للإمام والمأموم: عنده شرط من شروط الصلاة.

- الافتراش بين السجدين سنة وليس بواجب.

- التشهد الأوسط واجب.

- الصلاة على النبي ﷺ في التشهدين في الصلاة واجب، والتسليم واجب.

- صلاة العيدين واجبة وليست سنة.

- وإذا وافق يوم الجمعة يوم عيد فيسقط الوجوب في صلاة الجمعة وتبقى السنية.

- وفي المسبوق هل يدرك الركعة بإدراك الركوع؟ عند العمراني لا، إلا بقراءة الفاتحة والإمام لا زال راکعاً قبل أن يقيم صلبه.

- وإذا جاء المسبوق والإمام في التشهد الأوسط فلا يقرأه لأنه ليس محلاً له؛ إذ هو مسبوق.

- وفي التسبيح: اختار العمراني «سبحان ربي العظيم» بغير زيادة «وبحمده».

- إذا سلم المصلي من ركعتين سهواً يضيف إليها ركعتين، ولا يستأنف، ويسجد للسهو.

- يجوز أن يصلي ناقص الصلاة والطهارة بغيره^(١).

(١) هذه المسألة مشهورة عند الزيدية، فناقص الصلاة: كمن به مرض يمنعه من فعل بعض =

- القصر في السفر واجب .
- إذا أغمي على رجل يوماً وليلة يقضي الصلاة، وإذا أغمي عليه أكثر من ذلك فلا قضاء عليه .
- يجوز للمتفل أن يصلي بالمفترض والعكس .
- السجود المنفرد: عبادة يؤجر عليها المرء ويشترط فيها الطهارة واستقبال القبلة، وسكت عن تكبيرة الإحرام فيها والسلام .
- وفي القنوت: يختار القاضي العمراني أن فعله وتركه حسن ولا داعي للخلاف .

○ في باب الصيام:

- لا يجوز صيام يوم الشك .
- رؤية هلال رمضان تجوز بشهادة واحد (عدل) .
- من تفرد برؤية هلال رمضان، ولم يستطع أن يوصل شهادة إلى أهلها والحكومة في ذلك البلد، فعليه أن يصوم متكماً، ويفطر في العيد ولكن متكماً .
- وإذا كان في غير بلاده وثبتت الرؤية في بلاده ولكن الناس في بلاد سفره لم تثبت عندهم رؤية الهلال، فالظاهر أن يصوم مع أهل البلد الذي هو فيه .
- في القُبلة للصائم: اختار فتياً عائشة رضي الله عنها إذ رخص النبي ﷺ للشيخ بالقبلة ونهى الشاب عنها، وهذا الأمر يرجع إلى الشخص نفسه إن كان يملك إربه أو لا!
- يصح الاعتكاف في أي مسجد ولو لم يصل فيه الجمعة، بل يخرج لصلاة الجمعة ويرجع إلى المسجد ليكمل اعتكافه .
- من جامع في نهار رمضان فعليه كفارة ككفارة الظهر وجوباً، وليس ندباً كما قالت الهادوية .

= أركانها كالقيام، وناقص الطهارة: كمن في بعض أعضاء وضوئه ما يمنعه من غسله بالماء. انظر: الدراري بتحقيق حلاق، ١/١٧٩ (مرجع سابق)، وهي من المسائل المشتهرة في اليمن حيث يتواجد المذهب الهادوي ويسمى ناقص صلاة، والمتميم ناقص طهارة.

○ في باب الزكاة:

- ليس على المستغلات زكاة، خلافاً للمذهب الزيدي.
- تزكي المرأة على حليها الملبوس، عملاً بالأحوط.
- إذا مات الميت وعليه زكاة وعليه أيضاً دين، فيقضي دين الغرماء أولاً، وأن الله ﷻ في حقه يعفو ويغفر.
- الزكاة على الدين إن كان مرجوياً يزكي عليه، وإلا فلا زكاة عليه إن كان ميؤوساً منه.
- زكاة الفطر في شهر رمضان يجوز أن تكون ولايتها لصاحبها، ويجوز أن تسلم للدولة وتبرأ الذمة بتسليمها إلى الدولة.

○ في باب الحج:

- الحج ثلاثة أنواع: قران وتمتع وإفراد.
- تلتقط أحجار رمي الجمرات من أي مكان.
- المبيت في منى واجب.
- التمتع أفضل من الإفراد والقران.
- ليس على القارن طوافان وسعيان.
- يجوز لمن هو في مكة الإحرام من بيته أو من التنعيم.
- لا بأس لتعدد العمرة، خاصة وقد تعقدت أمور السفر والذهاب إلى مكة وأصبح شبه محال، خاصة للفقير.

○ في باب النكاح والطلاق:

- إذا كان الابن والجد يعيشان والأب قد توفي، فلمن ولاية زواج المرأة؟ عند العمراني يوكل الابن الجدّ تأدياً.
- لا يصح للرجل أن يزوج ابنه الصغير نيابة عنه، فيقول في العقد: قبلت عن ولدي الصغير.
- زواج المتعة حرام.
- إذا اشترطت المرأة أن تكون العصمة بيدها فلا يصح ذلك، وهو شرط ملغي وليس في كتاب الله.

- الزواج من كتابية الأصل: فيه الجواز إذا كان القادم على الزواج على درجة من التدين والتحصيل الشرعي، ولكن الغالب هذه الأيام على المتزوج بالنصرانية أنه ليس مثلاً أعلى في الإسلام، بل يغلب عليه التميع والانحراف وربما تنقلب عليه المرأة وتنصّر أولاده.

- الكفاءة في عقد الزواج في الدين فقط لا في الدين والنسب كما يقول متأخرو الهادوية.

- يثبت التحريم في الرضاع بخمس رضعات مشبعات.

- وفي مسألة العزل: يجوز برضاء الزوجة وإلا فلا.

- إيلاء العبد لا يكون نصف إيلاء الحر.

- في الحضانة: بخير الطفل المميز، فأبما اختار جنح به إليه، مع سؤال الطفل عن سبب اختياره للأم أو للأب؛ لأنه في هذه الحالة قد يكون السبب أن أحدهما يمكنه من اللعب والآخر لا يمكنه فينظر في مصلحة الطفل.

- طلاق السكران يقع.

- المتوفى عنها زوجها وهي حامل تنتهي عدتها بمجرد وضع الحمل، ولا تتزين.

- إذا خالعت المرأة زوجها، فلا ترد له إلا المهر دون زيادة.

- الطلاق البدعي يقع مع الإثم.

- المرأة المطلقة قبل المس لا عدة لها.

- ليس للحاكم أن يحكم بعلمه أبداً.

○ في الأيمان:

- لا تنعقد اليمين على الغير.

- يمين اللغو التي ليس عليها كفارة تفسر بثلاثة أحوال وهي: قول: (لا والله) و(بلى والله). أو أن يحلف على شيء متيقناً منه فيبين خلافه، أو هي اليمين في حال الغضب الشديد.

- لا بد من استئذان الوالدين في الجهاد.

- الاحتكار حرام سواء في القوت أو في غيره لأن ما ألحق الضرر بالناس

فهو حرام.

- يجوز بيع الشيء بأكثر من ثمن يومه لأجل النساء .
- إذا حلف المرء على أن لا يدخن وألا يخزن، ثم عاد، فليس عليه كفارة؛ بل هو آثم ويستغفر الله ويتوب إليه .

○ ومن المسائل العصرية :

- قيادة المرأة للسيارة: الظاهر فيها الجواز داخل المدينة أما إذا خرجت فلا يجوز لها ذلك .
- سفر المرأة من دولة إلى أخرى بدون محرم لضرورة سياسية جائز، بشرط أن يستقبلها محرم، وبشرط عدم تعدد المحطات، أي: سفر واحد من غير مرور على عدة دول مع التوقف .
- اللحوم المستوردة هي شبهة من الشبهات، إلا إذا تبقنا من ذبحها على الطريقة الإسلامية وأنها ذبحت على أيدي كتابيين .
- أذونات الخزانة نوع من أنواع الربا فهو حرام .
- التأمين سواء على الحياة أو على غيرها حرام لأن فيه غرر .
- الانتخابات إذا كانت تحقق مصلحة للمسلمين فهي جائزة .
- في مسألة زرع الأعضاء ونقلها من شخص إلى آخر: يقول العمراني: إذا أجاز واهب العضو قبل وباختياره فالظاهر أنه لا مانع .
- أما في مسألة طفل الأنبوب: يقول القاضي: إذا كان للضرورة، يشترط أن يتأكد من أن المني مني الزوج والبويضة هي من الزوجة، فلا بأس بذلك، ويؤكد أنه لا يلجأ إليه إلا ضرورة .
- وفي مسألة الإجهاض: قال حفظه الله: إذا كان الحمل سيؤدي إلى ضرر الزوجة وربما أدى إلى هلاكها، وكذا إذا كانت المرأة مغتصبة مثلاً فيلجأ إليه في حالة الضرورة، ولكن يكون ذلك قبل التخلق . والله أعلم .



منهجه في العقائد

التأمل في منهج القاضي في مرحلة الطلب يجد أنه خالف أقرانه من الزيدية في منهج الدراسة، حيث اهتم بكتب الحديث والفقه، ولم يهتم كثيراً بكتب الأصول الزيدية التي تدعو إلى الاعتزال مثل «الأساس»^(١) و«الثلاثين مسألة»^(٢) و«العقد الثمين»^(٣)، وكلها مؤلفات على الأصول الزيدية الاعتزالية؛ وكذا قرأ وطالع للعلماء والأعلام، مثل الشوكاني، والأمير، ومحمد رشيد رضا، حتى تأثر بهم وبمنهجهم، ويبدو أنه ركز على المسائل الفقهية أكثر من مسائل الكلام عملاً بوصية السيد العلامة محمد بن إسماعيل الأمير لأولاده وأحفاده الذين منهم شيخه العلامة عبد الكريم بن إبراهيم، بأن لا يقرؤوا علم الكلام أبداً.

فنفر منه نفرة الصحيح من المجذوم، حتى إنه جعل بينه وبين المسائل الكلامية حاجزاً بعد هذه الوصية، وقال: سوف أجد هذه المسائل في كتب الحديث ولا داعي للتوقف عندها كثيراً.

(١) الأساس في أصول الدين، للإمام القاسم بن محمد بن علي بن محمد بن الرشيد (٩٦٧ - ١٠٢٩هـ). البدر الطالع ٤٧/٢.

(٢) الثلاثين مسألة للعلامة أحمد بن يحيى بن حابس الصعدي اليماني (ت ١٠٦٧هـ)، البدر الطالع ١٢٧/١. مصادر الفكر العربي والإسلامي، ص ١٦٢ لابن حابس.

(٣) العقد الثمين في عقيدة رب العالمين، للأمير حسين بن بدر الدين محمد بن ... (ت ٦٦٢هـ).

انظر: ترجمته في رحيق الأزهار، وفي تراجم الرجال المذكورين في شرح الأزهار للمؤلف أحمد بن عبد الله الجنداري، وإحياء التراث العربي، بدون تاريخ، طبع على نفقة وزارة العدل في اليمن، ص ١٢. عن مطلع البدر ومجمع البحور للقاضي أحمد بن صالح بن محمد بن أبي الرجال.

وعندما يُسأل عن هذه المسائل يلتمس السائل منه نفرة، فلا يكاد يتكلم بشيء، إلا أنه يقول كلاماً مجملاً: آمنا بالله، والأصل أن الإيمان بالصفات والأسماء كما جاء به الكتاب وجاءت به السنة، والسؤال عن هذه الأمور من البدع ومن تضييع الأوقات، ولن يسألنا الله تعالى عنها في الآخرة، بل يسألنا عن التكاليف التي كلفنا بها من أمور العبادات والمعاملات، ولا داعي للخوض فيما لم يخض فيه السلف.

ولتوضيح هذا الكلام، فقد سجلت له جواباً عن استفسار استفسره أحد الطلاب وهو: ما قولكم في الأسماء والصفات؟

فأجاب: (آمنا بالله)؛ ثم أردف إجابته بما أجاب به الإمام مالك بن أنس: (الكيف مجهول، والاستواء معلوم، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة)، ثم قال: (السؤال عن هذه الأمور من البدع، وعلينا التسليم، ولا فائدة تُجني من وراء البحث عن هذه المسائل، ولننقل: سمعنا وأطعنا وآمنا وصدقنا، ويسعنا ما وسع السلف في عدم بحثهم لهذه المسائل، ونسأل عما كلفنا به في مسائل الصلاة، الطهارة...).

وفي نظر الباحث: أن هذه الإجابة فيها إيجاز وإقناع، وإغلاق لباب أهل البدع والأهواء، وكذا فيها شفاء لمن له حظ من العلم عن أحوال السلف؛ حيث كانوا يكرهون أهل الأهواء وأصحاب التنطع في المسائل (الكلامية) ويغلقون عليهم الأبواب، ويقولون لهم: إن الصحابة ما سألوا رسول الله ﷺ عن هذه المسائل، ولا حرضوا عليها، وهم الحريصون على التعلم والحريصون على العلم بما يجب عليهم الله تعالى، ويقولون لهم: لسنا بأعلم من رسول الله ﷺ؛ إذ لم يعلمهم هذه المسائل، فالدخول فيها خطير، ومنزلتُ سحيق، وهاوية يتردى فيها من لم يتبع سبيل المؤمنين.

وأحسن شيخنا الشيخ محمد الصالح العثيمين حين قال: (وأي إنسان يسأل فيما يتعلق بصفات الله عن شيء ما سأل عنه الصحابة، فقل كما قال الإمام مالك، فإن لك سلفاً: السؤال عن هذا بدعة، وإذا قلت هذا لن يلح عليك، وإذا ألح فقل: يا مبتدع، السؤال عن هذا بدعة، اسأل عن الأحكام التي أنت مكلف بها، وأما أن تسأل عن شيء يتعلق بالرب ﷻ وبأسمائه وصفاته ولم يسأل

عنها الصحابة، فهذا لن يقبل منك أبداً^(١).

أي: أن العمراني حفظه الله يخالف المبتدعة من المعتزلة الزيدية الذين ينفون الصفات ويعطلونها، فهو يثبت لله صفاته وأسمائه كما أثبتها هو لنفسه من غير تأويل ولا تعطيل ولا تكييف.

وهذا لعمر الله نهج السلف والصالحين من الخلف، وهو نفسه الذي انتهجه ابن الوزير والأمير والشوكاني من علماء أهل السنة في اليمن، ولم يكونوا قط معتزلة كما يسميهم كتاب اليوم ممن كتب في هذا الشأن. وهذا نموذج مما كان عليه الوضع في العهد الملكي يسوقه شيخنا في إحدى حلقاته العلمية:

تجادل زيدي (معتزلي) مع شافعي (أشعري) فقال الزيدي: الله تعالى خالق الخير ولم يخلق الشر. قال الأشعري: الله تعالى خالق الخير والشر. فقال الزيدي: ما هو دليلك على ما تقول؟ قال الأشعري: قوله تعالى: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾^(٢)، وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَهْوَدُ بَرِيٍّ أَلْفَلَقِ﴾^(٣) بين شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿١﴾ ﴿٢﴾. فسكت المعتزلي. وأيد العمراني الشافعي الأشعري بهذا فقط، ثم أردف كلامه بقوله: (إن مَسَائِلَ الاعتقاد مثل: الرؤية، والشفاعة، ومرتكب الكبيرة، وعذاب القبر، وغيرها من المسائل الاعتقادية: لا ينبغي الخوض فيها إلا في حدود الحاجة والضرورة).



(١) شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية، شرح سماحة الشيخ محمد الصالح العثيمين، تحرير محمد بن فواز الصميل، دار ابن الجوزي، ط ٤ (١٤١٧هـ).

(٢) سورة الرعد: الآية ١٦. (٣) سورة الفلق: الآية ١.

مخالفة القاضي العمراني للهادوية

لقد قيل: إن العمراني زيدي هادوي، ولكن مخالفته للهادوية تبدو جلية وواضحة في المسائل الفقهية وفي المسائل العقدية، وهذه جملة من المسائل الفقهية خالف فيها المذهب الزيدي على الرغم من تربيته عليه ونشأته في وسطه، وقد تبين في المسائل العقائدية مخالفته للمذهب المعتزلي، ولا ريب في ذلك أبداً.

* ففي باب النجاسات على سبيل المثال لا الحصر:

١ - لبن الحيوانات غير المأكولة ليس بنجس.

٢ - الكافر ليس بنجس نجاسة حسية.

٣ - الخمر ليس بنجس نجاسة حسية.

* في باب المياه:

لا ينجس الماء إلا بتغيير ريحه أو طعمه أو لونه، بسبب النجاسة، سواء كان قليلاً أو كثيراً.

* في باب قضاء الحاجة:

١ - لا يكره استقبال القمرين ولا يحرم.

٢ - لا يكره إطالة القعود حال قضاء الحاجة.

٣ - إذا كانت الأحجار ثلاثاً فصاعداً وأزالت النجاسة، فهي كافية في التطهير، وإن كان الماء أفضل.

* في باب الوضوء:

١ - الفرجان ليسا من أعضاء الوضوء.

٢ - المسح على الخفين مشروع.

٣ - لا يندب إمرار الماء على ما حلق أو قشر من أعضاء الوضوء.

- ٤ - ينتقض الوضوء بمس الذكر.
- ٥ - لا ينتقض الوضوء بهذه الأشياء الستة:
- ١ - ارتكاب المعصية. ٢ - الكذب. ٣ - الغيبة. ٤ - النسيئة. ٥ - أذية المسلم. ٦ - الفقهية في الصلاة لغير عجب.

*** في باب الغسل:**

- ١ - لا يجب على المني أن يبول قبل الغسل.
- ٢ - لا يندب الغسل في ليالي القدر.
- ٣ - لا يندب الغسل لدخول الحرم بل للإحرام.
- ٤ - لا يندب الغسل لدخول مكة المكرمة.
- ٥ - لا يندب الغسل لدخول الكعبة.
- ٦ - لا يندب الغسل لدخول المدينة المنورة.

*** في باب الحيض:**

- ١ - العبرة في الحيض بلون الدم وبالعادة السابقة، لا بمضي عشرة أيام.
- ٢ - لا صحة لما روي أن أقل الحيض ثلاثة أيام وأكثره عشرة أيام.
- ٣ - لا يندب للحائض أن تتوضأ عند كل وقت صلاة.

*** من باب التيمم:**

- ١ - يكفي ضربة واحدة للوجه والكفين.
- ٢ - التيمم يكون في الكفين وليس في الساعد والرسغ والمرفقين.
- ٣ - نواقض الوضوء هي نواقض التيمم، وليس للتيمم نواقض زائدة على نواقض الوضوء، إذا وجد الماء أو استطاع استعماله.
- ٤ - لا يجب على التيمم إذا أراد الصلاة المكتوبة الانتظار إلى آخر الوقت، بل لا مانع له من الصلاة في أول الوقت.

*** وفي باب الأوقات:**

- ١ - آخر وقت العصر ما دامت الشمس بيضاء نقية لم تصفر.
- ٢ - آخر وقت العشاء نصف الليل.
- ٣ - لا يجوز الجمع بين الصلاتين في الحضر إلا لعذر المطر.

❖ في باب الأذان:

- ١ - لا مانع من تريباع الأذان أو تثنيته .
- ٢ - لا مانع من الترجيع أو تركه .
- ٣ - لا يكره النفل قبل صلاة المغرب بعد الأذان .

❖ من باب صفة الصلاة:

- ١ - القراءة في الصلاة للفاتحة شرط من شروط صحة الصلاة لا فرض .
- ٢ - القراءة للفاتحة في كل ركعة واجبة، ولو كان المصلي مؤتمراً بإمام في الجهرية .
- ٣ - التورك مشروع في التشهد الأخير في كل صلاة فيها تشهدان .
- ٤ - مشروعية الضم على جهة السنة .
- ٥ - مشروعية الرفع في المواضع الأربعة على جهة السنة .
- ٦ - مشروعية التأمين على جهة السنة .
- ٧ - مشروعية الدعاء في الصلاة بعد الصلاة على النبي ﷺ في التشهد الأخير .
- ٨ - مشروعية الصلاة على النبي ﷺ في آخر التشهد الأوسط .
- ٩ - لا يكره استقبال المصلي للمحدث .
- ١٠ - لا يكره استقبال المصلي للمتحدث .
- ١١ - لا يكره استقبال المصلي للفاسق .
- ١٢ - لا يكره استقبال المصلي للنجس .
- ١٣ - يكره استقبال المصلي ما يشغله .
- ١٤ - لا مانع من دخول الكافر المسجد إذا كان سيدخله بأدب واحترام .



الأدلة على بعض الاختيارات

المسألة الأولى: يستدل القاضي العمراني على أن لبن غير المأكول ليست بنجسة بقاعدة أصولية مشهورة عند الفقهاء تسمى (حق استصحاب البراءة الأصلية) ويعبر عنها الفقهاء بأن: الأصل في الأشياء النافعة الإباحة. وهنا: الأصل الطهارة، فمن زعم نجاسة لبن غير المأكول فعليه الدليل، فإن عجز أو جاء بما لا تقوم به الحجة فعلينا الوقوف على ما يقتضيه الأصل والبراءة.

المسألة الثانية: استدلال الهادوية بقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ بنجاستهم النجاسة الحسية مخالف للجمهور، وأجابوا عنهم: بأن المراد بالآية أنهم نجس في الاعتقاد، وحجتهم على صحة هذا التأويل: أن الله سبحانه أباح نساء أهل الكتاب، ومعلوم أن عرقهن لا يسلم منه من يضاجعهن، ومع ذلك فلا يجب من غسل الكتابية إلا مثل ما يجب عليهم من غسل المسلمة^(١)، ومجديث إنزاله ﷺ وفد ثقيف المسجد، قيل: يا رسول الله، أتزلهم المسجد وهم أنجاس؟ فقال رسول الله ﷺ: «ليس على الأرض من أنجاس، إنما أنجاس القوم على أنفسهم». وهذا صريح في نفس النجاسة الحسية وإنما هي نجاسة الاعتقاد والاستقذار^(٢).

وقال الإمام ابن كثير في تفسير الآية ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾^(٣): «... وأما نجاسة بدنه فالجمهور على أنه ليس بنجس البدن والذات؛ لأن الله تعالى أحل طعام أهل الكتاب.

ومن أدلة الجمهور أنه ثبت في الصحيح: «أن النبي ﷺ وأصحابه توضؤوا من مزادة مشركة» متفق عليه^(٤). وربط ثمامة ابن أثال وهو مشرك بسارية من

(١) نيل الأوطار ٢٣/١.

(٢) نيل الأوطار ٢٣/١، السيل الجرار (٧٨/١).

(٣) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، دار الأندلس، حائل (١٤١٣هـ) ٢/٣٣٢ سورة التوبة.

(٤) بلوغ المرام من أدلة الأحكام: الحافظ ابن حجر العسقلاني، تصحيح محمد حامد الفقي، =

سوارى المسجد، وأكل النَّبى ﷺ من الشاة اللى أهدها إله يهودية من خيبر، وغيرها من الأدلة المتواترة.

المسألة الثالثة: خالف العمرانى الهادوية فى كون نجاسة الخمر نجاسة حية.

واختار فى ذلك ما اختاره ربيعة والليث بن سعد والمزنى صاحب الشافعى وبعض المتأخرين من البغداديين، فأوا أنها طاهرة وأن المحرم إنما هو شربها^(١). . . إلخ.

ومن المتأخرين فيما أعلم: الشوكانى والأمير، وكذا علماء المجمع الفقهى فى العربية السعودية^(٢). والدليل على أن نجاستها معنوية: اقترانها بالميسر والأنصاب والأزلام اللى لم تكن نجاستها حية. والدليل الآخر هو من السنة، وهو: أنه لما نزل تحريم الخمر لم يأمر النبى ﷺ بغسل الأواني منها، وكذلك فإن الصحابة رضوان الله عليهم أراقوها فى الأسواق، ولو كانت نجسة ما أراقوها لما يلزم من تلويثها وتنجيس الناس بها، وغيرها من الأدلة اللى ذكرها القائلون بطهارة الخمر فى مظانها.

المسألة الرابعة: ومن اختياراته اللى خالف فيها الهادوية: أن لا فرق بين الماء القليل والكثير بمخالطة النجاسة إلا بتغير أحد أوصافه الثلاثة: ريحه أو طعمه أو لونه.

= مكتبة الجيل الجديد، صنعاء، مؤسسة الكتاب الثقافية، ط١ (١٤٠٧هـ)، ص ٣٠.

(١) انظر: ابن عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى فى: الجامع لأحكام القرآن، تحقيق عبد الزراق المهدي. توزيع مكتبة الرشد، الرياض، ودار الكتاب العربى، بيروت، ط١ (١٤١٨هـ - ١٩٩٧م)، ج ٦ تفسير آية ﴿إِنَّمَا كُنَّتُمْ وَالْبَيْتُ وَالْأَصْدُقُ وَالْأَذْنُ بِمَنْ عَنِ الشَّيْطَانِ...﴾ إلخ من سورة المائدة ص ١٦٩.

(٢) محمد بن إسماعيل الأمير الصناعى: سبل السلام، دار الفكر، ٣٥/١ (مرجع سابق). محمد بن على الشوكانى: الدرارى المضيئة شرح الدرر البهية تحقيق صبحى حلاق، مكتبة الإرشاد، ط١ (١٤١٤هـ - ١٩٩٣م) ٩٨/١، ٩٩. فتاوى إسلامية لأصحاب الفضيلة العلماء: عبد العزيز بن باز، محمد بن صالح بن عثيمين، عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين، إضافة إلى النخبة الدائمة والمجمع الفقهى، دار الوطن، الرياض ١٩٤/١.

وهو مذهب الظاهرية ومالك في أحد قوليهِ، وجماعة من أصحابهِ، ومن آل البيت القاسم يحيى بن حمزة وجماعة من آل، عملاً^(١) بقول رسول الله ﷺ: «إن الماء طهور لا ينجسه شيء»^(٢).

وإنما قالوا بعدم طهورية ما غيرت النجاسة أحد أوصافهِ للإجماع على ذلك. قاله الشوكاني، والأمير، بالرغم من أنهما ينكران الإجماع، ولكنهما يرجعان إليه في كثير من مسائلهما. هكذا قال العمراني أثناء شرحه لنا في المسجد.

المسألة الخامسة: كراهة استقبال القمرين.

أقول: وهي من جملة المسائل التي خالف فيها القاضي العمراني الهادوية، ووافق فيها اختيار شيخ الإسلام الشوكاني رحمته؛ ولذا فإني أكتفي بما قاله الشوكاني في «السيل الجرار» فقد بالغ في الرد عليهم وأوضح الحجة وبينها. قال رحمته: (وأما كراهة استقبال القمرين فهذا من غرائب أهل الفروع، فإنه لم يدل على ذلك دليل لا صحيح ولا حسن ولا ضعيف، وما روي من ذلك فهو كذب على رسول الله ﷺ، ومن رواية الكذابين، بل أتى الدليل الصحيح بخلاف ذلك في الصحيحين وغيرهما، عن أبي أيوب الأنصاري: «ولا تستقبلوا القبلة ولا تستدبروها بغائط أو بول، ولكن شرقوا أو غربوا»^(٣). وإن كان بالقياس على القبلة فقد اتسع الخرق على الراقع ويقال لهذا القانس: (ما هكذا يا سعد تورد الإبل).

وأعجب من هذا إلحاق النجوم النيرات بالقمرين، فإن الأصل باطل فكيف بالفرع؟ وكان ينبغي لهذا القانس أن يلحق السماء فإن لها شرفاً عظيماً لكونها مستقر الملائكة، ثم يلحق الأرض لأنها مكان العبادات والطاعات ومستقر عباد الله الصالحين، فحينئذ تضيق على قاضي الحاجات الأرض بما رحبت، ويحتاج أن يخرج عن هذا العالم عند قضاء الحاجة.

(١) انظر: سبل السلام ١٧/١.

(٢) يعرف هذا الحديث بحديث بئر بضاعة، أخرجه الثلاثة، وصححه أحمد، هكذا في توضيح الأحكام في بلوغ المرام لعبد الله بن عبد الرحمن البسام، دار القبلة الثقافية الإسلامية، جدة، ط ١ (١٤١٣هـ)، ١٢٥/٢. وقال: حسنه الترمذي اه. وخرجه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته ٣٩٠/١.

(٣) الحافظ ابن حجر: بلوغ المرام من أدلة الأحكام، ص ٢١، (مرجع سابق).

وسبحان الله، ما يفعل التساهل في إثبات أحكام الله من الأمور التي يبكى لها تارة ويضحك منها أخرى^(١).

المسألة السادسة: (وهي مسألة كراهة إطالة القعود حال قضاء الحاجة). وهذه المسألة هي كذلك، قال فيها الشوكاني ما ليس بعده لأحد مقال، وهو اختيار العمراني حينما قال: أقول: هذا إن كان مرجعه الشرع كما هو شأن من يتكلم في الأحكام الشرعية فلا شرع، وإن كان مرجعه الطب فليس الكتاب^(٢) مدوناً كذلك، ومما يضحك منه التمسك بما روي عن لقمان الحكيم أنه يورث الباسور^(٣).

فيا لله العجب ممن لا يتحاشى عن تدوين مثل هذا الكلام في كتب الهادوية ولقد أبعد النجعة من اعتمد في مثل هذه المسألة الشرعية على لقمان الحكيم^(٤).

المسألة السابعة: أما مسألة الأحجار في الاستجمار، فإن الهادوية يوجبون الاستنجاء بالماء للصلاة، ولا يكتفون بالأحجار، وإن طهر المحل، وقد يرد عليهم العلماء المجتهدون من الزيدية أمثال القبلي^(٥) والأمير في سبل السلام^(٦) والشوكاني في نيل الأوطار^(٧) واختاروا ما ذهب إليه الشافعية والحنفية من عدم وجوب الماء أن الأحجار تكفي إذا طهر المحل.

○ وفي باب الوضوء:

المسألة الثامنة: قالت الهادوية بأن الفرجين من أعضاء الوضوء، آخذين بقول المهدي ومن سبقه ناسبين ذلك إلى الهادي يحيى بن الحسين، قال في متن الأزهار: فصل: (وفروضه غسل الفرجين بعد إزالة النجاسة..)^(٨).

(١) السيل الجرار ٧٠/١ (مرجع سابق).

(٢) يقصد: كتاب متن الأزهار في فقه الأئمة الأطهار، للإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى، وكتاب السيل هو رد وانتقاد على كتاب الأزهار.

(٣) انظر: السيل ص ٧٠، ٧١. (٤) انظر: السيل ص ٧٠، ٧١.

(٥) صالح بن مهدي القبلي، المنار في المختار من جواهر البحر الزخار، حاشية على البحر الزخار مؤسسة الرسالة، بيروت، ومكتبة الجيل الجديد، صنعاء (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م) ص ٤٣.

(٦) ٧٨/١ (مرجع سابق). (٧) ٩٦/١، ٩٧ (مرجع سابق).

(٨) كتاب الأزهار في فقه أئمة الأمصار، للإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى (الخامسة) (١٤٠٣هـ) ص ٢١.

قال الشوكاني في السيل الجرار: (جعل الفرجين من أعضاء الوضوء لم يثبت عن عالم من علماء الإسلام قط، لا من الصحابة ولا من التابعين، ولا من أهل المذاهب الأربعة ولا من الأئمة من أهل البيت).

وذكرُ المصنف له في كتابه هذا قد تبع فيه من تقدمه من المصنفين في الفروع من أهل هذه الديار، وكلهم يجعل ذلك مذهباً للمهادي، وهو أجل قدرأ من أن يقول به، وليس في كتبه حرف من ذلك قط.

ولا أظن هذه المقالة إلا صادرة من بعض الموسوسين في الطهارة، وأهل العلم بأسرهم بريئون عنها، كما أن الشريعة المطهرة بريئة عنها، وليس في الكتاب ولا في السنة حرف يدل على ذلك لا بمطابقة ولا تضمن ولا التزام، ومن استدل لهما بما ورد في الاستنجاء بالماء فهو لا يدري كيف الاستدلال؛ فإن النزاع هو في رفع النجاسة من الفرجين بل غسلهما للوضوء بعد إزالة النجاسة كما ذكره المصنف هنا وذكره غيره^(١).

ولم يكتف بهذا بل شن الغارة عليهم بمحاجة منطقية؛ نكست كل صاحب دعوى من غير برهان.

وهكذا شيخنا، يختار هذا القول؛ إذ هو القول الواضح الذي ليس عليه إثارة من نكارة، بل هو واضح وضوح الشمس، ومن ادعى حكم شيء كما يقول شيخنا فعليه بالدليل الصحيح الصريح ونحن نقف موقف المنع حتى يجيء الدليل بذلك.

وقد اعترض القبلي في المنار واعتبرها من الغرائب التي وقع فيها أكابر العلماء وقال: (ينبغي أن يعتبر العاقل بها ولا يغتفر برفعة قائلها...)^(٢).

المسألة التاسعة: وخالف القاضي العمران الهادوية في قولهم: (وامرار الماء على ما حلق أو قشر من أعضائه)، جعلوه من المندوبات، فقال العمراني أيضاً: ليس هناك إلا الدعوة العارية من الدليل لا من قريب ولا من بعيد، وقد علق

(١) السيل الجرار ١/٧٥، ٧٦.

(٢) المنار في المختار من جواهر البحر الزخار، العلامة المجتهد صالح بن مهدي القبلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء، ط١ (١٤٠٨هـ)، ص٤٤.

الشوكاني على هذا التشريع فقال: (لا مستند لهذا التشريع العجيب إلا مجرد خيالات مختلة وآراء معتلة، فالحكم بالنذب لا يجوز إلا بدليل وإلا كان من القول على الشارع بما لم يقله)^(١).

المسألة العاشرة: اختارت الهادوية أن الوضوء لا ينتقض بمس الذكر، مستدلين بحديث طلق بن علي الياامي قال: قال رجل: مسست ذكري، أو قال: الرجل بمس ذكره في الصلاة أعليه وضوء؟ فقال النبي ﷺ: «لا» أي، لا وضوء عليه «إنما هو بضعة منك»، أخرجه الخمسة وصححه ابن حبان. وذهب إلى أن مسه ينتقض الوضوء جماعة من الصحابة والتابعين ومن أئمة المذاهب أحمد والشافعي، مستدلين بحديث بسرة القرشية: أن رسول الله ﷺ قال: «من مس ذكره فليتوضأ» أخرجه الخمسة، وصححه الترمذي، وابن حبان، وقال البخاري: هو أصح شيء في هذا الباب. وأخرجه غيرهم^(٢).

ولهذا استأنس العمراني إليه لأنه قول الجمهور، والعمراني دائماً يطمئن إلى ما قاله، ويقول العمراني: إن حديث بسرة أرجح، لكثرة من صححه، وهو متواتر.

المسألة الحادية عشر: ينتقض الوضوء عند الهادوية بهذه الأشياء الستة: ارتكاب المعصية، الكذب و... إلخ التي ذكرتها فيما مضى، قال في متن الأزهار: (ونواقضه كل معصية كبيرة غير الإصرار، أو ورد الأثر بنقضها، كتعمد الكذب والنميمة وغيبة المسلم وأذاه والقهقهة في الصلاة لغير عجب)^(٣).

قال الشوكاني في السيل الجرار^(٤): لم يتمسك القائلون بهذا سوى حديث أبي هريرة عند أبي داود أن النبي ﷺ رأى رجلاً مسبلاً إزاره في الصلاة فقال له رسول الله ﷺ: «أذهب فتوضأ» فذهب فتوضأ، ثم أمره مرة أخرى بالوضوء، ثم سكت عنه في الثالثة فقال له رجل: يا رسول الله ما لك أمرته أن يتوضأ،

(١) السيل الجرار ٩٥/١.

(٢) انظر الحديثين وتخرجهما في سبل السلام ٦٦/١، ٦٧.

(٣) (لغير عجب) هكذا كتبها العمراني. حينما كتب لي بعض المسائل التي يخالف فيها الهادوية، وانظر: متن الأزهار، ص ٢٣.

(٤) ٩٩/١.

فقال: إنه كان يصلي وهو مسبل إزاره، وإن الله لا يقبل صلاة رجل مسبل إزاره^(١). ثم لم يتأخر في سؤقي سند الحديث حاكماً عليه بالضعف، وقال: فيا لله العجب من التسرع في إثبات أحكام الله سبحانه بمجرد الخيالات المختلفة والشبه المعتلة.

وأما الاستدلال بأن الكبائر محبطة، فلا يصلح للاستدلال بوجه من الوجوه، ولو سلم لكأن محبطة لكل عمل فعله قبلها من أعمال الخير كائناً ما كان، فلا ينعقد لفاعل كبيرة عمل ولا تثبت له طاعة وهذا باطل بالإجماع^(٢) وليس مراد القائلين بالإحباط إلا إحباط ثواب الطاعة المترتب على فعلها، لا شك في هذا.

وكذلك لم يرد شيء قط في أن الوضوء ينتقض بتعمد الكذب والنميمة والغيبة، لا من وجه صحيح ولا حسن ولا ضعيف خفيف الضعف؛ فإثبات مثل هذا الحكم الذي تعم به البلوى بلا شيء من كتاب ولا سنة ولا قياس ولا وجه من وجوه الاستدلال، ليس من دأب المتورعين فضلاً عن العلماء العاملين.

وأما القهقهة في الصلاة: فقال صاحب المنار (المقبلي): (قد جمع الإمام في هذه المسألة بين المتردية والنطيحة أحاديث واستدللاً... إلخ)^(٣).

وكذا قال الشوكاني: إن ما استدلوا بقصة الأعمى التي أخرجها الطبراني في الكبير عن أبي موسى، وأن في سندها محمد بن عبد الملك بن مروان، أبو جعفر الواسطي، قال عنه أبو داود: إنه لم يكن بمحكم العقل. وقد روى الحديث أيضاً مرسلًا... إلى أن قال: وقد جزم جماعة من الحفاظ أنه لم يصح في كون الضحك ينتقض الوضوء شيء، فليس هاهنا ما يصلح لإثبات أقل حكم في الشرع.

وبهذا يقول العمراني، وكم كرر هذه المسألة في المسجد، وقال: لا يصح فيها حديث أبداً إنما استدلوا بأحاديث ظلمات بعضها فوق بعض.

(١) الحديث أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة ١٦٩/١ رقم ٦٣٨، والشوكاني يضعف الحديث، والألباني ضعفه أيضاً في ضعيف سنن أبي داود، المكتب الإسلامي، ط ١ (١٤١٢هـ - ١٩٩٢م)، ص ٤٠.

(٢) السيل الجرار ١/١٠٠، وانظر: المنار ١/٧٨، ٧٩.

(٣) انظر: المنار، ص ٨٠.

○ وفي باب الغسل :

خالف العمراني في المسائل التالية :

قالت الهادوية: يجب على الممني أن يبول قبل الغسل، فهذا صاحب متن الأزهار يقول: (وعلى الرجل الممني أن يبول قبل الغسل، فإن تعذر اغتسل آخر الوقت وصلى فقط، ومتى بال أعاده لا الصلاة)^(١).

وكعادة الشوكاني يرد عليهم بما لا يستطيعون المحاججة بعده فيقول: (هذا تشريع بغير شرع وإيجاب لما لم يوجبه الله ولا رسوله، ولا دل عليه دليل صحيح ولا حسن ولا ضعيف، والذي رواه شراح الأزهار بلفظ: (إذا جامع الرجل فلا يغتسل حتى يبول) لم يكن من قول الرسول ﷺ ولا من قول أصحابه، بل هو كلام مكذوب وباطل موضوع، وقياسهم لهذا على بقاء شيء في الرحم من الحيضة إلحاق باطل وقياس ما لا أصل له على ما لا أصل له، مع اختلاف السبب، فإن إيجاب الغسل في الحيض سببه نفس الحيض.. إلخ)^(٢).

ثم يعيد الكرة فيقول: (وبالجملة فما هذه بأول غفلة وقعت في المتمسكين بمحض الرأي الناركين للتمسك بأدلة الشرع، بل ما هي بأول جرأة اجتروا عليها وكلفوا عباد الله بها.

والدين يسر، والشريعة سمحة سهلة، وقد كان رسول الله ﷺ يدور في الليلة الواحدة على جميع نساته، وهن تسع، ويغتسل بعد إتيانه لكل واحدة منهن، كما أخرج ذلك عنه الحفاظ، ومعلوم أنه لا يتيسر البول بعد كل غسل حتى يبول تسع مرات في الليلة الواحدة.

وقد ترتب على هذا التشريع البديع ما هو من غرائب التفريع، فقال: (فإن تعذر اغتسل آخر الوقت وصلى فقط، ومتى بال أعاده لا الصلاة). فيا الله العجب من جري قلم التصنيف بمثل هذه الأمور التي يَعْرِفُ سقوطها، وعدم وجود الدليل عليها: أصغر الطلبة لعلم الشرع^(٣).

وهذا المقبل يرد كلامهم بنحو كلام الشوكاني، ولا يستبعد أن الشوكاني

(٢) السيل الجرار ١/١١١.

(١) متن الأزهار، ص ٢٤.

(٣) السيل الجرار ١/١١٢.

استقى كلامه منه، فلينظر فإنه كلام قوي^(١) وإلى هذا ذهب شيخنا العمراني.
وتقول الهادوية بأن الغسل في ليالي القدر من المندوبات^(٢).

رد عليهم الشوكاني بقوله: (ليس على هذا إثارة من علم لا من كتاب ولا من سنة، ولا من إجماع ولا في قياس صحيح، ولا من قول صحابي، وما قيل من قياسه على الجمعة: إن كان لجرد الشرف لزمه القول باستحباب الغسل لكل ما له من شرف من الأيام والليالي والأقوال والأفعال، وهذا خرق للإجماع بل خرق للقواعد الشرعية، بل تلاعب بالأحكام الدينية، وإن كان لجامع غير الشرف فلا تدري ما هو...)^(٣).

والمسألة الثالثة في باب الغسل:

تقول الهادوية بأن الغسل لدخول الحرم والكعبة والمدينة وقبر النبي ﷺ مشروع على جهة الندب.

قال في الأزهار: (وتندب.. لدخول الحرم)^(٤).

يقول الشوكاني: إنه لم تثبت مشروعية الغسل لدخول الحرم، ولعل المصنف رحمته يريد بقوله لدخول الحرم فعل الإحرام، فقد أخرج الترمذي وحسنه والدارقطني والبيهقي والطبراني من حديث زيد بن ثابت: «أنه رأى النبي ﷺ تجرد لإهلاله واغتسل»، وفي إسناد الترمذي عبد الله بن يعقوب المدني، لم يتكلم فيه بجرح ولا تعديل، ولكن تحسين الترمذي له يدل على أنه قد عرف حاله، وله متابع^(٥).

أما قوله: والكعبة والمدينة وقبر النبي ﷺ.

فيجيب الشوكاني رحمته كعادته: (لا يخفك أن الحكم بكون الشيء مندوباً هو حكم شرعي لا يستفاد من غير الشرع، فإذا لم يكن في الشرع ما يفيد ذلك فهو من التقول على الله سبحانه بما لم يقل، ومن التشريع للعباد بما لم يشرعه الله لهم، ومن توسيع دائرة الشريعة المطهرة بمجرد الخيالات المختلفة والآراء المعتلة،

(٢) انظر: متن الأزهار، ص ٢٤.

(٤) متن الأزهار، ص ٢٥.

(١) المنار ١/ ٩٠.

(٣) السيل الجرار ١/ ١١٩.

(٥) السيل الجرار ١/ ١٢٠.

وليت شعري ما الحامل على هذا وما المقتضي له؟ فإن القول بذلك ليس من جنس الخطأ في الاجتهاد؛ فإن هذا إنما يكون عند تعارض الأدلة وتخالف القرائن المقبولة.

ثم مجرد دعاوى القياس - على ما في إثبات الأحكام الشرعية بغالب مسالكه من عوج - لا يتم إلا بوجود أصل وفرع بعد تسليم الأصالة والفرعية ثم أمر جامع بينهما جمعاً لا يدخله دفع ولا نقص ولا معارضة، وما كان بدون ذلك فلا يعجز أحد أن يدعيه ويقول به ولو كان سائغاً، لقال من شاء بما شاء وكيف شاء.

ثم كان على المصنف أن يذكر من هذه التي ذكرها: دخول بيت المقدس ودخول مسجد قباء، ودخول قبور الأنبياء ودخول كل ما له شرف.

وسبحان الله ما يفعل التساهل في إثبات الأحكام الشرعية من الفواقير التي يبكى لها تارة ويضحك لها أخرى^(١).

وبنفس هذا المعنى يوجد تعليق للعمرائي في هامش نيل الأوطار، تعليقاً من فهمه أثناء الدرس في المسجد، وذكر لنا تعليق الجلال عليهم بكلام يثير حفاظ أهل المذهب عليه، حتى أنه قال: (قالوا بمشروعية الغسل للحمام، ولا دليل على ذلك إلا لأن المهدي قال: لأنه محل الشيطان!) وأجاب عليه شارح البحر الإمام الحسن بن عز الدين^(٢): يلزم منه الاغتسال للأسواق كذلك!!

○ وفي باب الحيض:

يقول القاضي العمرائي أن العبرة بلون الدم وبالعادة السابقة لا بمضي عشرة أيام، ولا صحة عنده لما روي أن أقل الحيض ثلاثة أيام وأكثره عشرة أيام.

تمسك القاضي العمرائي بهذا الكلام، لورود الأدلة الصحيحة، حيث قال رحمته لفاطمة بنت أبي حبيش التي تستحاض: «إذا كان دم الحيضة فإنه أسود يعرف، فإذا كان كذلك فأمسكي عن الصلاة، فإذا كان الآخر فتوضئي وصلي،

(١) السيل الجرار ١/١٢٠، ١٢١. (٢) أحد أئمة الزيدية المعترين.

فإنما هو عرق»^(١) رواه أبو داود. وأما ما قاله صاحب متن الأزهار: وأقله ثلاث وأكثره عشر^(٢) فإنه لم يأت بذلك دليل صحيح يصلح للاحتجاج، بل كل ما ورد في ذلك إما ضعيف جداً أو موضوع.

○ وفي باب التيمم:

يختار العمراني أنها تكفي ضربة واحدة للوجه والكفين، ولا يكون في الساعد والرسغ والمرفقين، وأن نواقضه هي نواقض الوضوء، وليس للتيمم نواقض زائدة على نواقض الوضوء وليس ثمة دليل على التلوم^(٣) إلى آخر الوقت.

واستدل القاضي بقوله: تكفي ضربة واحدة للوجه والكفين، بحديث عمار: أن النبي ﷺ قال له: «إنما كان يكفيك أن تقول بيدك هكذا ثم ضرب بيديه الأرض ضربة واحدة ثم مسح الشمال على اليمين وظاهر كفيه ووجهه» متفق عليه، واللفظ لمسلم، وفي رواية البخاري «وضرب بكفيه الأرض ونفخ فيهما ثم مسح بهما وجهه وكفيه».

وهذا هو مذهب الإمام أحمد، وقال الترمذي: وهو قول غير واحد من أهل العلم من الصحابة والتابعين، منهم: علي وعمار وابن عباس وعطاء والشعبي وإسحاق، واختاره ابن المنذر وأهل الظاهر. وهذا هو قول فقهاء الحديث واختاره شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم والشوكاني، وعليه العمل عند علماء الدعوة السلفية في نجد وذلك لما جاء في الصحيحين كما هو مشار إليه أعلاه^(٤) خلافاً للجمهور^(٥).

(١) رواه أبو داود، والنسائي، وابن حبان، والحاكم أيضاً بزيادة «فإنما هو داء عرض، أو ركض من ركضات الشيطان أو عرق انقطع».

(٢) المتن، ص ٢٧. (٣) الانتظار إلى آخر الوقت.

(٤) انظر: سبل السلام، ٩٤/١. وانظر: توضيح الأحكام من بلوغ المرام، لعبد الله البسام، دار الفيلة للثقافة الإسلامية، هيئة الإغاثة الإسلامية، جدة، ط ١ (١٤١٣هـ - ١٩٩٢م)، ٣٧٧/١ والسيل الجرار ١/١٣٣.

(٥) انظر: بداية المجتهد ونهاية المقتصد، لمحمد بن أحمد بن محمد بن رشد ٥٢٠ - ٥٩٥، تعليق: محمد صبحي حلاق، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، مكتبة العلم، بجدة، ط ١ (١٤١٥هـ)، ١٧٦/١، ١٧٦/١، ١٧٨.

واختار العمراني أن نواقض الوضوء هي نواقض التيمم، لأن القياس^(١):
أن التيمم بمنزلة الطهارة حتى يجرد الماء، أو يحدث، وهو مذهب سعيد بن المسيب
والحسن والزهري والثوري وأصحاب الرأي، لأنها طهارة تبيح الصلاة فلم تقدر
بالوقت كطهارة الماء، وليس كم دليل على غير ذلك، وقال في الأزهار: (ويستقض
بالفراغ مما فعل له...) (٢).

ورد الشوكاني: لم يرد ما يدل على أنه لا يجوز أن يفعل المتطهر بالتراب
مثل ما يفعل كما لو تطهر بالماء لا من كتاب ولا من سنة ولا من رأي صحيح،
فلا ينتقض إلا بما تنتقض به الطهارة بالماء، وهذه دعوى ليس عليها إثارة من
علم^(٣).

وأما مسألة التلوم بعني التيمم للصلاة آخر وقتها فليس على ذلك دليل
يذكر، بل بالعكس؛ فقد ورد أن النبي ﷺ سئل: أي العمل أحب إلى الله؟ قال:
«الصلاة لوقتها»، وهو في الصحيحين، فمن زعم أن هذا الحديث يختص بالصلاة
المؤداة بالطهارة بالماء فعليه أن يأتي بالدليل، وليس هناك دليل أصلاً.

○ وفي باب الأوقات:

اختار العمراني أن آخر وقت العصر ما دامت الشمس بيضاء نقية لم تصفر،
وآخر وقت العشاء نصف الليل خلافاً للزيدية الهادوية ومن وافقهم.

واختار القاضي هذا الاختيار لحديث عبد الله بن عمرو قال: قال
رسول الله ﷺ: «.. وقت صلاة الظهر ما لم يحضر العصر ووقت صلاة العصر
ما لم تصفر الشمس، ووقت صلاة المغرب ما لم يسقط نور الشفق، ووقت صلاة
العشاء إلى نصف الليل، ووقت صلاة الفجر ما لم تطلع الشمس»، رواه أحمد
ومسلم والنسائي وأبو داود؛ ومحدث أنس، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:
«تلك صلاة المنافقين، يجلس يرقب الشمس، حتى إذا كانت بين قرني الشيطان
قام فنقرها أربعاً لا يذكر الله إلا قليلاً»، رواه الجماعة إلا البخاري وابن ماجه.

(١) توضيح الأحكام ١/٣٨٩، (مرجع سابق).

(٢) الأزهار، ص ٢٧. السيل الجرار (١/١٤٠).

(٣) انظر السيل الجرار (١/١٣٤).

وفي حديث أبي موسى: أن النبي ﷺ أتاه سائل يسأله عن مواقيت الصلاة فلم يرد عليه شيئاً. . إلى آخر الحديث أنه دعا السائل فقال: «الوقت بين هذين الوقتين»، رواه أحمد ومسلم وأبو داود والنسائي.

وفي الحديث بيان مواقيت الصلاة، وفيه تأخير العصر إلى قريب احرار الشمس، وفيه أنه آخر العشاء حتى كان ثلث الليل. وفي حديث عبد الله بن عمرو أنه أخرها إلى نصف الليل، وفيه جواز تأخير العصر ما لم تصفر الشمس. وهذا الحديث متأخر عن حديث جبريل ﷺ لأنه كان أول الأمر، وهذا متأخر ومتضمن زيادة فكان أولى.

✽ وخالف القاضي محمد الهادوية في مسألة الجمع بين الصلاتين في الحضر إلا لعذر المطر.

ولأن المسائل كثيرة، وأخشى أن ينحى بي المبحث منحى الفقه المقارن، وليس هذا من تخصصي ولا هو أصل في المبحث، فأكتفي بهذه النماذج. وأكون بهذا قد عرفت بصاحب الترجمة من ناحية فقهية، وما الرسالة إلا ترجمة له، والله المستعان وعليه التكلان.



المبحث الثالث

استدراكات القاضي العمراني على شيخ الإسلام الشوكاني في بعض كتبه

يبدأ القاضي محمد بمقدمة طيبة يمدح فيها شيخ الإسلام الشوكاني بما هو أهله ومستحقه فيقول:

القاضي العلامة شيخ الإسلام محمد بن علي الشوكاني قدس الله روحه، من أعظم العلماء المتأخرين استقلالاً وحرية فكرية، وتحقيقاً وتدقيقاً وحفظاً لأسانيد الحديث ومتونه ورجاله، مع حسن تعبير وملكة راسخة في جميع علوم الاجتهاد. ومؤلفاته من أبعد المؤلفات تناقضاً وجموداً وتقليداً، كما أنها من أعظم المؤلفات التي تحافظ على نسبة كل حديث إلى نخرجه وراوييه كما لا يخفى على عارف بها.

وقد لاحظت ذلك كله عند دراستي لها، ولكنها لا تخلو في بعض المواضيع من مخالفة لما قلته سابقاً، فتراه في بعض المواضيع ينكر جود وحديث ويبني على عدم وجوده حكماً شرعياً، مع أنه موجود، ثم يسوق أمثلة تؤيد كلامه، أو أنه قد يسهو والجواد قد يكبو والصارم قد ينبو، وإنه كَذَّبَهُ قد نزه كتبه بقدر ما أعطاه الله من إتقان وفهم من الأحاديث الموضوععة أو التي ليس لها أصل في كتب السنة المطهرة - على صاحبها وعلى آله أفضل الصلاة والسلام - ولكنه مع ذلك فقد وقع فيما حذر منه وحذر، وهذه أمثلة على ذلك.



استدراكات القاضي العمراني على كتاب «وبل الغمام على شفاء الأوام»

قد ذكر في باب القضاء من هذا الكتاب القيم: أن النبي ﷺ قال: «جبلت القلوب على حب من أحسن إليها وبغض من أساء إليها»^(١) حيث قال: ولهذا

(١) أبو الحسن نور الدين السمهودي (٨٤٤ - ٩١١هـ): الغماز على اللماز في الأحاديث المشتهرة، دار اللواء، الرياض، تحقيق محمد إسحاق محمد إبراهيم السلفي، ط ١ (١٤٠١هـ - ١٩٨١م)، ص ٥٧. قال: نقل السخاوي أنه باطل.

والعلامة نور الدين علي بن محمد بن سلطان المشهور بالملا علي القاري: الأسرار المرفوعة في الأخيار الموضوعة، المعروف بالموضوعات الكبرى، تحقيق وتعليق محمد بن لطف الصباغ، المكتب الإسلامي، بيروت ط ١ (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م)، ص ١٨١. قال السخاوي: يروى مرفوعاً وهو باطل من الوجهين.

والعلامة محمد بن طاهر علي الهندي (ت: ٩٨٦هـ): تذكرة الموضوعات مع قانون الموضوعات والضعفاء، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان ط ٢ (١٣٩٩هـ)، ص ٨٦.

والعلامة الشيخ مرعي بن يوسف الكرمي المقدسي (ت: ١٠٣٣هـ): الفوائد الموضوعة في الأحاديث الموضوعة تحقيق الدكتور محمد لطف الصباغ، دار الوراق، السعودية، الرياض، ط ٣ (١٤١٩هـ - ١٩٩٨م)، ص ١٣١.

وابن كثير في البداية والنهاية ٥٨/١١ ينظر للتأكد!

والعلامة محمد بن محمد الحسيني الطرابلسي السندروسي (ت: ١١٧٧هـ): الكشف الإلهي عن شديد الضعف والموضوع والواهي، تحقيق وتقديم وتعليق د. محمد محمود أحمد بكار، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة، العزيزة، دار العليا بريدة، ط ١ (١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م)، ص ٢٨٩.

ومحمد بن البشير ظافر الأزهرى: تحذير المسلمين من الأحاديث الموضوعة على سيد المرسلين، تصحيح وتعليق محيي الدين مسقو، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، مكتبة دار التراث، المدينة المنورة، ط ١ (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م)، ص ١٣٢.

= والحافظ أبو الفيض أحمد بن الشيخ الإمام أبي عبد الله محمد بن الصديق الغماري الحسيني: المغير على الأحاديث الموضوعة في الجامع الصغير، دار الرائد العربي، بيروت - لبنان (١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م)، ص ٥٢. والعلامة محمد الأمير الكبير المالكي: النخبة البهية في الأحاديث المكذوبة على خير البرية، تحقيق زهير الشاويش، المكتب الإسلامي بيروت، ط ١ (١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م)، ص ٥٠.

والعلامة الشيخ محمد بن المحاسن القاقجي الحسيني المشيخي؛ اللؤلؤ المرصوع فيما قيل لا أصل له أو بأصله موضوع المذيل برسالة في الموضوعات، لأبي الحسن بن محمد الصفاني رحمته، تصحيح محمد كمال الدين أبو البقاء، مطبعة الباروتية، بالجدرية بمصر. وضعيف الجامع الصغير وزيادته للألباني، الطبعة الجديدة، ص ٣٨٩ (مرجع سابق).

وفي سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة للألباني أيضاً ٦٥/٢ (مرجع سابق).
ومحمد بن علي الشوكاني: القوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، تحقيق عبد الرحمن بن يحيى المعلمي، عبد الوهاب عبد اللطيف، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١ (١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م)، ص ٨٢.

والإمام محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت: ٧٩٤هـ): في اللآلئ المنشورة في الأحاديث المشهورة، أو التذكرة في الأحاديث المشتهرة، تحقيق د. محمد بن لطفي الصباغ، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، عمان، ط ١ (١٤١٧هـ - ١٩٩٦م)، ص ٦٨.

والإمام الشيخ محمد درويش الحوت: أسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب، دار الكتاب العربي، ط ٢ (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م)، ص ١٢١.

ونجم الدين محمد بن محمد الغزي الدمشقي (٩٧٧هـ - ١٠٦١م): إتقان ما يحسن من الأخبار الدائرة على الألسن، ضبط وتقديم خليل بن محمد العربي، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، ط ١ (١٤١٥هـ - ١٩٩٥م)، ٢١٣/١.

ومحمد بن محمد بن جار الله (أبو مشحم) الصفدي اليمني (ت: ١١٨١هـ): النوافح العطرة في الأحاديث المشتهرة، دراسة وتحقيق محمد بن عبد القادر أحمد عطا، مؤسسة الثقافة، ط ١ (١٤١٢هـ - ١٩٩٢م)، ص ١١٥.

والإمام محمد بن عبد الباقي الزرقاني (ت: ١١٢٢هـ): مختصر المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، تحقيق د. محمد بن لطفي الصباغ، المكتب المصري الحديث، ومكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، ط ٢ (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م) ص ١٢٣.

والشيخ الإمام العلامة عبد الرحمن بن علي بن محمد بن عمر الشيباني الشافعي الأثري: تمييز الطيب من الخبيث فيما يدور على ألسنة الناس من الحديث، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١ (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م)، ص ٧٣.

قال الصادق المصدوق.. وذكر هذا الكلام، ولا شك ولا ريب أن من راجع الكتب التي ألفها العلماء في الأحاديث الموضوعية للتحذير منها لا بد وأن يعرف أن هذا الكلام ليس من الأحاديث الصحيحة ولا الحسنة ولا الضعيفة ضعفاً خفيفاً، بل هو من عداد الموضوعات؛ لأن في سنده إسماعيل بن أبان، وهو وَضَّاع كما نص على ذلك الكثير من علماء الجرح والتعديل، منهم: يحيى بن معين والبخاري وأحمد بن حنبل والأزدي وابن حبان وغيرهم، وإذا لم يكن موضوعاً فيكون من باب الضعيف الشديد الضعف أو الواهي.

وانظر إن شئت ما قاله العلماء الكبار مثل: ابن الجوزي في العلل المتناهية، والسمهوري في الغماز على اللماز، والملا علي القاري في الأسرار المرفوعة، وابن طاهر في تذكرة الموضوعات، والكرمي في الفوائد الموضوعية في الأحاديث الموضوعية، والسندروس في الكشف الإلهي في شديد الضعف والموضوع والواهي، والأزهري في تحذير المسلمين من الأحاديث الموضوعية على سيد المرسلين، والغماري في المغير على موضوعات الجامع الصغير، ومحمد الأمير المالكي الكبير في النخبة البهية في الأحاديث المكذوبة على خير البرية، والقواقجي في اللؤلؤ المرفوع في الحديث الموضوع، والألباني في ضعيف الجامع الصغير، وفي كتابه: الأحاديث الضعيفة والموضوعية وأثرها السيئ في الأمة، وغيرهم ممن ألف في الأحاديث الموضوعية، ومنهم الإمام الشوكاني نفسه في كتابه المشهور (الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعية) الذي ألفه بعد (وبل الغمام) بمدة طويلة.

وانظر إن شئت مؤلفات الكثير ممن ألف في الأحاديث الدارجة على الألسنة والمشهورة بين الناس في العصور المتأخرة من عصور الإسلام، وذلك

= والمفسر المحدث الشيخ إسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي (ت: ١١٦٣هـ): كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، بيروت، ط ٣ (١٩٨٨م - ١٤٠٨هـ). المطبوع في جزأين ١/ ٣٣٠.

والإمام الحافظ الناقد المؤرخ شمس الدين بن أبي الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت: ٩٠٢هـ): المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، تصحيح وتعليق وتقديم وترجمة عبد الله محمد الصديق، عبد الوهاب عبد اللطيف. دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١ (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م)، ص ١٧١.

مثل: السخاوي في المقاصد الحسنة في الأحاديث الدارجة على الألسنة، والزرقاني في مختصر المقاصد، والديبع في تمييز الطيب من الخبيث، والسيوطي في الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة، والزرکشي في اللآلئ المنتثرة في الأحاديث المشهورة، والغزي في «إتقان ما يحسن من الأخبار الدائرة على الألسن»، والحوت البيروتي في أسنى المطالب، والقاضي محمد بن محمد جار الله مشحم الصعدي ثم الصنعاني في النوافخ العطرة في الأحاديث المشتهرة، كما نص على مثل ذلك ابن كثير في البداية والنهاية، وابن حجر العسقلاني في لسان الميزان، والمناوي في فيض القدير، وغيرهم.

قال: ومن أغلاط الشوكاني التي تغتفر له أنه ذكر في باب صلاة الجماعة من (وبل الغمام) أن النبي ﷺ صلى خلف عتاب بن أسيد، ولم أجد في كتب السنة لا في صحيحها ولا حسنها ولا ضعيفها ما يدل على أنه صلى خلف الصحابي المذكور لا في الأمهات ولا في غيرها من المسانيد والجوامع والمعاجم وغيرها من دواوين الإسلام.



استدراكات القاضي العمراني على شيخ الإسلام الشوكاني في كتاب «السييل الجرار»

ولم يفت القاضي العمراني أن يضع نكته العلمية، ولطائفه على كتاب «السييل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار» للقاضي الشوكاني رحمته الله. وكان مما فتح الله عليه من تعليقات صافية على هذا الكتاب عدة مسائل، أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

○ المثال الأول في باب الطهارة:

قال العلامة الشوكاني رحمته الله بعد ذكر البول والمني ما نصه: (وأما المذي والودي فقد قام الدليل الصحيح على وجوب غسلهما فأفاد ذلك نجاستهما... إلخ). والصحيح أنه لم يرد دليل على نجاسة الودي، لا صحيح ولا حسن ولا ضعيف، ولو كان هناك دليل صحيح لعد الودي من النجاسات في كتاب الدرر البهية وشرحها فينظر في هذا، والغريب منه أن يقرن الودي بالمذي في الحكم عليهما بالنجاسة، ثم يستدرك الحكم بنجاسة المذي بحديث نضحه، ويستنبط منه التخفيف في نجاسته، وجواز الاكتفاء فيه بالنضح، ويبقى الودي على أصله نجس غير مخفف، وهكذا جعل المني طاهراً مع ورود الأمر بـ«حكيه» في حديث عند أبي الجارود كما في شرح المحلى لابن حزم، وشرح المنتقى للمؤلف، ومهما يكن من الأمر فقد حكم على المني بالطهارة، وعلى المذي بالنجاسة المخففة، وعلى الودي بالنجاسة بغير تخفيف، مع أنه لم يرد دليل على نجاسة الودي مطلقاً، وإذا كان المني قد ورد فيه أحاديث ضعيفة، فإن الودي لم يرد فيه شيء.

وقوله: (ومما يدل على نجاسة الميتة) حديث: «إن المسلم لا ينجس حياً

ولا ميتاً وهو حديث صحيح... إلخ. والحديث ليس بصحيح ولا حسن ولا ضعيف، وإنما هو من قول ابن عباس، كما في البخاري وشرحه.

وأما الحديث الصحيح فهو حديث أبي هريرة مرفوعاً وفيه: «إن المسلم لا ينجس» كما في صحيح مسلم والبخاري، وهذا لا كلام فيه، إذ لا يساعده، والتصريح بقوله حياً ولا ميتاً، فإنه يفيد في ميتة غير المسلم تنجس ولا مفهوم لحديث أبي هريرة إلا أن الكافر ينجس، وهذا ظاهر.

○ المثال الثاني في باب قضاء الحاجة:

قال: إن التواري ليس مندوباً، كما قال صاحب الأزهار، وإنما هو واجب؛ لأن الأمر به دال على الوجوب وليس على الندب فقط، خصوصاً وقد اقترن بأوامر ثلاثة كلها جاءت متبوعة بقرينة صارفة للأوامر من الوجوب إلى الندب، إلا في التواري، فقد أطلق الشارع الأمر به ولم يصرفه وسرد حديثاً: «من اكتحل فليوتر من فعل فقد أحسن، ومن لا فلا حرج، ومن أكل فما تخلل فليلفظ، ومن لأك بلسانه ليلتلع، من فعل فقد أحسن ومن لا فلا حرج، ومن أتى الغائط فليستتر فإن لم يجد إلا أن يجمع كثيراً في رمل فليستدبره فإن الشيطان يلعب بمقاعد بني آدم»^(١)، واقتران الثلاثة الأمور بقوله: (من فعل فقد أحسن) دليل واضح على الندب فقط، وعدم اقتران الرابع بذلك يدل على أن الأمر فيه على حقيقته، وإن لم يرد ما يصرفه عن الوجوب. اهـ.

قلت (العمراني): هكذا قال وهو وهم ظاهر لا شك، فالقرينة في الحديث موجودة في الأربعة الأوامر، كما لا يخفى على من راجع الحديث في سنن أبي داود الذي اعتمدها المؤلف في نقل هذا اللفظ منها أو من سنن ابن ماجه، وغيره ممن أخرج الحديث، وهكذا هو في سائر مجاميع متون الحديث كمنتقى الأخبار، فينظر في كلام المؤلف فلعله اعتمد نسخة غير صحيحة من سنن أبي داود رحمه الله تعالى.

(١) رواه أحمد وأبو داود وابن حبان عن أبي هريرة رضي الله عنه، ضعفه الألباني، وقال الشوكاني عنه في نيل الأوطار ٧٤/١: مداره على أبي سعيد الجواني الحمصي، وفيه اختلاف. وفي السيل الجرار ٦٣/١.

○ المثال الثالث في باب الوضوء:

رد الإمام الشوكاني على الإمام المهدي في حكمه بنديبة الدعاء في الوضوء: بأنه لم يثبت في ذلك شيء، وقال: ما روي فهو إما موضوع أو في سنده كذاب أو متروك، والذي ثبت في الوضوء من الأذكار هو التسمية في أوله، وفي آخره أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. ولم يثبت غير هذا، لا صحيح ولا حسن ولا ضعيف خفيف الضعف، وهكذا قال في كتابه نيل الأوطار تبعاً للنووي وابن حجر، وابن الصلاح، وابن القيم، اهـ. من كلام الشوكاني في السيل^(١)، والنيل^(٢).

قال العمراني: (الذي أرى أن هذا النقد غير صحيح، فقد ورد في ذلك حديث صحيح فضلاً عن ضعيف أو ضعيف الضعف، كحديث أبي موسى الأشعري من رواية النسائي: أن النبي ﷺ كان يقول: «اللهم اغفر لي ذنبي ووسع لي في داري وبارك لي في رزقي» أخرجه النسائي وابن السني ورجال إسناده النسائي رجال الصحيح، إلا عباد بن عباد بن علقمة، وقد وثقه أبو داود ويحيى بن معين، وذكره ابن حبان في الثقات. وصحح إسناده هذا الحديث النووي في الأذكار وأقره الشوكاني في تحفة الذاكرين، ولم تأت فيه علة توجب ضعفه، وعدم الاعتداد به، وعلى فرض أنه ليس بصحيح فإنه لا يخرج عن رتبة الحسن، وعلى فرض خروجه فهو لا يخرج إلى الضعيف ولا إلى الضعيف جداً، فكيف ينكر وجود ذلك. وهذا على فرض تسليم أنه ليس بصحيح ودون ذلك مفاوز وعقبات. وقد روي هذا الحديث بلفظ: «اللهم أصلح لي ديني، ووسع لي في داري». إلخ. عند أحمد والطبراني من حديث رجل من الصحابة، وفيه: أن ذلك من أدعية دبر الصلاة، ولكن حديث أبي موسى المتقدم عند النسائي وابن السني أنه في الوضوء، ولهذا ترجم عليه النسائي في ترجمة تدل على أنه من الأدعية التي تقال عقب الوضوء قائلاً: باب ما يقوله عقب وضوئه، وقال ابن السني: باب ما يقول بين ظهراني وضوئه، وساق إسناده إلى أبي موسى الأشعري، قال:

(١) و(٢) انظر السيل الجرار ٩٣/١ (مرجع سابق). وانظر نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار، وشرح منقى الأخبار للشوكاني، تقديم وتقرير فضيلة د. وهبة الزحيلي، دار الخير، ط ١ (١٤١٦هـ)، ١٦٦/١.

أتيت رسول الله ﷺ وهو يتوضأ فسمعتة وهو يقول: «اللهم اغفر لي ذنبي ووسع لي في داري، وبارك لي في رزقي». إلخ.

قال الحافظ الشوكاني في تحفة الذاكرين في الأذكار: وإسناده صحيح، وأخرجه الترمذي^(١) من حديث أبي هريرة بلفظ: «اللهم اغفر لي ذنبي ووسع لي في داري وبارك لي في رزقي» وصححه السيوطي.

وفي الأخير يقول العمراني: (فالحديث من أذكار الصلاة، ومن أذكار الوضوء باعتبار مجموع الروايات). اهـ من كلام العمراني.

○ المثال الرابع في باب الصلاة:

يقول العمراني: (قد يسهو الشوكاني في بعض الأحيان فيحكم على الأحاديث بالصحة مع أنها لم توجد في كتب الحديث التي اعتمدها كالأمهات الست وغيرها من الصحاح والمسانيد والمعجمات، لا بسند صحيح ولا حسن ولا ضعيف فضلاً عن كونها صحيحة).

ذكر الشوكاني حديث: «لا ظهران في يوم»، وقال: إنه حديث صحيح. وكذا لا وجه لقوله [إذا التبس الطاهر بغيره صلاها فيهما يكون اللبس مع وجود غيرها مسوغاً للصلاة بأحدهما للضرورة، وما الصلاة فيهما، فذلك يستلزم مفسدة عظيمة ورد النهي عنها وهو قوله ﷺ: «لا تصلوا صلاة في يوم مرتين» وقوله: «لا ظهران في يوم» الحديثان صحيحان^(٢).

وقد كنت نبهت على هذا الحديث في هامش شرحه للمنتقى، وهو من الأحاديث التي لا توجد في كتب الحديث. وقد ذكره الشوكاني في آخر باب الأوقات من نيل الأوطار، وفي رسالته إلى الشيخ علي بن عبد الوهاب النجدي القول الواضح في حكم المستحاضة وسلس البول وجميع أهل الجوارح. وذكره

(١) وجدته قد ذكره الشيخ المحدث ناصر الدين الألباني في ضعيف سنن الترمذي، المكتب الإسلامي ط ١ (١٤١١هـ - ١٩٩١م). في أبواب الدعوات تحت رقم ٦٩٤ - ٣٧٤٨، وقال معلقاً: (ضعيف لكن الدعاء حسن..). وبالرغم من أنه خرج أحاديث سنن النسائي لكنه لم يذكره في ضعيفها.

(٢) انظر: السيل الجرار ١/١٦٤.

السياغي في باب التيمم في الروض النضير، وكذلك ذكره من قبلهما الأمير الحسين في باب صلاة الجماعة من الشفاء، وتبعه الإمام المهدي فذكره في البحر مرات عديدة، وكلهم لم يعزوه إلى أي مخرج أو راو ولا صحوه.

وأما الشوكاني فقد خالفهم في هذا، فصرح في هذا الكتاب وفي القول الواضح بأنه صحيح، ولم أدر من أين علم صحته، في حين أنه لم ينسبه إلى أي مخرج فضلاً عن أن يكن صحيحاً. وقد بحثت عنه في كثير من كتب الحديث الجامعة، كالجامع الكبير، والجامع الصغير، والفتح الكبير، وكنز العمال وغيرها من المجموع الحافلة بمتون الأحاديث بمختلف أبوابها وألفاظها وأنواعها ومراتبها، وهكذا لم أجده أيضاً في الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة، وتميز الطيب من الخبيث فيما يجري على ألسنة الناس من الحديث، وأسنى المطالب في الأحاديث الدارجة على الألسنة، وهكذا لم أجده في جميع ما قد تناولته يدي من كتب الحديث، وقد نفى الوقوف عليه بهذا اللفظ كثير ممن خرّج أحاديث الفقهاء كابن حجر في التلخيص، وابن بهران في تخريج البحر، والضمدي في تخريج الشفاء، إلا أنه قال: أخرجه بعض المحدثين.

ومثل هذا كثير يجري على ألسنة الناس، ويذكروه على صفحات مؤلفاتهم، ولا أجد له ذكر في كتب الحديث، وقد ذكرت جملة صالحة في كتابي الذي ألفتة في ذكر الأحاديث التي لم أقف عليها، ولا ذكرها صاحب الشفاء ولا صاحب البحر.

○ المثال الخامس في باب الحج:

يقول القاضي العمراني: (وتارة ينفي شيخ الإسلام وجود حديث في الباب يصلح للاستدلال به على نفس الحكم مع وجوده ثابتاً في كتاب مشهور بسند صحيح، كما تراه في أثناء كتاب الحج ينفي وجود دليل ثابت في جمع العصرين في عرفة مما يصلح للاستدلال به، وحديث جابر ليس فيه صراحة على المقصود، مع أنه ورد الجمع بين الصلاتين في عرفة من حديث ابن عمر عند أحمد وأبي داود صريحاً، وهو حديث صحيح، وإنه وإن كان في سنده ابن إسحاق وهو من المدلسين فقد صرح فيه بالتحديث، وبقية إسناد رجاله ثقات. قال ابن المنذر: أجمع أهل العلم على أن الإمام يجمع بين الظهر والعصر بعرفة، وكذلك من صلى

مع الإمام على أن في حديث جابر ما يستأنس به في الدلالة على الجمع لا سيما مع وجود حديث ابن عمر الصريح الصحيح والله الحمد).

وفي الأخير، نجد أن القاضي يعتذر (للسوكاني) فيقول: (وقد وقع مثل هذا (للأمير الصنعاني) فقد انتقد على الجلال (الحسن الجلال) في استدلاله بحديث ليلة الجن وقال: إنه ضعيف مع أنه في صحيح مسلم، ومسنده أحمد، وأخرجه أيضاً البخاري).

ثم أضاف القاضي أن هذا قد وقع لكثير من العلماء وضرب لذلك الأمثلة، من وجهة نظري أرى ألا داعي لذكرها خشية الخروج عن المبحث^(١).

○ المثال السادس:

يقول القاضي محمد: وقد ينكر الحافظ العلامة شيخ الإسلام وجود حديث بسند صحيح أو حسن أو ضعيف مع وجوده، ولكن بسند ضعيف كما في باب صفة الصلاة في السيل الجرار^(٢) جازف الشوكاني فقال: إنه لم يرد في نسخه حديث صحيح ولا حسن ولا ضعيف، مع أنه قد ورد في حديث الحسن البصري مرسلأ عند ابن خزيمة بإسناد إلى قتادة. قال: حدثنا الحسن أنه ذكر له إمامة جبريل بالنبي ﷺ في اليوم الذي يلي ليلة الإسراء وأنه عند صلاة الظهر نودي: أن الصلاة جامعة، وساق الحديث، إلى أن قال: فصلى لهم ثلاث ركعات وأسمعهم القراءة في الركعتين، وسبح في الثالثة ولم يظهر القراءة. وقال في العشاء: وصلى لهم أربع ركعات أسمعهم القراءة في الركعتين وسبح في الأخيرتين يؤم جبريل محمداً ويؤم محمد الناس. ورجاله ثقات إلا أنه مرسل كما في الروض النضير.

○ المثال السابع:

وقد ينكر متوهماً ورود حديث في الباب، فينكر لأجل ذلك ما أثبتته العلماء من حكم شرعي متوهماً أنهم استندوا إلى حديث خاص بذلك الموضوع، مع

(١) ممكن الرجوع لنفس المخطوط لمن رام الاستفادة.

(٢) السيل الجرار ٢٢٧/١ (مرجع سابق).

ورود حديث عام يدخل فيه ذلك الحكم الشرعي تحته. وهو لا يشترط أن يكون الحديث في الباب خاصاً بل هو عام وخاص، وذلك كاعتراضه في السيل الجرار^(١) على ما أثبتته الإمام المهدي من ندبية التكبير في الصعود عند السفر إلى الحج، قال: إنه لم يرد في التكبير مطلقاً في هذا الموطن ما يصلح للتمسك به لا عند الصعود ولا عند غيره، وأما التلبية فقد ثبت ما يفيد مشروعية رفع الصوت بالتلبية في هذا الموطن من غير فرق بين صعود وهبوط. اهـ.

رد القاضي العمراني بقوله: (الواقع أنه قد ثبت ما يدل على مشروعية التكبير في الصعود لكل مسافر، ومنهم الحاج وهو أولاهم باتباع السنن المروية عن النبي ﷺ في السفر، وذلك كحديث أبي هريرة عند الترمذي والنسائي: أن رجلاً قال: يا رسول الله، إني أريد أن أسافر فأوصني، قال ﷺ: «عليك بتقوى الله والتكبير على كل شرف» فلما ولى الرجل قال ﷺ: «اللهم اطوله البعد وهون عليه السفر». قال الترمذي بعد إخرجه الحديث: إنه حسن. وأخرجه أيضاً ابن ماجه كما في تحفة الذاكرين. وكحديث جابر عند البخاري: (كنا إذا صعدنا كبرنا، وإذا نزلنا سبحنا أي في السفر. وكحديث أبي موسى الأشعري عند الجماعة: كنا مع رسول الله ﷺ إذا أشرفنا على واد هللنا وكبرنا، وارتفعت أصواتنا. وقد ساق هذه الأحاديث حافظنا (يقصد الشوكاني) في تحفة الذاكرين، وفي تفسير الشرف الوارد في الحديث الأول أنه بفتح الشين المعجمة والراء وهو المكان العالي ففيه استحباب التكبير عند صعود المسافر إلى مكان مرتفع.

○ المثال الثامن:

قال القاضي العمراني: إن الشوكاني قد ينسب الحديث بما فيه من زيادة إلى كتاب صحيح مع أن الذي في الصحيح خلافه مثل:

(زعم ﷺ في كتابه تحفة الذاكرين: أن حديث: «صلاة الليل والنهار مثني»^(٢) بزيادة النهار صحيح).

(١) السيل الجرار ١٦٦/٢ (مرجع سابق).

(٢) انظر: السيل الجرار ٧٢٦/١. (مرجع سابق). وانظر: محمد ناصر الدين الألباني: السلسلة الصحيحة، المكتب الإسلامي، ٤٢٣/١، الحديث رقم ٢٣٧.

نسب الحديث بزيادته إلى كتاب صحيح، مع أن الذي في الكتاب الصحيح هو أصل الحديث مجرداً عن الزيادة، ولكنه اشتبه عليه لفظ الصحيح المجرد عن الزيادة، وأما لفظه خارج الصحيح فهو بزيادته.

بل إنه نسبه في التحفة إلى البخاري ومسلم مع أنه ليس في البخاري ولا مسلم، بل في السنن ومسنند الإمام أحمد، والذي في البخاري ومسلم أصل الحديث مجرداً عن زيادة النهار الدالة على أن تطوع النهار مثل الليل في كونها ركعتين ركعتين^(١) ولم ينسبها أحد إلى الصحيحين ولا إلى أحدهما قط غير الشوكاني في تحفة الذاكرين تبعاً للجزري في عدة الحصن الحصين، ولعل ذلك سهواً منهما وإلا فلا وجود لها في الصحيحين، وكيف يصح نسبتها إلى البخاري. وقد تفرد بها (علي البارقي) وليس من رجال البخاري، بل هو من رجال مسلم وأهل السنن. ومعنى ذلك أن البخاري لم يورده في صحيحه، وإن كان قد صحح حديثه لما سئل عنه كما نقله الشوكاني في نيل الأوطار عن البيهقي عنه، وإذا كان غير موجود في صحيح البخاري ولا أخرج له فيه حديثاً كما نص عليه أئمة علم الرجال فكيف ينسب هذه الزيادة التي تفرد بها إلى صحيح البخاري؟ فهذا أكبر دليل على عدم وجود الزيادة فيه، وإن كان عدم الوجود بعد الاستقراء التام كاف في الاستدلال. اهـ من كلام العمراني في المخطوطة^(٢).

والمعهد على القاضي العمراني حبه الشديد لشيخ الإسلام الشوكاني حتى أنه تابعه في كثير من المسائل، لكن ذلك لم يمنعه من توضيح الأخطاء التي وقع فيها الشوكاني وهي ليست غريبة من العلماء فكفى العالم منقبة أن تعد أخطاؤه.

فها هو يقول: (بالرغم من تحري الحافظ الشوكاني عزو كل حديث إلى مخرجه في جميع مؤلفاته ولا سيما نيل الأوطار، وإنكاره على من يذكر الأحاديث بلا عزو ولا تخريج، وإنكاره على الأحاديث التي لا أصل لها ولا سيما في وبل الغمام^(٣))؛ وغيره من كتب الزيدية التي لا تهتم بتخريج الأحاديث ولا عزوها،

(١) (المرجع السابق).

(٢) تحفة الذاكرين بعد الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين.

(٣) وبل الغمام حاشية على شفاء الأوام؛ للأمر حسين بن محمد، من علماء الزيدية الهادوية.

فقد يسهو فبذكر نادراً الحديث بلا تخريج بل يتابع من تقدمه في ذكره بعض الأحاديث كحديث (لا ظهران في يوم) ذكره في آخر باب الأوقات في نيل الأوطار غير معزو إلى أحد على خلاف عادته في مؤلفاته ولا سيما في نيل الأوطار الذي اعتنى فيه بتخريج الأحاديث، ولم أره بهذا اللفظ في كتاب من كتب الحديث، ولعله تابع في ذلك صاحب كتاب البحر الإمام المهدي وصاحب كتاب الشفاء الأمير حسين.

وكذلك حديث «لا تختلفوا على إمامكم» ذكره في نيل الأوطار في باب اقتداء المقيم بالمسافر من أبواب صلاة الجماعة غير مخرج، وقد بحثت عنه في كتب الحديث فلم أره مخرجاً بهذا اللفظ، ولعله تابع في ذلك أيضاً صاحبي البحر والشفاء. وكذا ذكر أن النبي ﷺ صلى خلف عتاب بن أسيد، وأن ابن عمر أمّ بالناس وهو صبي وهو تابع في ذلك الأمير حسين صاحب كتاب الشفاء. وهنا يتحفنا العمراني بنكته من نكات العلم من حيث إسناد المعلومة لصاحبها الأول فيقول:

(وقد يغرب الشوكاني في اجتهاداته تبعاً لغيره من علماء اليمن المغربيين في الآراء كالجلال فيأتي صديق حسن خان القنوجي عالم الهند والذي نقل كل مؤلفات الشوكاني فيختزل اجتهاد الشوكاني وينقله بمخايفه فيظن الظان أنه قد ذهب إلى قول لم يسبق إليه، ولو بحث في مؤلفات اليمنيين لوجد أن الفضل راجع إلى اليمن ولوجد علماء اليمن قد سبقوا غيرهم في هذا الترجيح. ثم يذكر من الأمثلة ما يؤيد هذا الأمر فيقول:

(أذكر من هذا رأي الحسن الجلال في السفر، وأنه عذر في العدول عن الموضوع إلى التيمم، وأن معنى الآية: «وَإِنْ كُنْتُمْ مَرَّهًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ» أو كنتم في حضر أو أحدثتم. وقد تابعه على هذا الشوكاني في وبل الغمام، وأخذ كلام الوبل صديق حسن خان في الروضة الندية، وكان الإمام محمد رشيد رضا وشيخه الإمام الشيخ محمد عبده قد ذهبا إلى هذا القول، وقال رشيد رضا أنه لم يقل به أحد من العلماء وأنه شيء لم يسبق إليه، ثم أضاف قائلاً: بأنه راجع الروضة الندية فوجد مؤلفها قد ذهب إلى هذا القول مع أن مؤلف الروضة إنما أخذه كغيره من مؤلفات إمامنا الشوكاني رحمته تبعاً للمحقق الجلال رحمته.

وقد ألزم المخالفين بثلاثة إزمات أو بالزامين:
أولاً: أنه سيلزم تقييد المرضى بعدم الوجدان كالسفر.
ثانياً: بأن تساوي المسافر والمقيم في القيد يستلزم كون ذكر السفر عبثاً.
كما أنه استدل بدليلين:

أولاً: بما روي عن ابن عمر أنه عدل إلى التيمم في سفره.
ثانياً: بالقياس على سقوط وجوب الصوم وشطر الصلاة فيسقط وجوب
الوضوء اكتفاءً ببدله.

وقد أجيب عن الإلزام الأول: بأن الوصف يرجع إلى الجميع كما في
الأصول ولكنه خرج المريض لحديث «قتلوه قتلهم الله»^(١)، وعن الثاني بأن ذكر
السفر كان عملاً بالغالب فلا مفهوم له.

وأجيب عن الدليل الأول بأنه لعدم حضور الماء مع كونه لا حجة فيه
ومخالف للإجماع. وعن الدليل الثاني بأنه قياس شبهي^(٢)، وهو لا يقول به.
وأيضاً إسقاط الصوم مع وجوب القضاء وشطر الصلاة لا إلى بدل.

ومما تعقبه في مؤلفاته قوله: (وبالرغم من كونه من أعلم الناس بعلم
الرجال، فإنه قد يغلط في ذلك فيسمي رجلاً من رواة الحديث باسم غير موجود
لا في أسمائه ولا في ألقابه، بل ولا هو موجود في أسماء رجال من روى هذا

(١) الحديث مخرج من سنن أبي داود (مرجع سابق)، المخرج يتيمم ص ٩١. عن جابر قال:
خرجنا في سفر فأصاب رجل منا حجر فشجه في رأسه ثم احتلم، فسأل أصحابه فقال:
هل تجدون لي رخصة في التيمم؟ فقالوا: ما نجد لك رخصة وأنت تقدر على الماء.
فاغتسل فمات. الخ. قال الألباني: في ضعيف سنن أبي داود. المكتب الإسلامي ط ١
(١٤١٢هـ - ١٩٩١م)، ص ٣٧، ٣٨: حسن دون قوله: إنما كان يكفيه. قال الألباني
أيضاً في ضعيف ابن ماجه، المكتب الإسلامي ط ١ (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م)، ص ٤٤ من
دون بلاغ عطاء. وقد ذكره أيضاً في تمام المنة.

(٢) قياس الشبه: واختلف في تفسيره وفي أنه حجة، وهو مسلك من مسالك العلة التي هي
أحد أركان القياس الأربعة، وهي: الأصل، الفرع، العلة، الحكم، والعلة هي مناط
الحكم، والاجتهاد يدور في العلة.

انظر: الشيخ محمد الأمين بن المختار الشنقيطي: مذكرة أصول الفقه على روضة الناظر
للعلامة ابن قدامة كةةة. دار القلم، بيروت، لبنان ص ٢٤٣ - ٢٦٥. بدون ذكر الطبعة.

الكتاب كما لا يخفى على من تأمل لمؤلفاته، بل ولا هو موجود في أسماء رجال من روى هذا الكتاب كما لا يخفى على من تأمل لمؤلفاته الحديثية، فتارة يدخل عليه الوهم من جهة موافقة اسم أب الراوي باسم أب راو آخر فيسبق قلمه إلى تحرير اسم الراوي الآخر وهو غير مراد، وذلك كما في تحفة الذاكرين في حديث ابن عمر عند أبي داود مرفوعاً: «من دعي ولم يجب فقد عصى الله ورسوله، ومن دخل على غير دعوة فقد دخل سارقاً، وخرج مغيراً»^(١)، قال الشوكاني: إن في إسناده درست بن زياد عن شهاب بن طارق، فالأول ضعفه الجمهور والثاني مجهول.

والغلط منه في شهاب بن طارق، وصوابه (أبان بن طارق)^(٢) كما هو في أصل السند عند أبي داود رحمته الله. وقد قال بعد أن ذكر الحديث: من طريق أبان بن طارق، مجهول. اهـ.

ولا يوجد في رجال هذا الحديث ولا في رجال أبي داود من يسمى بشهاب بن طارق، بل ولا في رجال الأمهات الست أيضاً، أما أبان بن طارق فمعروف.

ثم أخذ العمراني بعد ذلك يسرد ما قاله علماء الحديث في علة هذا الحديث فأوفى البحث حقه، وليس محله هنا اللهم إلا للاستشهاد فقط.

وهذا مثال آخر:

قد يغلط الشوكاني في بعض الأوقات في اسم والد الراوي للحديث لا في اسمه، وذلك بأن يشتبه عليه اسم الوالد بكنية والد الراوي ويصحف عليه لفظه ابن بلفظة أبو، وذلك كما في الباب الأول من تحفة الذاكرين شرح عدة الحصن الحصين، قال: إن في سند حديث: «لو أن رجلاً في حجره دراهم والآخر يذكر الله لكان الذاكر لله أفضل»: (جابر بن الولاع) وفي نسخة (ابن الوازع) قال: وهو منكر الحديث، ولكن قد روى له مسلم فلا وجه لإعلال الحديث به. اهـ.

(١) الحديث ضعفه الألباني في ضعيف أبي داود في كتاب الأطلعمة، برقم ٧٩٨، ص ٣٦٨ (مرجع سابق).

(٢) كذا ذكره الألباني أيضاً في ضعيف أبي داود.

والواقع أنه لا يوجد كلا الاسمين في سند هذا الحديث، ولا في رجال مسلم ولا غيره من أهل الأمهات الست، وهذه الخلاصة بين أيدينا، وقد التزم مؤلفها أن يترجم لرجال الأمهات الست كلهم، لا تجهد في حرف الجيم منها جابر بن الولاع ولا جابر بن الوازع، بل هو غلط في النسختين، وصوابه جابر بن عمرو الراسبي، وهو محدث بصري روى عن أبي برزة وروى عنه أبان بن صمعة، ومهدي بن ميمون، ووثقه ابن حبان، واحتج به مسلم، والبخاري في الأدب المفرد، والترمذي، وابن ماجه.

وإنما جاء الغلط للشوكاني فأبدل اسم عمرو بالولاع أو بالوازع؛ لأن جابراً هذا كنيته أبو الوازع واسمه جابر بن عمرو فكان الأصل جابر أبو الوازع فتحرفت لفظة أبو بابن فصار ابن الولاع كما في النسخة (المصدرية)^(١) ثم تصحفت الولاع إلى الوازع، كما في النسخة الأخرى.

ثم ساق أمثلة أخرى كهذه وقعت للمحافظ الشوكاني، وأذكر بعضها على سبيل الاقتصار مثل حديث معاذ بن سهل عند الترمذي وأبي داود وابن ماجه، وابن حبان مرفوعاً: أن النبي ﷺ قال: «من لبس ثوباً جديداً فقال: الحمد لله الذي كساني هذا... إلخ»^(٢). أنهم روه من طريق عبد الرحيم بن مرحوم عن سهل بن معاذ عن أبيه، مع أن عبد الرحيم هذا ليس ابن مرحوم بل هو ابن ميمون... والأصل عبد الرحيم أبو مرحوم، فتصحف أبو بابن، فصار: عن عبد الرحيم ابن مرحوم.

وكذلك في التحفة أيضاً عند ذكره لحديث ابن عباس (في الدعاء بين السجدين)^(٣) أن في سنده كامل بن العلاء التيمي، وليس هو كامل بن العلاء، بل كاملاً أبو العلاء.

(١) (المصدرية) هكذا في المخطوط، الظاهر أنها المصورة.

(٢) الحديث في أبي داود (... عن أبي مرحوم عن سهل بن معاذ عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: «من أكل طعاماً ثم قال الحمد لله الذي أطعمني هذا الطعام ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ومن لبس ثوباً جديداً... إلخ».

قال الألباني في ضعيف أبي داود: حسن دون زيادة لفظة «وما تأخر» في الموضعين، ص ٣٩٩ (مرجع سابق).

(٣) الحديث.. ثنا كامل أبو العلاء حدثني حبيب بن ثابت، عن سعيد بن جبير عن ابن =

وقد يقع عليه الخطأ في اسم من ينتسب إليه الراوي؛ إذا كان مولى، كحديث «أفضل الأعمال الذكر»^(١)، قال: إن الهيثمي قال في إسناد هذا الحديث: إن رجاله رجال الصحيح إلا أن زياد بن زياد مولى ابن عباس لم يدرك معاذاً! فيتوهم القارئ أنه مولى ابن عباس حبر الأمة، مع أنه مولى عبد الله بن عياش المخزومي، ولكن دخله التصحيف.. إلخ.

وكذا قد يغلط الشوكاني في النسبة إلى القبيلة إما لأن الشخص مشابه لآخر في أصل واحد أو لتقارب الحروف. فمثال الأول: قوله في شرح حديث أنس أنه: «بلغ صفية أن حفصة قالت لها: ابنة يهودي، فبكت، فقال لها النبي ﷺ: «إنك لابنة نبي»، وذلك في الجزء السادس من نيل الأوطار، في باب: إن الرفق على الولد يدخل فيه ولد الولد. إنما قال لها النبي ﷺ لأنها من ذرية هارون، وعمها موسى، وبنو قريظة من ذرية هارون، فسمى رسول الله ﷺ هارون أباً لها، وبينها وبينه آباء متعددون. اهـ^(٢).

وهنا يقول العمراني: (مع أن صفية ليست في بني قريظة بل هي من بني النضير، وكان الصواب أن يقول: وبنو النضير من ذرية هارون، وذلك لأن صفية هي بنت حبي بن أخطب سيد بني النضير، ولكن اشتبه عليه بنو النضير ببني قريظة، وأصلهما واحد.

ومن الثاني ما تقدم عنه في حديث ابن عباس في الدعاء بين السجدين. ومما تجدر إليه الإشارة أن القاضي محمداً قد بلغ في التأريخ مبلغاً يغبطه عليه أهل زمانه، فحاز قصب السبق فيه. وتصديقاً لما أقول فهذا تعقيبه على الشوكاني يشهد:

ومن الأغلاط أن يسمي الرجل باسمه ولكنه يسبقه فكره إلى شخص آخر فيصفه بصفة الشخص الآخر.

= عباس أن النبي ﷺ كان يقول بين السجدين: «اللهم اغفر لي وارحمني وعافني واهدني وارزقني»، انظر: سنن أبي داود ٢٢٢/١. (مرجع سابق).

(١) الحديث رواه أحمد والترمذي وصححه.

(٢) انظر: نيل الأوطار، للشوكاني. تقديم وهبة الزحيلي. دار الخير، بيروت، ط ١ (١٤١٦هـ)، ٤٣٠/٣، ٤٣١.

والملاحظ هنا أن العمراني عندما يتكلم أو ينتقد فإنه يأخذ بأسلوب غاية في الأدب مع العلماء الأجلاء، ولا نلاحظ عليه أسلوب الغلظة والفضاضة الذي كان يسير عليه بعض أشياخه. وهذا معناه: أنه لم يتأثر بهم أبداً، ثم يضرب المثل: (كقوله في شرح الأثر الموقوف على الشعبي: «اللهم إله جبريل وميكائيل وإسرافيل» في تحفة الذاكرين: (أن الشعبي هذا هو الإمام الكبير التابعي عامر بن شراحيل الذي قتله الحجاج ظلماً). مع أنه لم يقتله الحجاج ظلماً ولا عدلاً بل ولم يدرك الحجاج زمن موت الشعبي؛ لأن الحجاج كان قد توفي أيام الوليد بن عبد الملك إجماعاً ولم يدرك أيام أخيه سليمان بن عبد الملك، ولا أيام ابن عمه أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز بإجماع المؤرخين، ولم تغرب شمس القرن الأول من الهجرة إلا وقد هلك قبل ذلك، ولم تشرق شمس الخلافة العمرية إلا وقد كان هلك، ولم يدرك تلكم الخلافة العادلة، وأنى له أن يدركها وهو لم يدرك ما قبلها من الخلافة السليمانية خلافة سليمان بن عبد الملك الذي انتقلت منه الخلافة إلى الخليفة العادل عليه السلام!! أما الشعبي فقد عاش طويلاً بعد الحجاج حتى عرف الدولتين دولة سليمان بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز وتولى معه القضاء، ثم توفي في فجر القرن الثاني من الهجرة، ولكنه سبق فكره من الإمام الشعبي إلى الإمام سعيد بن جبير الذي قتله الحجاج ظلماً).

وكان القاضي العمراني في نهاية هذا التعقيب يعتذر بأدب جم وأسلوب لطيف؛ عله أن يكون قد جرح الحافظ الشوكاني فلا يسعه إلا أن يسوق أمثلة واقعية من التأريخ كمبررات على أن شيخ الإسلام ليس الوحيد الذي قد تسلل إليه الغلط، وإنما هكذا من يكون في الميدان.

فهذا الجلال وهو عالم مجتهد غلطاته تفوق الحصر، وهذا فيلسوف المؤرخين ابن خلدون يناقض كلامه بكلامه، وأذكر أنه أنكر أشد النكير على المؤرخين في مبالغتهم في الأعداد، كقولهم: إن جيش بني إسرائيل كان ستمائة ألف أو يزيدون، ونحو ذلك، وبينما كنا ننتظره عندما يصل إلى مثل هذه القصص في تأريخه فيزيغها أو يسكت عنها على الأقل، ولكن رأيناها يبالي أكثر من مبالغاتهم فيقول: إن عدد المسلمين في غزوة تبوك مائة وعشرة آلاف. ولا يخفى ما في هذا من المبالغة، والذي في كتب التأريخ المشهورة الصحيحة أنهم ثلاثون ألفاً، وكانت

الخليل عشرة آلاف، وأن المعتصم نازل عمورية بستمائة ألف مع أنه مخالف لما ذكره المؤرخون من أنه عدد يناهز السبعين ألفاً، كما أنكر على المؤرخين أنهم زعموا أن التتابعة استولوا على أقاصي البلدان كالهند والمغرب والعراقين، ثم ارتكب هذا الزعم عندما زعم أن أهل اليمن قد غزوا إلى تلكم البلدان، وأخذ يعدد غيرها من الغرائب التي قالها كثير من العلماء. ساق هذا كله مبالغة في الاعتذار للشوكاني رحمته الله.

فهو يسوق هذه الأمثلة ليقول: لا عجب أن يسبق الغلط إلى مولانا وشيخنا القاضي العلامة شيخ الإسلام الشوكاني، فما من مؤلف إلا وله تناقضات، وجل من تنزهه عن التناقض.

وفي موضع من رسالته أجده يقول:

(والشوكاني أيضاً من كبار الأصوليين وهو من أعظم من يحافظ على القواعد في شرحه للأحاديث النبوية وأعظم من يطبق الفروع على الأصول على ضرة القواعد الأصولية لديه، ولدى المحققين من أهل الأصول)، ثم يبين هذا بما لاحظته عليه قائلاً:

(إن الحكم على الحديث بالنسخ لا يتم عنده إلا باجتماع شرطي النسخ:

أولاً: عدم إمكان الجمع لوجود التعارض الكلي.

ثانياً: المعرفة المحققة للمتقدم والمتأخرين.

وكم شن الغارات على العلماء الذي لا يراعون هذين الشرطين في مؤلفاتهم، فلا يكاد يمضي باب من الأبواب الفقهية في مؤلفاته إلا وله اعتراض فيه على من يحكم بالنسخ بالاحتمال ولا سيما في وبل الغمام حاشية شفاء الأوام، ولكنه في نفس الوقت ربما حكم بالنسخ مع عدم التعارض الكلي الذي لا يصلح معه الجمع بين الحديثين مخالفاً الشرط الأول، وتارة يثبت النسخ بالاحتمال من دون تحققه لتقدم تأريخ المنسوخ وتأخر الناسخ فيخالف الشرط الثاني.

ولكن لا يكتفي العمراني بالادعاء بل يسوق على ذلك ما يصحح دعواه، فمثال الأول قد سبق عند اعتراضه عليه في الدراري في باب صلاة الجماعة في بداية المبحث.

ومثال الثاني: قال ﷺ في كتابه السيل الجرار عند ذكره لمسألة النظر في المرأة إلى الأجنبي في باب اللباس^(١) . . .

ومن جملة القواعد التي اعتمدها الشوكاني في الأصول وطبق عليها الأحاديث الصحيحة: أن الفعل لا يدل على وجوب ولا على شرطية أيضاً، وأن الذي يدل على الوجوب هي الأوامر المجردة عن القرينة، أما الشروط فلا تثبت إلا بما هو أعظم من الفعل والأمر، وهو صيغة النهي المقتضي للفساد، ونفي الصحة، ونفي القبول. وطالما اعترض على من سبق في تقريرهم الشروط بغير ذلك. ولكنه خالف قاعدته هذه في كتاب الجنائز من السيل الجرار^(٢)، فقرر ما قاله صاحب الأزهار من وجوب الإعادة لصلاة الجنائز إذ لم يأذن الأولى، وقال: إن الحق له ولم يأذن به فهو باق، وليس في زيادة الصلاة عليه إلا تكرار الخير للميت، ولهذا صلى النبي ﷺ على قبر السوداء أو الأسود حيث دفنوه ولم يؤذنوا النبي ﷺ، مع أن المعلوم أنهم لا يدفنونه إلا وقد صلوا عليه. وهكذا صلى رسول الله ﷺ على قبر رطب، وهذا والذي قبله ثابت في الصحيحين وغيرهما. اهـ.

وأيضاً خالف قواعده التي صرح بها في مؤلفاته تبعاً لأئمة الأصول، وهو أن المتواتر من الأحاديث ما رواه جماعة عن جماعة متفقي الطرفين والوسط فقال في السيل الجرار: إن حديث أبي هريرة في التوجه^(٣) متواتر لفظاً، مع أن مدار الرواية كلها على أبي هريرة لا غيره.



(١) السيل الجرار ٤/١٣١، (مرجع سابق) لكن الذي يبدو لي أن القاضي محمداً تراجع عن هذا الاعتراض لأنني وجدت على كل سطر من هذه الفقرة شطباً فترددت في نقلها.

(٢) السيل الجرار ١/٣٥٥، (مرجع سابق).

(٣) السيل الجرار ١/٢٢٣، (مرجع سابق).

استدراكات العمراني على شيخ الإسلام الشوكاني في الدراري المضية^(١)

* أولاً: في باب الصلاة:

١ - في أحاديث استفتاح الصلاة ذكر الشوكاني في الكتاب المروي عن أبي هريرة رضي الله عنه في التوجه قوله ﷺ: «اللهم باعد بيني وبين خطاياي . . إلخ»، وذكر أنه حديث متواتر لفظياً، فاستدرك عليه شيخنا بقوله: (فيه نظر؛ لأنه لم يرد بهذا اللفظ إلا عن أبي هريرة فقط، فكيف يكون متواتراً، وقد ذكر الشوكاني في السيل الجرار أن الحديث من المتواتر، وليس من المتواتر أصلاً)^(٢) اهـ من كلامه.

٢ - وذكر الشوكاني في الكتاب مسألة التأمين، ورجح وجوبه على المؤتم بشرط أن يؤمن الإمام، مستدلاً بحديث أبي هريرة في الصحيحين وغيرهما بلفظ: «إذا أمن الإمام فأمنوا»، فاستدرك عليه القاضي محمد بقوله: ولكن يجاب عنه بأن الرواية الأخرى: «إذا قال الإمام: ﴿وَلَا الضَّكَّالِينَ﴾ فقولوا: آمين»، وبناء عليه فيكون الوجوب مطلقاً غير مقيد؛ لأن كل إمام لا بد أن يقول: ﴿وَلَا الضَّكَّالِينَ﴾. فتأمل^(٣) اهـ من كلامه.

وأضاف فائدة أخرى تعليقاً: (وإن كل الأحاديث الواردة هي في تأمين الإمام، أما في تأمين المأموم فلم يرد في كتب الحديث حديث صحيح يدل على أن الصحابة كانوا يجهرون بالتأمين^(٤)). أو كانوا يسرون بالتأمين ولهذا نقول

(١) الدراري المضية شرح لمتن شرح الدرر البهية، كلاهما لشيخ الإسلام محمد بن علي الشوكاني، ط ١ (١٣٤٧هـ).

(٢) نفس المصدر، ص ١٣٥. (٣) نفس المصدر، ص ١٣٧.

(٤) نفس المصدر، ص ١٣٨ ولكن قد أورد الألباني في كتابه: سلسلة الأحاديث الضعيفة =

أن ما نسمعه من إخواننا الشافعية (يقصد في اليمن) من الجهر بالتأمين خلف الإمام ليس له مستند إلى حديث صحيح فيما أعلم، وإنما هو تقليد لأئمة مذاهبهم فقط. وبناء عليه فالذي أراه وأعمل به هو الجهر تارة والإسرار تارة أخرى، وأن كليهما سواء، وأن المؤتمر مخير بين الأمرين، ولا يبعد أن يكون الإسرار أفضل عملاً بقوله: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُمْ لَا يُحِبُّ الْمَعْتَدِينَ﴾ (الأعراف: ٥٥).

* وفي باب صلاة الجماعة:

ذكر الشوكاني رحمته مسألتين لم يخالف فيهما الصواب.

أ - ذكر الشوكاني رحمته أن النبي صلى صلى بعد أبي بكر وبعد غيره من الصحابة كما في الصحيح.

فاستدرك عليه شيخنا بقوله:

(لم يصل النبي صلى خلف أحد غير أبي بكر وعبد الرحمن بن عوف فقط، فكان الصواب أن يقول: وقد صلى النبي صلى بعد أبي بكر وعبد الرحمن بن عوف. وقد بحثت في جميع كتب الحديث وتراجم الصحابة فلم أجد غير هذين الصحابيين، ووجدت في شفاء الأمير الحسين أنه (صلم) صلى بعد عتاب بن أسيد ولم أجد في كتب الحديث أصلاً، ولم يرد أنه صلى صلى بعد عتاب بن أسيد الذي لم يسلم إلا يوم الفتح، والذي كان صغير السن، وقد بقي في مكة أميراً حتى توفي بها، وقد ذكر هذا الكلام صاحب الشفاء، وتبعه الشوكاني وأخذ عنه

= والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة ٣٦٨/٢، المكتب الإسلامي ط ١ (١٣٩٩ هـ تحت حديث رقم ٩٥٢، ذكر أثرين لابن الزبير ولأبي هريرة رضي الأول: (. . . أكان ابن الزبير يؤمن على أثر أم القرآن؟ قال: نعم، ويؤمن من وراءه حتى أن للمسجد للجة، ثم قال: إنما آمين دعاء) والثاني: قال أبو رافع: (إن أبا هريرة كان يؤذن لمروان بن الحكم فاشترط أن لا يسبقه بالضالين) حتى يعلم أنه قد دخل الصف فكان إذا قال مروان: (ولا الضالين) قال أبو هريرة: آمين بمد بها صوته، وقال إذا وافق تأمين أهل الأرض تأمين أهل السماء غفر لهم) وذكر الألباني أثر ابن الزبير في كتاب تمام المنة في التعليق على فقه السنة، الطبعة الجديدة المنقحة، المكتبة الإسلامية، عمان - الأردن، دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض - السعودية ط ٣ (١٤٠٩ هـ)، ص ١٧٨.

صديق حسن خان باللفظ نفسه ولم ينسبه إلى الشوكاني^(١) اهـ.

* وفي باب صلاة العيدين:

ذكر الإمام الشوكاني حديثاً في تخريج أحمد بن الحسن البناء، في كتاب الأضاحي، في حديث جندب قال: (صلى رسول الله ﷺ بنا يوم الفطر والشمس على قيد رمحين والأضحى على قيد رمح)^(٢)، الحديث.

ورد العمراني قائلاً: (إن هذا الحديث من رواية المعلا بن هلال كما في التلخيص، وقد اتفق النقاد على تكذيبه، ولا نغتر بسكوت الحافظ عنه، في التلخيص، ولا بتصحيح الجلال للحديث في ضوء النهار، ولا بما نقله عنه السياغي...) انتهى من كلامه^(٣).

* وفي باب صلاة الجماعة أيضاً:

ب - ذكر الشوكاني أنه لا يقدم في الإمامة إلا الأقرأ ثم الأعلم بالسنة ثم الأقدم هجرة. فقال الشوكاني: إن هذا الحكم قد نسخ بحديث «لا هجرة بعد الفتح»^(٤).

رد القاضي العمراني: فيه نظر؛ لأن الظاهر بقاء هذا الحكم محكماً غير منسوخ، وأن الهجرة المعتد بها في الإمامة لا تختص بالهجرة في عصره ﷺ، بل هي التي لا تنقطع إلى يوم القيامة، كما وردت بذلك الأحاديث عن معاوية بن أبي سفيان بلفظ: «لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها»^(٥). وهذا الحديث وإن كان فيه مقال كما قال الخطابي في معالم السنن، فله شاهد صحيح من حديث عبد الله السعدي عند النسائي بلفظ: «لا تنقطع الهجرة ما قوتل العدو»، وذكره السيد محمد إبراهيم الوزير في عواصمه

(١) نفس المصدر، ص ١٦١ - ١٦٣. (٢) نفس المصدر، ص ١٩٨.

(٣) نفس المصدر، ص ١٩٨.

(٤) في صحيح الإمام مسلم عن عائشة، وفي مسند الإمام أحمد والنسائي عن صفوان بن أمية، وفي سنن الترمذي عن ابن عباس، نقلاً عن صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير)، رقم الحديث (٧٥٦٣ - ٢٧٠٥)، ص ١٢٥٥.

(٥) انظر الألباني: صحيح الجامع الصغير وزيادته الفتح الكبير، الطبعة الجديدة والمنقحة، المكتب الإسلامي ١٢٤٤/٢، وهو مرجع في مسند الإمام أحمد وسنن أبي داود.

وقواصمه وفي الروض الباسم، ونقله مختصراً السيد محمد بن الأمير في توضيحه. وهذا هو مذهب الجمهور. وأما «لا هجرة بعد الفتح»، فالمراد بها الهجرة من مكة إلى المدينة، أو «لا هجرة بعد الفتح» فضلها كفضل الهجرة قبل الفتح، وهذا لا بد منه للجمع بين الأحاديث.

قال الشوكاني في نيل الأوطار وشرح منتقى الأخبار^(١).

من باب صلاة الاستسقاء:

أغفل المؤلف رحمه الله تعالى استحباب الدعاء بجس المطر وتحويله إن دام معه دواماً يخشى معه الهلاك، وهو مما صح دليله من فعله ﷺ كما جاء في البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك: أن رجلاً دخل المسجد يوم الجمعة والنبي ﷺ يخطب فقال: يا رسول الله هلكت الأموال وانقطعت السبل فادع الله ﷻ يغيثنا، فرفع يديه - وزاد البخاري: ورفع الناس أيديهم - ثم قال: «اللهم أغثنا» فذكر الحديث. وفيه الدعاء بإمساكها - أي السحاب - إلى آخر الحديث في الصحيحين.

كما أغفل ذكر استحباب أن تكون القراءة جهراً لا سراً وهو مما صح دليله من فعل النبي ﷺ كما جاء في البخاري والنسائي وأبي داود، وممن نص على هذا الاستحباب صاحب الحجة البالغة. وقال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم: أجمعوا على استحبابه. وكذلك نقل الإجماع على استحبابه العلامة ابن بطال وغيرهم.

ومن باب صلاة الكسوف:

فإن مولانا الشارح ﷺ ذكر مشروعية الاعتاق في الكسوف، وهو مما صح دليله كما أخرجه البخاري ومسلم عن أسماء بنت أبي بكر قالت: (لقد أمرنا رسول الله ﷺ بالعتاقة في كسوف الشمس). وفي لفظ البخاري في كتاب العتق من طريق غنام بن علي بن هشام: (كنا نؤمر عند الكسوف بالعتاقة).

(١) من جمع القاضي العمراني في كتاب سماه (جمع ما تفرق من الفوائد) بإيعاز من مشايخه وطلابه. وهو غير مرقم ولا زال مخطوطاً حتى الساعة.

كما فاته ذكر استحباب النداء بها بـ(الصلاة جامعة)، وهو مما صح دليله أيضاً، وقد ورد من حديث ابن عمر قال: لما كسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ فبعث منادياً (الصلاة جامعة)، فقام فصلى. . إلخ الحديث عند البخاري. وقد نقلها المجد بن تيمية في منتقى الأخبار، وفات الشارح الاستنباط لهذا الحكم في شرحه على المنتقى. وممن نص على ذلك الإمام المهدي في البحر، وفات الشارح أيضاً النص على استحباب الخطبة في الكسوف، وهو مما صح دليله من فعله ﷺ عند البخاري ومسلم من حديث عائشة، وإن خالف في هذا الاستحباب الحنفية والمالكية والعترة، وردوا الدليل بما لا يخلو عن تكلف ظاهر. اهـ.

من كتاب الجنائز في فضل الصلاة على الجنائز:

ترك المؤلف رحمه الله تعالى التنصيص على ذكر الصلاة على النبي ﷺ في صلاة الجنائز والتسليم عند الخروج من الصلاة، وهما مما صح دليله عموماً وخصوصاً. أما الأدلة العامة فكما تقدم من صفة الصلاة من الأدلة العامة على مشروعيتها في مطلق الصلاة، كحديث: «لا صلاة لمن لم يصل علي»، وحديث «تحليلها التسليم». وقد اتفق العلماء على هاتين المشروعتين، وإن اختلفوا في حكمها، وهذه الصلاة داخلة في جملة الصلوات، داخلة في عمومها كما لا يخفى.

وأما الأدلة الخاصة: كحديث أبي أمامة بن سهل عن رجل من أصحاب النبي: أن السنة في صلاة الجنائز: أن يكبر الإمام، ثم يقرأ بفاتحة الكتاب بعد التكبيرة الأولى سراً في نفسه، ثم يصلي على النبي ﷺ ويخلص في الدعاء للجنائز في التكبيرات، ولا يقرأ في شيء منهن، ثم يسلم سراً في نفسه. أخرجه الشافعي في مسنده، قال في الفتح: وإسناده صحيح، وقد ذكر هذا الحديث الشارح في أثناء هذا الشرح، وأخرجه الحاكم من وجه آخر، وأخرجه النسائي وعبد الرزاق، قال في الفتح: وليس فيه قوله «بعد التكبيرة»، ولا قوله «سراً في نفسه» ولكن الحاكم أخرجه نحوه.

وأخرج القاضي إسماعيل المالكي في كتاب الصلاة على النبي ﷺ عن أبي أمامة: «السنة في الصلاة على الجنائز أن يقرأ بفاتحة الكتاب، ويصلي على النبي ﷺ

ثم يخلص الدعاء للميت، حتى يفرغ، ولا يقرأ إلا مرة ثم يسلم». وأخرجه ابن الجارود في المنتقى، ورجاله مخرج لهم في الصحيحين. وأخرج البيهقي عن أبي مسعود قال: ثلاث كان رسول الله ﷺ يفعلهن وتركهن الناس، إحداهن: التسليم على الجنائز مثل التسليم في الصلاة. وهو مجمع عليه.

وذكر القاضي العمراني جملة من الأمور، فات المؤلف ذكرها، مثل الرش على القبر، ووضع العلامة عليه، واستحباب تعميق القبر، والتسمية عند وضع الميت في قبره بالمأثور. كما ترك المؤلف الكلام على جواز إدخال الأجنبي المرأة الأجنبية، وجواز الدفن ليلاً، وجواز نبش القبر بعد الدفن لغرض صحيح. كما ترك المؤلف التنصيص على تحريم رفع القبور وتخصيصها والكتابة عليها في نفس الأصل. ثم ساق العمراني بعد ذلك كل ما فات المؤلف مع ذكر الأدلة وتخريجها^(١).

○ ثانياً: في كتاب الزكاة:

* في زكاة الغنم والإبل:

ترك المؤلف ﷺ التنصيص على اشتراط السوم في الغنم، وقد ورد ذلك في حديث أنس الذي أسنده إلى كتاب أبي بكر الصديق ﷺ في فريضة الزكاة التي فرضها رسول الله ﷺ على المسلمين، وأمر الله بها رسول الله ﷺ وفيه: «وفي صدقة الغنم في سائمتها». وأما الإبل فقد ورد في حديث بهز بن حكيم عند أبي داود والنسائي، وفيه: «في كل سائمة إبل»، وفيه بهز بن حكيم، وحديثه مختلف فيه. أما في البقر فبالقياس على الغنم إن صح القياس، والذي على شرط الكتاب، كما ترك أيضاً الكلام على جواز سمة الإمام للمواشي إذا تنوعت عنده وهو مما صح دليله^(٢).

(١) يمكن الرجوع إليها في نفس المخطوطة، وإن شاء الله إذا أمد الله في العمر أفردتها في رسالة مستقلة مع تخريج أحاديثها كاملة.

(٢) حديث الإبل، عند البخاري ومسلم من حديث أنس قال: (غدوت إلى رسول الله ﷺ بعبد الله بن أبي طلحة ليحنكه، فوافيته وفي يده الميسم ليسم إبل الصدقة) وجاء في الغنم؛ حديث أيضاً عند أحمد وابن ماجه: قال: دخلت على النبي ﷺ وهو يسلم غنماً في آذانها. اهـ.

كما أغفل المؤلف الكلام على وجوب وصول المصدق إلى ثنيات المسلمين،
وعدم تكليفهم إيصاله الصدقة إليه^(١).

* في مصارف الزكاة:

قوله: وتحرم على بني هاشم.

قال العمراني: كان على المؤلف رحمته وهو الرجل الوحيد الذي حافظ في
مختصره هذا على نفس النصوص الحديثية الصريحة الصحيحة المرفوعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم
أن يعدل عن هذه العبارة الخاصة (ببني هاشم) التي لم ترد في حديث صحيح إلى
عبارة (آل محمد)، التي وردت في الأحاديث المرفوعة الصحيحة. قال السيد
محمد بن إسماعيل الأمير في (منحة الغفار) أنه لم يقف على حديث صحيح للفظ
بني هاشم إلا رواية في كتاب الانتصار^(٢)، قال في تخريج البحر أنه لم يقف على
لفظه في غير الانتصار، وفي البحر: أن آل عبد المطلب. . قال مخرجه: لم نقف
عليه، وقال السيد محمد الأمير: (العجب من التطابق، في عبارة فقهاء الفرق
بهذه اللفظة التي لم تقع في عبارته (صلعم) ولا هي بمرادفة لها، ففي كتب
الشافعية والحنفية والمالكية والحنبلية التعبير بالهاشمي وهو كما ترى لا يطابق
اللفظ النبوي اه.

قلت: وقد تابعهم المؤلف رحمته في كتابه هذا بالرغم من كونه الكتاب
الفقهي الوحيد الذي يحافظ مؤلفه في عباراته كلها على نفس النصوص الصريحة
الصحيحة، ولا يعرج على غيره من الأدلة مهما كانت، وكيفما وقعت،
والكمال لله وحده.

(١) لحديث عبد الله بن عمر عند أحمد مرفوعاً: (تؤخذ صدقات المسلمين على حبيهم). وفي
رواية له أيضاً عند أبي داود: (لا جلب ولا جنب ولا تؤخذ صدقاتهم إلا في ديارهم).
وقد سكت عنه أبو داود والمنذري والحافظ في التلخيص. وفي إسناده محمد بن إسحاق
وقد عنعن له شاهد من حديث عمران بن حصين عند أحمد وأبي داود والنسائي والترمذي
وابن حبان وصحاحه، ومن حديث أنس عند أحمد والبزار وابن حبان وعبد الرزاق
والنسائي اه.

(٢) الانتصار: كتاب فقهي يقع في ثمانية عشر مجلداً للإمام الزيدي المؤيد بالله يحيى بن حمزة
(٦٦٩ - ٧٠٥هـ).

ثم ذكر شيخنا أن مؤلف الدراري فاته أن يذكر كثيراً من الأحكام مما صح دليله على جهة الصراحة والتنقيص، وذلك كجواز الخرص للعنب والتمر، وترك الربع والثلث للمالك واستحباب الدعاء له، وكراهية إخراج الرديء عن الجيد وكراهية قبول المصدق.

ثم ساق شيخنا دليل كل مسألة مع تحريج الأدلة من مظانها، واستطرد مسائل كثيرة غفل عنها المؤلف وأوضحها في بحوث مستقلة على نحو ما فعله الشارح في كلامه في كتاب الدراري، وجعلها على هيئة فصول.



استدراكاته على بعض أئمة الزيدية فوائد مجموعة من كتب أئمة الهادوية لبعض الأحاديث الموضوعية

نماذج للأحاديث الموجودة في كتب الزيدية لا توجد في كتب الحديث عند أهل السنة وربما وجد بعضها بسند ضعيف جداً.

○ تمهيد:

كثيراً ما كان القاضي محمد أثناء إملائه الدروس لطلابه في المسجد أو في غيره ينقل أحكاماً تفردت بها الهادوية أو بشكل أعم هي من تفردات الزيدية. أو ربما أتى بحكم من الأحكام، فيقول: قالت الأحناف كذا، وقالت المالكية كذا، وقالت الحنابلة كذا، وقالت الشافعية، وشذت الهادوية بقولهم كذا!!!

فيشير هذا استغراب كثير من الطلاب، فيجيب بما يزيل استشكالهم بقوله: لقد بنوا هذا الحكم على حديث ضعيف أو ليس له أصل.

ولذا فلاني رأيت أن أضرم إلى هذا البحث مما يعتبر من جهود القاضي العلمية لتعم الفائدة لدى طلاب العلم أمثالي خاصة في اليمن حيث البيئة خصبة بالخلاف بين الزيدية والشافعية، وقد كانت حدة الخلافات خفت إلى حد كبير، إلا أن جماعة من الرافضة بدت على الساحة اليمنية في هذه الأيام وأحيتها جذعة، وليت من بيدهم الأمور يعرفون ضرر وخطر هذا الخلاف فيحذروا منه بما يرضي الله، والله المستعان.

في قضاء الحاجة:

حديث: (كان النبي ﷺ يتفجخ تفجج الظليم في الاستنجاء) في البحر.

حديث: (حجرين للصفحتين). وحديث (أما المكتوبة فالقرار القرار) في الشفاء.

في باب الوضوء:

حديث: (وضوء المؤمن كدهنه) في البحر الزخار للإمام المهدي.

الحديث الرابع: في الوضوء من الحدث.

حديث كان رسول الله ﷺ (يأمر بالوضوء من الحدث ومن أذى المسلم).

في الشفاء للأمير الحسين، وأصول الأحكام للإمام الهادي.

في باب الغسل:

حديث: (إذا جامع أحدكم فلا يغتسل حتى يبول..). في الشفاء.

حديث الغسل بالحرض في حديث أم عطية ورقية. في البحر.

في الأذان:

حديث أن النبي ﷺ أمر أن يقال: (حي على خير العمل).

في الصلاة:

(نهى النبي ﷺ أن يضع الرجل يده اليمنى على اليسرى وقال: إنه من فعل

اليهود) كتاب المناهي.

حديث: (دسوها في الليل دساً) في البحر.

حديث: (أن النبي ﷺ أمر إمامة النساء أن تكون في الوسط) في مجموع زيد.

حديث التشهد (بسم الله وبالله).

حديث: (لا ظهران في يوم) في البحر الزخار.

حديث: (أن تكبيرات العيد تكون بعد القراءة) في البحر الزخار.

حديث: (إذا ابتلت النعال فصلوا في الرحال) في الشفاء.

حديث: (صلاة يوم الغدير). في الشفاء للإمام حسين.

في الجنائز:

حديث: (أن النبي ﷺ كفن في ثوبين صحارين).

حديث: (أن النبي ﷺ ما مشى حتى مات إلا خلف الجنائز) في شفاء

الأمير.

حديث: (أن النبي ﷺ أمر المشيعيين أن يكونوا خلف الجنازة) في شفاء الأمير.

حديث: (نهى النبي ﷺ عن الصلاة في القبر) البحر.

حديث: (أن النبي ﷺ قال للصحابة وقد استحضر أحدهم «استقبلوا به القبلة») في شفاء الأمير.

حديث: (الأمر بتوسيد اليمين في الميت).

حديث: (أن النبي ﷺ رجع قبر حمزة وإبراهيم).

وفي باب الصيام والفطر:

حديث: (وآخر معك) البحر الزخار.

حديث: (أن النبي ﷺ لا يقبل نساءه وهو صائم) البحر.

حديث: (الترخيص للمستعطش بالفطر والإطعام نصف صاع). البحر.

حديث: (أن النبي ﷺ صام يوم الشك) في الشفاء.

حديث: (شعبان شهري ورجب شهرك يا علي، ورمضان شهر الله) شرح

الأزهار للإمام المهدي.

حديث: (الصائم ثلاثة أيام من كل شهر، الخميس في أوله، والأربعاء في

وسطه، والخميس في آخره) الانتصار.

حديث: (من كان عليه صوم رمضان فليسرده ولا يقطعه) البحر.

حديث: (كان النبي ﷺ يغتسل في ليالي القدر) في مجموع زيد بن علي.

حديث: (من صام ثلاثة أيام من الشهر الحرام الخميس، والجمعة،

والسبت كتب الله له عبادة تسعمائة سنة).

حديث: (من صام الدهر فقد وهب نفسه لله) البحر.

وفي باب الحج:

حديث: (الحج عرفة، الحج عرفة، الحج عرفة) في الشفاء.

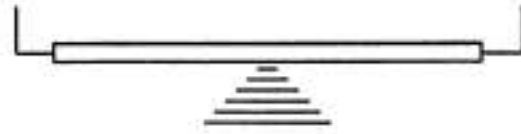
متفرقات:

حديث: (نهى جبريل النبي ﷺ عن كشف عورته حال كون النبي طفلاً

صغيراً) في البحر الزخار.

- حديث: (الزرع للزارع وإن كان غاصباً) في الشفاء والبحر.
- حديث: (نهى النبي ﷺ عن بيع المعاطاة) في البحر.
- حديث: معاذ (أقيس الأمر الأمر) في القسطاس المستقيم.
- حديث: (إن فجر ظهرك فلا يفجر بطنك) الروض النضير.
- حديث: (احتمل لأخيك سبعين عذراً) في البحر.
- حديث: (الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا وأبوهما خير منهما)
الانتصار ليحيى بن حمزة، والشفاء.
- حديث: (أن النبي ﷺ صلى خلف عتاب بن أسيد) الشفاء.
- حديث: (الناس أكفاء بعضهم لبعض إلا فاطمة) الشفاء.
- حديث: (أن النبي ﷺ يوم الخندق استشار السعود الثلاثة) في الشفاء.
- حديث: (أن أبا أيوب الأنصاري قتل شهيداً) في الشفاء.
- حديث: (من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية) الانتصار.
- حديث: (أن جيش الروم يوم مؤتة ثمانون ألفاً) في البحر.
- حديث: (أن النبي ﷺ صلى على شهداء بدر) أمالي أحمد بن عيسى.
- حديث: (الآن تم إقرارك) البحر.
- حديث: (من لم يقبل الرخصة فعليه الإثم مثل جبل عرفة) الانتصار
والأحكام.





الذاتمة

والنتائج والتوصيات

قراءة سنة ونصف قضيتها في ظلال الحياة العلمية والدعوية للقاضي العلامة محمد بن إسماعيل العمراني، أبحث عن أبرز معالم هذه الحياة بجذر وحيطة بالغين، استطعت خلال هذه المدة القصيرة أن أقتطف من ثمار هذين الحقلين من المعالم ما يهتدي بها السائرون ويسترشد بها الباحثون ويغوص من خلالها الماهرون، حاولت واجتهدت.

ولا أدعي أنني بعد كل هذا به خبيراً أحطت، فهناك الكثير والكثير ما زال تحت الأدراج مبعثراً في الأوراق، ولقد اجتهدت في إخراج بعض ما كتبه هذا العلامة الفقيه المتواضع قاضي صنعاء المبرز.

ثم ليكن هذا الذي ظهر وبرز مسرحاً للباحثين والمحققين كي يعملوا مثابرين ومجتهدين في تحقيق مخطوطات هذا الفقيه، وإن مما لا يخفى على من درس عنده أن ما يحمله بين جنبتيه من علوم في الفقه واللغة والتاريخ وغيرها... يحتاج إلى أيدي تأخذ ببعضها للخروج بهذه الكنوز إلى بر الأمان والاستفادة منها بقدر الإمكان.

وأرجو أن يلتمس لي العذر في كل تقصير طرأ علي، فالقصور شيء طبيعي عند البشر، ومن ادعى الكمال فقد أبعد النجعة، والكمال لله وحده، والعصمة للأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم.

ولا يفوتني بعد هذه الخاتمة البسيطة أن أذكر بعض النتائج التي توصلت إليها من خلال هذه الدراسة المتواضعة وأن أجملها في النقاط التالية:

١ - دعا القاضي محمد بقوة وعزم إلى مذهب السلف والتمسك بالسنة وتطهير العقيدة من الأدران الدخيلة، ونبذ التعصب المذهبي، وترك الجمود العقلي، والعمل على راب صدع الأمة ولم شملها ونبذ الخلافات التي بينها.

٢ - لم تقتصر دعوة القاضي محمد على إحياء فكر الشوكاني، حيث إنه أول من درّس كتبه^(١) في حلقاته العلمية، بل دعا إلى ما دعا إليه السلف، فكان عمله هذا إحياء لمدرسة السنة التي بدأ بها ابن الوزير وبلغت ذروتها بالشوكاني رحمهم الله جميعاً.

٣ - ولم يتأثر القاضي محمد ببيئته الزيدية برغم نشأته فيها وأخذ العلوم على مشايخها، بل يظهر تأثيره جلياً بالعلماء المجتهدين المنصفين من أهل السنة كابن الوزير والمقبلي والجلال والأمير والشوكاني، ومحمد رشيد رضا والألباني وغيرهم.

٤ - لم تعد الزيدية في اليمن كما كانت عليه أول نشأتها، وإنما أخذت من المعتزلة معظم أصولهم فهي ربيبة المعتزلة في هذا القطر وما هي (أقرب إلى أهل السنة) إلا باحتكاكها بالشافعية في اليمن طوال فترة وجودها.

٥ - قامت الزيدية بحفظ تراث ومؤلفات المعتزلة من الانقراض، ونقله جملةً من العراق إلى اليمن.

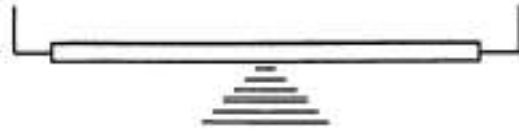
٦ - المعتزلة والأشاعرة فرقتان متوازيتان في وجودهما جنباً إلى جنب مع الزيدية والشافعية على الترتيب.

٧ - يظهر من خلال البحث أن معتقد القاضي محمد معتقد السلف ويظهر هذا بوضوح من خلال كتاباته.

٨ - لم تخل مناطق الزيدية على مر الأزمنة من علماء السنة فيها على الرغم من أن أهل هذه المناطق يغمطون علماءهم حقوقهم ويظلمسون آثارهم وجهودهم، والذي يتأمل ويبحث يجد الكثير منهم يظهر بين الفينة والأخرى.



(١) المخطوطة التي ما كانت تدرس في المساجد والمدارس مثل: السيل الجرار، ووبل الغمام وكان هو الوحيد الذي درسها في المسجد وقد تفرد بذلك. أما المطبوعة من كتب الشوكاني فقد كان البعض من مشايخه يدرسها في المسجد مثل نيل الأوطار، وفتح القدير وغيرها من الكتب التي كان يدرسها في المسجد بعض مشايخه كالإرياني والجرافي، وعبد الخالق الأمير وغيرهم.



التوصيات

- ١ - لا بد من الاهتمام بتراجم العلماء العاملين في هذه الأمة ونشر جهودهم وتراثهم العلمي.
- ٢ - إن ما كتبه شيخنا وعالمنا القاضي محمد يحتاج إلى بذل جهد واهتمام لإخراجه للناس مع شيء من التحقيق حتى تعم به الفائدة.
- ٣ - أرجو أن لا ينظر إلى أهل اليمن على أنهم زيدية شيعة، ففيهم العلماء من أهل السنة منتشرون في كل صقع من أصقاع اليمن.
- ٤ - وأخص أهل اليمن: ألا يهملوا علماءهم من حيث الترجمة الوافية الشافية، وإخراجها بالمظهر اللائق.



المراجع

- ١ - الأزهرى، محمد بن البشير ظافر، تحذير المسلمين من الأحاديث الموضوعية على سيد المرسلين، تصحيح وتعليق: محيي الدين مستو، دار ابن كثير دمشق - بيروت، مكتبة دار التراث، المدينة المنورة، ط١ (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م)، ص١٣٢.
- ٢ - الأشعري، الإمام أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت: ٣٣٠هـ) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت (ط١٤١٦هـ - ١٩٩٥م).
- ٣ - الأشعري، الإمام أبي الحسن علي بن إسماعيل، الإبانة عن أصول الديانة، مكتبة المؤيد، الرياض، مكتبة دار البيان، دمشق ط٤ (١٤١٣هـ - ١٩٩٣م).
- ٤ - الأكوغ، القاضي إسماعيل بن علي، المدارس الإسلامية في اليمن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢ (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م).
- ٥ - الأكوغ، القاضي إسماعيل بن علي، الزيدية نشأتها ومعتقداتها، دار الفكر، دمشق سورية، دار الفكر المعاصر بيروت لبنان، ط٣ (١٤١٨هـ - ١٩٩٧م).
- ٦ - الأكوغ، القاضي إسماعيل بن علي، هجر العلم ومعاقله في اليمن، دار الفكر المعاصر، بيروت - لبنان، دار الفكر، دمشق - سورية، ط١ (١٤١٧هـ - ١٩٩٦م).
- ٧ - الألباني، ضعيف الجامع الصغير وزياداته، الطبعة الجديدة المنقحة.
- ٨ - الألباني، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعية (٦٥/٢).
- ٩ - ابن تيمية، شيخ الإسلام، شرح العقيدة الواسطية، شرح سماحة الشيخ محمد الصالح العثيمين، خرج أحاديثه واعتنى به سعد بن فواز الصميل، دار ابن الجوزي، الدمام ط٤ (١٤١٧هـ).
- ١٠ - ابن تيمية، شيخ الإسلام، التدميرية تحقيق الإثبات للأسماء والصفات وتحقيق الجمع بين القدر والشرع، تحقيق محمد بن عودة السعودي ط١ (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م).
- ١١ - ابن تيمية، شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام، درء تعارض العقل والنقل أو موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول. تحقيق: د. محمد رشاد سالم. دار الكتوز الأدبية بدون تاريخ.
- ١٢ - ابن كثير، الحافظ الدمشقي، البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت.

- ١٣ - البسام، عبد الله بن عبد الرحمن، توضيح الأحكام من بلوغ المرام، دار القبلة للثقافة الإسلامية، المملكة العربية السعودية - جدة ط١ (١٤١٣هـ - ١٩٩٢م).
- ١٤ - البغا، د. مصطفى ديب، مختصر سنن النسائي، اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق - بيروت ط١ (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م).
- ١٥ - البغدادي، الإمام، عبد القاهر بن طارق بن محمد، الفرق بين الفرق، تعليق الشيخ إبراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت ط١ (١٤١٥هـ - ١٩٩٤م).
- ١٦ - البغدادي، الإمام عبد القاهر بن طاهر بن محمد (ت: ٤٢٩هـ - ١٠٣٧م)، تعليق الشيخ إبراهيم رمضان، دار الفتوى، بيروت، دار المعرفة، بيروت - لبنان ط١ (١٤١٥هـ - ١٩٩٤م).
- ١٧ - البغدادي، الحافظ أبو بكر أحمد بن علي الخطيب، تاريخ بغداد، دار الفكر، ٤٣٦/١١، ٣٤٧.
- ١٨ - البليهي، الشيخ، صالح بن إبراهيم، عقيدة المسلمين والرد على الملحدين والمنتدعين، ط٣ (١٤٠٩هـ).
- ١٩ - البياتي، د. منير عيد، النظم الإسلامية، دار البشير للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط١ (١٤١٥هـ - ١٩٩٤م).
- ٢٠ - البياتي، د. منير، النظام السياسي الإسلامي مقارناً بالدولة القانونية، دار البشير ط٢ (١٤١٤هـ - ١٩٩٤م).
- ٢١ - ترسيبي، د. عدنان، اليمن وحضارة العرب مع دراسة جغرافية كاملة، دار مكتبة الحياة، بيروت.
- ٢٢ - الثور، عبد الله أحمد، ثورة اليمن (١٣٦٧، ١٣٨٧هـ - ١٩٤٨، ١٩٦٨م)، دار الهنا للطباعة ١٩٦٨م.
- ٢٣ - الثور، عبد الله أحمد، من تاريخ اليمن (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م).
- ٢٤ - الثور، عبد الله أحمد، هذه هي اليمن، مطابع المدني بمصر ط٢ (١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م).
- ٢٥ - الجرافي، القاضي، فخر الدين عبد الله بن عبد الكريم، تحفة الإخوان مجلية علامة الزمان حليف السنة والقرآن المولى شيخ الإسلام المعمر الحسين بن علي العمري، المطبعة السلفية، القاهرة.
- ٢٦ - الجعدي، عمر بن علي بن سمرة، طبقات فقهاء اليمن، بتحقيق فؤاد سيد، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة ١٩٥٧م.
- ٢٧ - الجوزي، الإمام، جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن البغدادي، تلبيس إبليس، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.

- ٢٨ - الجوزية، ابن قيم، إعلام الموقعين عن رب العالمين، دار الحديث القاهرة ط٣ (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م).
- ٢٩ - الجوزية، الإمام الخافظ ناصر السنة وقامع البدعة أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الشهرير بابن قيم، إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، تحقيق وتصحيح: محمد حامد الفقي من علماء الأزهر الشريف ورئيس جماعة أنصار السنة المحمدية، دار الجيل للطباعة، جمهورية مصر العربية. الجزء الأول.
- ٣٠ - الحبشي، عبد الله محمد، الصوفية والفقهاء في اليمن، مطبعة دار النشر الثقافية، الفجاعة (١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م).
- ٣١ - الحبشي، عبد الله محمد، مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن، مركز الدراسات اليمنية، صنعاء.
- ٣٢ - الحجري، العلامة، القاضي محمد بن أحمد اليماني، مجموع بلدان اليمن وقبائلها تحقيق إسماعيل بن علي الأكوع، دار الحكمة اليمانية، صنعاء، ط٢ (١٤١٦هـ - ١٩٩٦م).
- ٣٣ - الحجري، القاضي محمد بن أحمد اليماني، مجموع بلدان اليمن وقبائلها بتحقيق وتصحيح ومراجعة: إسماعيل بن علي الأكوع، دار الحكمة اليمانية، الطبعة الثانية (١٤١٦هـ - ١٩٩٦م).
- ٣٤ - الحداد، محمد يحيى، التاريخ العام لليمن، دار التنوير، بيروت ط١ (١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م).
- ٣٥ - الحداد، محمد يحيى، التاريخ العام لليمن، التاريخ السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي منذ بداية تاريخ اليمن القديم وحتى العصر الراهن.
- ٣٦ - الحداد، محمد يحيى، تاريخ اليمن السياسي من عصر الإمام الهادي إلى سقوط دولة الإمامة، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ش.م.م، الطبعة الرابعة (١٩٨٦هـ - ١٤٠٧م).
- ٣٧ - الحربي، علي بن علي جابر، ابن الوزير وآراؤه الاعتقادية وجهوده في الدفاع عن السنة النبوية، مكتبة عبد الله علي عامر، مكة المكرمة، ط١ (١٤١٧هـ - ١٩٩٦م).
- ٣٨ - الحريري، د. محمد عيسى، الاتجاهات المذهبية في اليمن حتى نهاية القرن الثالث الهجري (٦ - ٣٠٠هـ - ٦٢٧م - ٩١٢م)، عالم الكتب، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م).
- ٣٩ - الكحلاني، الإمام، محمد إسماعيل، سبل السلام، شرح بلوغ المرام من أدلة الأحكام، دار الفكر.

- ٤٠ - حميد، صالح بن عبد الله، أدب الخلاف، مكتبة الضياء، ط ١ (١٤١١هـ - ١٩٩١م).
- ٤١ - الحميري، العلامة، محمد بن الحسين بن علي بن أحمد بن ناصر الشحيني الذماري، حياة الإمام الشوكاني المسمى كتاب التقصار في جيد الزمان علامة الأقاليم والأمصار شيخ الإسلام محمد بن علي الشوكاني، تحقيق وتعليق: محمد بن الحسين الأكوخ الحوالي، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء، ط ١ (١٤١١هـ - ١٩٩٠م).
- ٤٢ - الحميري، العلامة أبو سعيد نشوان، الحور العين، تحقيق كمال مصطفى، دار آزال، بيروت ط ٢ (١٩٨٥م).
- ٤٣ - حنبل، الإمام أحمد، المسند، شرح أحمد محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة ط ١ (١٤١٦هـ - ١٩٩٥م).
- ٤٤ - الحنفي، العلامة ابن أبي العز، شرح العقيدة الطحاوية، تخريج: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٩ (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م).
- ٤٥ - الحوت البيروني، الإمام الشيخ محمد درويش، أسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب، دار الكتاب العربي ط ٢ (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م).
- ٤٦ - الخزرجي، الفقيه العالم المحقق، شمس الدين أبي الحسن علي بن الحسن بن أبي بكر بن الحسن الأنصاري، المسجد المسبوك فيمن ولي اليمن من الملوك، دار الفكر - دمشق ط ٢ (١٤٠١هـ - ١٩٨١م).
- ٤٧ - الخطيب، شريف الشيخ صالح أحمد، الإمام زيد بن علي المفترى عليه، دار الندوة الجديد، المكتبة الفيصلية (١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م).
- ٤٨ - خلدون، العلامة، عبد الرحمن بن محمد، مقدمة ابن خلدون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
- ٤٩ - خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر، تحقيق د. إحسان عباس، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ٥٠ - الديبع، أبو الضياء عبد الرحمن بن علي، قررة العيون بأخبار اليمن الميمون، تحقيق محمد بن علي الأكوخ الكوالي، ط ٢ (١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م).
- ٥١ - الديبع، عبد الرحمن بن علي، الفضل المزيد على بغية المستفيد في أخبار مدينة زيد، تحقيق: د. يوسف شلحد، دار العودة، بيروت ط ١ (١٩٨٣م).
- ٥٢ - الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، مختار الصحاح، مؤسسة علوم القرآن دمشق، بيروت (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م).

- ٥٣ - رجب، الحافظ أبو الفرج زين الدين عبد الرحمن بن أحمد السلامي الشهير بالحنبلي (٧٣٦ - ٧٩٥هـ). إيقاظ الهمم المنتقى من جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم بقلم أبي أسامة سليم عبيد الهلالي. دار ابن الجوزي ط٣ (١٤١٧هـ - ١٩٩٦م).
- ٥٤ - رشد، الإمام ابن رشد الحفيد، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، تحقيق محمد صبحي، حسن حلاق، مكتبة ابن تيمية القاهرة، ط١ (١٤١٥هـ).
- ٥٥ - زيارة، العلامة محمد بن محمد بن يحيى، نزهة النظر في رجال القرن الرابع عشر تحقيق مركز الدراسات والأبحاث اليمنية، الجمهورية اليمنية، صنعاء، الطبعة الأولى (١٩٧٩م).
- ٥٦ - زيارة، محمد بن محمد يحيى الحسيني الصنعائي، نيل الوطر من تراجم رجال اليمن في القرن الثالث عشر من هجرة سيد البشر ﷺ، المطبعة السلفية، القاهرة.
- ٥٧ - الزرقاني، والإمام محمد بن عبد الباقي (ت: ١١٢٢هـ) مختصر المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، تحقيق: د. محمد بن لطفي الصباغ، المكتب المصري الحديث، ومكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض ط٢ (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م).
- ٥٨ - الزركشي، الإمام محمد بن عبد الله بن بهادر (ت: ٧٩٤هـ) في اللالي المنثورة في الأحاديث المشهورة، أو التذكرة في الأحاديث المشتهرة، تحقيق: د. محمد بن لطفي الصباغ، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، عمان، ط١ (١٤١٧هـ - ١٩٩٦م).
- ٥٩ - الزندان، الشيخ العلامة، عبد المجيد، د. عبد الكريم زيدان، الشيخ محمد يوسف حرب، شرعية الانتخابات، جامعة الإيمان، منشورات جمعية الفقه الإسلامي.
- ٦٠ - زهرة، الإمام، محمد، تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية، دار الفكر العربي.
- ٦١ - زيد، علي محمد، معتزلة اليمن، دولة الهادي وفكره، مركز الدراسات والبحوث اليمن، صنعاء، دار العودة، بيروت ط٢ (١٩٨٥م).
- ٦٢ - سالم، د. سيد مصطفى، الفتح العثماني الأول لليمن (١٥٣٨ - ١٦٣٥هـ) معهد البحوث والدراسات العربية، جامعة الدول العربية المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ط٣ (١٩٧٧م).
- ٦٣ - سالم، د. سيد مصطفى، تكوّن اليمن الحديث، دار الأمين، القاهرة، ط٤ (١٩٩٣م).

- ٦٤ - سالم، د. سيد مصطفى، مجلة الحكمة اليمانية، اليمن والإمام يحيى، مركز البحوث والدراسات اليمني، صنعاء، ط ٢ (١٩٨٨هـ).
- ٦٥ - السبكي، أبي نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي، طبقات الشافعية الكبرى (٧٢٧ - ٧٧١هـ) تحقيق: محمود الطناجي، عبد الفتاح محمد الحلو، مكتبة دار ابن تيمية، ط ١ (١٣٨٤هـ - ١٩٦٥م).
- ٦٦ - السجستاني، الإمام الحافظ المصنف المتقن أبو داود سليمان بن الأشعث الأزدي (٢٠٢ - ٢٧٥)، سنن أبي داود، دار الجليل، بيروت، ط (١٤١٢هـ - ١٩٩٢م).
- ٦٧ - السخاوي، الإمام الحافظ الناقد المؤرخ شمس الدين بن أبي الخير محمد بن عبد الرحمن (ت: ٩٠٢هـ)، المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، تصحيح وتعليق وتقديم وترجمة: عبد الله محمد الصديق، عبد الوهاب عبد اللطيف، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١ (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م).
- ٦٨ - السمهودي، أبو الحسن نور الدين (٨٤٤ - ٩١١هـ)، الغماز على اللماز في الأحاديث المشتهرة، دار اللواء، الرياض، تحقيق: محمد إسحاق محمد إبراهيم السلفي ط ١ (١٤٠١هـ - ١٩٨١م).
- ٦٩ - السندروسي، العلامة محمد بن محمد الحسيني الطرابلسي (ت: ١١٧٧هـ) الكشف الإلهي عن شديد الضعف والموضوع والواهي تحقيق وتقديم وتعليق د. محمد محمود أحمد بكار، مكتبة الطالب الجامعي مكة المكرمة، العزيزة، دار العليا، بريدة ط ١ (١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م).
- ٧٠ - السيوطي، الحافظ، جلال الدين، الشيخ يوسف النبهاني، العلامة محمد ناصر الدين الألباني، ترتيب أحاديث صحيح الجامع الصغير وزيادته، رتبته وبوبه عوني نعيم الشريف، شرح غريب ألفاظه علي حسن علي عبد الحميد، مكتبة المعارف، الرياض، ط ١ (١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م).
- ٧١ - الشرجي، د. عبد الغني قاسم غالب، الإمام الشوكاني حياته وفكره، مؤسسة الرسالة، بيروت، مكتبة الجليل الجديد، صنعاء، ط ١ (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م).
- ٧٢ - الشرجي، د. قائد نعمان، الشرائح الاجتماعية التقليدية في المجتمع اليمني، دار الحدائق ومركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ط ١ (١٩٨٦م).
- ٧٣ - الشرجي، د. عبد الغني قاسم غالب، الإمام الشوكاني حياته وفكره، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١ (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م).
- ٧٤ - شرف الدين، علي بن عبد الكريم الفضيل، الزيدية نظرية وتطبيق، جمعية عمال المطابع التعاونية، ط ١ (١٤٠٥هـ - ١٩٨٣م).

- ٧٥ - الشماحي، القاضي، عبد الله بن عبد الوهاب المجاهد، اليمن، الإنسان والحضارة، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ط٣ (١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م).
- ٧٦ - الشنيطي، الشيخ محمد الأمين بن المختار، مذكرة أصول الفقه على روضة الناظر للعلامة ابن قدامة رحمته الله، دار القلم، بيروت.
- ٧٧ - الشهرستاني، أبو الفتح محمد عبد الكريم بن أبي بكر أحمد، الملل والنحل، دار الفكر، تحقيق: أ. عبد العزيز محمد الوكيل.
- ٧٨ - الشوكاني، الشيخ، محمد بن علي بن محمد، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، طبعة جديدة مصححة ومنقحة، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط١ (١٤١٤هـ - ١٩٩٤م).
- ٧٩ - الشوكاني، الشيخ القاضي، محمد بن علي، أدب الطلب ومنتهى الأرب، تحقيق ودارسة: عبد الله يحيى السرينجي، مكتبة الإرشاد، صنعاء ط١ (١٤١٩هـ - ١٩٩٨م).
- ٨٠ - الشوكاني، القاضي العلامة شيخ الإسلام محمد بن علي، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ط١ (١٣٤٨هـ)، بمطبعة دار السعادة، بجوار محافظة مصر.
- ٨١ - الشوكاني، القاضي محمد بن علي، الفتح الرباني من فتاوى الإمام الشوكاني الجمهورية اليمنية، وزارة العدل المعهد العالي للقضاء ط١ (١٤١٥هـ - ١٩٩٤م).
- ٨٢ - الشوكاني، شيخ الإسلام، محمد بن علي، السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١.
- ٨٣ - الشوكاني، شيخ الإسلام محمد بن علي، الدراري المضيئة في شرح الدرر البهية في المسائل الفقهية، تحقيق محمد صبحي حلاق، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط١ (١٤١٤هـ - ١٩٩٣م).
- ٨٤ - الشوكاني، محمد بن علي، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، دار المعرفة، بيروت - لبنان.
- ٨٥ - الشوكاني، محمد بن علي، الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي، عبد الوهاب عبد اللطيف، دار الكتب العلمية بيروت، ط١ (١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م).
- ٨٦ - الشوكاني، محمد بن علي، نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار: تقرظ د. وهبة الزحيلي، دار الخير، ط١ (١٤١٦هـ - ١٩٩٦م).

- ٨٧ - الشيباني، الشيخ الإمام العلامة عبد الرحمن بن علي بن محمد بن عمر الشافعي الأثري، تمييز الطيب من الخبيث فيما يدور على السنة الناس من الحديث - دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١ (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م).
- ٨٨ - الصائدي، د. أحمد قائد، حركة المعارضة اليمينية في عهد الإمام يحيى بن محمد حميد الدين (١٣٢٢ - ١٣٦٧هـ)، (١٩٠٤ - ١٩٤٨م)، دار الأدب، بيروت، ط ١ (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م).
- ٨٩ - صبحي، د. أحمد محمد، في علم الكلام، دراسة فلسفية لآراء الفرق الإسلامية في أصول الدين، الأشاعرة، دار النهضة العربية، بيروت - لبنان، ط ٥ (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م).
- ٩٠ - صبحي، د. أحمد محمد، في علم الكلام، دراسة فلسفية لآراء الفرق الإسلامية في أصول الدين، الزيدية، دار النهضة العربية، بيروت، ط ٣ (١٤١١هـ - ١٩٩١م).
- ٩١ - الصفدي، محمد بن محمد بن جار الله (أبو مشحم) اليميني (ت: ١١٨١هـ)، النوافح العطرة في الأحاديث المشتهرة، دراسة وتحقيق: محمد بن عبد القادر أحمد عطا، مؤسسة الثقافة، ط ١ (١٤١٢هـ - ١٩٩٢م).
- ٩٢ - الصنعاني الكحلاني، الإمام المحدث السلفي المجتهد محمد بن إسماعيل اليميني الصنعاني، تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء، ط (١٤١٠هـ - ١٩٩٠م). بيان علماء اليمن حول مشروع دستور دولة الوحدة، صدر في اليمن دون ذكر طبعة ولا مطبعة.
- ٩٣ - عبد الخالق، عبد الرحمن، الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة، مكتبة دار الفيحاء للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق - مكتبة دار السلام، الرياض، ط ١ (١٤١٤هـ - ١٩٩٤م).
- ٩٤ - عبد الحليم، محمد العبد، وطارق، المعتزلة بين القديم والحديث، دار ابن حزم، بيروت، ط ١ (١٤١٦هـ - ١٩٩٦م).
- ٩٥ - العبدلي، أحمد فضل بن علي محسن، هدية الزمن في أخبار ملوك الحج وعدن، دار العودة، بيروت، ط ٢ (١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م).
- ٩٦ - العجلوني، المفسر المحدث الشيخ إسماعيل بن محمد الجراحي (ت: ١١٦٣هـ)، كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على السنة الناس، بيروت، ط ٣ (١٤٠٨هـ - ١٩٩٨م). المطبوع في جزأين.

- ٩٧ - العربي، الإمام القاضي أبي بكر المالكي، العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي ﷺ، تحقيق وتعليق: الشيخ محب الدين الخطيب والأستاذ محمود مهدي الإسنبولي، د. محمد جميل غازي، دار الكتب السلفية، ط١ (١٤٠٥هـ).
- ٩٨ - العرشي، القاضي، حسين بن أحمد، بلوغ المرام في شرح مسك الختام في من تولى ملك اليمن من ملك وإمام، دار الندوة الجديدة - بيروت.
- ٩٩ - العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، تقريب التهذيب، تحقيق وتعليق د. عبد الوهاب عبد اللطيف الأزهر، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان ط٢ (١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م).
- ١٠٠ - العسقلاني، الإمام، أحمد بن علي بن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، راجعه قصي محب الدين الخطيب، دار الريان للتراث، القاهرة ط٢ (١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م).
- ١٠١ - العسقلاني، الحافظ أحمد بن حجر (٧٣٣ - ٨٥٢هـ) بلوغ المرام من أدلة الأحكام عني بتصحيحه والتعليق عليه محمد حامد الفقي، مكتبة الجيل الجديد صنعاء، مؤسسة الكتب الثقافية ط١ (١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م).
- ١٠٢ - العطار، د. محمد سعيد، التخلف الاقتصادي والاجتماعي في اليمن، أبعاد الثورة اليمنية ط١ (١٩٦٥م)، دار الطليعة للطباعة والنشر، لبنان.
- ١٠٣ - العظم، نزيه مؤيد، رحلة في العربية السعودية، منشورات المدينة، شركة التقدير للطباعة والنشر، بيروت - لبنان ط٢ (١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م).
- ١٠٤ - العفيف، الموسوعة اليمنية، طباعة مؤسسة الثقافية طبعة (١٩٩٢م).
- ١٠٥ - العفيف، مؤسسة الموسوعة اليمنية، دار الفكر المعاصر ط١ (١٤١٢هـ - ١٩٩٢م).
- ١٠٦ - العمراني، أجوبة للقاضي العلامة محمد بن إسماعيل على مسائل فقهية مجموعة في كتاب مخطوط.
- ١٠٧ - العمراني، العلامة محمد بن علي، إتحاف النبي في تاريخ القاسم وبنيه وما كان من ابتداء الأمر إلى تنأيه نسخة مصورة (مخطوطة) (ت: ١٢٤٦هـ).
- ١٠٨ - العمراني، القاضي محمد بن إسماعيل، جمع فوائد حديثية وعلمية من متفرقات الكتب، مخطوط في كتاب.
- ١٠٩ - العمراني، القاضي محمد بن إسماعيل، إجابات عن الأحاديث المشتهرة منها ما هو صحيح وما هو ضعيف، مخطوط في كتاب.

- ١١٠ - العمراني، القاضي محمد بن إسماعيل العمراني، الكلمة الوجيزة بتاريخ أسرة العزيزة، (مخطوط).
- ١١١ - العمراني، القاضي محمد بن إسماعيل، بعض مقالات مكتوبة من قبل ثورة اليمن معدة لمخطة الإذاعة اليمنية سنة (١٣٧٤هـ) مخطوطة.
- ١١٢ - العمري، د. حسين عبد الله، تاريخ اليمن الحديث والمعاصر (٩٢٢ - ١٣٣٦هـ - ١٥١٦ - ١٩١٨م). من المتوكل إسماعيل المتوكل يحيى حميد الدين، دار الفكر، دمشق - سورية، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط١ (١٤١٨هـ - ١٩٩٧م).
- ١١٣ - العنبري، خالد بن علي بن محمد، فقه السياسة الشرعية في ضوء القرآن والسنة وأقوال سلف الأمة بحث في النظام السياسي الإسلامي، ط١ (١٤١٨هـ).
- ١١٤ - غنام، د. فضل علي أحمد، القبيلة والدولة في اليمن، دار المنار، القاهرة ط١ (١٤١٠هـ - ١٩٩٠م).
- ١١٥ - الغزالي، أبو حامد، فضائح الباطنية، دار البشير للنشر والتوزيع، ط١ (١٤١٣هـ - ١٩٩٣م).
- ١١٦ - الغزي، الدمشقي، نجم الدين محمد بن محمد (٩٧٧هـ - ١٠٦١م)، إتقان ما يحسن من الأخبار الدائرة على الألسن، ضبط وتقديم: خليل بن محمد العربي، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر ط١ (١٤١٥هـ - ١٩٩٥م).
- ١١٧ - الغماري، الحافظ أبو الفيض أحمد بن الشيخ الإمام أبي عبد الله محمد بن الصديق الحسيني، المغير على الأحاديث الموضوعة في الجامع الصغير، دار الرائد العربي بيروت - لبنان (١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م).
- ١١٨ - الفراء، أبو يعلى محمد بن الحنبلي، الأحكام السلطانية، دار الفكر، تصحيح وتعليق: محمد حامد الفقي ط١ (١٤٠٦هـ).
- ١١٩ - الفوزان، فضيلة الشيخ صالح بن فوزان بن عبد الله، حقيقة التصوف وموقف الصوفية من أصول العبادة والدين، دار العاصمة، المملكة العربية السعودية، ط١ (١٤١٢هـ).
- ١٢٠ - الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت: ٨١٧هـ) القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرتوس، طبعة منقحة مفهرسة، الطبعة الثالثة، (١٤١٣، ١٩٩٣م).
- ١٢١ - القاري، العلامة نور الدين علي بن محمد بن سلطان، المشهور بالملا علي، الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة المعروف بالموضوعات الكبرى تحقيق وتعليق محمد بن لطف الصباغ المكتب الإسلامي، بيروت، ط١ (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م).

- ١٢٢ - القرار الجمهوري بالقانون رقم (٢٠) لسنة ١٩٩٢م بشأن الأحوال الشخصية، صدر في الجمهورية اليمنية وزارة الشؤون القانونية.
- ١٢٣ - القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، مكتبة الرشد، الرياض، ط١ (١٤١٨هـ - ١٩٩٧م).
- ١٢٤ - قطب، سيد، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط١٦ (١٤١٠هـ - ١٩٩٠م).
- ١٢٥ - الكاتب، أحمد عصام، عقيدة التوحيد في فتح الباري شرح صحيح البخاري، دراسة تحليلية شاملة لعقيدة الحافظ ابن حجر العسقلاني كما بسطها في الفتح، دار الآفاق الحديثة، بيروت، ط١ (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م).
- ١٢٦ - كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين، مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ط١ (١٣٩٤هـ).
- ١٢٧ - الكندي، القاضي أبي عبد الله بهاء الدين محمد بن يوسف بن يعقوب الجندي السكسكي تحقيق: محمد بن علي بن الحسين الأكوخ الحوالي، دار التنوير، بيروت، ط١ (١٩٨٩م).
- ١٢٨ - الماضي، تركي بن محمد بن تركي، مذكرة عن العلاقات السعودية اليمنية (١٣٤٢، ١٣٧١ - ١٩٢٤، ١٩٥٤م)، دار الشبل للنشر والتوزيع، ط١ (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م).
- ١٢٩ - المالكي، العلامة محمد الأمير الكبير، النخبة البهية في الأحاديث المكذوبة على خير البرية، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت ط١ (١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م).
- ١٣٠ - الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي (ت: ٤٥٠هـ) الأحكام السلطانية، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ١٣١ - مجموع المتون الكبير المشتمل على ٦١ متناً، طبع بمطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.
- ١٣٢ - المرتضى، الإمام المجتهد، أحمد بن يحيى، مقدمة كتاب البحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الأمصار، دار الحكمة اليمانية. ط١ (١٣٦٦هـ - ١٩٧٤م).
- ١٣٣ - المرتضى، الإمام المهدي أحمد بن يحيى الحسيني اليماني، كتاب الأزهار في فقه أئمة الأئمة الأطهار، ط٥ (١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م).
- ١٣٤ - المرتضى، المهدي لدين الله أحمد بن يحيى بن الفضل بن منصور الحسيني اليماني، النية والأمل في شرح الملل والنحل، تحقيق الدكتور محمد جواد مشكور، دار الندى ط٢ (١٤١٠هـ - ١٩٩٠م).

- ١٣٥ - المروني، محمد بن عبد الملك، الثناء الحسن على أهل اليمن، دار الندى بيروت ط٢ (١٤١١هـ - ١٩٩٠م).
- ١٣٦ - المسعودي، د. عبد العزيز قائد، معالم تاريخ اليمن المعاصر، القوى الاجتماعية لحركة المعارضة اليمنية (١٩٠٥م - ١٩٨٤م) مكتبة السنحاني ط١ (١٤١٣هـ - ١٩٩٢م).
- ١٣٧ - المشيشي، العلامة الشيخ محمد بن المحاسن القاوقجي الحسني، اللؤلؤ المرصوع فيما قيل لا أصل له أو بأصله موضوع، المذيل برسالة في الموضوعات لأبي الحسن بن محمد الصفاني رحمته الله، تصحيح: محمد كمال الدين أبو البقاء مطبعة الباروتية بالجدرية بمصر.
- ١٣٨ - المعافري، العلامة، أبي عبد الله محمد بن مالك بن أبي القبائل الحمادي، تحقيق وتعليق: محمد بن علي الحسين الأكوخ الحوالي، كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ط١ (١٤١٥هـ - ١٩٩٤م).
- ١٣٩ - المعتق، عواد عبد الله، المعتزلة وأحوالهم الخمسة وموقف أهل السنة فيها، مكتبة الرشيد، الرياض ط٣ (١٤١٧هـ - ١٩٩٦م).
- ١٤٠ - المقالح، د. عبد العزيز، قراءة في فكر الزيدية والمعتزلة، اليمن الإسلامي، دار العودة، بيروت، ط١ (١٩٩٨م).
- ١٤١ - مقبل، صالح محمد الصغير، محمد بن علي الشوكاني وجهوده التربوية، دار الجليل بيروت، ط١ (١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م).
- ١٤٢ - المقبلي، العلامة، صالح بن المهدي اليمني، العلم الشامخ في تفصيل الحق على الآباء والمشايخ مع كتاب الأرواح النوافح، مكتبة دار البيان، دمشق.
- ١٤٣ - المقبلي، العلامة المجتهد صالح بن مهدي، المنار في المختار من جواهر البحر الزخار، العلامة المجتهد صالح بن مهدي المقبلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، مكتبة الجليل الجديد، صنعاء ط١ (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م).
- ١٤٤ - المقدسي، العلامة الشيخ مرعي بن يوسف الكرمي (ت ١٠٣٣هـ) الفوائد الموضوعية في الأحاديث الموضوعية، تحقيق الدكتور محمد لطفي الصباغ، دار الوراق، السعودية، الرياض، ط٣ (١٤١٩هـ - ١٩٩٨م).
- ١٤٥ - المقرمي، د. عبد الملك، التاريخ الاجتماعي للثورة اليمنية رؤية سوسيولوجية لتحول بناء القوة، دار الفكر المعاصر، بيروت - لبنان ط١ (١٤١١هـ - ١٩٩١م).
- ١٤٦ - نعمان، عبد الفتاح شايف، الإمام الهادي والياً وفتياً ومجاهداً، ط١ (١٤١٠هـ - ١٩٨٩م).

- ١٤٧ - النووي، الإمام، محيي الدين، صحيح مسلم، المسمى المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، تحقيق وتخريج: الشيخ خليل مأمون شيخا، دار المعرفة، بيروت، ط١ (١٤١٤هـ - ١٩٩٤م).
- ١٤٨ - هشام، أبي محمد عبد الملك، سيرة النبي ﷺ، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، (١٤٠١هـ - ١٩٨١م).
- ١٤٩ - الهمداني، ابن محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب، كتاب الإكليل، تحقيق وتعليق محمد بن علي الأكوخ الحوالي.
- ١٥٠ - الهمداني، لسان اليمن الحسن بن أحمد بن يعقوب، صفة جزيرة العرب، تحقيق: محمد بن علي الأكوخ الحوالي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط١ (١٤١٠هـ - ١٩٩٠م).
- ١٥١ - الهندي، العلامة محمد بن طاهر علي (ت: ٩٨٦هـ)، تذكرة الموضوعات مع قانون الموضوعات والضعفاء، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان ط٢ (١٣٩٩هـ).
- ١٥٢ - هو لفريتز، هانز، تعريب: خيرى حماد، اليمن من باب الخلفي، المكتبة اليمنية للنشر والتوزيع، صنعاء، ط٣ (١٩٨٥م).
- ١٥٣ - الواسعي، الشيخ، عبد الواسع بن يحيى اليماني، تاريخ اليمن، المسمى فرجة الهموم والحزم في الحوادث وتاريخ، مكتبة اليمن الكبرى، ط٢، مع زيادات مفيدة (١٩٩٠ - ١٩٩١م).
- ١٥٤ - الوراق، أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحاق، كتاب الفهرست لابن النديم، تحقيق رضا محمد.

فهرست الموضوعات

الموضوع	الصفحة
* شكر و عرفان	٥
* الإهداء	٧
* تقديم: د. عبد الوهاب لطف الديلمي	١٠
* تقديم: القاضي إسماعيل بن علي الأكوخ	١١
- المقدمة	١٣
❖ الفصل الأول: عصر القاضي العمراني	٣١
توطئة وتمهيد	٣٣
الموقع الجغرافي لليمن	٣٤
مناخ اليمن	٣٥
المساحة والسكان	٣٦
التضاريس السطحية لليمن	٣٦
المبحث الأول: الناحية السياسية	٣٨
الحالة السياسية لليمن أثناء العهد الإمامي	٣٨
أهم التحولات السياسية في العهد الجمهوري	٤٦
المبحث الثاني: الناحية الدينية	٤٨
المطلب الأول: المعتزلة	٤٩
ظهور فرقة المعتزلة	٥٠
مجمل عقائد المعتزلة	٥٧
المطلب الثاني: الزيدية	٦٠
عقائد الزيدية	٦٢
عقائد الزيدية ومقارنتها بعقائد المعتزلة	٦٨
الزيدية في اليمن	٧١
فرق الزيدية	٧٦
موقف القاضي محمد من المعتزلة والزيدية	٧٨

٧٩	المطلب الثالث: الاتجاه السني
٨٧	المطلب الرابع: فرقة الأشاعرة
٩٢	معتقدات الأشاعرة
٩٥	ظهور عقيدة الأشاعرة في اليمن
٩٧	المطلب الخامس: الباطنية
١٠٠	عقيدة الباطنية
١٠٣	بداية دخول الباطنية اليمن
١٠٤	ذكر علي بن الفضل وآثاره السيئة
١٠٨	المطلب السادس: الصوفية
١١٤	موقف علماء السنة من الصوفية
١١٧	علماء اليمن والصوفية
١١٩	الصوفية في اليمن
١٢٢	أهم التحولات في الناحية المذهبية في العهد الجمهوري
١٢٤	المبحث الثالث: الناحية الاجتماعية
١٢٤	السمات الرئيسية البارزة في المجتمع اليمني
١٢٨	عادات وتقاليد يمنية
١٣١	أهم التحولات الاجتماعية في العهد الجمهوري
١٣٣	المبحث الرابع: الناحية الاقتصادية
١٣٤	أهم التحولات في الجانب الاقتصادي في العهد الجمهوري
١٣٦	المبحث الخامس: الناحية التعليمية
١٣٩	❖ الفصل الثاني: ترجمة القاضي محمد بن إسماعيل العمراني
١٤١	المبحث الأول: مولده
١٤١	اسمه وكنيته ونسبه
١٤٢	لقبه
١٤٥	المبحث الثاني: أسرته ومكانتها العلمية
١٤٥	ترجمة موجزة لآل العمراني
١٤٥	القاضي علي بن حسين بن صالح العمراني
١٤٨	القاضي محمد بن علي العمراني
١٥٤	القاضي أحمد بن علي العمراني

الصفحة	الموضوع
١٥٤	القاضي محمد بن محمد العمراني
١٥٩	القاضي عبد الرحمن بن محمد العمراني
١٦١	القاضي حسين بن محمد العمراني
١٦١	القاضي إسماعيل بن محمد العمراني
١٦١	القاضي عبد الرحمن بن إسماعيل العمراني
١٦٢	القاضي محمد بن إسماعيل العمراني
١٦٤	المبحث الثالث: حياته التعليمية
١٦٤	المطلب الأول: مرحلة الطلب الأولى
١٦٤	محمد بن إسماعيل العمراني صبياً على طريق العلم
١٦٤	مشايخه في القرآن ومنهج التدريس في مدرسة الفليحي
١٦٥	منهج التدريس في مدرسة الإصلاح
١٦٦	المطلب الثاني: مرحلة الطلب الثانية
١٦٦	بداية الدراسة الحرة
١٧٠	ما حفظه من مختصرات
١٧٣	نماذج من الكتب التي كان يقرأها طلاب المساجد
١٧٤	شيوخ القاضي العمراني
١٧٧	ترجمة لأهم شيوخ القاضي
١٧٧	الفقيه العلامة علي بن هلال الدبب
١٧٧	القاضي العلامة يحيى بن محمد الإرياني
١٧٩	عبد الكريم بن إبراهيم الأمير
١٨٠	القاضي عبد الله بن عبد الكريم الجرافي
١٨٠	إجازات القاضي العمراني
١٨١	شروط الإجازة
١٨٥	أسانيد القاضي العمراني
١٨٦	أعلى سند القاضي في صحيح البخاري
١٨٧	تعليق على دراسة القاضي
١٨٩	المبحث الرابع
١٨٩	المطلب الأول: العوامل التي أسهمت في تكوين شخصية القاضي العمراني
١٩٢	البيئة التي عاش فيها العمراني

الصفحة	الموضوع
١٩٧	عن تعرض لها القاضي العمراني
٢٠٩	دفاع القاضي محمد عن الأئمة العلماء
٢١٣	❖ الفصل الثالث: حياة القاضي الدعوية
٢١٥	تمهيد عن وسائل الدعوة
٢١٨	المبحث الأول وفيه مطالب
٢١٨	المطلب الأول: إسهاماته العلمية الداعمة للدعوة
٢١٩	الحلقات العلمية
٢٢١	التدريس
٢٢٢	الإفتاء
٢٢٢	الكتابة
٢٢٤	المبحث الثاني: إسهاماته السياسية
٢٢٥	المطلب الأول: أهم الأعمال التي تولاها
٢٢٥	ولاية المظالم
٢٢٨	مجلس الشورى
٢٣٣	المطلب الثاني: مواقفه مع أولي الأمر
٢٣٣	أهمية الولاية في الإسلام
٢٣٨	المبحث الثالث: مواقف القاضي الاجتماعية
٢٤٠	المبحث الرابع: موقفه من الجماعات الإسلامية
٢٤١	أقسام الخلاف
٢٤٣	أمثلة من خلاف الصحابة
٢٤٥	❖ الفصل الرابع: حياته العلمية
٢٤٧	المبحث الأول: آثاره وجهوده العلمية
٢٤٩	المطلب الأول: الكتب والرسائل
٢٥١	المطلب الثاني: البحوث العلمية
٢٥٣	المطلب الثالث: المقالات
٢٦٢	المطلب الرابع: مكانته العلمية
٢٦٤	مكانته عند المجيزين له
٢٦٦	ثناء علماء عصره عليه
٢٦٨	المطلب الخامس: تلاميذه

الصفحة	الموضوع
٢٧٥	المبحث الثاني: الفتاوى العامة
٢٧٦	المطلب الأول: الفتاوى الحديثة
٢٨٦	المطلب الثاني: الاختيارات الفقهية
٢٨٦	باب الطهارة
٢٨٦	باب الصلاة
٢٨٨	باب الصيام
٢٨٩	باب الزكاة
٢٨٩	باب الحج
٢٨٩	باب النكاح والطلاق
٢٩٠	باب الأيمان
٢٩١	مسائل عصرية
٢٩٢	المطلب الثالث: منهجه في العقائد
٢٩٥	المطلب الرابع: مخالفة القاضي العمراني للهادوية
٢٩٥	في باب النجاسات
٢٩٥	باب المياه
٢٩٥	باب قضاء الحاجة
٢٩٥	باب الرضوء
٢٩٦	باب الغسل
٢٩٦	باب الحيض
٢٩٦	باب التيمم
٢٩٦	باب الأوقاف
٢٩٧	باب الأذان
٢٩٧	باب صفة الصلاة
٢٩٨	الأدلة على بعض الاختيارات
٣١١	المبحث الثالث: استدراكات القاضي العمراني على شيخ الإسلام الشوكاني
٣١٢	المطلب الأول: استدراكات القاضي على كتاب وبل الغمام على شفاء الأوام
	المطلب الثاني: استدراكات القاضي العمراني على الشوكاني في كتاب السيل
٣١٦	الجرار

٣٣٢	المطلب الثالث: استدراكات القاضي العمراني على الشوكاني في كتاب الدراري المضيئة
٣٤٠	المطلب الرابع: استدراكات القاضي العمراني على بعض أئمة الزيدية
٣٤٠	* فوائد مجموعة من كتب أئمة الهادوية لبعض الأحاديث الموضوعية
٣٤٤	- الخاتمة: النتائج والتوصيات
٣٤٦	- التوصيات
٣٤٧	- المراجع
٣٦٠	- فهرست الموضوعات

